

# نسخ الإعراب

للمدارس الثانوية والعليا

تأليف

أحمد الزين

عضو مجمع اللغة العربية

مزيدة ومنقحة

بآخر الكتاب ذيل لغوي يفسر ما غمض من الألفاظ والتراكيب

دار نهضة مصر للطبع والنشر  
البحالة - القاهرة





# نسخ الإبداع العربي

للمدارس الثانوية والعليا

تأليف

أحمد بن الزين

عضو مجمع اللغة العربية

مزيدة ومنقحة

بآخر الكتاب ذيل لغوي يفسر ما غمض من الألفاظ والتراكيب

دار نهضة مصر للطبع والنشر

الجميلة - القاهرة





الفهرس

**حقائق**

استاذ

٢ أدب اللغة . تاريخ الأدب . فائدة تاريخ الأدب . تقسيم تاريخ الأدب . العرب ومواطنهم ووطناتهم ولبائهم المشهورة . أحوال العرب الاجتماعية والسياسية والدينية والعقلية الجاهلية

الباب الأول - العصر الجاهلي

١٣ الفصل الأول — نشأة اللغة العربية : اللغات السامية . اختلاف اللهجات وسببها

أطوار تهذيب اللغة العربية . الأسواق . أثر مكة وعمل قريش .

١٨ الفصل الثاني - - النذر : تقسيم النذر. أنواع الأثار منه. الحكمة. الوصية. الخطبة

مميزات النثر الجاهل . الخطابة ودواعيها . أسلوبها . عاداتهم فيها . أشهر الخطباء .

۶۰۔ اے ابن ساعدہ! ایمانی حیات، اسلوبہ، نمونہ بن کلامہ۔

۲۱ عمرو بن معد یکرِب الزبیدی . حیاتہ . صفتہ و منزلتہ نمونہ از من کلامہ .

٢٣ نماذج من النثر الجاهلي . الأمثال . الحكم . الخطب . الوصايا .

٧٨ الفصل الثالث - الشعر: تعريفه وأوليئته. الشمر والعرب. أنواع الشعر وأغراضه.

سبب خلو الشعر العربي من القصص - الملاحم المشهورة - مميزات الشعر الجاهلي ، الرواية  
والملقات .

۳۳ نُمَاج من الشعر الجاهلی .

١٠ الفصل الرابع — الشعراء الجاهليون وطبقاتهم. مكانتهم. من تكذيب الشعر منهم

تقييمهم باعتبار الزمن والإجادة .

١٦ : امرؤ القيس : نشأته وحياته : شعره : نموج منه .

٤٩ : البابۃ الدیانی : شعره و معنیاته .

٥٧ • زهير بن أبي سلمى : نشأته وحياته . شعره وميزاته

### تحليل موجز لملفاته

٥٦. الأعمش

خوفج منه

• ٥٨ • عترة العيسى

2

طريقة في الحد

### تحليل موجز لمطالعة

٦٤ عمرو بن كلثوم

توہج منہ

٦٦ الحارات من حلة :

D

صفحة

- ٦٨ لبيد بن ربيعة : صفاته وحياته . شعره ومميزاته . نموذج منه .  
 ٧١ حاتم الطائي : أخلاقه . شعره .  
 ٧٥ أمية بن أبي الصلت :  
 ٧٨ نشأة الخط في بلاد العرب ، البصرة والكوفة .  
 ٧٩ جدول لحمل الخطوط السامية .

## الباب الثاني — عصر صدر الإسلام والدولة الأموية

### ٨٠ الفصل الأول — الأدب الإسلامي :

العوامل المؤثرة في الأدب الإسلامي  
 حال الجزيرة العربية قبل الإسلام . معنى الجاهلية والإسلام . تغير العقيدة العربية  
 بالإسلام . ضعف الأثر الإسلامي في الأعراب ونتائجه . أثر الفتح في حياة العرب . أثر  
 الخصومة السياسية في الأدب

### ٨٦ الفصل الثاني — مصادر الأدب الإسلامي :

( ١ ) القرآن الكريم : أسلوبه . إيجازه . أغراضه ومعانيه . تأثيره . قراءاته  
 جمعه وتداولته . ليس من نوره .

٩٥ ( ٢ ) الحديث : منزلته الدينية . قيمته القنوية والتاريخية . اختلافه من  
 القرآن في ذلك . الحديث والوضع . أثر الحديث على علان  
 في الأدب والأسلوب . أسلوب الحديث .

٩٩ ( ٣ ) الشعر الجاهلي . ( ٤ ) الأدب الأجنبي .

### ١٠٢ الفصل الثالث — أنواع الأدب الإسلامي :

( ١ ) الشعر : حاله في عهد النبوة . معركا الهجاء بين قريش والمسلمين . أثر الدين والحضارة  
 فيه . تحليل نهضة الشعر في العراق والحجاز على عهد بني أمية وبيان خطرهما وأثرهما  
 في الإنتاج العقلي للعرب . العصية والثورة والحزبية وأثرهما في وفرة الشعر . تأثير الشعر  
 بالحياة الجديدة في معانيه وأغراضه . اختلاف مظاهر الحياة في العواصم العربية لاختلاف  
 الأحوال السياسية والاجتماعية . خصائص الشعر في العراق . الأطلل وجريروالفرزدق .  
 تحليل مذاهبهم في الهجاء . الشعر السياسي ومذاهبهم فيه . شعر القينة . شعر الخوارج

صفحة  
١٣٧ نماذج من الشعر الأموي

## ١٣٧ الفصل الرابع - الشعراء وطبقاتهم :

### ١٤٦ الشعراء المخضرمون :

- ١٤٦ كعب بن زهير : لغاته وحياته . شعره . نموذج منه .  
 ١٤٩ الخنساء : حياتها ، وشعرها  
 ١٥٢ حسان بن ثابت : لغاته وحياته ، شعره  
 ١٥٥ الحطيئة : " " " "

### ١٥٧ الشعراء الواسطيون

- ١٥٧ عمر بن أبي ربيعة : لغاته وحياته . شعره . نموذج من شعره .  
 ١٦١ الأخطل : " " "  
 ١٦٤ الفرزدق : " " "  
 ١٦٧ جرير : " " "  
 ١٧١ الطرماح بن حكيم : " " "

### ١٧٦ (٢) النثر الخطابة .

#### الخطباء :

- ١٧٧ محمد رسول الله : مولده ولغاته وشعره . فصاحته . أثر الحديث في اللغة والأدب .  
 ١٨١ عمر بن الخطاب : لغاته وحياته . صفاته ومواهبه . نموذج من عهده وخطبه .  
 ١٨٥ علي بن أبي طالب : " أخلاقه ومواهبه . نموذج من كلامه .  
 ١٨٨ سحران وائل : " نموذج من خطبه .  
 ١٨٩ زياد بن أبيه : " أخلاقه ومواهبه . نموذج من كلامه . خطبته  
 البتراء  
 ١٩٢ الحجاج بن يوسف : " " " " خطبه .

### ١٩٦ (٣) الكتابة : تدوين الدواوين . تأثر الأسلوب العربي بالأسلوب الفارسي .

#### الكتابة :

- ١٩٧ عبد الحميد بن يحيى : لغاته وحياته . أثره في الكتابة . أسلوبه . نموذج من نثره .  
 ٢٠٠ نماذج النثر . الحكم . الخطب . الرسائل .  
 ٢٠٤ — العن ونشوء العامة .

صفحة

النحو	٢٠٥
العلوم في العصر الأموي	٢٠٦
المخطوط بعد الإسلام	٢٠٧

### الباب الثالث - العصر العباسي

٢١٠	خطره وأثره ومميزات . اختلافه عن العصر الأموي . أثر الحضارة الآرية فيه . انتقال الخلافة إلى بني العباس على يد الفرس ( هـ )
٢١٢	الفصل الأول - اللغة وأثر الفتح والسياسة والحضارة فيها . ما اقتبسته العربية من الفارسية وغيرها . ضمها عند استيلاء الأحاجم على بغداد .
٢٥١	الفصل الثاني - الشعر :

الكتابة : أثر الحضارة الفارسية فيها . اتساعها . أسلوبها . نزوعها إلى الإطناب والوخف . سرمان الضعف إليها . طبقات الكتاب . طريقة ابن المقفع ، طريقة الجاحظ . طريقة ابن العميد . طريقة القاضي الفاضل :

الخطابة : الخطباء : داود بن علي ( هـ ) شبيب بن شبة

٢١٩ نماذج الشعر : التوقيعات . الخطب . الرسائل . المقامات

### ٢٢٦ الفصل الثالث - الكتاب

٢٢٦	ابن النعمان
٢٣٠	الجاحظ
٢٣٣	ابن العميد
٢٣٧	الساجد ابن عباد
٢٣٩	الخوارزمي
٢٤١	بديع الزمان الهمداني
٢٤٥	الحريري
٢٤٧	القاضي الفاضل

### ٢٥٠ الفصل الرابع - الشعر

أثر الحضارة والسياسة في الشعر . أثر الحضارة في شكله ووزنه وفرضه ، أثر ترجمة العلوم في الشعر . الشعب السياسي والعمر . تضيق الخلقاء للشعر : تقع هذا التضيق وضرره . حالة الشعر في عهد الخلافة .

٢٥٤ نماذج من الشعر العباسي : الحماسة . المدح . الرثاء : الهجاء . الوصف . الحكم والأمثال . الاعتذار والاستعطاف .

## ٢٦٣ الفصل الخامس - الشعراء المولودون :

٢٦٣ شعراء بقران :

٢٦٣ بشار بن برد

٢٦٨ أبو التمام

٢٧٢ أبو نواس

٢٧٦ ابن الرومي

٢٨١ ابن المعتز

٢٨٥ العفيف الرضي

٢٨٧ الطبراني

## ٢٨٩ الشعراء في السام : الشام في عهد بني أمية . الشام في عهد بني عباس

٢٩٠ أبو تمام

٢٩٤ البحتري

٢٩٧ لعل

٣٠٢ أبو فراس

٣٠٦ أبو الملاء للمري

## ٣١٢ الشعراء في المولد : عبد الرحمن الداخل . سياسة الأمويين في الأندلس

خيرها في الشام . حضارة الأندلس وأثرها في الشعر . انتشار اللغة العربية في أسبانيا .

أثر الشعر العربي في الشعر الإسباني ، رأي الفرنج في الشعر العربي

٣١٦ نماذج من الشعر الأندلسي

٣٢١ ابن عبد ربه . العقد الفرید

٣٢٤ ابن حاتم الأندلسي

٣٢٩ ابن زيدون

٣٣٥ ابن جنيب الصقلي

٣٣٩ ابن خنجة الأندلسي

٣٤٢ لسان الدين بن الخطيب

## الشعر والكتابة والموسم والقنود في مصر علي عهد الفاطميين :

٣٤٩ الشعراء في مصر

٣٥٠ كمال الدين بن التميمي

٣٥٤ ابن القارض

٣٥٦ بهاء الدين زهير

٣٥٩ الفصل السادس — العلوم :

الدرجة والتأليف : رقي العلوم وانتشارها . أثر العرب فيها

٣٦١ العلوم الأدبية — علم الأدب :

٣٦٢ الأدباء . الأسمى

٣٦٣ أبو الفرج الأسيباني . كتاب الألفاني

٣٦٥ علم النحو . الكوفيون والبصريون . منشأ الخلاف بينهم . النحو في عاقبة أمره

٣٦٧ النحاة

٣٦٧ سيور

٣٦٨ السكسائي

٣٦٩ القراء

٣٧١ ابن الحاجب

٣٧١ علم الفقه . المساجد

٣٧٢ الفقهون . الخليل بن أحمد

٣٧٤ ابن دريد

٣٧٦ علوم البيان

٣٧٧ التاريخ . نشأته وتطوره

٣٧٨ مذهب العرب في التاريخ

١٧٨ ابن الأثير .

٣٧٩ العلوم الشرعية — علم الحديث :

المحدثون . البخاري

٣. مسلم بن الحجاج

٣. علم الفقه

الفتاوى . أبو حنيفة النعمان

مالك بن أنس

٢. أحمد الفاسي

٢. أحمد بن حنبل

٣٨٦ العلوم العقلية — الفلسفة :

٣٨٨ الفلاسفة

٣٨٩ ابن سينا

٣٩٠ الفيزيائي

٣٩١ ابن رشد

صفحة

- ٣٩٤ الفصل السابع — القصص والمقامات في الأدب العربي :  
 قصة حنترة ( هـ ) الحكايات ، ألف ليلة وليلة .  
 ٣٩٧ الأمثال . كلية وحسنه  
 ٣٩٩ المقامات وكتابتها

## الباب الرابع — العصر التركي

- ٤٠١ بعد سقوط بغداد . كيف خلفت القاهرة بغداد وترطبة  
 ٤٠٤ أعلام هذه الفترة . تواج هذه الفترة على الإجمال  
 ٤٠٦ من الدين الحل  
 ٤٠٧ ابن منظور  
 ٤٠٩ أبو الفداء  
 ٤١٠ ابن خلدون  
 ٤١٣ عائلة الباعونية

## الباب الخامس — العصر الحديث

- ٤١٦ الفصل الأول — نظرة عامة حالة مصر في أواخر القرن الثامن عشر ، هزو  
 نابليون لمصر وآثره الأدبي ، أعمال محمد علي ، جهود إسماعيل في عصر الثمانية ، أثر  
 الاحتلال الإنجليزي في التعليم  
 ٤٢١ الفصل الثاني وسائل النهضة الحديثة :  
 ٤٢١ المدارس . الجامعة الأزهرية . الجامعات المصرية . الطباعة . الصحافة . التمثيل .  
 المحامع الأدبية ، المجمع العلمي العربي بدمشق — مجمع اللغة العربية بالقاهرة  
 ٤٢٩ الفصل الثالث — النشر :

## الكتابة — الفن القصصي والروائي

- ٤٣٣ الفصل الرابع : أساطين النهضة الحديثة في مصر والعام والراق والمغرب  
 ٤٣٧ الكتاب  
 ٤٣٧ جمال الدين الأفندي : حياته وأعماله . نموذج من كلامه  
 ٤٤١ الأستاذ الإمام محمد عبده . نشأته وحياته . صفاته وأخلاقه : أثره في اللغة والأدب .  
 أثره في العلم والدين . نموذج من نثره  
 ٤٤٦ الشيخ علي يوسف . نشأته وحياته . أخلاقه وفننه . أسلوبه وعظه . نموذج من نثره  
 ٤٥٤ إبراهيم الريطي . نشأته وحياته . أسلوبه . آثاره

سبعة

- ٤٥٣ حفيق لاسف . نفاته وحياته . أخلاقه . نثره وشعره . مؤلفاته . نموذج من شعره  
٤٥٦ باحثة البادية : نثاتها وحياتها . مكانتها وحياتها في العلم والأدب . نموذج من كلامها  
٤٥٨ مصطفى لطفي المنفلوطي . نفاته وحياته . أخلاقه . أسلوبه . مؤلفاته وأدبه .  
مترجاته . نموذج من نثره  
٤٦٢ عبد العزيز شلوبي . نفاته وحياته . أخلاقه . أسلوبه . مؤلفاته . نماذج من نثره

## الأدباء

- ٤٦٦ لاصيف اليازجي . . . . . نفاته وحياته نثره وشعره . علمه ومؤلفاته . نموذج من كلامه  
٤٦٨ أحمد فارس السديقي . . . . . مؤلفاته . نموذج من كلامه  
٤٧٢ بطرس البستاني . . . . . علمه وعمله . . . . .  
٤٧٤ إبراهيم اليازجي . . . . . أدبه وعلمه . نموذج من كلامه  
٤٧٦ حمزة فتح الله . . . . . أخلاقه وعلمه . نموذج من كلامه

## الخطابة والخطباء

- ٤٧٨ عبد الله قديم . . . . . نفاته وحياته . أخلاقه ومواهبه . نموذج من كلامه  
٤٨١ مصطفى كامل . . . . . نموذج من خطبه . . . . .  
٤٨٣ سعد زهلول . . . . . متركه في الخطابة . نموذج من نثره

## ٤٨٨ الفصل الخامس . الشعر

### الشعراء

- ٤٩٠ محمود سامي البارودي . . . . . نفاته وحياته . شعره ومؤلفاته . نموذج من شعره  
٤٩٤ إسماعيل صبري . . . . .  
٤٩٨ أحمد شوقي . . . . .  
٥٠٧ محمد حافظ إبراهيم . . . . .  
٥٠٦ جميل صدق الزهاوي . . . . .  
٥١٠ خاتمة في الاستعراق والاستعراقين . تاريخ الاستعراق ، أشهر المستعرقين . . . . .  
٥١٥ دليل في تفسير الألفاظ القريبة والتراكيب النافذة . . . . .



# تاريخ الأدب العربي

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتبنا هذا الكتاب على خير ما رجونا من التمهيد والتلخيص ، وحجزنا القلم عن وجهه ومراد القول رحب ومجال البحث مستفيض ؛ فأجلنا على رغبتنا حال الأدب في المصور الخمسة ، ولا سيما في العصر العباسي وهو أرق عصور الإسلام ، ومشرق نور الحضارة ، ومهبط وحى العلم ، وريق شباب اللغة ، وقوفاً بالطالب عند درسه ، وترفيهاً منا عن نفسه ، واجتزاءً بسيط الغرض ونهج السبيل ليمعن فيها الناشئ البارز بلفته مُمدِّد الخطى مؤيد العزيمة ، حتى يقف على أطوار لسانه ، ويكشف عن أسرار بيانه . ولا نكذبُ الله فقد كان منهاج التعليم في هذا البلد وزهادة الناشئين في الإفاضة ، أترقوى في هذا الإيجاز . فكأمتنا للتعقب ، إذا رأى في هذا الموجز إجمالاً أو إغفالاً ألا يبسط بالكبير لسانه ، فإن هذا العلم في العرية وليد ، والبحث فيه طريف جديد . ونحن إنما كتبناه لناشئة الأدب لا لقحولة ، وألمنا فيه بأصوله لا بفصوله . كلمتنا للمتعلم ، إذا استوعاه بالدرس ، واستقرأ بالحفظ ، ألا يقف في الطلب عنده ، وألا يقصر عليه جهده ، فإنما هو محالة لفنان وبلاغة صاير وعلاوة مشوق .



ذلك ما قدمنا به الطبعة الأولى لهذا الكتاب منذ خمسة وأربعين عاماً . وإنه ليشلج صدورنا أن نقول اليوم إن دراسة تاريخ الأدب في الديار المصرية وفي غيرها من الأقطار العربية ، قد أخذت تنشر وتنتشر وتعمق ؛ فنأهجه تنقح وتعدل ، ومباحثه تحقق وتحلل ، ومدرسه يتقنون في تفصيله ، ودارسوه يتبارون في تحصيله . لذلك نزعنا في هذه الطبعة إلى شيء من التعمق والبسط ، راجين أن يكون في هذا العمل بعض النماء لشباب العرب في العراق ولبنان وشرق الأردن والسعودية واليمن والجمهورية العربية المتحدة والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب

# مقدمة

## أدب اللغة

أدب اللغة ما أثر عن شعرائها وكتّابها من بدائع القول المشتمل على تصور الأخيلة الدقيقة ، وتصوير للعاني الرقيقة ، مما يهذب النفس ويرقق الحس ويثقف اللسان . وقد يطلق الأدب على جميع ما صنف في كل لغة من البحوث العلمية والفنون الأدبية ، فيشمل كل ما أنتجته خواطر العلماء وقرايح الكتّاب والشعراء .

والآداب العربية أغنى الآداب جماء ؛ لأنها آداب الخليفة منذ طفولة الإنسان إلى اضمحلال الحضارة العربية . فما كانت لغة مُضرَ بعد الإسلام لغة أمة واحدة ، وإنما كانت لغة لجميع الشعوب التي دخلت في دين الله أو في كنفه . أودعوها معانيهم وتصوراتهم ، وأنضوا إليها بأسرار لغاتهم ؛ ثم جابت أقطار الأرض تحمل الدين والآداب والحضارة والعلم ، فصرعت كل لغة نازلتها ووسّعت علوم الأولين وآداب الأقدمين ، من يونان وفُرس ويهود وهنود وأحباش ، واستمكنت على مركب الخطوب تلك القرون الطويلة ، فشهدت مصارع اللغات حولها وهي مرفوعة الرأس رابطة الجأش ترث نتاج القرائح وتمار العقول من كل أدب ونحلة ، فكانت لغات الأمم على اختلافها كالجدول والأنهار ، تتألف ، ثم تتشعب ، ثم تتجمع ، ثم تنصب في محيط واحد هو اللغة العربية .

## تاريخ الأدب

تاريخ الأدب علم يبحث عن أحوال اللغة وما أنتجته قرائح أبنائها من بليغ النظم والفن في مختلف العصور ، وعما عرض لها من أسباب الصعود والهبوط والدثور ، ويعنى بتاريخ النابهين من أهل الكتابة واللسن وقد مؤلفاتهم وبيان

تأثير بعضهم في بعض بالفكرة والصناعة والأسلوب<sup>(١)</sup> .

ذلك تعريف تاريخ الأدب بمعناه الأخص ، أما تعريفه بمعناه الأعم فهو وصف مسلسل مع الزمن لما دون في الكتب وسجل في الصحف ونقش في الأحجار تعبيراً عن عاطفة أو فكرة ، أو تعليماً لم أوفن ، أو تخليداً لحادثة أو واقعة . فيدخل فيه ذكر من نبغ من العلماء والحكام والمؤلفين وبيان مشاربهم ومذاهبهم وتقدير مكانتهم في الفن الذي تعاطوه ليظهر من كل ذلك تقدم العلوم جميعاً أو تأخرها .

### فائدة تاريخ الأدب

لتاريخ الأدب الأثر البالغ في حياة الأمة . فإن المحافظة على اللغة وما فيها من ثمار العقل والقلب أحد الآساس التي يبنى عليها الشعب وحدته ومجده ونفوسه . فإذا حرمت شعباً آدابه وعلومه الجليلة الموروثة قطعت سياق تقاليده الأدبية والقومية حرمة قوام خصائصه ونظام وحدته ، وقُدت إلى العبودية العقلية وهي شر من العبودية السياسية ، لأن استعباد الجسم مرض يمكن دواؤه ، ويرجى شفاؤه ، أما استعباد الروح فموت للقومية التي لا يقدر على إحيائها طبيب .

(١) تاريخ الأدب بهذا المعنى علم حديث النشأة ، أجدهم الإيطاليون في القرن الثامن عشر وظل مجهولاً في الشرق حتى أهدت خلاطه بالغرب ، فكان أول من نقله إليه المنفور له الأستاذ حسن توفيق الدين علي أثر عودته من ألمانيا وليامه جديسه في دار العلوم . أما العرب فقد توسعوا في تأليف كتب التراجم للأدباء والشعراء والعلماء وذهبوا في ذلك مذاهب شتى نزل على تميز في هذا النوع . ككتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ، وفيات الرفايع للكتبي ، ونية الوعاة للسيوطي ، ومجمع الأدباء لياقوت ، وتاريخ الحكماء للقفلي ، وكتاب الأغاني لابن الفرج الأصفهاني ، وقيمة البحر للتحالي ، ودمية القصر للباخرزي ، وخريدة القصر للكاتب الأصفهاني ، وقلائد البقيان للفتح بن خاقان ، ونفع الطبيب للمعري ؛ ولكن نسبة هذه الكتب إلى تاريخ الأدب كنسبة الحبارة إلى القصر المعبد ؛ لأنها أخبار فردة غير مرتبطة لا تظهر ما بين الشعراء أو الكتاب من علاقة بالصناعة والفن والأسلوب ، ولا تذكر ما مرا النظم والنثر من تحول وتقال . وما نجد من ذلك في كتاب السدة لابن رشيق ، والمثل السائر لابن الأثير ، والمقدمة لابن خلدون ، والقهرست لابن النديم ، ليس إلا نبذاً بسيرة ولحاً وجيزة وردت مبثورة لاصلة بينها ولارابط ، ولذلك أسباب سنذكرها عند الكلام على مذاهب العرب في التاريخ . راجع تفصيل ذلك في كتابنا : ( في أصول الأدب ) ، القاهرة سنة ١٩٥٠ .

## تقسيم تاريخ الأدب

التاريخ الأدبي وثيق الصلة بالتاريخ السياسي والاجتماعي لكل أمة ، بل قل إن كليهما لازم للآخر مؤثر فيه ممد له . غير أن الأول إنما يسبق الثاني كما تسبق الفكرة العمل والرأى للزعمة : فكل ثورة سياسية أو نهضة اجتماعية إنما تعدها وتعدّها ثورة فكرية تظهر أولاً على ألسنة الشعراء وأقلام العلماء لقوة الحس فيهم ، وصفاء النفس منهم ؛ ثم ينتقل تأثرهم وتطورهم إلى سائر الناس بالخطابة والكتابة فتكون الثورة أو النهضة .

لذلك آثرنا أن نجارى كثرة كتابنا في تقسيم تاريخ أديبنا إلى خمسة أعصر على حسب ما نال الأمم العربية والإسلامية من التقلبات السياسية والاجتماعية وهي :  
( ١ ) العصر الجاهلي ، ويتبدى باستقلال العدنانيين عن اليمنيين في منتصف القرن الخامس للميلاد ، وينتهى بظهور الإسلام سنة ٦٣٢ م .

( ٢ ) عصر صدر الإسلام والدولة الأموية ، ويتبدى مع الإسلام وينتهى بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ .

( ٣ ) العصر العباسي ، ومبدؤه قيام دولتهم ومنتهاه سقوط بغداد في أيدي التتار سنة ٦٥٦ هـ .

( ٤ ) العصر التركي ، ويتبدى بسقوط بغداد وينتهى عند النهضة الحديثة سنة ١٢٣٠ هـ .

( ٥ ) العصر الحديث ، ويتبدى باستيلاء محمد علي على مصر ولا يزال .

## العرب ومواطنهم ولبقاتهم وقبائلهم المشهورة

العرب أمة من الأمم التي اصطلح المؤرخون <sup>(١)</sup> على أن يسموها سامية

---

(١) أول من استعمل هذا الاصطلاح هو المؤرخ الألماني فردريك شلوسر في كتابه التاريخ العام وقد تولى سنة ١٨٦٠ .

(نسبة إلى سام بن نوح) وهي البابلية والآشورية والعبرانية والفينيقية والآرامية والحبشية . امتهدت هذه الشعوب في الأصل مهلاً واحداً نشأت فيه وتفرقت منه . وتعين هذا المهد لا يزال موضع الخلاف وموضوع البحث : فبعض يقول إنه العراق ، وبعض يرجح أنه جزيرة العرب ، وآخرون يزعمون أنه الحبشة . ومهما يكن الخلاف في مهد الساميين فقد نزحوا منه في غابر الدهر ، فسكن البابليون والآشوريون العراق ، والفينيقيون سواحل سورية . والعبرانيون فلسطين ، والأحباش الحبشة ، والعرب شبه جزيرتهم . وهي واقعة إلى طرف الجنوب الغربي من آسيا . ويحدها من الشمال سورية ، ومن الشرق الفرات وجبة من المحيط الهندي أيضاً ، ومن الغرب البحر الأحمر . ثم يقسمها جبل السراة الممتد من اليمن إلى أطراف بادية الشام قسمين : غربياً وشرقياً ؛ فالغربي يهبط من سفح ذلك الجبل إلى شاطئ البحر الأحمر فيسمى الغور لانخفاضه أو تهامة الحرم والشرق يصعد إلى أطراف العراق والساعة فيسمى نجداً لارتفاعه ، وما فصل بين الغور ونجد بدعونه الحجاز لحجره بينهما . أما ما ينتهي به نجد في الشرق حتى يصل إلى الخليج العربي من بلاد اليمامة الكويت والبحرين وعمان فيسمى بالعروض لاعتراضه بين اليمن ونجد ؛ وما يمتد وراء الحجاز إلى الجنوب يسمى اليمن إما لوقوعه على يمين الكعبة ، وإما ليمنه .

وفي هذه الأقسام توزع الشعبان العربيان : شعب قحطان ، وشعب عدنان . فأما القحطانيون فسكنوا اليمن وكانت لهم فيه عمارة عظيمة وحضارة زاهرة . فلما نبت بهم سرايعة تمزقوا في البلاد ، فذهب من كهلان ثعلبة بن عمرو نحو الحجاز فغلب اليهود على يثرب ، وكان من أعقابه الأوس والخزرج . ثم احتل حارثة ابن عمرو وهو خزاعة ، الحرم . ومال عمران بن عمرو نحو عمان ، فبنوه أزد عمان . واستوطنت قبائل نصر بن الأزد تهامة وهم أزد شنوءة ؛ ووقف رواد جفنة بن عمرو بالشام فأقام بها هو وبنوه فكان منهم القساسنة . ونزل بتوالم بالحيرة ومنهم نصر

ابن ربيعة أبو المناذرة . وأما العدنانيون فسكنوا الحجاز وما يأسره إلى ريف العراق ، فأقامت بطون قريش في مكة وضواحيها ، وبطون كنانة في تهامة ، واحتلت ذبيان ما بين تيماء وحوران . وسكنت ثقيف الطائف ، وهوازن شرق مكة ، ونزل بنو أسد شرق تيماء وغربي الكوفة ، وبنو تميم بادية البصرة . واستوطنت قبائل تغلب الجزيرة الفراتية . وحلت سائر بكر بن وائل طول الأرض من اليمامة إلى البحر ، فأطراف سواد العراق قالأبلة ، فهيت .

والمؤرخون يرجعون العرب إلى ثلاث طبقات :

يائنة : وهم الذين درست أخبارهم وطمست آثارهم ، فلم يسجل لهم التاريخ إلا صنعات مشوهات لا تنفي ظناً ولا تثبت حقيقة . وأشهر قبائلهم : عاد وثمود وطسم وجديس . « فأما ثمود فأهلكوا بالطافية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية <sup>(١)</sup> » وأما طسم وجديس فتفانوا كما يزعمون في حادثة نسائية خرافية . وعاربة : وهم اليمنيون المنتسبون إلى يعرب بن قحطان المذكور في التوراة باسم يارح بن يقطان . ويؤمن العرب أنه أصل لسانهم ، ومصدر بيانهم ، وبذلك يفتخر حسان بن ثابت في قوله :

تعلمتم من منطق الشيخ يعرب أينما فصرتم شعربين ذوى نفر  
وكنتم قديماً ما لكم غير عجيبة كلام وكنتم كالبهايم في الفقر  
ومن اليمنيين بطون حمير — وأشهرهم زيد الجمهور وقضاعة والسكاسك .  
وبطون كهلان — وأشهرهم همدان وطىء ومذحج وكندة ولختم . ومن لهم  
بنو المنذر في الحيرة والأزد . ومن الأزد الأوس والخزرج في المدينة والفساسنة  
في الشام . وكانت لحمير السيادة على اليمن فمنهم الملوك والأقيال .

ثم مستعربة : وهم ولد اسماعيل عليه السلام ، نزل بالحجاز حوالي القرن

(١) قرآن كريم .

التاسع عشر قبل الميلاد ، ثم صاهر ملوك جُرم ، فكان له بنون وأعقاب ضلوا في مجاهل الزمن فلم يعرف التاريخ منهم على التحقيق إلا عدنان ، وإليه ينتهي عمود النسب العربي الصحيح . وأشهر قبائل هذه الطبقة ربيعة ومُضر وأنمار وإياد . فمن ربيعة عبد القيس ، ومنها بكر وتغلب ابنا وائل . ومن مُضر انشعبت قيس عيلان وبطون اليأس بن مضر . فأما قيس عيلان فأشهر بطونها هوازن وغطفان ؛ ومن غطفان عيس وذبيان ابنا بغيض . وأما أولاد اليأس فافترقوا ، فمنهم بطون تميم بن مر ، وهذيل بن مدركة ، وبنو أسد بن خزيمة ، وبطون كنانة بن خزيمة ، ومن كنانة قريش : ثم انقسمت قريش إلى بطون شتى . فمنهم جُحج وسهم ومخزوم وعبد الدار وعبد مناف . ثم كان من عبد مناف عبد شمس وبوقل والمطلب وهاشم ، ومن هاشم عبد المطلب : وبنوه عشرة منهم عبد الله أبو الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأبو طالب والد علي رضي الله عنه ثم العباس . فالعلويون ينتسبون إلى علي ، والعباسيون إلى العباس . وأما الأمويون فليسوا من بني هاشم وإنما هم من بني عبد شمس أخيه . وإلى هذه الطبقة يرجع الفضل فيما نتكلم به من لغة ، وما تتجمل به من بيان ، وما ندرسه من أدب ، وما نعتقه من دين .

### أحوال العرب الاجتماعية والسياسية والدينية والعقلية في الجاهلية .

إن لجو الإقليم أثرًا طبيعيًا قويًا في حياة أهله ، فهو الذي ينهج لهم سُنَنَ معاشهم ونظام اجتماعهم ، ويكونُ الكثير الغالب من أخلاقهم وطباعهم ، والعربية شبه جزيرة جافة قاحلة قلما يجودها الغيث وتواتيها العيون ؛ فهي لا تصلح للزروع الدورية ، ولا تلائم الحياة الحضرية . ومن ثمَّ كان أهلها بدوًا <sup>(١)</sup> بالفطرة يعيشون تحت العيام على رعى الأنعام فيقطعون من لحما ولبنها ، ويكتسبون

(١) يدل على أن البداوة جميعة العرب في التاريخ القديم أو لفظ العرب يراد به في اللغات السامية معنى البدو والبادية



بصرفها ووبرها ، ويتتبعون بها مواقع القطر ورياض الأرض يُسمونها فيها ، ويرددونها بين أوديتها وفيافها ؛ إلا قريشا فتحضروا لقيامهم على البيت الحرام ، وإبلافهم رحلة اليمن والشام ؛ وإلا القحطانيين لحظ ديارهم من الخصب والمطر ، ووفرة ما تغله أرضهم من الحب والتمر. فإذا أخلفت السماء وأمحلت وجوه الأرض أكل بعضهم بعضاً بالإغارة والغزو . وجريرة ذلك عليهم فساد القلوب ودوام الحروب وذهاب الأمن وتشعث الألفة . ولم يُنكب الجاهليون بمثل الحرب والجذب ، فهم لذلك يتمدحون بالبأس والسماحة ، ويتبجحون باللسن والفصاحة ، ويؤثرون الذكر ويتلدون<sup>(١)</sup> الأثنى ، ويتكاثرون بالنفر العديد ، ويعتزون بالقرابة الواشجة .

ثم كان من إلفهم حياة الظن والتجوال ؛ وتوزع همهم بين الجدال والقتال ، أن غلبت عليهم الحرية والعصبية والوحشية ، فلم تكن لهم مدنية اجتماعية ولا حكومة سياسية ولا أنظمة عسكرية ولا فلسفة دينية . وإنما كان مجتمعهم مجتمع القبيلة والنخيلة ، لا مجتمع الشعب والأمة ؛ والحكومة كانت لرؤساء العشائر يملكون بالإرث ويحكمون بالعرف ، فلم تكن أُلجَرَشِيَّة<sup>(٢)</sup> كحكومة الإغريق ، ولا ملكية كحكومة المصريين والفرس : اللهم إلا في الحيرة والشام فقد كان لهم ملوك متوجون ولكهم غير مستقلين : فالخميون في الحيرة يتبعون الأكَاسرة ، والفسانيون في الشام يتبعون القياصرة . وإذن فعانى الحضارة والرأى العام والأرستقراطية والديمقراطية والإقطاع لا ألقاظ لها عند العرب والساميين جميعاً . والنظام العسكري حتى بعد الإسلام كان غير ثابت ولا منظم ، لأن المروسية

(١) لم يكن وأد البتة عاماً في جميع العرب وإنما كان خاصاً ببعض قبائل تم وأسد ، يفعله من يفعل منهم حشية القفر وإلى ذلك أشار الكتاب في قوله : ( ولا تقتلوا أولادكم خفية إِملاق نحن نررهم وإياكم ) .

(٢) الأُلجَرَشِيَّة Oligarchie حكومة يحصر السلطان فيها في يد بعض الأشراف القوية .

والتجرد عن الشخصية — وهما الركنان الأساسيان في العسكرية — يضادان إعجاب العربي بنفسه واعتداده بشخصه. والدين كان دين بساطة وسذاجة وتقشف، فلم يكن للعرب ما كان للأغريق من تعدد الآلهة وضخامة الهياكل وإقامة التماثيل ووفرة الأساطير وفلسفة العقائد، وإنما كان بقية أثرية من دين إبراهيم جاءهم من وراء القرون عن طريق الوراثة مشوهة لتطاول العهد ونحكم الجهالة وعدم القرار، انحالت في نفوسهم إلى عبادة الأصنام وتمظيم الأوثان<sup>(١)</sup> ونصبها على الكعبة تقريباً بها إلى الله على زعمهم. وهذه الوثنية كانت دين الكثرة من العرب. أما القلة فكان بعضها على اليهودية في اليمن وفي يثرب وما جاورها من أرض خيبر وتيما، وبعضها على النصرانية بنجران والحيرة وفي قبائل طيء والفساطنة بالشام.

أما الأسرة وهي نواة القبيلة فقد كان حالها أشبه بحال الأسرة المصرية الريفية اليوم: تتألف من الأبوين والأولاد والحفدة والرقيق. وكان سلطان الأب مطلقاً على أهله: يملك عليهم الموت والحياة والبيع والاتقاء، فربما وأد ابنته خوف الفقر، وانتفى من ابن أُمته خوف العار. وكان للزوجة المكانة السامية الثانية في الأسرة، يحملها الزوج في نفسه، ويشاركها في أمره، ويتفنى باسمها في شعره، ويفخر الابن بنسبته إلى أمه كما يفخر بنسبته إلى أبيه. وكان عقد الزواج هو الرباط الغالب بين الرجل والمرأة، والرجل وحده حق الطلاق ما لم يشترط عند العقد خلاف ذلك. ثم كان لم أنواع أخرى من الزواج هي أشبه شيء بالمسابقة لا يعقدها إلا أولو الدعارة من الشباب. ويقرب من هذه الأنواع رواج كانت تعقده السيوف والأسنة. وذلك أن أحدهما يلتقي رجلاً معه ضعيفة وليس من قبيلته ولا من أحلافها، فينقاتلان، فإذا قهره أخذها منه سبية واستحلها بذلك. وكانوا

(١) الصنم ما كان على صورة إلهان من حجر أو صفة أو ذهب، والوثن ما كان حجراً عملاً من الصفة.

يعددون بين الزوجات إلى حد غير معروف ، ويحلون الزوج من امرأة الأب ،  
ويحرمون البناء بالبنت والأخت والعمة والحالة . أما علاقة أبناء الأسرة بأبناء  
القبيلة فجماعها مدلول هذه الكلمة الجاهلية : ( أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً )  
على ما بين أبناء العم من تنافس وتباغض . ولكن الواحد للقبيلة والقبيلة للواحد .  
وأما حالهم العقلية فقد كان التبابعة في اليمن والمناذرة والفساستنة في الشمال على  
حظ من المعلوم يدل عليه ما أقاموه من السدود ، وأحيوه من الأرض ، وعمره  
من المدن . ولكن درجة رقيهم ، وحقيقة علومهم ، لا تزالان سرّاً مطويّاً في جوف  
الأرض ربما كشف عنه التنقيب عن الآثار بعد قليل <sup>(١)</sup> .

أما العدنانيون فقد كسبتهم قوة الملاحظة ، وكثرة التجارب ، واضطرار  
الحاجة ، طائفة من العلم المبني على التجربة والاستقراء والوهم . فعرفوا الطب  
والبيطرة والتحليل لا تصالها بالحرب ؛ ولا حظوا الأنواء والنجوم والرياح لعلاقتها  
بالكلاؤ والغيث ، وليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ؛ وبرعوا في الأنساب والأخبار  
والأشعار ، محافظة على عصبيتهم ، وتحدثاً بمفاخرهم ، وتخليداً لمآثرهم ؛ ومهروا  
في الفراسة <sup>(٢)</sup> والقيافة ووصف الأرض ، لكشف الدأى فيهم ، وطلب الهارب

---

(١) تدل الدلائل على أننا الآن في بدء عهد موثق لكشف آثار للتقدمين . فقد كان من  
نتائج الحرب العالمية الأولى أن انبسط النفوذ الإنجليزي والفرنسي في بلاد العرب . وهما الآثريون  
للؤرخون من رجالهم يفتنون عن آثار الشرق القديم في خرائب فلسطين وسورية ولبنان والعراق .  
وقد بدت تباعج النجاح في كشف الأستاذ موتيه الفرنسي لآثار جيل وهي أقدم  
مدينة ببنيقية .

(٢) الفراسة هي الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية ، كالاستدلال بشكل المرء  
ولونه ولونه على خلقه ، فيستدلون بانساع الجفن على الزكاه ، ويعرّض القناع على القباء ، ويضيق  
العين على الشح ، ويخطئ الفطن على الإسراف في الحب والبش الخ .

والقيافة قيمان : قيافة الأثر ، وهي الاعتداء إلى الهارب بآثار نفسه . وقيافة البشر ،  
وهي الاستدلال بهيئة الإنسان وشكل أعضائه على نفسه .

منهم . ثم قادم الجانب الروحي فيهم إلى الاعتقاد بالكميئة<sup>(١)</sup> والعرافة والزجر ،  
ففرزوا إلى الكهان في أمراضهم ، واستفتوا العرافين في أغراضهم ، حتى ذهب  
الإسلام بكل ذلك .

وجملة القول أن المجتمع العربي خارج القبيلة كان مفككا من الجهات السياسية  
والاقتصادية واللغوية ، مرتبطا من الجهات الخلقية والعقلية والأدبية . ولوساغ لنا  
أن نحكم على العرب بمقتضى لغتهم وأدبهم لوجدنا لهم نفوسا كبيرة وأذهانا بصيرة  
وحكمة خيرة ومعارف واسعة كونوا أكثرها من نتاج قرائهم وثمار تجاربهم ؛  
فإن لغتهم وهى صورة اجتماعهم لم تدع معنى من المعاني التى تتصل بالروح  
والفكر والجسم والجماعة والأرض والسماء وما بينها إلا استوعبت أسماءه ورتبت  
أجزائه<sup>(٢)</sup> . ووضع اللفظ للشيء دليل على وجوده وعلمه . ولعمري ما يكون التمدن  
اللغوي إلا بعد تمدن اجتماعي راقى في حقيقته وإن لم يرق في شكله ، عام في أثره  
وإن لم يعم في أهله .

---

(١) الكميئة والعرافة مطالعة النيب والإخبار بالحوادث الماضية والآنية وقد يفتنون  
الكاهن بلم المستقبل . والعراف بلم الماضي . وكانوا يزعمون أن لهم أتباعا من الجن يترقبون  
السم وبأوتونهم بالأخبار ، فاشتد اعتقاد العرب فيهم وكثر التجاؤم إليهم ، يستشيرونهم  
في العفلات ، ويستفتونهم في المصومات ، ويستطبونهم في الليل ، ويستشيرونهم في الرؤى .  
ومن أشهرهم الكاهنان حنى وسطيح ، والرافاق الأبلق الأسدي عراف نجد ورباح  
ابن عجلة عراف البصرة .

والزجر هو الاستدلال بصوت الحيوان وحركته وحاله على الحوادث ، فكان الرجل  
يعد إلى الطائر مثلا فيرميه بمحلاة أو يصيح به فإن ولاء في طيراته مسانته تقابل به ، وإن ولاء  
مياسره تشاؤمه منه وتطير .

(٢) نجد الأمثلة على ذلك في كتاب فقه اللغة للعلامة وكتاب المختصر لابن سبويه .

# البَابُ الأوَّل

العصر الجاهلي

## الفِصل الأوَّل

نشأة اللغة العربية

اللغة العربية إحدى اللغات السامية ، انشبت هي وهن من أرومة واحدة  
نبئت في أرض واحدة . فلما خرج الساميون من مهدهم لتكاثر عددهم اختلفت  
لفهم الأولى بالاشتقاق والاختلاط ، وزاد هذا الاختلاف انقطاع الصلة وتأثير  
البيئة وتراخي الزمن حتى أصبحت كل لهجة منها لغة مستقلة .  
ويقال إن أحبار اليهود هم أول من فطن إلى ما بين اللغات السامية من  
علاقة وتشابه في أثناء القرون الوسطى ، ولكن علماء المشرقيات من الأوربيين هم  
الذين أثبتوا هذه العلاقة بالنصوص حتى جعلوها حقيقة علمية لا إيهام فيها ولا شك .  
والعلماء يردون اللغات السامية إلى الآرامية والكنعانية والعربية ، كما يردون  
اللغات الآرية إلى اللاتينية واليونانية والسنسكريتية . فالآرامية أصل الكلدانية  
والأشورية والسريانية ، والكنعانية مصدر العبرانية والفينيقية ، والعربية تشمل  
المصرية الفصحى ولهجات مختلفة تكلمتها قبائل اليمن والحبشة . والراجح في الرأي  
أن العربية أقرب المصادر الثلاثة إلى اللغة الأم ، لأنها بانعزالها عن العالم سلت  
بما أصاب غيرها من التطور والتغير تبعاً لأحوال العمران .  
وليس في مقدور الباحث اليوم أن يكشف عن أطوار النشأة الأولى للغة  
العربية ، لأن التاريخ لم يسايرها إلا وهي في وفرة الشباب والنماء . والنصوص

الحجرية التي أخرجت من بطون الجزيرة لا تزال لغزتها قليلة الغناء ؛ وحدث هذه الأمطار التي أتت على اللغة فوحدت لهجاتها وهذبت كلماتها معلوم بأدلة العقل والنقل ، فإن العرب كانوا أميين لا تربطهم تجارة ولا إمارة ولا دين ، فكان من الطبيعي أن ينشأ من ذلك ومن اختلاف الوضع والارتجال ، ومن كثرة الحل والترحال ، وتأثير الخلطة والاعتزال ، اضطراب في اللغة كالترادف ، واختلاف اللهجات في الإبدال والإعلال والبناء والإعراب ، وهنات للنطق كمجسجة<sup>(١)</sup> قضاغة ، ومطانية خير ، وخفحة هذيل ، وعننة تميم ، وكشكشة أسد ، وقطعة طيء ، وغير ذلك مما بعد بين الألسنة وأوشك أن يقسم اللغة إلى لغات لا يفهم أهلها ولا يقارب أصلها .

ولغات العرب على تعددها واختلافها إنما ترجع إلى لغتين أصليتين : لغة الشمال ولغة الجنوب . وبين اللغتين يون بعيد في الإعراب والضمائر وأحوال الاشتقاق والتصرف ، حتى قال أبو عمرو بن العلاء : « ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا » . على أن اللغتين وإن اختلفتا لم تكن إحداها بمعزل عن الأخرى ، فإن القحطانيين جلوا عن ديارهم بعد سيل العرم — وقد حدث عام ٤٤٧م كما حققه غلازر الألماني — وتفرقوا في شمال الجزيرة واستطاعوا بما لهم من قوة ، وبما كانوا عليه من رقي ، أن يخضعوا المدنانيين لسلطانهم في العراق والشام ، كما أخضعهم من قبل لسلطانهم في اليمن . فكان إذن بين الشعيين اتصال سياسي وتجاري يقرب بين اللغتين في الألفاظ ، ويحانس بين اللهجتين في المنطق ، دون أن تغلب إحداها على الأخرى ، لقوة القحطانيين من جهة ، ولاعتصام المدنانيين

(١) المجسجة قلب الياء جيم بعد اللين وبعد الياء للعدة فيقولون في ارامي : وامج ولى كرمى : كرسج . والطمطانية جمل أم بدل آل في التعريف فيقولون في البر . أمير ، وفي الصيام : أمصيام . والفضضة جمل الماء هينا فيقولون : أهل افة اللال ، بدل : أهل افة الحلال . والنعنة إبدال العين من الميم إذا وقعت في أول الكلمة . فيقولون في أمان . همان . والكفكعة جمل الكاف هينا في خطاب المؤنث فيقولون في عليك : طيش . والقطعة حذف آخر الكلمة فيقولون يا أبا الحسا في الحسن .

بالصحراء من جهة أخرى . وتطاول الأمد على هذه الحال حتى القرن السادس للميلاد ، فأخذت دولة الحيريين تدول وسلطانهم يزول بتغلب الأحباش على اليمن طوراً وتسلبت الفرس عليه طوراً آخر . وكان المدنانيون حينئذ على قبيض هؤلاء تهيئاً لهم أسباب النهضة والألفة والوحدة والاستقلال ، بفضل الأسواق والحج ، ومنافستهم للعميريين والفرس ، واختلاطهم بالروم والحبشة من طريق الحرب والتجارة ، ففرضوا لغتهم وأدبهم على حير القليلة المغلوبة ، ثم جاء الإسلام فساعد العوامل المتقدمة على محو اللهجات الجنوبية وذهب القومية اليمنية ، فاندثرت لغة حير وأدبهم وأخبارهم حتى اليوم .

لم تغلب لغات الشمال على لغات الجنوب فحسب ، وإنما استطاعت كذلك أن تبرا مما جنته عليها الأمية والمهجنة والبدادة من اضطراب المنطق واختلاف الدلالة وتعدد الوضع ، فتغلبت منها لغة قريش على سائر اللغات لأسباب دينية واقتصادية واجتماعية أهمها :

(١) الأسواق : وكان العرب يقيمونها في أشهر السنة للبياعات والتسوق وينتقلون من بعضها إلى بعض ، فتدعوهم طبيعة الاجتماع إلى المقارضة بالقول ، والمفاوضة في الرأي ، والمباذلة بالشعر ، والمباذلة بالفصاحة ، والمفاخرة بالحماد وشرف الأهل فكان من ذلك للعرب معونة على توحيد اللسان والعادة والدين والخلق ، إذ كان الشاعر أو الخطيب إنما يتوخى الألفاظ العامة والأساليب الشائعة قصداً إلى إفهام سامعيه ، وطمعاً في تكثير مشايخه . والرواة من ورثته يطيطون شعره في القبائل وينشرونه في الأنحاء فتنتشر معه لهجته وطريقته وفكرته .

وأشهر هذه الأسواق عكاظ<sup>(١)</sup> ومجنة وذو المجاز . وأولاهن أشهر فضلا

(١) عكاظ قرية بين نخلة والطائف . بينها وبين مكة ثلاث مراحل اتخذت سوقاً سنة ٤٤٠ هـ الميلاد ، ثم بقيت في الإسلام إلى أن نهى الخوارج سنة ١٢٩ هـ . ومجنة موضع أسفل مكة على أميال منها . وذو المجاز بمنى خلف مرقت . وقد سبق الإغريق العرب إلى أمثال =

وأقوى أثراً في تهذيب العربية . كانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر إلى العشرين منه ، فتند إلى بها زعماء العرب وأمراء القول للتجارة والمناقرة ومقادة الأسرى وأداء الحج . وكان كل شريف إنما يحضر سوق ناحيته إلا عكاظ فإنهم كانوا يتوافدون إليها من كل فج ، لأنها متوجههم إلى الحج ، ولأنها تقام في الأشهر الحرم ، وذلك ولا ريب سر قوتها وسبب شهرتها . وكان مرجعهم في الفصل بينهم إلى محكين اتفقوا عليهم وخضعوا لهم فكانوا يحكمون لمن وضع بيانه وفصح لسانه .

## (٢) أثر مكة وعمل قريش :

كان لموقع مكة أثر بالغ في وحدة اللغة ونهضة العرب ، لأنها كانت في النصف الثاني من القرن السادس محطاً للقوافل الآتية من الجنوب تحمل السلع التواجر من الهند واليمن فيبتاعها للكيون ويصرفونها في أسواق الشام ومصر . وكانت جواد مكة التجارية آمنة لحزمة البت ومكانة قريش ، فكان تجارهم يخرجون بقوافلهم الموقرة وغيرهم الدثر آمنين ، فيزلون الأسواق ويهبطون الآفاق فيستفيدون بسطة في العلم ، وقوة في النهم ، وثروة في المال ، وخبرة بأمور الحياة . وهي مع ذلك متجرة للعرب ومثابة للناس يأتون إليها من كل فج عميق رجالاً وعلى كل ضامر ليقضوا مناسكهم ويشترؤا مرافقهم مما تنتجها أو تجلبه . ذلك لب أن قريشاً أهلاً وأمرأها كانوا لمكانتهم من الحضارة وزعامتهم في الحج ، ورياستهم في عكاظ ، وإيلافهم رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى حوران

---

== هذه المجامع باحتشادهم في الجناسيوم للطلاب البدنية الأولية التي كانوا يقيمونها كل أربع سنين كلها حبوا هيكل المشتري Jupiter في أولية . وكانوا يحرمون القتال على أنفسهم في أثنائها على نحو ما يفعل العرب في الأشهر الحرم . فلما استوثق لهم الأمر وتأييد الملك كانت عاقبة أمرها أن أصبحت أندية لإنقاذ أشعارهم وعرش ألكارم . ومن أثر ذلك إطلاق لفظ الجناسيوم على دور التعليم في أوروبا وعلى الأخص في ألمانيا .



أشد الناس بالقبائل ارتباطاً ، وأكثرهم بالشعوب اختلاطاً . كانوا يختلطون بالحبشة في الجنوب ، وبالفرس في الشرق ، وبالروم في الشمال . ثم كانوا على أنارة من العلم بالكتب للبرقة : باليهودية في يثرب وماجاورها من أرض خيبر وتيما ، وبالنصرانية في الشام ونجران والحيرة ؛ قهيات لهم بذلك الوسائل لثقافة اللسان والفكر . ثم سمعوا المناطق المختلفة ، وتدبروا المعاني الجديدة ، وقلوا الألفاظ المستعداة ، واختاروا لغتهم من أفصح اللغات ، فكانت أعزبها لفظاً ، وأبلغها أسلوباً ، وأوسعها مادة <sup>(١)</sup> ، ثم أخذ الشعراء يؤثرونها وينشرونها حتى نزل بها القرآن الكريم فآتم لها الذبوع والغلبة .

---

(١) ذكر صاحب العقد الفريد أن معاوية قال يوماً لجلسائه أي الناس أفصح ؟ قال رجل من السباط يا أمير المؤمنين ، قوم قد ارتفعوا من رتبة العراق ، ونياسروا عن كسكسة بكر ، ونيامنوا من ففلة تلب ؛ ليس ليهم غمضة قضاة ولا طمطامية حير . قال من هم ؟ قال : لومك يا أمير المؤمنين فريش .

## الفصل الثاني

### الشيء

الشيء أسبق أنواع الكلام في الوجود لقرب تناوله ، وعدم تقيده ، وضرورة استعماله . وهو نوعان : مسجّع إن التزم في كل فقرتين أو أكثر قافية ، ومرسل إن كان غير ذلك . وقد كان العرب ينطقون به معرباً غير ملحون لقوة السليقة ، وفعل الوراثة ، وقلة الاختلاط بالأعاجم . ألهم إلهيات اللطق فقد اختلفت لأسباب طبيعية في الترقيق والتفخيم والإبدال والإمالة . ولم يكن الرواة من منشورهم على كثرتهم إلا بما علق بالذهن لنفاسته وبلاغته وإيجازه ، كالأمثال والحكم والوصايا والخطب والوصف والأقاصيص .

فالمثل جملة منقطعة من القول أو مرسله بذاتها تنقل عن وردت فيه إلى مشابهه بدون تنكير . وهذا النوع خاص بالعرب لانتزاعه من حياتهم الاجتماعية وحوادثهم الفردية ، كقولهم : وافق شئ طبقة . ولأمر ما جدد قصير أنفه . ويداك أو كتاك وفوك ففخ . وقد تعاقب العلماء على جمعها وشرحها . وأشهر هؤلاء المبدائي المتوفى سنة ٥١٨ هـ ، فقد جمع كتابه : [ مجمع الأمثال ] من نحو خمسين كتاباً ، وكاد يستوعب فيه المأثور من القديم وللشهور من الحديث ورتبه على حروف المعجم .

والحكمة قول رائع موافق للحق سالم من الحشو . وهي ثمرة الحسنة ونتيجة الخبرة وخلاصة التجربة ، كقولهم : الخطأ زاد العجول . من سلك الجدد أمن العثار . عي صامت خير من عي ناطق .

والخطبة والوعظية كلتاها يزداد بها الترغيب فيما ينفع وما يضر ، إلا أن الأولى

تكون على ملأ من الناس في الجامع والمواسم . والأخرى تكون تقوم معينين في زمن معين ، كوصية الرجل لأهله عند النقلة أو الموت .

### مميزات النثر الجاهلي

يمتاز النثر في الجاهلية بجريانه مع الطبع ، فليس فيه تكلف ولا زُخْرُف ولا غُلُو . يسير مع أخلاق البدوي ويبتعثه ، فهو قوي اللفظ ، متين التركيب ، قصير الجملة ، موجز الأسلوب ، قريب الإشارة ، قليل الاستعارة ، سطحي الفكرة . وربما تساوت فيه الحُكم وأطردت الأمثال من غير مناسبة قوية ولا صلة متينة .

### الخطابة

الخطابة كالشعر لِحُمَتُها الخيال وسُدَّاهَا البلاغة . وهي مظهر من مظاهر الحرية والفروسية ، وسبيل من سُبُل التأثير والإقناع . تحتاج إلى ذلاقة اللسان ، ونصاعة البيان ، وأناقَةِ اللهجة ، وطلاقة البديهة . والعرب ذوو نفوس حساسة وإباء ، وأولو غيرة ونجدة . فكان لهم فيها القدم السابقة والقِدْحُ المَعْلَى . وقد دعاهم إليها ما دعا الأمم البدوية من الفخر بحسبها ونَجَارِها ، والتُّود عن شرفها وذمارها ، وإصلاح ذات التبين بين الحثين ، والسفارة بين رموس القبائل وأقيالهم ، أو بين الملوك وعماهم . وكانوا يدرِّبون فتيانهم عليها منذ الحداثة ، ويحرصون على أن يكون لكل قبيلة خطيب يشدُّ أزرها ، وشاعر يرفع ذكرها . وربما اجتمع الصفتان في واحد .

أما أسلوبها فكان رائع اللفظ ، خلاب العبارة ، واضح التهج ، قصير السجع ، كثير الأمثال . وهم إلى قصارها أميل لنكدن أعلق بالصدور وأذيع . ومن عاداتهم فيها الوقوف على نشر من الأرض أو القيام على ظهر دابة ،

ورفع اليد ووضعها ، والاستعانة على العبارة بالإشارة ، واتخاذ الخاصر بأيديهم ، والاعتماد على الصفاح والرماح أو الإشارة بها .

وكانوا يحبون من الخطيب أن يكون حسن الشارة ، جهوري الصوت ، سليم للنطق ، ثبت الجنان . وأشهر خطبائهم في هذا العصر قس<sup>١</sup> بن ساعدة الإيادي ، وعمرو بن كلثوم التغلبي ، وأكثم بن صيفي التيمي ، والحارث بن عباد البكري ، وقيس بن زهير العبسي ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وحسبنا أن نترجم لخطيبين من أعلامهم وقوفاً بالطلب عند الغرض من هذا المختصر .

## الخطباء

### قس بن ساعدة الإيادي

المتوفى سنة ٦٠٠ م

مبائه : هو أسقف نجران وخطيب العرب وحكيمها وحكماً . كان يؤمن بالله ويدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة . ويقال إنه أول من خطب على شرف ، واتكأ على سيف ، وقال في خطبه أما بعد . سمع النبي صلى الله عليه وسلم في عكاظ فأنشأ عليه . ويروي أنه قل فيه : « رحم الله قساً إني لأرجو يوم القيامة أن يبعث أمة وحده » . وكان ينفذ على قيص من حين إلى حين فيكرمه . ولكنه صدف عن الدنيا وعاش على الكفاف بعد الله ويمظ الناس حتى توفي سنة ٦٠٠ م ، وقد عمر طويلاً .

أسلوبه : إن صح ما أثر عنه من النثر فقد كان أسلوبه مطبوعاً مسجوعاً ، شديد الروعة ، متخير اللفظ ، قصير الفواصل . يعمد فيه إلى ضرب الأمثال واستنتاج المعبر من مصارع الطفافة وظواهر الكون . وله شعر يجمع إلى الجزالة رقة التعبير وقوة التأثير كما يتجلى ذلك فيما سنورده من كلامه .

قال من خطبته في سوق عكاظ :

أيها الناس ! اسمعوا وعوا ، إته من عاش ملت ، ومن مات فلت ، وكل ما هو  
آت آت . ليل داج ، ونهار ساج ، وسما ذات أبراج ، ونجوم تزهـر ، وبحار تزخر ،  
وجبال مرساة ، وأرض مـدحاة ، وأنهار مجراة . إن في السماء خيرا ، وإن في الأرض  
لهـبرا . ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا ؟  
بامعشر إباد ، أين الآباء والأجداد ، وأين الفراعنة الشداد ؟ ألم يكونوا أكثر  
منكم مالا وأطول آجالاً ؟ طعنهم الدهر بكلـكـله ، ومزقهم بشطاوله .

في الداهيين الأول ن من القرون لنا بصائر  
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر  
ورأيت قوى نحوها يسعى الأصاغر والأكابر  
لا يرجع الماضي إلى ولا من الباقين غابر  
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

ومن حكمهم : من غيرك شيئا فقيه مثله . ومن ظلمك وجد من يظلمه . وإذا  
نهيت عن الشيء فابدا بنفسك . وكن عفا العيلة مشترك النفي . ولا تشاور  
مشغولا وإن كان حازما ، ولا جائسا وإن كان فهما ، ولا مذعورا وإن كان ناصحا .  
ومن شعره قوله يرثي أخوين له وقد وقف على قبريهما بدير سمان :

خائلي هبا طالما قد رقدتما أجدك لا تقضيان كراكا  
ألم تعلماني سمان مفرد ومالي فيه من حبيب سواكا ؟  
أقيم على قبريكما است بارحا طوال الليالي أو يحجب صداكا  
حرى الموت مجرى اللحم والمغـم منكما كان الذي يسقى المقار سقاكا !

فلو جُمِلت نفسٌ لنفسٍ وقايةٌ      لجلدتُ بنفسى أن تكون فدا كما  
سأ بكىكما طول الليالى وما الذى      يرد على ذى عولة إن بكى كما !

### عمرو بن معد يكرب الزبيدى

للتوفى سنة ٦٤٣ م

مبانه : عمرو بن معد يكرب الزبيدى فارس اليمن وخطيب العرب وبطل  
القادسية ، ينتهى نسبه إلى قحطان وبكى أبانور . لقي النبي صلى الله عليه وسلم  
لدى منصرفه من تبوك سنة تسع من الهجرة فأسلم هو وقومه ، ولكن قلبا  
شاب فى الجاهلية الجاهلاء ، ورتع فى الدماء والأشلاء ، واستهتر فى اللهو والصهباء ،  
لا يقبل على الدين بإخلاص وصدق ، فارتد بعد إسلامه . ثم رجع إلى الحق  
وجاهد فى سبيل الله حق جهاده . ثم شهد القادسية وعمره على ما قيل عشر سنين  
ومائة ، فأبلى فيها بلاء حسناً . ثم توفى فى أواخر خلافة عمر بن الخطاب سنة ٦٤٣ م .  
صفته ومزجه : كان قوياً بديناً أكرلاً ، وكان سيداً مطاعاً وبطلاً شجاعاً  
وخطيباً شاعراً ؛ يعد فى الطبقة الثانية من الشعراء ، وفى الأولى من الخطباء ،  
ويغلب فى شعره التحدث عن نفسه بالشجاعة . يقال إن النعمان بن المنذر أرسله  
فيمى أرسل من سرة العرب إلى أنوشيروان بالمداين ليكون كلامهم بين يديه  
مصدقاً لدعواه فى العرب واختباره بهم وتفضيله أيام فالتقى هذه الخطبة :

إنما المرء بأخفريه : قلبه ولسانه ، فبلاغ المنطق السداد ، وملاك النجعة  
الارتياذ ، وعفو الراى خير من استكراء الفكرة ، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف  
الخبرة . فاجتنب طاعتنا ما غفلت ؛ واكتظم باحترتنا بحملك ، وألن لنا كنفك يكن  
لك قيادنا . فإننا أناس لم يوقص صفاتنا قراع منافع من أراد لنا قضا ، ولكن  
منعنا جمانا من كل من رام لنا هغماً .

ومن شعره قوله في أبي المرادى وقد توعدته :

أعاذلَ شِكتى بدنى وروحى      وكلُّ مُقلَمٍ سلس القياد  
أعاذلَ إنما أنفى شيبابى      وفرح عاتق قتل النجساد  
تمناني ليلقاني أبى؟      ووددت وأينا منى ودادى  
ولو لاقيتنى ومى سلاحى      تكشف شعم قلبك عن سواد  
أريد حياته ويريد قلى      عذيرك من خليلك من مُراد !  
وقوله :

ليس الجلال بمنزور      فاعلم وإن ردّيت بُردا  
إن الجلال معادن      ومناقب أورثن مجدا  
أعددت للعدنان سا      بقة وعداء علندى !  
نهذا وذا شطب يقد      البيض والأبدان قدا  
كم من أخ لي صالح      بوأته ييدى لحدا  
ما إن جزعت ولاهله      ت ولا يرد بكاي رشدا  
ذهب الذين أحبهم      وبقيت مثل السيف فردا

### نماذج من النثر الجاهلى

منه الزمّال

قالت العرب في أمثالها :

( إذا سلت الجلة فالتيب هدر ) أى إذا سلم ما ينتفع به من مال لا ينتفع به .  
( إن كنت ربحاً فقد لاقيت إعصاراً ) يضرب المثل بنفسه إذا مئى بمن هو أدهى منه .

(إنك لا تجنى من الشوك العنب) أى لا تجد عند ذى المنبت السوء جيلاً .  
(ذكرنى فوك حارنى أهلى) أصله أن رجلاً خرج يطلب حمارين ضالاً له ،  
فرأى امرأة فأعجبته ، فتنسى الحمارين . فلما أسفرت  
عن وجهها رأى فيها قبيحاً فقال هذا المثل .

(تَجَشَّأَ لَهْمَانِ مِنْ غَيْرِ شَيْعٍ) يضرب لمن يدعى ما ليس بملك .  
(رمتنى بدائسها وانسلت) يضرب لمن يُعير الآخر بما يُعير هو به  
(رب كلمة تقول لصاحبها دعنى) يضرب فى النهى عن الإكثار مخافة الإحجار  
(أتر حسوا فى ارتقاء) يضرب لمن يرى أنك أنه يمينك وهو يجر النفع  
إلى نفسه . وأصله أن الرجل يؤتى باللبن فيظهر  
أنه يريد الرغوة خاصة فيشر بها وهو فى ذلك  
ينال من اللب .

(أوسعتهم سباً وأودوا بالابل) .. أصله أن رجلاً أُغِيرَ على إبله فأخذت ، فلما  
توارى المفكرون بها سعداً كمةً وجعل يسبهم ، ثم  
رجع إلى قومه فسألوه عن إبله ، فقال هذا المثل .  
(أحشفاً وسوء كيلة ؟ ..) يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين .  
(قد يحمل المير من دعر على الأسد) يضرب لمن يأخذ الدهش والرؤع لعله على  
ما ليس من طبعه .

(قبل الرمنى يراش السهم ..) يضرب للاستعداد للأمر قبل نزوله .

### من الحكم

ومن حكم العرب قولهم : مصارع الرجال تحت بروق الطمع . كلّم اللسان  
أنكى من كلّم اللسان . رب عجلة تهب ريثاً . العتاب قبل العقاب . التوبة



تفسل الخوبة . من سلك الجدد أمن العثار . أول الخزم المشورة . رب قول أنفذ  
من صول . أنجز حرما وعد . أترك الشر يتركك . من ضاق صدره اتسع لسانه .  
يدك منك وإن كانت شلاء . رب ملوم لا ذنب له . من مأمته يؤتى الخذر .

### الخطب

قال هانيء بن قبيصة الشيباني لقومه يحرضهم ، وهو بذلك على مذهب  
الجاهليين في النثر من تفكك المعاني وضعف ارتباط الجمل :

يا معشر بكر ! هالك معذور ، خير من ناج فرور . إن الخذر لا ينجي من  
القدر ، وإن الصبر من أسباب الظفر . للنية ولا الدنية . استقبال الموت خير من  
استدباره . الطعن في ثغر النعور ، أكرم منه في الأنجاز والظهور . يا آل بكر ،  
قاتلوا فما من لنا يا بد ! .

وخطب عبدالمطلب عند سيف بن ذي يزن بعد انتصاره على الحبشة قال :  
وإن الله تعالى أيها الملك أحلك محلا رفيعا ، باذخا شامخا ، وأنبتك مبتقا طابت  
أرومته ، وعزت جرثومته ، ونبل أصله ، وبسق فرعه ، في أكرم معدن وأطيب  
موطن . فأنت أبيت اللعن رأس العرب وربيعها الذي به تخصب ، وملكها الذي  
به تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومقلها الذي إليه تلجأ العباد . سلفك خير  
سلف ، وأنت لنا بعده خير خلف ، ولن يهلك من أنت خلفه ، ولن يخمل من  
أنت سلفه . نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذي  
أبهجنا بكشف الكرب الذي فدحنا ، ففحن وفد التهنة ، لا وفد للرزنة .

### من الوصايا

أوصى زهير بن جناب الكلبي بنيه قال :

يا بني قد كبرت سني ، وبلغت حرصا من دهري ، فأحكمتي التجارب ،

والأمور تجربة واختبار. فاحفظوا عني ما أقول وعوه. وإياكم والخور عند المصائب، والتواكل عند النوائب، فإن ذلك داعية للغم، وشماعة للعدو، وسوء ظن بالرب وإياكم أن تكونوا بالأحداث مقترين، ولها آمنين، ومنها ساخرين، فإنه ما سخر قوم قط إلا ابتلوا، ولكن توقعوها، فإن الإنسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة. فقصر دونه، ومجاوز لموضعه، وواقع عن يمينه وشماله، ثم لا بد أن يصيبه.

وأوصت أعرابية ابنها ليلة زفافها قالت :

أى بنية ! إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك . ولكنها تذكرة للغافل ، ومعونة للعاقل . ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبيها، وشدة حاجتهما إليها ، لكنت أغنى الناس .

أى بنية إنك فارقت الجو الذى منه خرجت ، وخلفت العش الذى فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفه ، وقرين لم تألفيه . فاحلى عني عشر خصال تكن لك ذخراً : اصحبيه بالقناعة ، وعاشربه بحسن السمع والطاعة ، وتمهذى موقع عينيه فلا تقع عينه منك على قبيح ، ثم اعرفى وقت طعامه ، واهدئى عند منامه . فإن حرارة الجوع ملهية ، وتنفيس النوم مبغضة . ثم اتقى مع ذلك الفرح أمامه إن كان ترحاً ، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً ، فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير . وكونى أشد الناس له إعظاماً ، يكن أشدكم لك إكراماً . واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك ، فيما أحببت أو كرهت . والله بخير لك .

وأوصت أعرابية ولدها قالت :

أى بنى ! إياك والنمية ، فإنها تزرع الضغينة ، وتفرق بين الحبين . وإياك والتعرض للميوب فتتخذ غرضاً . وخلق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام ،

وقلما اعتورت السهام غرضاً إلا كلمته حتى يهي<sup>(١)</sup> ما اشتد من قوته . وإياك  
والجود بدينك والبخل بمالك . وإذا هزرت فاهرز كريماً يلن لهزتك ، ولا تهزز  
لثيماً فإن الصخرة لا ينفجر ماؤها . ومثل لنفسك مثال ما استحسننت من غيرك  
فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه ، فإن للراء لا يرى عيب نفسه .  
ومن كانت مودته بشراً وخالف ذلك منه فمعه ، كان صديقه منه على مثل  
الريح في تصرفها . والفندر أقبح ما تعامل به الناس بينهم . ومن جمع الحلم  
والسخاء فقد أجاد الحيلة ربيطها وسربها<sup>(٢)</sup> .

---

(١) يهي : يضف .

(٢) كل ثوب رقيق يشبه اللعفة . والسربال القميص .

# الفصل الثالث

## الشعر

### تعريف وأوليه

الشعر هو الكلام الموزون للقفى المعبر عن الأخيلة البديعة والصور المؤثرة البليغة . وقد يكون نثراً <sup>(١)</sup> كما يكون نظماً . والشعر أقدم الآثار الأدبية عهداً لعلاقته بالشعور وصلته بالطبع ، وعدم احتياجه إلى رقى في العقل ، أو تعمق في العلم ، أو تقدم في المدنية . ولكن أوليته عند العرب مبهمة ، فلم يقع في سماع التاريخ إلا وهو محكم مقصّد . وليس مما يسوغ في العقل أن الشعر بدأ ظهوره على هذه الصورة الناصعة الرائعة في شعر المهمل بن ربيعة وامرئ القيس ، وإنما اختلفت عليه المصّر وتقلب به الحوادث وعملت فيه الألسنة حتى تهنّب أسلوبه ونشبت مناحيه <sup>(٢)</sup> . والمظنون أن العرب خطوا من المرسل إلى السجع <sup>(٣)</sup> ومن السجع إلى الرجز ، ثم تدرجوا من الرجز إلى القصيد . فالسجع هو الطور الأول

---

(١) العرب يملونه بهذا المعنى كما عرفه العبران واليونان والفرنج فقالوا : « الشعر شيء تهبش به صدورنا فتقذفه على السكتا » . وقال حسان لابنه : « شعر ورب السكة » . سجد . سمعته يصف زيبوراً لسهه بقوله : كأنه ملتب في بردى حبرة » . فهم يطلقون الشعر على النثر المسجوع للفتن على الخيال المؤثر في الوجدان . وعلى هذا النحو سموا القرآن شعراً والرسول شاعراً .

(٢) مما يدل على أن الشعر قديم العهد قوله امرئ القيس :

هوجا على اللطل القديم لعانا      فيكي الديار كما بكى ابن حزام  
ولول هترة :      هل غادر الشعراء من مكرم      وقول زهير :  
ما أرانا نقول إلا معاراً      أو معاداً من قولنا مكروراً

(٣) قال الباقلائي في كتابه إحصاء القرآن : إن العرب بدأوا بالنثر وتوصلوا منه إلى الشعر وكان متورم عليه في الأصل بالاتفاق غير مقصود إليه فلما استعصنوه واستعلا به ورأوا الأسماح تألفه والنقوس قبله تقبوه وتعلوه وتكلفوا له .

من أطوار الشعر توخاه الكهان مناجاة للآلهة ، وتقيداً للحكمة ، وتعمية للجواب ،  
وفتنة للسامع . وكهان العرب ككهان الإغريق هم الشعراء الأولون ، زعموا  
أنهم مهبط الإلهام ، وأنبياء الآلهة ، فكانوا يسترحمونها بالأنشيد ، ويستلهمونها  
بالأدعية ، ويخبرون الناس بأسرار الغيب في حمل مقفلة موقعة أطلقوا عليها اسم  
السجع تشبيهاً لها بسجع الحمامة لما فيها من تلك النغمة الواحدة البسيطة .

فلما ارتقى فيهم ذوق الفناء ، وانتقل الشعر من المعابد إلى الصحراء ، ومن  
الدعاء إلى الخداء ، اجتمع الوزن والقافية فكان الرجز <sup>(١)</sup> .

ثم تعددت الأوزان بتعدد الألحان ، فكان للحماسة وزن ، وللغزل وزن ،  
وللهزج وزن ، وهكذا إلى سائر الأوزان التي حصرها الخليل بن أحمد في خمسة  
عشر وزناً <sup>(٢)</sup> سماها بحوراً .

فأنت ترى أن الشعر مصدره الفناء ، وفي أخذه السجع من هديل الحمامة ،  
والرجز من إيقاع مشى الناقة ، ولفظ الشعر من ( شير ) العبرية بمعنى التريلة  
أو التسبيحة ، وقولهم إلى الآن : أنشد الشعر بمعنى ألقاه ، ما يؤكد ذلك .

### الشعر والعرب

العرب أشعر الساميين فطرة ، وأبلغهم على الشعر قدرة ، لاتساع لفهم للقول ،  
وملاءمة يثبتهم للخيال ، وصفاء قريحتهم ، وسذاجة مميشتهم ، وقوة عصبيتهم ،

(١) الرجز أول ما نقله العرب للعداء : والغالب في الظن أنه مأخوذ من سحر الجمل  
وهزته ، لعدة المواقف بين تطليه وخطوفه . ويذكر العرب أن أول من قاله مضر بن نزار حين  
سقط عن جمل فأنكسرت يده فخلوه وهو يقول : وايداه ا وايداه ا وكان من أحسن خلق  
الله صوتاً ، فأصفت الإبل إليه وجدت في السير . فقطعوا على هذا الوزن لمن الخداء وسموه  
الرجز . ومن أمثله قول الراجز :

دع للطايا نظم الجنوا إن لها لباً عجيباً حنينها وما اشتكت لفرجها  
بهد أن قد فارقت حبيباً ما حلت إلا في كتمان بسر مما أعتت نصيباً  
لو ترك الصوق لنا قلوباً إذق لنا تارفاً بين النيا إن القريب بسعد القريب  
(٢) زاد الأخفش عليه بحراً بعد ذلك سماه للتدارك .

وكال حريتهم ، وخلو جزيرتهم عما يصد الفكر عن التأمل ، ويعوق الذهن عن التفكير ، فهم بين الصحراء والسماء في فضاء من اللانهاية عملاً للذهن والنفس خيالاً وجلالاً وروعة . وهم فوق ذلك ذوو نفوس شاعرة ، وطباع تأثرة ، يستفزم الرغبُ والرهبُ ، ويزدهيهم الطرب والغضب ، فلم يتركوا شيئاً يحول في النفس أو يقع تحت الحس إلا نظموه ، فكان الشعر ديوان علومهم وحكمهم ، وسجل وقائعهم وسيرهم ، وشاهد مساوئهم وخطأهم ، ومادة حوارهم وممرهم . وكانوا كلهم يروونه ، وجلهم يقرضونه عفو البديهة وفيض الخاطر<sup>(١)</sup> حتى روى عنهم من الشعر الوجداني ما لم يرو عن أمة من أمم الأرض مثله . فلا بدع إذا كان الشاعر يفهم ويرشدهم ، والبيت الواحد يقيمهم ويقدمهم . والأمثال في التاريخ مستفيضة على تأثير الشعر في نفوسهم ومنزلة الشاعر من قلوبهم ، كحديث الأعشى مع الحلق وحسان مع بني عبد المدان ، والحطيئة مع بني أنف الناقة

### أنواع الشعر وأغراضه

أنواع الشعر ثلاثة : شعر غنائي أو وجداني Lyrique وهو أن يستمد الشاعر من طبعه وينقل عن قلبه ويمر عن شعوره . وشعر قصصي Epique وهو نظم الوقائع الحربية والمفاخر القومية في شكل قصة ، كالإلياذة والشاهنامة . وشعر تمثيلي Dramatique وهو أن يعمد الشاعر إلى واقعة فيتصور الأشخاص الذين جرت على أيديهم وينطق كلا منهم بما يناسبه من الأقوال . وينسب إليهم

(١) على أن من الشعراء من كانوا يروون ويتفنون قسراً هيد الشعر لذلك . كرمي وعدي بن الرغام والحطيئة . قال عدي بن الرغام :

وقصيدة قد بت أجمع بيتها حتى أقوم ميلها وسنادها  
نظر للتقف في مكسوب قاتته حتى يقيم ثقافته منادها  
وقال سويد بن كراع :

أبيت بأبواب القوافي كأنها أصاخي بها سرابا من الوحش نرما

ما يلائمه من الأفعال . والفناني أسبق هذه الأنواع إلى الظهور ؛ لأن الشعر أصله الغناء كما علمت . والإنسان إنما يشعر بنفسه قبل أن يشعر بغيره ، ويتغنى بمواطنه قبل أن يتغنى بمواطن سواه <sup>(١)</sup> .

ولما كان الشعر مادته الخيال ، والخيال غذاؤه الحس ؛ والعربي لا يرى من المناظر غير وجوه البادية ، ولا يسمع من الأفاصيص إلا البطولة والحرب ، ولا يعرف من الجمال إلا جمال المرأة ، أبدع في وصف ما شاهده من حيوان وسهل وجبل ، وأجاد التعبير عن عاطفة الحماسة يوم الخصومة والجدل ، وتفنن ما شاء له الحب في التشبيب والغزل . قال الشعر العربي غنائى محض ، لا يعنى الشاعر فيه إلا بتصوير نفسه ، والتعبير عن شعوره وحسه . والمواطن تشابه في أكثر القلوب ويكاد التعبير عنها يتفق في أكثر الألسنة . ومن ثم نشأ فيه التكرار ، وتوارد الخواطر ، والسرقه ، ووحدۃ الأسلوب ، وتشابه الأثر . وكان من الحق أن يقول زهير :

ما أرانا نقول إلا معاراً أو معاداً من لفظنا مكروراً  
أما الشعر القصصى والتمثيلي فلا أثر لهما فيه ، لأن مزاوتهما تقتضى الروية والفكرة ، والعرب أهل بديهية وارتجال ؛ وتطلب الإسلام طبائع الناس ، وقد شغلوا بأنفسهم عن النظر فيمن عداهم ؛ وتفكر إلى التحليل والتطويل ، وهم أشد الناس اختصاراً للقول وأقلهم تمسقا في البحث . وقد قل تعرضهم للأسفار البعيدة والأخطار الشديدة ، وحرمتهم طبيعة أرضهم ، وبساطة دينهم ، وضيق خيالهم ، واعتقادهم بوحداية إلههم ، كثرة الأساطير وهى من أغزر ينابيع الشعر القصصى ، فزخرت بحور الشعر العربي بالفخر والحماسة والمدح والهجاء والرثاء والعتاب والغزل

(١) حاء في كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ، وكتاب ( في الأدب الجامل ) والجمل في تاريخ الأدب العربي : أن الشعر القصصى أسبق من الغنائى ، وهو زعم لا مصدر له ولا دليل عليه . فإن العلماء يكادون يحلون الغنائى أسلا والقصصى والتمثيلي شكلان من أشكاله .

والوصف والاعتذار والحسنة ، وخلاصه اتساعه وتشعب أغراضه من الملاحم المطولة<sup>(١)</sup> التي تعلن للفاخر القومية وتشيد بذكر الأبطال والفروسية كالإلياذة<sup>(٢)</sup> لليونان ، والإنياد للرومان ، ومها بهاراته للهنود ، والشاهنامة للفرس .

### مميزات الشعر الجاهلي

وعوثة الصحراء وخشونة العيش ، وحرية الفكر ، وطبيعة الجو ، وسذاجة البدو ، كل أولئك طبع الشعر الجاهلي بطابع خاص ومازه بسمة ظاهرة . فمن خصائصه الصدق في تصوير العاطفة ، وتمثيل الطبيعة ، فلا تجد فيه كلفاً بالزخرف ولا تكلفاً في الأداء ؛ فكثير لذلك الإيجاز ، وقل المجاز ، وندرت المبالغة . وضعفت العناية بسياق الفكر على سنن المنطق واقتضاء الطبع : فملائق المعاني واهنة واهية ، ومساق الأبيات مفكك مضطرب . فإذا حذف أو قدمت أو أخرت لا تشعر القصيدة بنشويه أو نقص ؛ وذلك لأن البدو بطبيعتهم يعوزهم النظر

---

(١) قال صاحب اللؤلؤ السائر في معرر كلامه عن الإطالة وعجز الشاعر عنها : « لاني وجدت المعجم يفصلون العرب في هذه النكتة . فإن شاعروهم يذكر كتاباً مصفاً من أوله إلى آخره شعراً وهو شرح قصص وأحوال . ويكون مع ذلك في غاية الفصاحة والبلاغة في لغة التورم كما فعل الفردوسي في نظم الكتاب للمروفي بهامنامه ، وهو ستون ألف بيت من الشعر يشتمل على تاريخ الفرس ، وهو قرآن القوم . وقد أجمع فصحاؤهم على أنه ليس في لغتهم أنصح منه ، وهذا لا يوجد في اللغة العربية على اسمها وتعب فتونها ، وعلى أن لغة المعجم بالنسبة إليها كنظرة من بحر » .

(٢) الإلياذة ملحمة يونانية نظمها هوميروس في حروب طروادة ، وهي تمثل الحاضرة اليونانية القديمة أسدق تمثيل . والإنياد L'énéide ملحمة نظمها فرجيل أكبر شعراء الرومان ( ٧٠ - ١٩ قبل الميلاد ) قلدها إلياذة هوميروس فأبدع . والهابهاراته ملحمة هندية نظمها ( فياضه ) أحد كهان الهنود بالسان السنسكريتي قبل الميلاد بقرون يصف فيها الحروب التي لقيت بين الباقادس والكوروس ؛ وهي تبلغ مائتي ألف بيت : والشاهنامة ملحمة فارسية نظمها الحسن بن إسحق الفردوسي للتوفيق سنة ٤١١ هـ في تاريخ الأكامرة وأخبارهم ، ووصف الحرب التي اشتعلت بين أهل إيران وأهل طوران . وقد نقلها إلى العربية ثرا الفتح بن علي البنداري الأسباني ونقلها إلى خزانة أحد الملوك الأيوبيين . وقد نعرها وقدم لها وأتمها وعلق عليها الدكتور عبد الوهاب عزام سنة ١٩٣٢ بالقاهرة .



الفلسفي فلا يرون الحوادث والأشياء إلا مجردة لا ينظمها سلك ولا تجمعها علاقة .  
ومن ثم كانت وحدة النقد عند أدباء العرب البيت لا القصيدة . ومنها استعمال  
الغريب ومتانة التركيب وجزالة اللفظ ؛ لتأثرهم بمظاهر الخلقة والقوة البادية  
في طبائعهم ونظام اجتماعهم . والابتداء بذكر الاطلال والقيار ، لأنهم أهل خيام  
ومضارب ، وألأف اجتماع وظمن ، فلا يكاد الشاعر يمر بمكان حتى يذكر عهداً  
قضاء فيه ، وأحبة ترحلوا عنه . قهيجته للذكرى فيحييه ويكيه . والشعر الجاهل  
على الجملة كثير التشابه قابل التنوع يجري في حلبة واحدة من السماع والتقليد .

#### الرواية والعلاقات

للروى من الشعر الجاهل على قصر عهده المعروف بفوت الجمع وتضييق عنه  
الحافظة . على أن كثيرين من رواته ذهبت بهم حروب الفتح فذهب معهم شعر  
كثير منه . قال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله .  
ولو جاءكم وأفرا لجاءكم علم وشعر كثير ، ولكن هذه الكثرة متهمة وروايتها  
مُريبة ، فإن الشعر لم يدون إلا في أوائل القرن الثاني للهجرة وإن في نقله على  
الألسنة ، طوال هذه الأزمنة ، مظنة للتبديل والاختلاق والتزويد . وفيما روى  
عن حماد الراوية وخلف الأحمر من عبيثهما بالشعر وافتعالها إياه مساع لهذا الظن .  
ولعل القصائد التسع والأربعين التي جمعها أبو زيد القرشي في جمهرة أشعار العرب  
أصح الشعر القديم رواية وأصدقها تمثيلاً لأسلوبه ومنهاجه . وأبعد هذه القصائد  
مدى في الرواية ، وأوفرها حظاً من الحفظ والعناية ، للعلاقات أو المذهبات  
أو الشموط . وهن على الرأي الغالب سبع قصائد يزعم جمهور المؤرخين أن العرب  
اختارتها فكتبتها بماء الذهب على انقباطى ، ثم علقنها بالكعبة إعجاباً بها وإشادة  
بذكرها . وقد بقي بعضها إلى يوم فتح مكة وذهب بالبعض الآخر حريق أصاب  
الكعبة قبل الإسلام : وأصحابها هم امرؤ القيس ، وزهير بن أبي سلمى ، وطرفة  
ابن العبد ، ولييد بن ربيعة ، وعنترة بن شداد ، وعمرو بن كلثوم ، والحارث

ابن حازم . ومن الناس من ينكر تعليقها على الكعبة بنير دليل قائم ولا حجة مقنعة .  
فمن المتقدمين أبو جعفر النحاس<sup>(١)</sup> المتوفى سنة ٣٣٨ هـ ومن المتأخرين المستشرق  
الألماني<sup>(٢)</sup> نولدكي Noeldke على أن تعليق الصحف الخطيرة على الكعبة  
كان سنة في الجاهلية بقي أثرها في الإسلام . فمن ذلك تعليق قريش الصحيفة التي  
وكدوا فيها على أنفسهم مقاطعة بني هاشم والمطلب لحايتهم رسول الله (ص) حين  
أجمع على الدعوة ؛ وتعليق الرشيد عهده بالخلافة من بعده إلى ولديه الأمين  
فالمأمون . فلم لا يكون الأمر كذلك في هذه القصائد مع ما علمت من تأثير الشعر  
فيهم ومكانة الشعراء منهم ؟ على أن لهذا الأمر نظائر في أدب الإغريق ، فإن  
القصيدة التي قالها بنّادار زعيم الشعر الفناي يمدح بهاديا جوراس قد كتبوها بالذهب  
على جدران معبد أثينا في لموس<sup>(٣)</sup> .

### نماذج من الشعر الجاهلي

قال امرؤ القيس :

وقد أخذت ، والطير في وكناتها      لنيث من الوشم رائده خال  
تحماء أطراف الرماح تحاميا      وجاد عليه كل أسحم هطال  
بمجلزة قد أنرز الجري لحما      كميت كأنها هراوة منوال  
ذعرت بها سيربا قيا جلوده      وأكرعه وشي البرود من انخال

(١) قال أبو جعفر النحاس في شرحه للمقاتل : واخطفوا في جم هذه القصائد السبع ،  
فقبل إن العرب كان أكثرهم يهتم بكتف ويتأخذون الأشعار ، فإذا استحسن الملك قصيدة  
قال علقوها وأنتجوها في خزائني . وأما قول من قال إنها علق في الكعبة فلا يبرهنه أحد  
من الرواة .

(٢) وضع الأستاذ نولدكي كتاباً في هذا الموضوع رجح فيه أن المقاتل معناه المنتخبات ؛  
ولما سماها حاد الرواية بهذا الاسم تعيها لها بالقلائد التي تعلق في النجور ؛ واستدل على ذلك  
بأن من أسلمها السموط ومن معاني السموط القلائد . وشايه على هذا الرأي الأستاذ كليان  
حيار الفرنسي مؤلف كتاب الأدب العربي بلنتي .

(٣) انظر دائرة معارف لاروس في كلمة ( بنّادار ) :

كَانَ الصَّوَارَ إِذْ تَجَاهَدَنَ غَدْوَةً      عَلَى جِزَى - خَيْلٌ تَجُولُ بِأَجْلَالِ  
فِي جَالِ الصَّوَارِ ، وَاتَّقِينَ بِقَرَّهِبِ      طَوِيلِ الْقَرَا وَالرُّوقِ أَخْنَسَ ذِيَالِ  
فَعَادَيْتُ مِنْهُ بَيْنَ نَوْرٍ وَنَجْدِ      وَكَانَ عِدَائِي إِذْ رَكِبْتُ عَلَى بَالِي  
كَأَنِّي بِفَتْخَاهُ الْجَنَاحِينَ لَقْوَةً      عَلَى مَجَلٍ مِنْهَا أَطَاطِيءُ شَمَلِ  
تَخْطَفُ خِزَانُ الْأَنْعَمِ بِالضَّحَى      وَقَدْ حَجَّرَتْ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَالِ  
كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا      لَدَى وَكْرَهَا - الْعُنَابُ وَالْعَشْفُ الْبَالِي  
قُلُوْا أَنْ مَا أَسَى لَأَدْنَى مَعِيشَةٍ      كَفَانِي - وَلَمْ أَطْلُبْ - قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ  
وَلَسَكُمَا أَسَى لِمَعْدٍ مُؤَثَّلٍ      وَقَدْ يَدْرِكُ الْجِدَّ الْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِ  
وَمَا لِلرَّءِ مَا دَامَتْ حُشَاشَةُ نَفْسِهِ      بِمَذْرِكِ أَطْرَافِ الْخُطُوبِ وَلَا آلِ

وقال النابغة الذبياني من قصيدته التي يمدح بها النعمان ويعتذر إليه :

أَتَانِي - أَبَيْتَ الْأَمْنَ - أَنْكَ لُمْتَنِي      وَتَكَتِ الْتِي تَسْتَكُ مِنْهَا لِلْمَسَامِعِ  
مَقَالَةً أَنْ قَدْ قُلْتَ : سَوْفَ أَنَالُهُ ،      وَذَلِكَ مَنْ تَلْقَاهُ مِثْلَكَ رَائِعُ  
لِعَمْرِي - وَمَا عَمْرِي عَلَى بَهَيْنِ -      لَقَدْ نَطَقْتُ بِظُلَا عَلَى الْأَفَارِعِ  
أَقَارِعُ عَوْفٍ ، لَا أَحَاوِلُ غَيْرَهَا      وَجُوءُ قُرُودٍ تَبْنِي مَنْ تَجَادِعِ  
أَتَاكَ أَمْرُؤُ مُسْتَبْطِنٌ لِي بِغُضَّةٍ      لَهُ مِنْ عَدُوٍّ مِثْلَ ذَلِكَ شَافِعِ  
أَتَاكَ بِقَوْلٍ هَلْهَلِ النَّسِجِ كَاذِبِ      وَلَمْ يَأْتِ بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ نَاصِعِ  
أَتَاكَ بِقَوْلٍ لَمْ أَكُنْ لِأَقُولِهِ      وَلَوْ كُئِلْتُ فِي سَاعِدِي الْجَوَامِعِ  
حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً      وَهَلْ يَأْتِمَنُ ذُو أَمَّةٍ ، وَهُوَ طَائِعِ  
بِصَطْعَاتٍ مِنْ لِصَافٍ وَثَبْرَةٍ      يَرُونَ إِلَّا لَأَ ، سَيْرُهُنَّ التَّدَافِعِ  
سَهْمًا تُبَارِي الرِّيحَ خَوْصًا عِيُونَهَا      لَهْنٌ رَزَايَا بِالطَّرِيقِ وَدَائِعِ

عليهن شعثٌ عامِدُونُ لحبِّهم      فهنُّ كأطرافِ الحَيِّ خواضعُ  
لَكَلَفَتِي ذنبِ امرئٍ ، وتركته      كذى المرءِ يُكوى غيره وهو رافعُ  
فإن كنت لاذوا الصُّنْعَ عني مُكذِّبُ      ولا حَلْفِي عَلَى البراءَةِ نافعُ  
ولا أنا مأمونٌ بشيءٍ أقوله      وأنت بامرٍ — لا محالة — واقعُ  
فإنك كالليلِ الذى هو مُدرِكى      وإن خِلْتُ أن للتأى عنك واسعُ  
خطاطيفُ حُجْنٍ فى جبالٍ معينةٍ      تُمَدُّ بها أيدٍ إليك نوازِعُ  
أُوعِدُ عبداً لم يَحْنُك أمانةُ      ويترك عبداً ظالمٌ وهو ضالعُ  
وأنت ربيعٌ يُنمِشُ النَّاسَ سَيْبُهُ      وسيفٌ أُعِيرَتُهُ المنيَّةُ قاطعُ  
أبى الله إلا علهُ ووفاهُ      فلا النُكْرُ معروفٌ ولا العُرفُ ضائعُ  
وتُسقى إذا ما شئتَ غيرَ مُصرِّدٍ      بزوراءٍ فى حاناتها المسكُ كانعُ  
وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَةِ<sup>(١)</sup> فى رثاء أخيه :

أرثُ جديداً العَبْلَ من أُمِّ مَعْبِدٍ      بعاقبةٍ ، أم أخلفت كلَّ موعدٍ  
وكانت ، ولم أأخذُ إليك نوالها      ولم تزجُ منّا ردةً اليوم أو غداً  
كانَ حَمولَ الحَيِّ إذ متعَ الضحى      بناصيةِ الشَّعْثَاءِ عَصْبَةُ مِذْوَدٍ  
أو الأثابُ المَمُّ المَحْرَمُ سَوْفُهُ      بكابةٍ لم يُخْبِطْ ، ولم يَتَعَصَّدِ  
فقلت لعارضٍ وأصحابٍ عارضٍ      ورهطِ بنى السوداء والقومِ شُهْدَى  
علانيةً : ظُنُّوا بِالْفِي مَدَجَجٍ      مَرَاتِهِمْ فى الفَارِسِيِّ المَسْرَدِ

(١) دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَةِ شاعر فارس سِيد ، أدرك الإسلام ولم يسلم . قتل ذو غطفان أخاه  
عبد الله لأن دُرَيْداً أظفر عليهم واستلق إليهم ، فقتل عبد الله فى بعض الطريق ليقتلهم الفتيمة  
فمنها دُرَيْدٌ بحالة أن تلاحق بهم غطفان للتهوية ، فأبى ؛ وبقى حتى أدركته الحيل فقتله عيس .  
وأراد دُرَيْدٌ إلقاءه فلم يرض عنه ، وبقى دمه حزيناً يرميه حتى لامته فى ذلك لمرأته أم معبد  
فطلقتها ، وقال فيها وثى رثاء أخيه القصيدة .

وقلت لهم : إن الأحاليف هذه  
 ولما رأيت الخيل قبلاً كأنها  
 أمرتهم أمري بمنصرج القوى  
 فلما عصوني كنت منهم وقد أرى  
 وهل أنا إلا من غزبة ؟ إن غوت  
 دعاني أخي والخيل بيني وبينه  
 أخ أرضعتني أمه من لبانها  
 فجئت إليه والرماح تنوشه  
 وكنت كذات البوريمت فأقبلت  
 فطاعت عنه الخيل حتى تنهت  
 قتال أمريه آسى أخاه بنفسه  
 تنادوا فقالوا : أردت الخيل فارساً  
 فإن بك عهد الله خلى مكانه  
 ولا برماً إنما الرياح تناوحت  
 وتخرج منه صيرة القمر جزاة  
 كيش الإزار خارج نصف ساقه  
 قليل تشكبه للصيحات ذا كركر  
 ذا هبط الأرض الغضاء ترينت  
 وكم غارة باليل واليوم قبله  
 سليم الشظى عبل الشوى شنج النساء  
 مظنية بين التار وشهد  
 جراد يبارى وجهه الريح مفتدى  
 فلم يستينوا الرشد إلا ضحى الغد  
 غوايتهم أنى بهم غير مهتدى  
 غويت وإن ترشد غزبة أرشد  
 فلما دعاني لم يجدنى بقعد  
 يندى صفاء بيننا لم يجد  
 كوقع الصيامى فى النسيج الممدد  
 إلى قطع من جلد بور مجلد  
 وحتى علاى حالك اللون أسود  
 وبلم أن للرء غير مخلد  
 فقلت : أعبد الله ذلك الردى ؟  
 فما كان وقافاً ولا طائش اليد  
 برطب العضاء والضريح المنقذ  
 وطول السرى درى غضب مهتد  
 صبور على الضراء طلاع أنجد  
 من اليوم أعقاب الأحاديث فى غد  
 لرؤيته كالماتم التلبد  
 تداركها منى بسيد عمرد  
 طويل القرا نهد أسيل للقد

يفوت طويل القوم عقد عذاره  
 وكنت كائن واتق بمصدر  
 له كل من يلقى من الناس واحدا  
 وهون وجدى اتق لم اقل له :  
 وقال علقمة بن عبدة التيمي (١) :  
 طعنا بك قلب في الحسان طروب  
 يكلفني ليلى ، وقد شط وليها  
 منعمة ، ما يستطاع كلامها ،  
 اذا غاب عنها البعل لم تفس سره  
 فلا تصدلى بينى وبين منفر  
 سقاك يمان ذو سحى وعارض  
 وما انت ؟ ام ما ذكرها ؟ ربعية  
 فإن تسألونى بالنساء فإنتى  
 اذا شاب رأس للراء أو قل ماله  
 يردن ثراء للال حيث علمته  
 فدعها وسل الم عنك بجسره  
 إلى الحارث الوهاب أعملت ناقتى  
 وقال عبد بنوث الحارثى اليمى (٢) :  
 ألا لا تلومانى كفى اللوم ما بيا  
 ألم تعلم أن للامة نفعها

فما لكما فى اللوم خير ولا ليا  
 قليل ، وما لوى أخى من شماليا

(١) شاعر جاهلى من طبقة امرئ القيس ومبصره ، توفى قبل الإسلام بزمان طويل .

(٢) شاعر فارس من طرائق قومه ، أسرته تيم الرباب يوم الكلاب وهو يوم بينهم وبين

فبأراكباً إما عرضت فبلفن  
 أبا كرب والأيهمين كليهما  
 جزى الله قوى بالكلاب ملامه  
 ولو شئت نجيتي من الخيل نهدة  
 ولكنني أحي ذمار أيكم  
 أقول وقد شدوا لسانى بنسعة  
 أمشر تيم قد ملكتم فاسجحوا  
 فإن تقتلوني تقتلوا بي سيداً  
 أحقاً عباد الله أن لست سامعاً  
 وتضعك منى شينة عبسية  
 وقد علمت عرسى مليكة أننى  
 وقد كنت نهار الحزور، ومعمل ال  
 وأنحر للشرب الكريم مطيى  
 وكنت إذا ما انخليل شمسها الفنا  
 وعادية سؤم الجراد وزعتها  
 كانى لم أركب جواداً ولم أقل  
 ولم أسبأ الرقى الروى، ولم أقل  
 وقال ذو الإصبع المدوائى :  
 لى ابن عم على ما كان من خلق  
 أزرى بنا أننا شالت ضامتنا  
 ياعمرؤ إلا تدع شتى ومنقصتى  
 ندامى من نجران أن لا تلافيا  
 وقبلاً بأعلى حضرموت اليمانيا  
 صريحهم والآخرين للواليا  
 ترى خافها الخو الجياد تواليا  
 وكان الرماح يختطفن لمعابيا  
 أمشر تيم أطلقوا عن لسانيا  
 فإن أخاكم لم يكن من بوائيا  
 وإن تطلقوني تحربون بمالها  
 نشيد الرعاء المزين المتاليا  
 كأن لم ترى قبل أسيراً يمانيا  
 أنا الليث مدو على وعاديا  
 مطى، وأمضى حيث لاحت ماضيا  
 وأصدع بين القينتين ردايا  
 ليقاً بمصريف القناة بنانيا  
 بكفى وقد أنحوا إلى المواليا  
 لخيلى : كرى نفسى عن رجاليا  
 لأيسار صديق أعظموا ضوء ناريا  
 مختلفان : فأقلية ، ويقلينى  
 نخالنى دونه ، وخلته دونى  
 أضربك ، حتى تقول الهامة : استقونى

لاه ابن عمك الا أفضلت في حسب  
ولا تقوت عيالي يوم مسغبة  
إني لسرك ما بابي بذى غلق  
ولا لسانى على الأدنى بمنطلق  
عف يورس إذا ما خفت من بلاد  
عنى إليك ، فإمى برأعية  
كل امرىء راجع يوماً لثيمته  
إني أبى أبى ذو عافطة  
وأنتم معشر زيد على مائة  
فإن علمتم سبيل الرشد فانطلقوا  
ماذا على وإن كنتم ذوى رحى  
لوتشربون دى لم يرو شاربكم  
الله يعلمنى ، والله يعلمكم  
قد كنت أوتيك ثم نصحى ، وأمنعكم  
لا يخرج الكره منى غير مائة  
وقال الأفوه الأودى :

البيت لا يبتنى إلا له عمد  
فإن تجمع أوتاد وأعمدة  
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم  
تهدى الأمور بأهل الراى ما صلحت  
إذا تولى سراة الناس أمرهم  
ولا عماد إذا لم تر من أوتاد  
وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا  
ولا سراة إذا جهلهم سادوا  
فإن تولى فبالأشرار تنقاد  
نما على ذاك أمر القوم فازدادوا



وقال ودّاك بن تميل المازني :

رويد بني شيسان بعض وعيدكم  
تلاقوا جياداً لا تحيد عن الوغى  
عليها الكجاة الفر من آل مازن  
تلاقوهم فتعرفوا كيف صبرهم  
مقاديم وصّالون في الرّوع خطوم  
إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم  
تلاقوا غداً خيل على سفوان  
إذا ما غدت في المأزق المتدان  
ليوث طعان عند كل طعان  
على ما جنت فيهم يد الحدّان  
بكل رقيق الشّفتين يمان  
لأية حرب أم بأيّ مكان

وقال زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان :

وأبيض فياض بداه غمامة  
أخي تقسّ لا يهلك الخرماله  
تراه إذا ما جئت مهلاً  
على معتفيه ما تغيب فواضله  
ولكنه قد يهلك المسال نائله  
كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وقال أيضا :

وفيهم مقامات حيان وجوههم  
وإن جثهم ألقيت حول بيوتهم  
على مكثريهم رزق من يعترهم  
سعى بمسدم قوم لكي يدركوهم  
فما كان من خير أتوه فإنما  
وهم يذنب الخطى إلا وشيجه  
وأندية ينتابها القول والفعل  
مجالس قد يشقى بأحلامها الجهل  
وعند المقلين الساحة والبذل  
فلم يفعلوا ولم يليموا ولم يألوا  
توارثه آباء آبائهم قبل  
وتفرس إلا في متابها النخل ؟

وقال الأعشى يمدح الخلق :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة  
تشبّ لمصرورين يصطليانها  
إلى ضوء نار باليفساع تحرق  
وبات على النار الندي والخلق

رضيقي لبان ثدى أم تقاسما      بأسم داج عَوْضُ لا تفرق  
تري الجود يجرى ظاهراً فوق وجهه      كما زان متن الهنذواني رونق  
يداه بدا صدق فكف مبيدة      وكف إذا ماضن بالمال تنفق

وقال تأبط شراً يمدح ابن عم له وبعثته بما يمدح به الجاهليون من الصفات:

إني لمهد من ثنائي قفاصد      به لابن عم الصدق شمس بن مالك  
أهز به في ندوة الحى عطفه      كاهز عطفى بالمهجان الأوارك  
قليل التشكى لهم يصيبه      كثير الهوى شتى النوى والمسالك  
يظل بمومة ومسى بفسرها      جحيشاً ويعرورى ظهور للمالك  
ويسبق وفد الريح من حيث ينتهى      بمنخرق من شدة التدارك  
إذا حاص عينيه كرى النوم لم يزل      له كالى من قلب شيعان قاتك  
ويحصل عينيه ريئة قلبه      إلى سلة من حد أخلق صائك  
إذا هزه في وجهه قرن تهلت      نواجذ أفواه للنايا الضواحك  
يرى الوحشة الإنس الأيس ويهتدى      بحيث اهتمت أم النجوم الشوابك

وقال عمرو بن الهذيل العبدى:

ولا ترج خيراً عند باب ابن مسمع      إذا كنت من حبي حنيفة أو عجل  
ونحن أقنبا أمر بكر بن وائل      وأنت (بناج) ماتمراً وما تحلى  
وما تستوى أحساب قوم تورثت      قديماً وأحساب فبتن مع البقل

وقال لبيد بن ربيعة يرثى النعمان:

ألا تسألان للراء ماذا يحاول      اتحب فيقضى أم ضلال وباطل؟  
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم      بلى، كل ذى لب إلى الله واسل  
ألا كل شيء ما خلا الله باطل      وكل نعيم لا محالة زائل  
وكل أناس جوف تدخل بينهم      دونهية تصغر منها الأنامل

وكل امرئ يوماً سيعلم نتيجه  
إذا للرم أسرى ليلة حال أنه  
فقل لا إن كان يقسم أمره  
فتعلم أتي لست مدرك ما مضى  
فإن أنت لم ينفعك علمك فانتسب  
وإن لم تجد من دون عدنان والدا  
وقال عدى بن زيد العبادي :

أيها الشامت المغير بالده  
أم لديك العهد الوثيق من الأيا  
من رأيت المنون خلدن أم من  
أبن كسرى كسرى للوك أبوسا  
وأبو الخضر إذ بناء وإذ دج  
شاده مرمرأ وجله كل  
وتبين رب الخورنق إذ أش  
سره حاله وكثرة ما يم  
فارعوى قلبه قبال وما غب  
ثم بعد الفلاح والملك والأمة م وارثهم هنالك القبور  
ثم أصبحوا كأنهم ورق جف م فالتوت به الصبا والدبور  
وقال امرؤ القيس في معلقته يصف الليل :

يا ليل كوج البحر أرخى سدوله  
فقلت له لما تخطى بصلبه  
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي  
فيا لك من ليل كأن نجومه  
على بأنواع الموم ليتلى  
وأردف أعجازاً وناء بكل كل  
بصبح ، وما الإصباح منك بأمثل  
بكل مئار القتل شدت مبدل

وقال فيها يصف جواده :

وقد أغتدى والطير في وُكفائها      بمنجرد قيد الأوابد هي - كل  
مكر مفرّ مقبل مدبر مآ      كجلود صخر حطه السيل من عل  
له أبطالا ظبي وساقا نصاية      ولإرخاء سرحان وتقريب تتفل

وقال طرفة بن العبد يصف السفينة :

كان حُدوج للالكية غدوة      خلايا سفين بالنواصف من (دَد)  
عدّولة أو من سفين ابن يامن      يحور بها لللاح طورا ويهتدي  
يشق حباب الماء حيزومها بها      كما قسم التّربّ للفايل باليد

وقال أبو صعبرة البولاني :

فما نقطة من حبّ مزن تقاذقت      به جنبتا الجودي والليل داس  
فلما أقرته الصّاب تنفست      شمال لأمل مائه فهو فارس  
بأطيب من فيها وما ذقت طعمه ،      ولكنني فيما ترى العين فارس

وقال الأعشى :

ما روضة من رياض الحزن معشبة      خضراء جاد عليها مسبل هطل  
يضاحك الشمس منها كوكب شرق      مؤزر بعيم التبت مكتهل  
يوما بأطيب منها نشر رائحة      ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

وقال للتلّس جرير بن عبد العزى من قصيدة :

وكنا إذا الجيسار صغر خده      أقننا له من خده فتقوما  
لدى الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا      وما علّم الإنسان إلا ليعلمنا  
ولو غير أخوالى أرادوا قيصتى      جعلت لهم فوق العرائن ميسما  
وما كنت إلا مثل قاطع كفه      بكف له أخرى فأصبح أجذما  
فلما استقاد الكف بالكف لم يجد      له دركا في أن تبيّنا فأحجبا  
يداه أصابت هذه حنف هذه      فلم نجسد الأخرى عليها مقدما  
فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى      معانا لنايئة الشجاع لصما

## الفصل الرابع

### الشعراء الجاهليون وطبقاتهم

كل قبيلة كانت تحرص على أن يكون لها شاعر وقائد وخطيب ، ولكن الشاعر كان أكرم عليها وأحب إليها من هذين . فكانت إذا نبغ فيها شاعر تصنع الولائم وتقيم الأفراح وتهنئ القبائل . وذلك لأن الشعراء يقودون قومهم بقولهم ، وينضحون عنهم يوم حفرهم ، ويخلدون مآثرهم على الدهور ، وينقشون مفاخرهم في الصدور ، لا يبتغون على ذلك جزاء ولا صلة . على أن نفراً منهم تكبوا بالشمر فنض ذلك من أقدارهم ، وإن لم يفض من أشعارهم ، كالنابغة مع النعمان ، وزهير مع هرم بن سنان ، والأعشى مع الملوك والسوقة<sup>(١)</sup> . وكان لكل شاعر راوية يلزمه ملازمة التلميذ لمعلمه . ينهج طريقه وينشر شعره . وناقبو الشعراء قضوا عهد الثقافة والمراعاة في الرواية ، فكان امرؤ القيس راوية أبي دؤاد الإيادي ، وزهير راوية أوس بن حجر ، والأعشى راوية المسيب بن علس .

والشعراء باعتبار الزمان أربع طبقات : جاهليون ، وهم من عاشوا قبل الإسلام أو أدركوه ولم يقولوا فيه شيئاً يذكر ، كامرئ القيس وزهير وأميرة بن أبي الصلت وليبد . ومخضرمون ، وهم الذين اشتهروا بالشعر في الجاهلية والإسلام ، كالخنساء وحسان بن ثابت . وإسلاميون : وهم الناشئون في الإسلام الباقون على سلبقتهم في العربية ، وهم شعراء بني أمية . ومولدون : وهم الذين فسدت

---

(١) انتجع الأعشى أطراف البلاد بشعره حتى قصد ملوك السجم فأتابوه . وقد ذكر ذلك يقول :

وطوفت للسل أقاله عمان وحسى وأوريشلم  
أتيت النجاشي في أرضه وأرض النبيط وأرض السجم

فيهم ملكة اللسان فمالجوها بالصناعة وهم شعراء بني العباس .

وهم باعتبار الإجابة في رأى التقاد ثلاث طبقات : امرؤ القيس وزهير والنابعة ،  
وهم رجال الطبقة الأولى . والأعشى ولييد وطرفة ؛ وهم رجال الطبقة الثانية ؛  
وعنترة وحريد بن الصمة وأميرة بن أبي الصلت ، وهم رجال الطبقة الثالثة . وهذا  
التقسيم لا يخلو من ضلال وتحكم ، لاختلاف النوق وجهل القدماء بقواعد النقد .

## امرؤ القيس

### نشأته ومبانيه

هو الملك الضليل ذو القروح جندح بن حجر الكندي ، ولد أثيل  
للنبت كريم الأبوة والأمومة : فأبوه سليل الملوك من كندة ، وملك بني أسد .  
وأمه أخت كليب ومهمل ابني ربيعة . فشب في حجر النعيم ودرج في مهده  
السراوة ؛ إلا أنه نشأ نشأة الفؤاد بما قرأه من الراح وبفازل النساء ويمشق اللهو ويقول  
الشعر . ثم أطلق لنفسه العنان في المجون ، وقعد عما تسمو إليه النفوس الكبيرة  
فطرده أبوه ، وكان أصغر أولاده . فخرج في زمرة من أخلاط العرب وذؤبانهم  
يرتادون الرياض والغدُر . فإذا صادفوا غديراً خيموا عليه وطفقوا يلعبون ويمارقون  
وبعسدون ؛ حتى إذا غضب للماء وذوى العشب تحولوا عنه إلى غيره . ولم تزل تلك  
حاله حتى بلغ دمونه من أرض اليمن . وهناك أتاه نهي أبيه وقد قتله بنو أسد فيلة  
لاستبداده بهم وسوء سيرته فيهم . فقال امرؤ القيس : « ضيعني أبي صغيراً ،  
وحملني دمه كبيراً . لا يحو اليوم ولا سكر غداً . اليوم خمر ، وغداً أمر » ثم  
آلى ألا يأكل لحماً ولا يشرب خمرأ ولا يذعن بدهن حتى يقتل من بني أسد  
مائة ويحز نواصي مائة . فلما أجنه الليل شام برقاً فقال :

أرقت لبرق بليلى أهل يضيء سماء بأعلى الجبل

أتانى حديث فكذبته بأمر تززع منسه القل  
بقتل بنى أسد ربهم ألا كل شئ سواه جلال

فلما كان من الند استنجد أخواله بكرأ وتقلب وسار إلى بنى أسد فأوقع بهم.  
ثم طلبوا أن يفتلوه بمائة من وجوههم فأبوا ؛ فتخاذلت عنه بكر وتقلب . وطلبه  
المنذر بن ماء السماء لموجدة كانت فى نفسه على قومه ، وأمه كسرى أنوشروان  
بجيش من الأساورة ففرقت جموعه خوفا من المنذر . وسار هو فى القبائل يطلب  
النصر حتى سدت عليه وجوهه . فلجأ إلى السموم بن عاديا اليهودى فاستودعه  
دروعه وطلب منه كتابا إلى الحارث بن أبى شمر الفسافى ليوصله إلى قيصر . فلما  
بلغ قيصر الروم وهو يومئذ جستنيان أكرم وقادته وطمع أن يكون امرؤ القيس  
قوة له فى العرب ، يربص له الأمور ويضعف نفوذ الأكامرة . فجهزه بجيش  
وسيره ، ثم بدا له فأعاده . ونزلت بأمرى ، القيس علة جلدية فتفرح جسمه ونهرا  
لحمه . والمؤرخون يزعمون أنه لما فصل بالجنود دخل الطماح الأسدى على قيصر فوئى  
به وحمله عليه انتقاما منه لقتله أباه . فبعث إليه قيصر بحلة وشئ مسمومة وقد بلغ  
أهرة من بلاد الروم فأصابه ما أصابه . ويستدلون على ذلك بقوله :

لقد طمح الطماح من نحو أرضه ليلبسى من دانه ما تلبسا  
وبدلت قرحا دائما بعد محبة فيالك نعى قد تحولت أبوسا  
فلو أنها نفس تموت سوية ولكنها نفس تسقط أنسا

ولما غشيت مكرة الموت قل : رب جفنة متفجرة ، وطعنة مسخرة ؛  
وخطبة محبرة ، تبقى غدا بأهرة ! ثم مات ودفن بجبل عيب سنة ٥٦٠ م<sup>(١)</sup>

(١) من القل أن محمد التواريخ لوفيات الصراء والمطباء من الجاهليين فإن القوم لم  
يكنوا على شئ من العلم جاريخ ولا ينبره ، وإنما كانوا يؤرخون بموالاتهم للمروفة .

### شعره

نشأ امرؤ القيس نجدياً وإن كان يمنياً ، فترعرع بين بني أسد في صميم  
العرب الخلفى ، فسمع الأشعار ورواها ، وتطلعت نفسه إلى مساجلة الشعراء فقال  
الشعر على حداثة سنه . وكان جزل الألفاظ كثير الغريب جيد السبك سريع  
الخاطر بديع الخيال بليغ التشبيه . وقد فقت الأسفار والأخطار والمخالطة قريحته  
فاستنبط للعانى الجديدة ، ونهج للذاهب الحديثة . وارتسمت في شعره أحداث  
عصره فنسبت إليه لنبوغة وتفوقه وجاهه . فقالوا إنه أول من وقف على الأطلال  
وبكى على الديار وشبب بالنساء ، وشبهن بالمها والظباء ، وأجاد وصف الليل  
والخيل لإدمان ركوبه وكثرة أسفاره . وإنك لتجد في شعره صورة كاملة من  
حياته وخلقه . ففيه عزة الملوك ، وتبذل الصلوك ، وعريضة اللاجن ، وحمة  
الثائر ، وشكوى اللوتور ، ودلة الشريد . وهو باجماع الرواة زعيم الجاهليين  
للأسباب التي مرت بك .

### نماذج من شعره

من خير ما أثر عنه معلقته التي سارت في الناس مسير للثل . نظمها في حادثة  
وقعت له مع ابنة عمه عبيرة ، ثم استطرذ إلى وصف الليل ونمت القوس وذكر  
الجون والصيد . قال في مطلعها :

ققانك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحوئل  
وقدم مرثىء منها في النماذج . ومنها في الغزل :

أفاطم مهلاً بعض هذا التسدل	وإن كنت قد أزمعت هجرى فأجلى
أغرك منى أن حبك قاتلى	وأنت مها تأمرى القلب يفعل
وما ذرفت عينات إلا لتضربى	بسميك فى أعشار قلب مقتل
فإن كنت قد ساءت منى خليفة	فسلى ثيابى من ثيابك تنسل
نسلت عمايات الرجال عن الصبا	وليس قوادى عن هواها بمنسل



وقال من قصيدة يذكر فيها رحلته مع عمرو بن قبيصة إلى قيصر :  
 إذا قلت هذا صاحب قدر رضىته      وقرت به العيان بئلت آخرها  
 كذلك جدى : لأصاحب واحداً      من الناس إلا خائف وتغيرا  
 تذكرت أهل الصالحين وقد أتت      على جمل بنا الركاب وأعفرا  
 ولما بدت حوران والآل دونها      نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا  
 تقطع أسباب اللبانات والهوى      عشية غادرنا حماة وشيزرا  
 بكى صاحبي لما رأى الحرب دونه      وأيقن أنا لاحقان بقيصرا  
 قلت له : لا تبك عينك إنما      نحاول ملسكا أو نموت فنعذرا

## النايفة الذيباني

### نشأته ومبانيه

هو أبو أمامة زياد بن معاوية ، ولقب بالنايفة لأنه لم يقل الشعر حتى  
 احتنك ، ثم غيى الناس بشعر بذ به الشعراء وكان له منه مادة لا تنقطع  
 فشبهوه بالماء النافع . وهو أحد سراق بني ذيبان ومن ذوى مثاليهم ، ولكن  
 تسكبه بالشعر غرض من قدره وطأطأ من إشرافه . اتصل بالنعمان بن المنذر  
 فاستخلصه إليه وأسبغ نعمته عليه حتى أكل وشرب في آنية الذهب والفضة من  
 جوائزهم . وما زال النايفة يتبسط على النعيم ، ويتقيأ ظلال الخفض ، حتى درج  
 بالنميمة بينهما بعض حساده متذرعين إلى الوشاية بقصيدته في وصف المتجردة  
 زوج النعمان . فوقرت السعاية في نفس الملك فتوعده ، فتجا الشاعر بنفسه إلى  
 الشام ولاذ بعمرو بن الحارث الأصغر الفسافي ، فنزل منه في جناب مريع وأمن شامل ،

فزاد ذلك في حقد النعمان عليه لالتهجائه إلى أعدائه ومنافسيه . وما زال النابغة عند بني غسان يصلهم بالمر ويصلونه بالذهب حتى بلغه أن النعمان عليل ، فرجع يطلب الشفاعة إليه ، ويرجو البراءة عنده ، مقدماً بين يديه مع شفيحيه تلك القصائد الخالصة في الاعتذار ، فاستلّت ما في نفس الملك وأحلّته منه في المكان الأول ، وبقي في حال حسنة حتى أُرْعِشَ الكَبر وقبده المَرَمَ وسُمِّ الحِياة وقال :

المرء يأمل أن يعب ش وطول عيش قد يضره  
تقني بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره  
وتخسونه الأيام حتى لا يرى شيئاً يسره  
كم شامت بي لمن هلكت وقائسل : لله دره  
وكانت وفاته في السنة الثامنة عشرة قبل الهجرة .

### شعره

النابغة أحد فحول الشعراء الثلاثة الذين لا يشقُّ غبارهم ، ولا تلحق آثارهم ، وهم امرؤ القيس وهو وزهير . ويمتاز من صاحبيه ببديع كنياته ، ودقيق إشارته ، وصفاء ديباجته ، وقلة تكلفه ، وموافقة شعره لهُوى النفوس . ولهذا لم ينف الناس بشعر أحد في الجاهلية وصدر الإسلام بمثل ما غنوا به من شعره . وقد أجاد في وصف ليل الخائف ، واعتذار الجاني ، ومدح الممدوح ، وإجادة لا يتعلق بهادرك ، إلا أنه كان يُقَوِّى<sup>(١)</sup> في شعره ويقول : إن في شعري طاعة

(١) ألوى الشاعر إذا خالف بين القوافي برفع بيت وجر آخر . كقول النابغة في لصيدة المتجربة

مقط التصيب ولم ترد استغاثه فتناولته واحتسنا باليد  
بمخضب رخص مكات بناته ثم يكاد من القمالة يحد

لا أدريها ؛ حتى سمع مغنياً يغنى بأبيات من شعره فيها إقواء ، ففطن إلى ذلك ولم يعد إليه . وقد عرف شعراء العرب له تلك للسكانة السامية في الشعر فقدموه في عكاظ واحتكوا إليه في الخصومات الأدبية فكان يقضى بينهم موقوف القضاء مطاع الحكم .

### نموذج من شعره

قال من قصيدته في مدح عمرو بن الحارث الفسائي :

كليني لهم يا أمية ناصب	وليل أقاسيه بطيء الكواكب
وصدر أراح الليل عازباً هم	تضاعف فيه الحزن من كل جانب
على عمرو نعمة بعد نعمة	لوالده ليست بذات عقارب
وتقت له بالنصر إذ قيل قد غزت	كتاب من خسان غير أشائب
إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم	عصائب طير تهتدى بعصائب
فهم يتساقون النية بينهم	بأيديهم يعض رفاق المضارب
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم	بهن فلول من قراع الكتاب
لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم	من الجود ، والأحلام غير موازب
رفاق النعال طيب حُجزاتهم	يُحَيِّون بالرَّيحان يوم السباب
ولا يحسبون الخير لا شر بعده	ولا يحسبون الشرَّ ضربة لازب

## زهير بن أبي سلى

### نشأته وحياته

نشأ زهير بن أبي سلى بن ربيعة بن رباح المزني في أقارب أبيه من بني غطفان ، ولزم بشامة بن الغدير خال أبيه ، وكان رجلاً مقعداً عقيماً حكيماً قد اشتهر بسداد الرأي وجودة الشعر ووفرة المال ، فاخترف من شعره وتأثر بعلمه وحكمه ، وظهر ذلك جلياً فيما رصع به شعره من درر الحكمة . ولما مشى الحارث بن عوف وهرم ابن سنان المزيان بالصلح بين عبس وذبيان وأطلقاً نار الحرب باحتمالهما ديات القتل عن الحيين ، وقد بلغت ثلاثة آلاف بعير ، استغزته هذه الأريحية فذبحهما بمعلقته . ثم تابع مدحه لهرم بن سنان وأطنب في ذلك حتى أقسم هرم ألا يمدحه زهير ولا يسأله ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرساً . فاستحيا زهير من كثرة ما كان يقبل منه ، وأصبح إذا رآه في ملائمة الناس قال عمو أصباحاً إلا هرمأ ، وخيركم . استثنيت . وقال عمر بن الخطاب لبعض أولاد هرم : أشدنى بعض مدائح زهير في أبيك ، فأنشده . فقال عمر : إنه كان ليحسن فيكم القول . فقال : والله ونحن كنا نحسن له المطاء . فقال عمر : قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم وكان زهير على جدته رحب الأناة راجح الحصة شديد الرأي شديد الورع مؤثراً للسلم مؤمناً بالله واليوم الآخر . يشهد بذلك قوله في معلقته :

فلا تسكتمن الله ما في صدوركم ليخفى وهما بؤسكم الله يعلم  
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينقم  
وقد عمر زهير حتى نيف على المائة كما يؤخذ من قوله :

بدالى أنى عشت تسعين حجة تباعاً وعشراً عشتاً وثمانياً  
وتوفى قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة وقد أسلم ولده كعب وبجير .

### شعره

بيت زهير عريق في الشعرية : فأبوه وخاله ، وأختاه سلى والخنساء ،  
وولداه كعب وبجير ، من الشعراء اللذكوريين ، وذلك ما لم يكن لغيره . وهو كما  
علمت أحد الثلاثة الفحول . وفي الناس من يفضله على امرئ القيس والنابغة ،  
لأن شعره يمتاز بصدق اللمجة ، وخلوه من الخوشى<sup>١</sup> والتعقيد ، وبعده عن سخر  
القول وهجر الحديث ، وجمعه الكثير من المعاني في قليل من الألفاظ . وهو واحد  
من الشعراء في إجابة المدح وضرب المثل وإرسال الحكمة . وزهير من عبيد الشعر  
الذين تملأوه وتفقوه . وله قصائد تعرف بالحوليات يزعمون أنه كان ينظمها  
في أربعة أشهر ويهذبها في أربعة ، ثم يعرضها على خاصة الشعراء في أربعة ،  
فلا ينشدوها الناس إلا بعد حول .

### تحليل موزن لقطره

موضوع معلقته كما علمت مدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان المرثيين  
على سميها بالصلح بين عبس وذبيان . ولكنه افتتحها على عادة الجاهليين بالوقوف  
على أطلال الأحبة وتحيتها ونقشها الذكريات من خلال آثارها ، فوقف  
على الدمن البكم الدوارس من ديار أم<sup>٢</sup> أو في بعد أن أتى على عهده بها عشرون  
سنة فلم يعرفها إلا بعد مشقة :

فلما عرفت الدار قلت لربما ألا عم صبا حاكأيا الربيع واسلم

ثم تمثلت في خاطره ظلمات الجباب متحولات تغشيهن سدول صفيقة  
النسج ، وكله وردية الخواشي ، فيتبعهن ببصره الحزين وقلبه الواله ، فيصف  
ما سلكه من طرُق وما نزلته من منازل حتى يبلغن المنزل الذي أردنه ،

وما أجل أسلوبه في استحضار هذه الذكرى ، حتى لكانها مائلة للعيون  
فلو تبصّر صاحبه قليلا لراها :

تبصّر خليل هل ترى من ظمائن      تحمّلن (بالعلاء) من فوق (جرثم)  
تلون بأعماط عتساق وكلة      وراء حواشيها مشاكهة الدم  
بكرن بكورا واستعرون بسعرة      فمن لوادى الرس كاليد فى القم  
وفيهن ملكى للصديق ومنظر      أنيق لعين الناظر المتوسم  
فلما وردن للنساء زرقا جمامه      وضعن عصي الحاضر المتخيم  
ثم انتقل على طريقة الاقتضاب إلى الرجلين اللذين حقنا بالصلح دماء  
العشيرة فقال لهما :

يمينا كليم السيدان وجدتما      على كل حال من سعييل ومبرم  
تداركتما عسا وذبيان بعد ما      تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم  
وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا      بمال ومعروف من الأمر نسلم  
فأصبح يجرى فيهم من تلادكم      مفانم شقى من إفال المزئم  
ثم قطع اللدح مؤقتا ليدعوا الخصوم إلى السلم فى لبن ورفق ، ولكنه ذكر  
الحرب فاشتد وأنكر ما نجر على الناس من أوزار وأضرار :

وما الحرب إلا ما علمتم ودقتم      وما هو عنها بالحديث المرحم  
مق تبعضوها تبعضوها ذمية      وتضر إذا خريتموها فتضرم  
فتحرككم عرك الرما بظالمها      وتلقح كشافا ثم تحمل فتثم  
فتنل لكم ما لا تنل لأهلها      قرى بالعراق من قفيز ودرم  
ثم عاد إلى رجلية قضى فى مدحهما على ما رأيا من صدع لم يحدثاه، ووصف  
هم ابن ضمضم بالجنابة وعزمه عليها :

وكان طوى كشعاً على مستكنة      فلا هو أبداه ولم يتجمع  
وقال ساقض حاجتي ثم اتقى      عدوى بألف من ورائي ملجم  
فشد ولم تفرع بيوت كثيرة      لدى حيث ألفت رحلها لم قسم  
لدى أسد شاكي السلاح مقذفٍ      له لبسداً غلفاره لم تقلم  
رعوا ما رعو من ظمئهم ثم أوردوا      غماراً تسيل بالرماح وبالدم  
فقضوا منايا بينهم ثم أصدروا      إلى كلاب مستويزيل متوخم  
ثم غلبت عليه نزعتة الإنسانية وطبيعته الفلسفية فوق موقف الحكيم بترم  
بالحياة وبفكر في الموت ويعط بالتجارب :

رأيت للناس خبط عشواء من تصب      تمته ومن تمخلى بهم فيهرم  
ومن هاب أسباب الناسا ينلنه      ولو نال أسباب السماء يسلم  
ومن يحمل المعروف من دون عرضه      يفره ، ومن لا يتقى الشتم يشتم  
ومن يحمل المعروف في غير أهله      يمسد حده ذماً عليه ويدم  
ومها تكن عند امرئ من خليفة      وإن خالها تخنى على الناس تعلم  
وكائن ترى من معجب لك شخصه      زيادته أو نقصه في التكلم  
لسان الفتى نصف ، ونصف فؤاده      فلم يبق إلا صورة اللحم والدم  
وإن سفاه الشيخ لا حلم بده      وإن الفتى بعد السفاهة يحلم

## الأعشى

### تأثر وحياته

هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل أحد أمراء الشعر المتكسبين به القائلين في أكثر ضروبه . نشأ باليمامة في قرية تسمى منفوحة ، وثقف الشعر من طريق الرواية على خاله المسيب بن علس ، حتى إذا حصف عقله وارتاض لسانه ، انتجع أطراف البلاد وغشى أبواب الملوك بمدحهم ويستجديهم . وقد على بن عبد المدان ملك نجران فأكرموا ثوابه وأجزلوا عطائه ، واكتسب من خلاطهم إدمان العقار ، والتأثر ببعض الأفكار ، فظهر شيء من ذلك في شعره ولا سيما وصف الخمر . وطال عمر الأعشى حتى ابيضت عيناه من الكبر . وسمع بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم فصنع في مدحه قصيدة وعزم الرحلة إليه بالحجاز ، فأوجس القرشيون خيفة من إسلامه : وقال لهم أبو سفيان : والله لئن أتى محمداً أو اتبعه كَيْفَرُ مَنْ عَلَيْكُمْ نيران العرب بشعره ، فاجمعوا له مائة من الإبل ، ففعلوا ، وأخذها الأعشى ورجع ؛ حتى إذا دنا من اليمامة سقط من فوق ناقته فدقت عنقه .

### شعره

من الرواة وذوى البصر بالشعر من يحمل الأعشى رابعاً لأمريء القيس وزهير والنايفة . ويقولون : أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنايفة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب . وهذا وإن كان موضعاً للخلاف يدل على مكانة الرجل . وفي الحق أنك تجد في شعره مالا تجد في شعر غيره من رونق الحسن ، وطلاوة الأسلوب ، والبراعة في وصف الخمر والإجادة مع الطول . . . . . وكان لشعره جلبة في السمع وروعة في النفس وأثر في الناس ، فسمى لذلك صنّاعة



العرب . ولقد أعز بشعره وأذل ؛ وقصته مع المخلوق<sup>(١)</sup> ، وفرقى القرشيين من إسلامه يدلان على ذلك .

### نموذج من شعره

من 'جيد' شعره قصيدته اللامية التي عدها بعضهم من اللغات ومطلعها :  
ودّع هريرة إن الـركب مرّ محلّ وهل تطيق وداعاً أيها الرجل ؟  
ومنها :

أبلغ يزيد بنى شيبان مألّكة أما ثبتّ أما تنفكّ تأنكل  
أست متنبهاً عن نحت أنثتنا ولست ضايرها ما أطت الإبل  
كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرّها وأوهى قرنه الوعل  
لقد زعمت بآنا لا نقاتلكم إنا لأمثالك يا قوم ما قتل  
قالوا الطراد ، فقلنا تلك عادتنا ، أو تنزلون فلنا معشر نزل

ومن قصيدته التي أحدها المدح الرسول قوله :

ألم تفتنّ عيناك ليلة أرميسدا ويتّ كما بات السليم مسهداً  
وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مهدداً  
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن إذا أصلمت كفّاي عاد فأفسدا  
شباب وشيباً وافتقار وثروة فله هذا الدهر كيف تردداً

(١) المخلوق رجل من مغوري العرب وقراتهم ، كان أبا لثمانى بنات هو الس لم يتقدم لخطبتهن أحد لكان أيمن من الخول والفقير . فاقترحت عليه امرأته أن يضيف الأضي عليه بعيد بذكره في شعره ليحب . فأخاله ونمر له لالة حل فقره ، فدحه الأضي بقصيدة بليغة مرثية منها في التنازع واللعن كما في مخطّ فلم يحسن ماء حتى لم يبق جارية من بناته إلا وهي زوج لسيد كريم .

ومنها :

قَالَيْتَ لَا أَرَى لَهَا مِنْ كَلَاةٍ      وَلَا مِنْ وَجَى حَتَّى تَلَاقَى مَحْدَا  
مَتَى مَا تَلَاخِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ      تُرَاحِي وَتَلْقَى مِنْ فَوَاضِلِهِ نَدَى  
نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرُونَ وَذَكَرَهُ      أَغَارَ لَعْرَى فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدَا  
لَهُ صِدَقَاتٌ مَا تُثَبُّ وَنَائِلٌ      وَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ بِمَنْعِهِ غَدَا

### عنزة العبسي

#### نَسَاءٌ وَمَبَاتٌ

هو أبو الفلّس عنزة بن عمرو بن شداد العبسي ، نَجَلَهُ أب شريف وأم حبشية تدعى زُبَيْبَةَ ، فهو من هُجَنَاءِ الْعَرَبِ وَأَخْرَبَتِهِمْ ، فَانْتَفَى مِنْهُ أَبُوهُ مِنْذُ وَلَادَتِهِ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي أَبْنَاءِ الْإِمَاءِ ، وَلَكِنَّهُ نَزَعَ بِنَفْسِهِ عَنْ حَالِ الْعَبُودِيَّةِ ، وَأَخَذَ يَرُوضُ نَفْسَهُ عَلَى الطَّرَادِ وَالْفُرُوسِيَّةِ حَتَّى غَدِمَ سُمُرَ حَرْبٍ وَقَائِدَ كَتِيبَةٍ . وَاتَّفَقَ أَنْ يَبْعَثَ أَحْيَاءَ الْعَرَبِ أَغَارُوا عَلَى عَبَسٍ فَاسْتَأْفَوْا إِيَّاهُمْ ، وَتَبِعَهُمُ الْعَبْسِيُّونَ وَعَنْزَةُ فِيهِمْ . فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : كَرٌّ يَا عَنْزَةُ . فَأَجَابَهُ وَهُوَ يَحْقِدُ عَلَيْهِ اسْتِعْبَادَهُ إِيَّاهُ : أَلْعَبْدُ لَا يَحْسِنُ الْكَرْ ؛ وَإِنَّمَا يَحْسِنُ الْخَلْبَ وَالضَّرَّ . فَقَالَ : كَرٌّ وَأَنْتَ حَرٌّ . فَكَرَّ وَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى هَزَمَ لِلْغَيْرِينَ وَاسْتَرْجَعَ الْإِبِلَ ، فَاسْتَلْحَقَهُ أَبُوهُ . وَأَخَذَ اسْمَهُ مِنْذُ يَوْمِئِذٍ سِيرُ وَذَكَرَهُ يَطِيرُ حَتَّى أَصْبَحَ مُضْرِبَ الْمَثَلِ فِي الْإِقْدَامِ وَالْجُرْأَةِ . وَلَهُ فِي تَعْلِيلِ شَهْرَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ رَأْيٌ حَصِيفٌ لَا بَأْسَ بِذِكْرِهِ . قَالَ لَهُ قَائِلٌ : أَنْتَ أَشْجَعُ النَّاسِ وَأَشَدَّهُمْ ، فَقَالَ لَهُ : لَا . قَالَ فَمَاذَا شَاعَ لَكَ هَذَا فِي النَّاسِ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَقْدِمُ إِذَا رَأَيْتُ الْإِقْدَامَ عَزَمًا ، وَأُحْجِمُ إِذَا رَأَيْتُ الْإِحْجَامَ حَزَمًا ، وَلَا أَدْخُلُ مَوْضِعًا لَا أَرَى لِي مِنْهُ مَخْرَجًا . وَكُنْتُ أَبْتَعِدُ الضَّعِيفَ الْجَبَانَ فَأَضْرِبُهُ الضَّرْبَةَ الْمَهَالَةَ يَطِيرُ لَهَا قَلْبُ الشَّجَاعِ قَائِمًا عَلَيْهِ فَأَقْتُلُهُ .

قاد عنزة كئائب عيس في حرب داحس والغبراء فأحسن القيادة ، وبلغ  
أوج السيادة . ثم تنفس به العمر حتى وهن عظمه ورق جلده وقتل حوالى  
سنة ٦١٥ م .

### شعره

لم يرو عن عنزة في حال رفقة من الشعر جيد ولا ردى . لأن العبودية  
ترين على القلوب وتطفى مضرام المواطف ، فلما استلحقه أبوه وحالفه الفوز في حربه ،  
واستولى حب عبلة على قلبه ، جاش الشعر في صدره وجرى على لسانه في الفخر  
والحرب والحب ، فجاء بالمعجب للطرب . تجدد لشعره حلاوة النزل ومتانة الفخر ،  
إلا أن أكثره مدخول النسب لا يمت<sup>١</sup> إليه إلا بنشابه الأسلوب والفرض . فن  
شعره الذى لا دخل في أصله معلقته الرقيقة الفخمة التى نظمها دفاعاً عن شاعريته  
وإثباتاً لقصاحته : فقد حدثوا أن رجلاً من عيس سابه فذكر سواده وأمه . فقال  
له عنزة : « إني لأحضر البأس ، وأوفى المغم ، وأعف عند المسألة ، وأجود بما  
ملك يدي ، وأفضل الخطة الصماء » . فقال له الساب : « أنا أشعر منك .  
فقال : ستعلم ذلك . ثم غدا على الناس بمذهبه المشهورة فقطع خصمه ونقض حكه .

### نموذج من شعره

قال من معلقته :

ولقد شربت من اللدامة بعدما	رككد المهاجر بالمشوف الملم
فإذا سكرت فإني مستهلك	مالى ، وعرضى وافر لم يكلم
وإذا صحت فلا أقصر عن ندى	وكا علت شمائلى وتكرمتى
ومدجج كره للكافة نزاله	لا تمنى هرباً ولا مستسلم
جادت يداى له بعاجل طعنة	بمئق الكعوب مقوم

فشككت بلرمح الأسم ثيابه      ليس الكريم على القنا بمحرّم  
فتركته جزر السباع ينشئه      يقضن حسن بنانه والمعصم  
لما رأيتُ القوم أقبلَ بهم      يتذامرون كورتُ غيرَ مذمّم  
بدعون عنتر والرماح كأنها      أشطان بثر في كبات الأدهم  
ما زلت أرميهم بثغرة نحره      ولبانه حتى تسربل بالدم  
فازور من وقع القنا بلبانه      وشكا إلى بكرة وتحننهم  
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى      وكان لو علم الكلام مكلى  
ولقد شفى نفسى وأبرا سقمها      قيل الفوارس وبك عنتر أقدم  
والخيل تقتحم الفبار عوابها      ما بين شيطرة وأجرد شيطم  
وقال أيضاً :

بكرت تخوفنى المحتوف كأننى      أصبحت عن غرض الخوف بمعزل  
فأجبتها إن المنية منهل      لا بد أن أُنقى بكأس المنهل  
فأفنى حياءك لا أبالك واعلى      أنى امرؤ ساموت إن لم أقتل  
إن المنية لو تمثل مثلت      مثلى إذا نزلوا بضنك المنزل  
إنى امرؤ من خير عبس منصباً      شطرى ، وأحى سائرى بالمنفصل  
وإذا السكتية أحجمت وتلاحظت      ألفت خيراً من ميم مخول  
والخيل تعلم والفوارس أننى      فرقت جمعهم بضربة فيصل  
والخيل ساهمة الوجوه كأنما      نسقى فوارسها قهيج المنفل  
ولقد أيت على الطوى وأظله      حتى أنال به كريم المأكّل

## طرفة بن العبد

### نشأته وميله

نشأ طرفة بن العبد بن سفيان البكري ينحدر من أبيه ، فكفله أعمامه . فأهملوا تربيته وأساءوا أدبه . فشب ميالاً إلى الدعة والتبطل ، عاكفاً على اللهو والخر ، مولعاً بالوقوع في أعراض الناس . وقد دعاه نزع الشباب أن يهجو الملك عمرو بن هند على اضطرابه إلى رصائه ، واقتضاه إلى حباته . فاحتقدها عليه عمرو وأضمر له سوء . حتى إذا جاءه مع خاله التلمس يستجديان فضله - وكان التلمس قد جهأ أيضاً - هش لفقائهما يريد أن يؤثمنهما ، وأمر لكل منهما بصلة وأحالهما بكتابين على عامله بالبحرين ليستوفياها منه . فلما كانا في طريقهما إلى العامل ، داخل التلمس من الصحيفة وسواس وهم ، فالتس من يقرأها له فإذا فيها : « باسمك اللهم ، من عمرو بن هند إلى المكعب ، إذا أتاك كتابي هذا مع التلمس فاقطع يديه ورجليه ثم ادفنه حياً » فالتى الصحيفة في النهر ، ثم قال لطرفة : معك والله مثلها . فقال : كلا . ما كان ليكتب لي مثل ذلك . وأخذ وجهه حتى أتى العامل بالبحرين فقتله وعمره ست وعشرون سنة <sup>(١)</sup> .

### شعره

كان طرفة منذ الحداثة متوقد الذهن ، مضطرب الشعور ، حاد البادرة ؛ فنبغ في الشعر وعُد من فحول وهو دون العشرين . ولكنه كعمرو بن كلثوم لم يشتهر إلا بمعلقاته . ولعله كان مكثراً وجهل الرواة أكثر شعره . عتاز طرفة بصدق

(١) بدليل قول أخته الخرفق تربيته :

عددنا له ستاً وعشرين حجة      لما توفيها إستوى سيداً علماً  
شما به لما رحوا لآبائه      على خير حل لا وليدا ولا فحماً

الوصف ، والبعد عن الفلوقية ، إلا أنه كان معقد التركيب مبهم المعنى غريب اللفظ ، وتجدد ذلك كله وانحما في معلقته التي ابتدأها بالفرز ، واستطرد إلى وصف ناقته فوصفها بخمسة وثلاثين بيتاً من عيون الشعر ومبتكره ، ثم أمعن بعد ذلك في الفخر بنفسه ، وهي من أمتن الشعر وأبلغه ، وهالك تحليلها بإيجاز .

### تحليل موجز لمعلقته

ابتدأها طرفة بذكر أطلال ( خولة ) وتشبيهها ببقية الوشم في ظاهر اليد ؛ ثم وقف بها وقفه قصيرة تخيل فيها قباب الحبيبة غداة ظعنها فوصفها وصفاً موجزاً ، ثم نسبها هي نعتاً جميلاً حاج في صدره المم قنبجا من تذكاره واحتضاره على ناقته وصف أعضائها وأوضاعها في إسهاب وإغراب وإجادة :

وإني لأمضي المم عند احتضاره      بهوجاء مرقال تروح وتفتدى  
تُبارى عتاقاً ناجيات ، وأنبتت      وظليفاً وظليفاً فوق موزٍ مُعَبَّد  
مُهايئةً المثنون مُوجدةً القرا      بعيدة وخد الرّحل موارة اليد  
وأتلعُ نهاضاً إذا صعدت به      كسكّان بُوصيٍّ بدجلة مُصنَد

ثم يفرغ لنفسه فيصفها باللهو في السلم وبالخطاطرة في الحرب فيقول :

لماذا القوم قالوا : من فتى ؟ خلت أنى      غنيت فلم أكسل ولم أتبدل  
ولست بخلّال التلاع مخافة      ولكن متى يسترفد القوم أرفد  
فإن تبغى في حلقة القوم تلقى      وإن تلمسنى في الحوانيت تصطد  
وما زال تشرابي الخمر والذئ      ويبى وإنفاقى طريقى ومُتَلَدى  
ن أن تحامتنى العشيرة كلها      وأفردت أفراد البعير للمبد  
رأيت بنى غبراء لا يشكرونى      ولا أهل هذاك الطراف المدد

ألا أيها الزاجري أحصر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت تُخلى؟  
فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي  
ثم يعلن في صراحة وصدق أن غايته من الدنيا إنما هي الخمر والحب والنجدة؛  
ولولا هذه اللذات الثلاث ما رغب الحياة ولا رهب الموت .

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتي لعمرك لم أحفل متى قام عودي  
فهن سهيق المساذلات بشربة كُـمِيتٍ متى ما تُـعَلِّ بالماء تزبد  
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب يبهكة تحت الخباء المعمد  
وكرّى إذا نادى المضاف مُـجَنَّبًا كسيد النضى ذى السورة المتورد

ثم بدعوه استمجاله اللذة ومبادرته اللهو وإتلافه المال واقتبحامه الخطر انتهازاً  
لفرصة الحياة واستمتاعاً بقصر العمر إلى نوع من الفلسفة في البخل والموت فيقول :

أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوي في البطالة مفسد  
أرى للموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش للتشدد  
أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة وما تنقص الأيام والدهرُ ينفد  
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتي لكما الطول المرخي وثنياء باليد  
متى ما يشأ يوماً يقوده لحنه ومن بك في حبل النية ينقد  
ويمضي الشاعر بعد ذلك زارياً على ابن عمه ، شاكياً من ظلم قومه ،  
مفتخراً بحسن بلائه وقوة عزمه :

فألى أرائي وابن عمي مالكا متى أذن منه يتأ مني ويعد  
وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحمام المهتد  
أرى للموت أعداد النفوس ولا أرى بعيداً غداً ، ما أقرب اليوم من غدا

أنا الرجل الضربُ الذي تعرفونه      خشاشُ كُرأس الحية المتوقد  
إذا ابتدر القوم السلاح وجدتني      منيعاً إذا بليت بقائمه يدي  
فلو كنتُ وغلاً في الرجال لضررتي      عداوةُ ذي الأصحاب والمتوحد  
ولسكن نقي الرجال جراتي      عليهم وإقداي وصدقي ومحتدي  
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً      وبأتيك بالأخبار من لم تزود

### عمرو بن كلثوم

#### نسأته ومبائه

نشأ عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي بالجزيرة الفراتية بين ذوى الحسب  
اللباب من تغلب ، وشبَّ على خلال العظام عزيز النفس أبيض الضيم ذرب اللسان .  
وما كاد يناهز الخامسة عشرة من عمره حتى كان طريقة قومه وقائد قبيلته . وكان  
قطباً لرحا الحروب التي دارت بين بكر وتغلب من جرأء البسوس وأبل فيها البلاء  
الحسن حتى تصالح الحيان لآخر مرة على يد عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة من  
آل المنذر . على أن أمدَّ ذاك الصالح لم يطل ، فاشتقت العصا بين وجوههم  
ونزَّت في رءوسهم الحفيظة ، وتلاحوا في محاسن عمرو بن هند ، فقام الحارث  
ابن حِلزة شاعر بكر وألقى معلقته المشهورة فعطفت هوى الملك إلى قومه ، وكانت  
صلحه مع التغليبيين . فانصرف ابن كلثوم موغراً الصدر على ابن هند . وحدث  
بعد ذلك أن الملك قال ليمض خاصته : أنعلمون أحداً من العرب تأنف أمه  
من خدمة أُمي ؟ فقالوا لا نعلمها إلا ليلي أم عمرو بن كلثوم ، فإن أباهما مهلهل  
ابن ربيعة ، وعمها كليب وائل ، وبعيلها كلثوم بن عتاب فارس العرب ،  
وانها عمرو بن كلثوم سيد قومه . فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيه  
وبسأله أن يزير أمه أمه . فأقبل عمرو وأمّه من الجزيرة في جماعة من تغلب



وأمر الملك برواقه فضرب ما بين الخيرة والقرات ، وأرسل إلى وجوه مملكته فحضروا . وكان عمرو بن هند قد أغرى أمه أن تستخدم ليلي بنت ميهل في قضاء أمر . فلما دخلت عليها الرواق وأطمأن بها المجلس ، قالت لها : ناوليني الطبق . فأجابتها : لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها . فلما ألحت صاحبت ليلي : واذلاء ! فسمعها ولدها فتأرب به الغضب وقتل ابن هند في مجلسه . ثم عاد توأ إلى الجزيرة فأنشد قصيدته المعلقة . استهلها بذكر الخمر والغزل ، ثم وصف فيها أمره مع عمرو ابن هند ، واقتخر بنفسه وقومه . ولقد تجاوبتها المجمع وتناقلتها الألسنة وأكثر بنو تغلب من إنشادها وروايتها حتى قال فيهم الشاعر .

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة قصيدةً قالها عمرو بن كلثوم  
يفخرون بها مذ كان أولهم بالرجال لشعر غير مستوم !  
وكانت وفاته في أواخر القرن السادس للميلاد .

### شعره

عمرو بن كلثوم شاعر عثم البدوية ، رائق الأسلوب ، نبيل الغرض ؛ إلا أنه مُقلٌّ . لم يتغلب في فنون الشعر فلم يرخ العنان لسليقته ، ولم يطلع سلطان قريحته . وكل ما روى عنه معلقته وبعض مقطوعات لا تخرج عن موضوعها .

### نموذج من شعره

قال من معلقته :

أبا هند فلا تمجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا  
بأنا نورد الرايات بيضا ونصبرهن حراً قد رويننا  
ورثنا المجد عن عليا معد فطاعن دونه حتى يبيننا

كان سيوفنا منا ومنهم	مخاريقٌ بأيدي لا عيينا
ألا لا يجهلن أحد علينا	فنجعل فوق جهل الجاهلينا
بأى مشيئة عمرو بن هند	تطيع بنا الوشاة وتزدرينا ؟
فإن قناتنا يا عمرو أغيت	على الأعداء قبلك أن تلينا
وقد علم القبائل من معدة	إذا قُببٌ بأبطحها بُنيننا
بأنا المطعمون إذا قدرنا	وأنا المهلكون إذا ابتلينا
وأنا اللانعون لما أردنا	وأنا النازلون بحيث شينا
وأنا التاركون إذا سخطنا	وأنا الآخذون إذا رضينا
ونشرب إن وردنا للامصفوا	ويشرب غيرنا كدراً وطننا
إذا ما الملك سام الناس خسفاً	أبيننا أن نقر الخسف فينا
لنا الدنيا ومن أمسى عليها	ونبطش حين نبطش قادرينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا	وماء البحر نملأه سفينا
إذا بلغ النظام لنا صبي	نمخر له الجبابر ساجدينا

## الحارث بن حلزة

### نسأته ومبائه

هو أبو الظليم الحارث بن حلزة اليشكري البكري . كان في بني بكر مكان عمرو بن كلثوم في بني تغلب . وقد اشتهر مثله بمعلقته التي يقال إنه ارتجلها غفر الساعة في حضرة الملك عمرو بن هند يستدنى بها عطفه ، ويتضح فيها عن قومه . وكان من أمرها أن بكرأ وتغلب بعد أن وضعوا أسلحتهم أمام عمرو بن هند

على أن يأخذ من الفريقين رهائن ليقيدهما للبغى الباغى ، تراشق الحَيَّان  
بأنهم<sup>(١)</sup> ورمت تغلب بكرة بالنذر ، وتدافع الفريقان إلى عمرو بن هند وتلاحوا  
أمامه ، وكان هواء مع التغلبين . فاستفز ذلك الحارث بن حلزة — وكان حاضراً —  
فابتدأ قصيدته ابتداءها وأنشدها وهو متكئ على قومه . فيقولون إن كفه اقتطعت  
وهو لا يشعر من الغضب . وقد أجاد في مدح الملك حتى استولى على رأيه ، ومال  
به إلى حزبه ، واستل من قلبه سخيمة غرسها تهوور النعمان بن هرم زعيم قومه .  
وعُمر الحارث طويلاً حتى زعم الأصمعي أنه أنشد هذه القصيدة وله من العمر  
خمس وثلاثون ومائة سنة .

### شعره

كل ما بين أيدينا من شعره معلقته وبعض مقطوعات يسيرة لا تملل شهرته  
ولا تعين طبعته . فهو في هذا كما قلنا أشبه بطرفة وعمرو بن كلثوم . على أن  
مطلوكة بلغت مكان الإعجاب لإحكام نسجها وتشعب فنونها ، وارتجالها في موقف  
واحد . وقد قال أبو عمرو الشيباني . « لو قالها في حول لم يلم » ويقولون . إنه  
أنشدها من وراء ستور لبرصه ، فأمر الملك برفعها استحصاناً لها وتكرمة له .  
بدأها بالفرز ثم وصف ناقته وغير التغلبين مواقع ظهورها عليهم فيها ، وأتى على  
كثير من أيام العرب ، ومدح عمرو بن هند ، واقتخر بقومه وحسن بلائهم عنده .

### نموذج من شعره

قال من معلقته :

إن إخواننا الأرقام يعلمون علينا في قِيَلهم إخفاء

(١) وسبب هذه التهمة أن الملك بحث في بعض حاجه يركب من تغلب فهلكوا . فادعت  
تغلب أن قِيَلهم قتلوا على ماء لبكر فقاموا عنه وحلوم على اليداء فأتوا عطشاً . وعارضت  
بكر بأنهم سقوهم وحموم الطريق فضاوا وهلكوا .

يخلطون البريء ممّا بذى الله : ب ولا ينفع الخلق الخلاء  
 أيها الناطق للرقش عفاً عند عمرو وهل لذك بقاء ؟  
 لا تخلفنا على غراتك إنا قبل ما قد وثى بنا الأعداء  
 فبقينا على الشناعة تنمب لنا حصون وعزة قساء  
 ملك مفسط وأفضل من : شى ومن دون ما لديه الثناء  
 أيما خطبة أردتم فأدروها إيلنا تسعى بها الأملاء  
 فتركوا الطيخ والتعاشي وإما تعايشوا في التعاشي الداء  
 واذكروا حلف ذى الجواز وما قد م فيه اليهود والكفلاء  
 واعلموا أننا وإلا حكم فيه ما اشتدنا يوم اختلفنا سواء  
 أعلينا جناح كندة أن يذ نم غازيهم ومنا الجزاء ؟  
 ومنها في وصف التائب للرحيل :  
 أجمعوا أمرم عشاء فلنا أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء  
 من مناد ومن مجيب ومن تص مال خيل خلال ذاك رغاء  
 ومنها :

لا يقيم العزيز بالبلد السم ل ولا ينفع الذليل النجاء  
 ليس ينجى موائلاً من حذار رأس طود وحرّة رجلاء  
 لبيد بن ربيعة

### نشأته ومياله

هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري . نشأ ربيب الندى والبأس . فأبوه  
 ربيعة المعتزّين ، وعمه ملاعب الأسمّة فارس مصر . وسبب قوله الشعر أن الربيع

ابن زياد أمير عيس ، وهم أخواله ، دخل على النعمان بن النضر فذكر بالسوء  
 بنى عامر وهم قومه . فلما دخل العامريون على الملك وعلى رأسهم مُلاعب الأسفة  
 غض منهم ، وخرى وجهه عنهم ، فقال ذلك من بنى عامر وشق عليهم . وكان ليبد  
 يومئذ صغيراً فسألهم أن يشركوه في أمرهم فاستصغروه . ولما ألح في المسألة أجابوه :  
 فوعدهم أن ينتقم لهم بهجاء الربيع حتى يحول بينه وبين معادمة الملك . فقالوا له :  
 إنا نبولك . فقال : وما ذاك ؟ قالوا : نشتم هذه البقرة . وأمامهم بقرة دقيقة القضبان ،  
 قليلة الورق ، لا صقة بالأرض ، تدعى التربة . فقال : « هذه التربة لا تذكي ناراً  
 ولا تؤهل داراً ، ولا تسر جاراً ؛ عودها ضئيل ، وخيرها قليل ، وفرعها قليل  
 أقبح البقول مرعى ، وأقصرها فرعاً ، وأشدّها قلعا » فأذنوا له فبهجاء بأرجوزة  
 مُقذّعة أولها : مهلاً أييت اللعن لا تأكل معه : الخ .

فنفّر منه الملك ومقتته وطرده وأكرم العامريين وأدناهم . قالوا وكان هذا أول  
 ما اشتهر به ليبد . ثم أخذ يقول الشعر قصاره وطواله ، حتى ظهر الإسلام فأقبل  
 على الرسول في وفد من قومه فأسلم ، وحفظ القرآن وهجر الشعر ، حتى زعموا أنه  
 لم يقل بعد الإسلام إلا بيتاً واحداً وهو :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلى      حتى لبست من الإسلام سر بالاً  
 ولذلك عدّ جاهلياً وإن عثّر في الإسلام طويلاً .

ولما مُصرت الكوفة ذهب إليها في خلافة عمر وأقام بها حتى توفي في أول  
 خلافة معاوية سنة ٤١ من الهجرة . وقد عاش كما قيل خمسا وأربعين سنة ومائة  
 حتى قال بحق :

ولقد شئتُ من الحياة وطولها      وسؤالِ هذا الناس كيف ليبد

نعره

كان ليبد ضافى الجود ، وافر الحب ، نبيل النفس ، جم اللوذة ، مُشيع

القلب . فسالت أخلاقه وعواطفه في شعره ، وتمثلت معاني الثبل والكرم في نغمه ؛ وجاء نظمه بنغم العبارة ، منضد اللفظ ، قليل الحشو ، مزداناً بالحكمة العالية والورعة الحسنة والكلم النوايح . ولعله أحسن الجاهليين تصرفاً في الرثاء وأقدرهم على تصوير عواطف الحزون الصابر بلفظ رائق وأسلوب مؤثر .

وأما معلقته فهي قوية الألفاظ متينة الأسلوب ، تصور حياة البادية وأخلاق البدو ، وتصف هوى النفوس الماجة ومطمح القلوب الكبيرة .

بدأها بوصف الطلول وذكرى الحبيبة ، ثم أطال في وصف ناقته على نحو ما فعل طرفة ، ثم مضى يصف حياته وملذاته وجوده وبأسه حتى انتهى إلى الفخر بقومه ، وكل ذلك في صدق وإخلاص وقصد .

### نموذج من شعره

قال في معلقته :

إنا إذا التقت الجامع لم يزل	مقا ليزأز عظيمة جشامها
ومقسم يعطى العشرة حقها	ومغذير لحقوقها هضامها
من معشر سنت لهم آباؤهم	ولكل قوم سنة وإمامها
لا يطعمون ولا يبور فعامهم	إذ لا تميل مع الهوى أحلامها
فانفع بما قسم للليك فإنما	قسم الخلائق بيننا علامها
وإذا الأمانة قُسمت في معشر	أوفى بأوفر حفظنا قسامها
فبنى لنا بيتاً رفيعاً سمكه	فما إليه كهلمها وغلामها
وم السعاة إذا العشرة أقطعت	وم فوارسها وم حكامها
وم ربيع للمجاور فيهم	والرمالات إذا تطاول عامها

وقال يرى أخاه إريد .

تليفا وما تبلى النجوم الطوالع	وتبقى الديارُ بعدنا وللصانعُ
وقد كنت في كفافٍ جارٍ مضنة	فقارفتي جارٍ بأربدٍ نافع
فلا جزع إن فرق الدهر بيننا	فكل امرئ يومًا به الدهر قاجع
وما الناس إلا كالديار وأهلها	بها يوم خلّوها وراحوا بلاقع
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه	يخور رَمادًا بعدَ إذ هو سامع
وما المال والأهلون إلا ودائع	ولا بد يومًا أن تردّ الودائع
وما الناس إلا حاملان فاملّ	يُتَرُّ ما بيني وآخر رافع
فمنهم سعيد آخذ بتصيبه	ومنهم شقي بالمعيشة قانع
لعمرك ما تدرى الضوارب بالخصى	ولا زاجرات الطير ما الله صانع

## حاتم الطائي

### نشأته ومبائه

حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشر الطائي توفي أبوه وهو وليد فنشأته أمه وكانت كثيرة المال ، نفاحة اليدين بالنوال ، لا تليق مما تملك شيئاً . فحجّر عليها إخوتها وحبسوها سنة عليها تذوق طعم اليأس ، وتترك فضل الغنى . فلما أطلقوها وملسكوها قطعة من مالها أتها امرأة من هوازن مستجدة فنحبتها إليها وقالت : منى من الجوع ما آليت معه ألا أمنع سائلاً شيئاً .

ربته هذه الأم الوهوب ، فورعته هذا الخلق وغذته بلبانه ، فشب على الندى يهتز له ويغلو فيه حتى بلغ منه حد السفه . فكان وهو غلام عند جده يخرج طعامه ، فإذا وجد من يؤاكله أكل وإلا طرحه . فساء منه هذا التبذير فألحقه

بالإبل ، فر به ذات يوم عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم والثابطة الذبياني  
وهم في طريقهم إلى النعمان فاستقروا ، فنصر لكل منهم بغيراً وهو لا يعرفهم . فلما  
تسموا له فرق فيهم الإبل وكانت قرابة ثلاثمائة ! وجاء جدّه مبتهجاً يقول له :  
« ملو قنتك مجد الدهر طوق الحمامة » وحدثه بما صنع ، فقال له : إذن لا أساكنك .  
فقال : إذن لا أبالي . ثم قال من أبيات :

وإني لعفُّ الفقير مشترك الغنى      وتارك شكل لا يوافق شكله  
وأجمل مالى دون عرضي جنةً      لنفسى وأستغنى بما كان من فضلى  
وما ضرني أن سار سعدٌ بأهله      وأفردني في الدار ليس معي أهل

وفشا ذكر حاتم في الجلود ، وجرت سماعته مجرى للثل ، وروى عنه في ذلك  
الأعاجيب وأكثرها من صرف الحديث <sup>(١)</sup> . وما سبيل الرواة في أخبار حاتم  
في الجلود إلا سبيلهم في أشعار أمية في الدين ، وعنترة في الحماسة ، وأبي العتاهية  
في الزهد ، وأبي نواس في المجون : يفتعلون الشيء من ذلك لغرض من الأغراض  
ثم يعزونه إلى من هو أشبه به من هؤلاء .

---

(١) لقى عليك من تلك الأخبار خبراً يستند إلى إحدى زوجتي النوار أوماوية؟ ويمتاز  
بإلافة أميره وحسن تصويره ، وهو أشبه شيء بقصيدة لفرج بن ديوانه ( سحر الدهور )  
عنوانها ( الناس الفقراء ) *Les Pauvres gens* وقد ترجمتها في كتابي : ( مختارات من  
الأدب الفرنسي ) فالت الراوية :

« أصابتنا سنة الشمرت لها الأرض وأهبط أنقى السماء . وراحت الإبل حدياً حديراً ،  
وضئت المراضع على أولادها فما تبس قطرة . وحطت السنة للال وأيتنا بالهلاك . فانا نئي ليلة  
صنم بيده ما بين الطرفين إذ تقاضى صبيتنا يوماً : هيا الله وعدى وسفالة ، فقام حاتم إلى  
الصبيين وقت أنا إلى الصبية . فواتها ما سكتوا إلا بعد هدأة من الليل . وأقبل يطلى بالحديث  
فعرفت ما يريد ، فتناومت . فلما تهورت النجوم إذا شيء قد رفع كسر البيت ثم نادى فقال .  
من هذا ؟ فقالت أنا حارثك فلاة . أنا أتيحك من عند صبية يتماوون هواه الذئاب من الجوع .  
فما وجدت مولا إلا عليك أيا عدى . فقال احليم فقد أشبعك الله وإياهم . فألبت المرأة تحمل  
إثنين وعسى جانبها أربعة كأنها نعامه حولها رثالها فقام إلى قربه فوجأ لبته بجدية ، غر !  
ثم كسب عن جلده ودفن المدينة إلى المرأة فقال لها : حآنك . فاجحنا على اللحم نفوى وتاكل =



وكان حاتم كما قال ابن الأعرابي مظهرًا . إذا قاتل غلب، وإذا سبق سبق ،  
وإذا ضرب بالقداح فاز . وكان إذا أهل الشهر الأصم (رجب) - وكانت مصر  
تمظمه في الجاهلية - نحر كل يوم عشرة من الإبل فأطعم الناس واجتمعوا إليه .  
ثم بنى حاتم على النوار ثم على ماوية بنت عفزر إحدى بنات الملوك من  
اليمن ، فولد له منها عبدالله وسفانة وعدى ؛ وقد أدرك هذان الإسلام فأسلما .  
ولم يزل حاتم على حاله في إطعام الطعام وإنهاب المال حتى مضى لسبيله  
سنة ٦٠٥ م .

### أخبركم

كان حاتم على خلق عظيم قل من أونيته في الجاهلية : كان طويل العت  
رقيق القلب جم المروءة لم يقتل قط واحدًا أمه ، ولم يظلم ضعيفًا من بني عمه :  
فإني وحدتي رب واحد أمه أجرت فلاقت عليه ولا أسر  
ولا أظلم ابن الم إن كان إخوتي شهوداً وقد أودى بإخوته الدهر  
وقد وصفته سفانة ابنته يوم قامت بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ترجو  
أن يخلى عنها وهي سبية قالت : كان أبي يك العاني ويحمي الدمار ويقرى  
الضيف ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة  
قط . فقال لها الرسول (ص) يا جارية هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك إسلامياً  
لترحمنا عليه . خلوا عنها فإن أباه كان يحب مكارم الأخلاق .

---

== تم جمل يعنى في المي يأتيهم يعاً بجاً فيقول : هبوا أيها النوم عليكم بالنار . فاجتمعوا  
والرفع في ثوبه ينظر إلينا ، فوافقه ماذاق منه مفضة وإله لأحوج إليه منا . فاصبحتا وما على  
الأرض من الفرس إلا عظم وسافر . وموضع اللقطة في هذا الصنيع أن حاتم كان يجود بكل  
شيء ما هذا فرسه وسلاحه .

### شعره

لا جرم أن اللسان ترجحان القلب ، والشعر مرآة الشعور . وما قدمناه لك من أخلاق حاتم تجده متمثلاً في شعره ، مؤثراً في قرضه ؛ فلفظه سهل رقيق ، وأسلوبه محكم وثيق ، وغرضه سام شريف ، على غير ما نعهد في شعراء البادية . ولذلك قال ابن الأعرابي : « جوده يشبه شعره » ومعنى ما يقول أنه غزير البحر فيأض بالأمثال والحكم الداخلة في باب الجود والعذل فيه ، وجمال الذكر والحرص عليه . وما ترى من التفاوت في شعره إنما يرجع إلى كثرة المدحوس عليه والمنسوب زوراً إليه ، وهو من شعراء الطبقة الثانية . وقد جمع شعره في ديوان وطبع ببلدني ويروت .

### فوزج صه شعره

قال من قصيدة له :

أماوى إن المال ظاد ورائع	ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أماوى إما مانع فبين	وإما عطاء لا يقهنته الزجر
أماوى ما يغنى الثراء عن الفقى	إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
أماوى إن يصبح صدأى بقفرة	من الأرض لأملا لدى ولا خمر
ترى أن ما أنفقت لم يك خسرنى	وأن يدى مما بخلت به صفر
أماوى إن للمال إنا بذله	قأوله شكر وأخسره ذكر
وقد يعلم الأتوام لو أن حاتما	أراد ثراء المال كان له وفر

وقال أيضاً :

تعلم من الأذنين واسبق ودم      ولن تستطيع الحلم حق تحلاً

ونفسك أكرمها فإنك إن تهين      عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما  
أهين في الذي تهوى التلاد فإنه      يصير إذا مامت نهبا مقسما  
قليلاً به ما يحمدنك وارثاً      إذا ساق مما كنت تجمع مغنماً  
متى ترق أضغان العشرة بالأنى      وكف الأذى بحسم لك الداء محسماً  
وعوراء قد أعرضت عنها فلم تضر      وذى أود قومته فقوماً  
وأغفر عوراء الكرم ادخاراً      وأعرض عن شتم اللئيم تكرماً  
ولن يكسب الصلوك مجد اولاغى      إذا هو لم يركب من الأمر معظماً  
لما الله صلوكاً مناه وهمه      من العيش أن يلقى لهوماً ومطماً  
ومن معانيه الجميلة قوله :

إذا كان بعض المال رباً لأهله      فإنى بحمد الله مالى معبد

## أمية بن أبي الصلت

نشأته ومبانيه

أبو عثمان أمية بن أبي الصلت الثقفي كان يمارس التجارة طوال عمره ،  
فتارة إلى الشام وتارة إلى اليمن . وكان مفلطحاً على الدين ، فلقى في بعض أسفاره  
بعض القنيسيين والرهبان فسمع شيئاً من الأسفار الأولى فالتبس الدين ولبس  
المسوح وحرم الخمر وشك في الأوثان وطمع في النبوة ، وقال في دين إبراهيم .  
كل دين يوم القيامة عند الله      إلا دين الحنيفة زور

فلما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم سقط في يده وكفر به حسداً وقال :  
إنما كنت أرجو أن أكونه . فنزل فيه قوله تعالى : ( وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ الَّذِي  
آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ) . ثم أخذ

يخرض على الرسول ويرثى قتل أعدائه في واقعة بدر ، فعنى عن رواية شعره في ذلك . وكان إذا سمع الرسول شعره في التوحيد يقول : آمن لسانه وكفر قلبه . ثم فرّ أمية بابتته إلى أقصى اليمن وعاد إلى الطائف فعلقته هناك أوهاق للية . وقد قال لما أخذته غشية الموت وأفاق منها : لبيكاً لبيكاً ! هأنذا لديكاً لا مال يفديني ، ولا عشيرة تنجيني ! إن تغفر اللهم تغفر جماً ، وأى عبد لك لا ألما ؟ ثم أقبل على من حضر وقال .

كل عيش وإن تطاول دهرأ      منتهى أمره إلى أن يزولا  
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي      في رهوس الجبال أرعى الوهولا  
أجعل الموت نصب عينيك واحذر      غرة الدهر ، إن للدهر خولا

وأكثر تاريخ هذا الشاعر من زور الحديث وتلفيق الرواة .

#### شعره

انصرفت قريحة أمية إلى المعاني الدينية فاشتهر بها أمره ، واصطبغ بها شعره ، فوصف الله وجلاله ، وذكر الحشر وأهواله ، ونمت الجنة والنار والملائكة ، ونظم حوادث التوراة كخراب سدوم وقصة اسحق وإبراهيم ، وأدخل في الشعر معاني وأساليب ، وفي اللغة ألفاظاً وتراكيب ، لم يأتها الشعراء ولم يعرفها العرب بعض ذلك من العبرية وبعضه من محدثاته . فكان يسمى الله عز اسمه بالسُّلَيطِ والتغرور ، والسماء بالصاقورة والحاقورة ، وزعم أن للقمر غلاقاً يدخل فيه يوم الخسوف اسمه الساهور ؛ وقلبك كان اللغويون لا يحبون بشعره .

ومذهب ابن أبي الصلت في شعره لم يهتد في عصره ، فتحله العلماء ما جاء على شاكلة ولم يعرفوا قائله . ورواة الشعر يعدونه في الطبقة الأولى ، ولكن ما بين أيدينا من شعره لا يؤيد هذا الرأي ، فإن أكثره قلق اللفظ سخي

النسيج نابى القافية ، إلا أن يكون الزمان قد عفى على أجوده . فقد قال الحجاج على المنبر : « ذهب قوم يعرفون شعر أُمّية ، وكذلك الدراس الكلام » .

### نموذج من شعره

قال يعاتب ابناً له كان قد عقه :

غذوتك مولوداً ومُنْتُك يافماً	تكل بما أجنى عليك وتنهل
إذا ليلة نابتك بالشجو لم أبت	لشكواك إلا صاهراً آمل
كأنى أنا المطروق دونك بالدى	طرقت به دونى ، فسينى تهمل
تخاف الردى نفسى عليك وإنى	لأعلم أن اللوت حتم مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التى	إليها مدى ما كنت فيك أوّمل ،
جعلت جزائى غلظة وفظاظة ،	كانك أنت النعم المتفضل

ومن قوله :

الحمد لله مُنْسانا ومُصْبِحنا	بالحمد صَبَّحنا ربى ومُسانا
رب الحنيفة لم تنفد خزائنه	مملوءة ، طَبَقُ الآفاق سلطانا
ألا بى لنا منا فيخبرنا	ما بعد غابتنا من رأس عيانا
وقد علمنا لو أن العلم ينفعنا	أن سوف يلحق أخراناً بأولانا

## نشأة الخط في بلاد العرب

الخط مظهر من مظاهر الحضارة ، وأثر من آثار الاجتماع والتجارة . لذلك كان أسبق الأمم إليه المصريون والفينيقيون . وأجهل الناس به البدويون ، فلم يعرفه العرب إلا في الجهة التي عرفت بها الحضارة ولزقت فيها العمارة وهي اليمن . كان اليمنيون يستعملون خطاً يسونه السند باسم لغتهم ، يكتبونه حروفاً منفصلة ويؤمنون أن الوحي نزل به على كاتب هود . ولكن المكتشفات الأثرية وعلم مقارنة اللغات أثبتت أن الخط الفينيقي مصدر الخطوط السامية ، وأن الآرامية والسند بأنواعه<sup>(١)</sup> مشتقان منه ، ومن الآرامية اشتق الخط النبطي في حوران ، والسطرنجيلي السرياني في العراق ، وهذان الخطان هما الأصلان للخط العربي ، فمن الأول تولد الشكل النسخي ، ومن الثاني تولد الشكل الكوفي ، وكان يعرف قبل الإسلام بالحيري نسبة إلى الحيرة . وقد تعلم عرب الشمال الأول أثناء رحلاتهم إلى الشام ، وتعلموا الآخر من الأنبار : تعلمه بشر بن عبد الملك الكندي أخو أكيدر بن عبد الملك الكندي صاحب دومة الجندل ؛ وخرج إلى مكة فصاهر حرب بن أمية جد معاوية ، فعلمه جماعة من القرشيين فكثروا من يكتبه منهم . ولما مُقرت الكوفة<sup>(٢)</sup> وشاع استعماله في الكتابة على مسجدها وقصورها ناله شيء من النظام والزخرف فسمى بالكوفي .

---

(١) أنواع الخط السند هي الصفوى والشموى والحياني في العمال ، والحيري في الجنوب .  
(٢) أمر بتحصينها الخليفة عمر حين رأى العرب قد أكفّت وجوههم وخذلتها وخومة المدائن ودجلة : أمر سعد بن أبي وقاص أن يرتاد العرب متزلاً يربط يحريراً لا يحول بينه وبينهم فيه بحر ولا جسر . فوقع اختياره على موضع الكوفة فسكر به في الحرم سنة ١٨ هـ . ثم أذن الخليفة أن يبنى بيوتاً من القصب فأحرقت ، فأعاد بناءها بالطين من إذله . وفي هذا العام هلكه بليت الأبلية بالبصرة وقد ترها المسلمون سنة ١٤ هـ ، فصار البلدان منذ يومئذ مركزين حريين تجاريتين لهما في تاريخ الإسلام والأدب مكان ظاهر .

[illegible]

# الباب الثاني

عصر صدر الإسلام والدولة الأموية

## الأدب الإسلامي

حوالة ، مصادر ، أنواع ، طباعة

تركنا العصر الجاهلي والجزيرة العربية يهدر جوفها من ضرم الحياة هدير  
الحجم المكفلوم . وزيد بجوفها الحجاز بعد ما خد النشاط العربي في الجنوب  
باستيلاء الفرس على اليمن ، وفي الشمال بالغاشم إمارة النخمين في العراق ، فارتد  
تيار النهضة العربية إلى الحجاز وتدفق في مدنه ، ولا سيما مكة ؛ لأن مكة يومئذ  
كانت مثابة العرب لوجود البيت ، ومقل العروبة لاعتصامها بالصعراء من النفوذ  
الأجنبي ، ومجمع الثروة لوقوعها في طريق القوافل الآتية من الجنوب تحمل متاجر  
الهدى واليمن إلى الشام ومصر ؛ فهي سوق تجارية ومَحَجَّة دينية يؤمها العرب من  
أطراف الجزيرة يشترون منها السلع الأهلية والأجنبية ، ويقضون مناسك الحج ،  
ويشهدون موسم عكاظ ، ويذوقون في ظلال الأشهر الحرم — وهي الهدنة العامة  
المقدسة — نعمة السلام ولذة الهدوء ، ويصلون بينهم ماقطعته أسنة الرماح في الفارات  
والحروب . وكانت قریش قطب الرحلة والحركة الدينية والاقتصادية والاجتماعية  
لولايتها على الكعبة ، ورياستها في عكاظ ، وزعامتها في التجارة ، وغناها من الإيلاف ،  
وتقلها في البلاد ، وتمرسها في الأمور ، وصلتها بمختلف الشعوب ، فأخضعت العرب  
لسطانها بالدين والشرف والمال ، وفرضت عليهم لغتها وأدبها ، فكادت اللهجات  
بفضلها تتحد ، والقلوب بدليلها تتجه نحو غاية واحدة . وكان اليهود في يثرب واليمن  
فوق نشاطهم الصناعي والزراعي يقيمون أكل الربا وينشرون تعاليم التوراة



وأخبار النبوات . وكانت التساطرة واليعاقبة من المسيحيين يبشرون بالإنجيل ، ويدعون إلى الحياة الأخرى ، ويحملون معهم تأثير اليونان والرومان في الفلسفة والتشريع ، ويهينون الأذهان لكلمة الله . وكان الشعراء ينتقلون من سوق إلى سوق ، ومن ماء إلى ماء ، ينشدون أهاريح الحاسة على أوتار المصيبة ، فيؤثرون نار العداوة والخلاف بين القبائل من جهة ، ويذيعون وحدة الخلق والعادة واللغة من جهة أخرى ، ويمهدون للنفس الرغبة السجينة سبيل النهوض إلى الغاية التي يدعوم إليها الله . ثم كان الأعراب في قفار البادية يفتك بهم الجهل والجذب والحرب ، ويمنون إلى ذلك عنت الكبراء ، وأثرة الشيوخ ، وفقد الأمن ، وتوزع الثروة على مقتضى السيادة والقوة . ناهيك بما يقاسونه في أرزاقهم من فحش الربا وأكل السموت وتطفيف الكيل وكلب الزمان . فكان من جراء هذه المادية القبيحة ، والطبيعة الشبيعة ، والنظام الفاسد ، أن تهبأت الطبائع السليمة إلى حياة أرقى ومثل أعلى مما هم فيه . ولكن العرب كما قال ابن خلدون : « أصعب الأمم اتقياداً بعضهم لبعض ، للغلبة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة ، فقلما تجتمع أهواؤهم . ومن أجل ذلك لا يحصل لهم الملك إلا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر من الدين على الجلبة » . وكان ذلك فعلاً طريق الإصلاح الذي خرج منه العرب إلى العالم ليبلفوه الرسالة ويحكموه ، فقد كان ظهور الإسلام في ذلك الحين نتيجة محكومة لتلك الحال ، وتقضاً صريحاً لتلك الحياة . تعرف ذلك جلياً من تسمية القرآن للدين بالإسلام ولما قبله بالجاهلية . ففي تلك التسمية كل الفروق بين الحياتين والعقليتين في المبدأ والغاية ، إذ الجهل معناه السفه والحمية والأنفة — وهي ملاك الأخلاق في الجاهلية ، والإسلام معناه السلام والتسامح والاتقياد إلى الله — وهي قوام الدين الجديد الذي يقول : ( وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ) . وبمعنى ذلك قول عمرو بن الأهتم بفخر الأحف بن قيس ، وقد ( م — ٦ تاريخ الأدب العربي )

اجتماعاً للرياسة بين يدي عمر بن الخطاب : « إنا كنا وأنتم في دار جاهلية ، فكان الفضل فيها لمن جهل ، فسفكنا دماءكم ، وسبينا نساءكم ؛ وإنا اليوم في دار الإسلام والفضل فيها لمن حلم . فغفر الله لنا ولك » فغلب على الأحنف . فالإسلام إذن قد قلب العقيلة العربية قلباً ، وشن على الجاهلية حرباً ، ورسم للاجتماع مثلاً أعلى يخالف ما ألقوه ، ويناقض ما عرفوه .

فالشجاعة ، والشهامة ، والكرم للوفى إلى السرف والتلف ، والتفاني في الإخلاص للقبيلة ، والقسوة في الانتقام ، والتأثر بمن تعدى على النفس أو على الأهل بالقول أو بالفعل ، هي أصول الفضائل عند الجاهلية . أما الإسلام فقد جعل المثل الأعلى للإنسان الخاضع لله والانقياد لأمره ، والقناعة والتواضع ، ومجانبة التكاثر والتفاخر ، ثم الصبر . وقد قال الله تعالى : « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع : « إن الله تعالى قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ونفخها بالآباء . كلكم لآدم ؛ وآدم من تراب . ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى » فمات بذلك المصيبة القومية والجنسية ، وأصبحت السيادة للدين لا للنسب ، والإخاء في الله لا في المصوب . وهذا التغير في العقيلة يستلزم حتماً تغير ما يصدر عنها من فكر وتصوير وقول : فالشاعر الذي كان يستلهم شيطانه قصائد المفاخرة والمنافرة والهجاء ؛ والخطيب الذي كان يستقطر من لسانه محوم العداوة والبغضاء ؛ والفارس الذي كان يرتع ليله ونهاره في الدماء والأشلاء ؛ والرئيس الذي كان يعيش على امتياز الرؤساء ؛ والغنى الذي كان يتجبر ويثرى بدماء الفقراء ، وقفوا جميعاً صامتين منصفين لدعوة الإسلام لا يقولون ولا يفعلون إلا ما يأمر به الله أو يقره الرسول . وأصبح القرآن والحديث دستور الأمة ، يستبان الشرائع ، ويرسمان الآداب ، ويهذبان الأخلاق ، ويقرآن في القلوب المشتركة الجرمة ككلة التوحيد وحقيقة البر ، ويضيفان نظماً جديدة للأسرة والأمة تغير

ما كان عليه العرب من قبل ، وتسائر ما سيكونون عليه من بعد . فضاقت دائرة الشعر في عهد الرسول لموت المعصية وقوة الروح الدينية ، وانضوت الخطابة تحت لواء القرآن تدعو إليه ، وتقابل الواقدين عليه ، وتسير على هديه وتقتبس من نوره . واقتضت الدعوة الكبرى نظام الرسائل فتشأت على نمط جديد . وقلت الأمة لحاجة الدين إلى الكتابة وتشجيع النبي عليها بعد موقعة بدر ، ونقل الدواوين كلها إلى العربية . وأخذ المعادون للدين يمارضون القرآن ويجادلونه ، والوالون له يحفظونه ويدارسونه . ودعا اتساع رقعة الإسلام إلى استنباط أصول الأحكام من مصادر الدين ، والاجتهاد بالرأى فيما لم يرد فيه نص . فتجلى صفاء العبقرية العربية ذات المطلق الموهوب فيما قضى به علي وعمر وزيد بن ثابت وعبدالله بن عباس وعبدالله ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل ، وازدادت هذه الروح الفقهية المنطقية صفاء وجلال بعد ذلك فيما شجر من الخلاف بين العلويين والأمويين والخوارج على أثر الخصومة بين علي ومعاوية .

على أن من الغلو أن تقول إن تعاليم الإسلام قد بلغت إلى كل نفس وأثرت في كل قلب حتى يكون تغير العقيلة العربية تاماً من كل وجه ، فإن ذلك إن صدق على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين أسلموا قبل الفتح لا يصدق على من أسلم من بعده ، ولا على الأعراب المتمردين بطبيعتهم على كل قيد من دين أو قانون أو سلطان ، فكانوا لجفائهم وغلظ قلوبهم أشد كفراً وثقافاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله . وكان من زعمائهم من يقبل على الإسلام كقيس بن عاصم ، لا على أنه الدين الحق ، ولكن على أن يكون له الأمر بعد الرسول . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن مثل ما بعثني به الله من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا . وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي

قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً . ومصداق هذا الحديث الكريم ثابت في بقاء البدو على نزعتهم الجاهلية من مهاجرة وحشية وشراب ، وحدث الردة على أثر وفاة الرسول ، وشيوع الفناء والشراب والفزل في مدن الحجاز ، وانبعاث العصبية ونزاعها بين القحطانيين والمحدثانيين ، وبين الهاشميين والأمويين ، واشتدادها في عهد بني أمية . وهذا يفسر لنا بقاء الشعر الأموي على نمط الشعر الجاهلي في طريقته وطبيعته دون أن يتأثر بروح الإسلام لا كثيراً ولا قليلاً ، إذ كان جمهور الشعراء إنما يصعدون عن الهادية ويعبرون عن نوازي العصبية في الأحزاب والقبائل .



لم يكن تأثير الإسلام في العقلية العربية والفنون الأدبية آنياً من جهة عقيدته وشريعته وروحه فحسب ، وإنما أثر فيها كذلك من جهة ما نشأ عنه من الفتوح والنزاع على الإمامة . فمن أثر الفتوح خروج العرب من جزيرتهم إلى الجهاد ، وانتشارهم في مختلف البلاد ، واستيلائهم على ممالك كسرى وقيصر ، وامتزاجهم بالأجناس المتعددة ، وتأثرهم بالمذنيات والمغليات المختلفة ؛ فقد فتحو العراق وهو وراث حضارة قديمة وموطن أمم عظيمة ونحل كثيرة ، ومصرفوا فيه البصرة والكوفة . وفتحوا فارس وهي إحدى الدولتين اللتين حكمتا العالم القديم يومئذ وأثرتا في عقله وأهله . وفتحوا الشام وقد سادت فيه الثقافة الرومانية والديانة النصرانية بعد ما خاف فيه الفينيقيون والسكتانيون والمصريون واليونان والفسانيون آثاراً ظاهرة في العادات والاعتقادات والنظم ؛ وفتحوا مصر وهي مهد المدنية والفن ، وجمع الحضارتين اليونانية والرومانية ، وملتقى الفلسفتين الشرقية والغربية ؛ وفتحوا بلاد المغرب إلى جبل طارق ، ثم ما وراء النهر إلى كشمير . وسكان هذه الممالك يرجعون إلى أصول سامية وحامية وآرية ، ويدينون بأديان سماوية وأرضية ، ويحكمون بلغات فارسية وقبطية وعبرية وسريانية ويونانية

ولاتينية ، فأخضعهم العرب إخضاعاً مادياً وأديباً وروحياً من طريق الفتوح واللغة والدين ، وخضع العرب لهم خضوعاً عقلياً وجنسياً باقتباس مدنيهم وعقليتهم وجنسيهم من طريق المجاورة وللصاهرة والاسترقاق ، وكان من ذلك التفاعل هذا الامتزاج العجيب الذي تولدت منه العلوم الشرعية والفنون الأدبية والحضارة الإسلامية التي طبقت الأرض وسهت لرقى الإنسان الحديث .

هذا أثر الفتوح . وأما أثر الخبصومة في الإمامة فذلك الجدل العنيف بين الفرق الأربع التي نجمت عن الخلاف في الخلافة بين علي ومعاوية ، ذلك الجدل الذي اتسع به أفق الذهن العربي بالاحتجاج والاستنتاج ، إذ كان اعتماداً على تأويل القرآن ، وافتعال الأحاديث ، واستخدام الشعر في إثارة العصبية وتعبير الرسائل في القضايا السياسية والوصايا الدينية ، وعقد المناظرات وإلقاء الخطب . ففي الحجاز حزب يؤيد ابن الزبير ، وفي الشام حزب بمضد بنى أمية ، وفي العراق الشيعة يدعون إلى بيت الرسول ، والخوارج يذكرون ويكفرون هؤلاء جميعاً ولكل حزب من هذه الأحزاب كما قلت رأى في الخلافة ، ونظر في الدين ، وحجة من الكتاب والسنة . وعدة من الخطابة والشعر . وحسبك أن تقرأ بعض جدلم في الطبري والعقد الفريد وشرح النهج لابن أبي الحديد والكامل للمبرد ، لتعلم أثر هذا الخلاف في عقلية العرب ، وأثر هذه العقلية في فنون الأدب . نستخلص مما تقدم أن أهم العوامل للثورة في الأدب الإسلامي هي : خود العصبية الجاهلية في عهد الرسول ، ثم استثمارها في عهد بنى أمية ، ونشوء الروح الدينية ، وتغير العقلية العربية ، وتحسن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية ، وظهور الأحزاب السياسية ، واتساع الفتوح الإسلامية ، وتأثير الأمم الأجنبية بلغاتها وعاداتها واعتقاداتها وأدبها ، ثم أساليب القرآن والحديث ، والمأثور الصحيح من الشعر الجاهلي والأمثال . وقد أجملت القول في آثار هذه العوامل اعتماداً على تفصيلها حينما نعرض لكل فن على حدة ، فلندع ذلك الآن ولننتقل إلى مصادر الأدب الإسلامي .

## مصادر الأدب الاسلامى

نستطيع أن نحصر هذه المصادر في القرآن ، والحديث ، والأدب الجاهلى ، وما نقل من الأدب الأجنبى .

### ١ - القرآن الكريم

القرآن أول كتاب دوّن في اللغة العربية ؛ فدراسته ضرورية لتاريخ الأدب ؛ لأنه مظهر الحياة العقلية والحياة الأدبية عند العرب في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع للمسيح . وهو واضح النثر الفنى ومنبع المعانى والأساليب والمعارف التى شاعت في أدب ذلك العصر . نزل بأسلوب بديع لا عهد للآذان ولا للأذهان بمثله ؛ فلا هو موزون مقفى ، ولا هو سجع يتجزأ فيه المعنى في عدد من الفقر ، ولا هو مرسل يطرد أسلوبه دون تقطيع ولا تسجيع ؛ إنما هو آيات مفصلة متزاوجة يسكت عندها الصوت ويسكن الذهن لاستقلالها بالمعنى وانسجامها مع روح القارىء ووجدانه . فلما سمعه العرب وهم زعماء القريظ وأمراء البيان أكرهوه وأنكروه ، وعجزوا عن أن يردوه إلى نوع من أنواع الكلام المعروفة ؛ فقالوا مضطربين : إنه شعر شاعر أو فعل ساحر أو سجع كاهن . ووصفهم إياه بأنه نوع من هذه الأنواع التى تشترك في فتنة العقل دليل على قلة القوى في نفوسهم .

والقرآن باعتباره كتاباً أحكت آياته ثم فصلت من لحن حكيم خبير ، لا يجرؤ النقد الليانى على أن يطير في جنباته ، وباعتباره معجزة الرسول تحدى به العرب أن يأتوا بسورة من مثله ، تورع المسلمون عن أن يقلدوه فراراً من تهمة المعارضة ، وتنزيهاً لكلام الخالق أن يتشبه به كلام الخلق . وبما لا ريب فيه أن بعض المشركين والتبثين قد مارسوه إبطالا لحجته ، أو انتهاجا لخطته ، على نحو ما ورد عن مسيلة : « يا خفدع حتى ما تنقين ، فلا الماء تكدرين ، ولا الشارب

تمسكين ، ، ولكن الرواة أغفلوا ذلك إما تورعاً وإما ترففاً ، كما فعلوا بمعارضة ابن المقفع والمتنبى وأبي العلاء إن صح أنهم فعلوا ذلك . وهناك طائفة من متأخري الكتاب حاولوا الجري على أسلوب القرآن إعجاباً به فاحركوا في النفوس غير السخر والضجر لزولم من رتبته ومجزم عن لحاقه فكفوا . ولذلك لم يكن تأثير القرآن كبيراً من جهة إحدائه مذهباً كتابياً يتبعه الناس ويدور عليه النقد . أما تأثيره القوي فكان في نقله النثر من تلك الجمل القصيرة للسجوعة المفككة إلى تلك الصور الأنيقة التي تقرأها في أحاديث الرسول وخطبه وكتبه ، وفي خطب الصعابة والتابعين ورسائلهم : جمل متزاوجة ، متناسقة ، متطابقة ، متخيرة الألفاظ ، حسنة التأليف ، رائعة التشبيه ، منطقية الفرض ، تنفذ من العقل والقلب إلى الصميم . كذلك أثر في النثر بوضعه المثل لمعالجة القصص والوصف والاشترار والجدل المنتج والموعظة الحسنة ، واستعداده ألقافاً وتراكيب وموضوعات لا يعرفها العرب ، فظلت آيؤه على طوال القرون قوة للخطيب وحلية للمنشئ ، يرصع بها كلامه فتتميز بطلاوتها ونفاستها كما تتميز المؤلوة الفريدة في عقد من الجزم .

### أسلوبه

نزل القرآن منجماً في نحو ثلاث وعشرين سنة على حسب ما يعرض من الحوادث ؛ منها ثلاث عشرة سنة في مكة نزل في خلالها ثلاث وتسعون سورة ، وعشرة بالمدينة بعد الهجرة نزل فيها إحدى وعشرون . هذه السور الأربع عشرة ومائة تختلف في موضوعها وأسلوبها باختلاف الزمان والسكان والحوادث ، فكان من الحوادث والقضايا ما ينزل فيه الآية والآيات ، ومنها ما ينزل فيه السورة . وكان الصعابة يحفظون أو يكتبون ما ينزل كلاً على حدة ، فلم يكن القرآن إذن خاضعاً لقانون التأليف من وحدة للوضوع ووحدة الأسلوب وعقد الأبواب على مقتضى الأغراض ، وإنما تجمع على هذه الصورة ودون بعد وفاة الرسول تبعاً

لما كان يجده الكاتيون أولاً فأولاً محفوظاً في الصدور أو مسطوراً في الصحف. ثم رتب بوجه التقريب على حسب الطول والقصر لا على حسب تنزيله ولا على حسب موضوعه، فتكررت بعض القصص لتأكيد الإنذار أو لتشابه الأسباب، وتَشَقَّتْ وحدة الموضوع والأسلوب لنزوله متفرقاً في مكانين مختلفين وأزمان متراخية وأغراض متجددة، وهو في ذلك يختلف عن التوراة والإنجيل.

تتضمن السور المكية - وهي ثلثا القرآن - على أصول الدين وتشتمل المدنية على أصول الأحكام. وأصول الدين جُفِّعَتْ بالإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، والائتمار بالمعروف والانتفاء عن المنكر؛ وهي أمور تتصل بالعاطفة والوجدان؛ فالدعوة إليها والحث عليها يقتضيان الأسلوب الشعري القوي الموثق الفعال بالقلب بقصصه الواعظة، وحكمه البالغة، وأمثاله السامية، ووعده الخالب، ووعيده المخيف، ولذلك تجد أسلوبها قصير الآي، كثير السجع، رائع التشبيه، قوي المجاز. وأما أصول الأحكام من عبادات ومعاملات فهي موضوع السور المدنية، والتعبير عنها يقتضي الأسلوب المحكم الجزل الهادي؛ وهذه البيان يستلزم طول الجمل، وتفصيل الآي، ووضوح الفرض. على أن القرآن لا يصطنع في التشريع أساليب الفقه ولا تعريفات القانون، وإنما يسوق الأحكام في معارض الهداية والهداية، لأن قصده الأول إنما هو إعلان التوحيد وإظهار الدين، وتطهير القلوب من أضرار الضلالة والجهالة والشرك؛ ولأن الدولة الجديدة لم تكن في عهد الوحي من الاتساع وتشعب الاجتماع بحيث تطلب التشريع المفصل.

### إعجازه

تناصرت الأدلة وانقصد الإجماع على أن القرآن معجز، وإنما الخلاف في سبب إعجازه. فمن قائل إنه شرف الفرض، وتنوع القصد، والإخبار بالغيب. ومن قائل إنه الفصاحة الرائعة، والمذهب الواضح، والأسلوب الموثق



ونحن إلى هذا الرأي أميل . فإن القوم الذين تُحَدُّوا به لم يكونوا فلاسفة ولا فقهاء حتى يكون همزم من الإتيان بمثله معجزة ؛ إنما كانوا بُلغَاء مَصَادِعَ ، وخطباء مَصَاقِعَ ، وشعراء غولاً . وفي القرآن من دقة التشبيه والتشليل ، وبلاغة الإجمال والتفصيل ، وروعة الأسلوب ، وقوة الحجاج ، ما يُعْجِزُ طَوِّقَ البشري ، ويرى المعارضين بالشككات والخصر .

#### لغة

لغة قريش هي الأصل في لغة القرآن ، لأن النبي ولد فيها وبُعث منها ، ولأن لغتها تفضل سائر اللغات بحلاوة الجرس ودقة الوضع وإحكام النظم ، وقبيلتها تشرف سائر القبائل بجوار البيت وسقاية الحاج وحمارة المسجد ، ولكنه نزل كذلك بلغة بني سعد بن بكر ؛ لأن الرسول (ص) استرضع فيهم ، وهي إحدى لغات المعجز<sup>(١)</sup> من هوازن وأفصحها ، لقوله صلى الله عليه وسلم : أنا أفصح العرب بيد أي من قريش ، وأنى نشأت في بني سعد بن بكر . وجاء في القرآن بعض ألفاظ من لغات عربية أخرى كقوله تعالى « لا يَلِيْسُكُمْ مِنْ أَمْهَالِكُمْ شَيْئاً » أي لا يفتقكم بلغة بني عيس . ثم وقع فيه من غير لسان العرب أكثر من مائة كلمة ترجع إلى لغات الفرس والروم والبط والحبشة والعبران والسريان والقبط ، كالجبت والاستبرق والسندس والقسطاس والزنجبيل ، وقد صقلها العرب على لسانهم ، وأجروها على أوزانهم ، فصارت بذلك عربية .

#### أغراض ومعاني

علمت أن من القرآن ما نزل بمكة ومنه ما نزل بالمدينة . فالكي من سورة يشتمل على أهم ما جاء الرسول من أجله : فقيه توحيد الله بذكر صفاته وتمجيد

(١) يقال لهؤلاء أيضاً عليا هوازن ؛ وهم سعد بن بكر ونصر بن معاوية ونقيب : وفيهم يقول أبو عمرو بن السلاء ، أفصح العرب عليا هوازن وسلي تميم .

آياته ، وتأيد الرسول بتحدى الكافرين ، وضرب الأمثال بأحوال الغابرين ،  
ورفض الأوثان وما يتصل بها من عادات واعتقادات ، وإثبات اليوم الآخر وما يتعلق  
به من جنة ونار وتبشير وإنذار ، ثم الإذن لرسول الله أن يجاهد الشرك بالسيف .  
وأما اللدنى منها فيمتاز بوصف المغازى وذكر أسبابها ، وما يستفيده  
المؤمنون من نتائجها وأعقابها ، ومن للشرائع الدينية كالصلاة والزكاة والصوم  
والحج ، والاجتماعية كالأحوال الشخصية والمعاملات المدنية والحقوق الجنائية ،  
وما تستنبه من قصاص وحدود ، وفي كل ذلك ترى الألفاظ مؤتلفة مع المعاني ،  
والمعاني متفقة مع الأغراض ، اتفاقاً دونه الفن والمنطق وليس فوقه إلا قدرة الله !

### تأثيره

شغل المسلمون بالقرآن وفرغوا له ؛ فكان دعاءهم في المسجد ، ونظامهم  
في البيت ، ومنهاجهم في العمل ، ودستورهم في الحكومة . فسرى هديده  
فيهم مسرى الروح ونزل وحية منهم منزلة الطبع ، وأثر في ألسنتهم وأفئدتهم  
وأفئدتهم ما لم يؤثره كتاب سماوى آخر في أهله . فأما تأثيره في اللغة وأدبها -  
وهو ما يميننا الآن ذكره - فبأنه خالط من القوم قلوباً غاسية فالأنها ، وطباعاً  
جافية فأرقبها ، وأحلاماً طافية فأقرتها ، فكسب ذلك اللغة عذوبة في اللفظ ،  
ورقة في التركيب ، ودقة في الأداء ، وقوة في المنطق ، وثروة في المعاني ، ووسع  
دائرة اللغة باستحداثه الألفاظ الدينية كالصلاة والزكاة والقيام والركوع والسجود  
والوضوء والمؤمن والكافر الخ ، واقتضائه علوماً جديدة كالنحو والصرف  
والاشتقاق لدفع اللحن عنه ، والمعاني والبيان والبديع لتقرير الإعجاز فيه ، وعلى  
اللغة والأدب لتفسير غريبه وتوضيح مشكله ، والحديث والأصول والفقه  
والتفسير لاستنباط أحكام الشرع منه . وهو الذى ضمن بقاءها تلك القرون  
العديدة ، ونشرها في مجاهل الأصقاع البعيدة ، مصداقاً لقول الله تعالى :  
« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » وحفظ القرآن يستلزم حفظ لنته .

### قراءته

لم يكن امتزاج اللغات ولا اتحاد الالهجات تلاماً من كل وجه عند انبثاق نور الإسلام<sup>(١)</sup> ؛ وإنما بقي على نواحي الألسنة لحنون مختلفة كالفتح والإمالة ، والإظهار والإدغام ، والمد والقصر ، وتحقيق الهمز وتحقيقه ، وترقيق الحرف وتغخيمه ، وضم الهاء والميم في نحو عليهم وإليهم . فلما نزل القرآن بلغة قریش ولهجته لم يستطع من عداهم من العرب أن يتغلبوا في الزمن اليسير على الفطرة اللغوية ، واللهجة الأمية ، فقرأوه بلحونهم وأقرهم<sup>(٢)</sup> الرسول على ذلك تيسيراً للقراءة وتسهيلاً على الناس .

فلما اختلجت الألسنة ، واضطربت السلائي ، وزاغت القلوب بعد اتساع الفتوح وانتشار العرب وانشعاب التفرق ، نشأ من جهلهم بالهجاء ، ومن شدة اختلافهم في المنطق والأداء ، ومن جرأة ذوى الحلال والمرء ، قراءات لم تظاهرها العربية ولا صحة السند ولا رسم المصنف ، فجرد قوم في المائة الأولى لضبط القراءات وحصر وجوهها وتبيين مذاهبها ، وجعلوها علماً كما فعلوا يومئذ بالحديث

(١) بذلك على ذلك خطب الوفود الذين وفدوا على الرسول (س) فقد بلغ من اختلافها من لغة قریش أن قال على (رضه) لرسول الله وقد سمعته يخاطب وقد بنى نهدي : يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لم نعلم أكرهه فقال عليه الصلاة والسلام : أديني ربي فأحسن تأديبي .

(٢) روى من عمر بن الخطاب قال سمعت عطاء بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله (س) فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرأها رسول الله (س) كذلك ، فكنت أساوره في الصلاة . فصبرت حتى سلم . فلما سلم ليته بردائه . فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها ؟ قال : أقرأها رسول الله (س) فقلت : كذبت فوافقه إن رسول الله (س) لم يقرأ هذه السورة . فاطلقت به أئوده إلى رسول (س) فقلت : يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأها ، وأنت أقرأني سورة الفرقان : فقال رسول الله (س) : أقرأها يا عطاء . فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها فقال : هكذا أتزلت ، ثم قال : أقرأها عمر . فقرأت القراءة التي أقرأني رسول الله (س) فقال : هكذا أتزلت ، ثم قال : إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منها . والمراد بالأحرف اللغات التي تختلف بها لهجات العرب .

والتفسير . واشتهر من هؤلاء ومن الطبقة التي وليتهم سبعة تنسب إليهم القراءات إلى اليوم وهم : أبو عمرو بن العلاء ( ١٥٤ ) وعبد الله بن كثير ( ١٢٠ ) ونافع ابن نعيم ( ١٦٩ ) وعبد الله بن عامر ( ١١٨ ) وعاصم بن بهللة الأسدي ( ١٢٨ ) وحزرة بن حبيب الزيات ( ١٥٦ ) وعلي بن حمزة السكسائي ( ١٨٩ ) وتلك هي سبع القراءات المتفق على مجتها إجماعاً . وهناك ثلاث قراءات تليها في الصحة والقوات وهي قراءة أبي جعفر اللذي ( ١٣٢ ) وقراءة بمقوب بن اسحاق الحضرمي ( ١٨٥ ) وقراءة خاف بن هشام . وما سوى هذه العشر فشاذا .

### معم وترويه .

نزل القرآن منجماً كما قلنا في ثلاث وعشرين سنة لوقائع موجبة وأحوال داعية . وأعلن ختامه في السنة المباشرة من الهجرة قبل وفاة الرسول بثلاثة أشهر ، وبعد أن رُتبت آياته وتمت سوره ؛ إلا أنها لم تجميع في مصحف واحد في حياته ، وإنما توفي رسول الله والقرآن إما مسطور في المسبب والخفاف والأكتاف ، وإمامذكور على السنة الصحابة . ولما قتل من قرائه سبعون في غزوة اليمامة ، فزع المسلمون وأشفق عمر أن يذهب القرآن بذهاب حفاظه ، فتقدم إلى أبي بكر في جمعه . فتدرد الخليفة وقال : « كيف أفعل أمراً لم يفعله رسول الله ولم يعهد إلينا فيه عهداً ! » فإزال عمر يداوره حتى أقنعه . وعهد بذلك إلى زيد بن ثابت أحد كتبة الوحي وصاحب العرصة الأخيرة على الرسول ، فجمعه من السطور والصدور . وكتبه صحفاً أودعت عند أبي بكر وعند عمر من بعده . ثم كانت هذه المصحف في خلافة عثمان عند حفصة بنت عمر زوج النبي . فلما اتسعت رقعة الدولة وانتشر القراء في الأرض اختلفوا في قراءاتهم اختلفوا في لهجاتهم ، وتفرع بعضهم على بعض بحسن قراءته وصدق روايته ؛ نفشى عثمان أن يختلفوا في دلالاته كما اختلفوا في تلاوته ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث

ابن هشام ، فكتبوا تلك المصحف في مصحف واحد ورتبوا سورته على العلول والقصر ، واقتصر وافيه على لغة قريش لنزول القرآن بها ، وأمر عثمان الناس أن يكتبوا مصاحف من هذا المصحف ، ويثبت في كل أقطب واحد منها ، وكانت سبعة فأرسلها إلى مكة والشام واليمن والبحرين والبصرة والكوفة وجنس بالمدينة واحداً ، وهو مصحفه المسمى بالامام ، ثم أمر بجمع ما عدا ذلك فأحرق .

### قبس من نوره

قال الله تعالى : « أَتَا مُرُّونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنَفَّسُونَ أَنفُسَكُمْ أَوْفَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ . كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ . قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى . وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ . وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ . إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَنْزِلْكُمْ فَمَاذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ . مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ . مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ . إِنْ أَرَادَ اللَّهُ لَا يَفْعَلَ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ . قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ . لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ . مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ . وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ . إِنَّمَا يَفِيكُمُ عَلَى أَنفُسِكُمْ ؛ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا . وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ

وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ . كُلُّ نَفْسٍ بِمَا  
كَسَبَتْ رَهِينَةٌ . تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقَلُوبُهُمْ شَتَّى . كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ  
فَرِحُونَ . وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ  
كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُسْتَنَدَةٌ ، يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ . فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ  
ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ . وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا  
إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا ، إِنَّمَا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا  
فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَأَخْفِضْ لَهُمَا  
جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبُّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رَبِّيَ بِي صَغِيرًا . رَبُّكُمْ أَكْبَرُ  
بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا . وَآتِ  
ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْيَسِيرَ وَأَبْنِ السَّبِيلَ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا . إِنْ الْمُبْذِرِينَ  
كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا . وَإِنَّمَا تَعْرِضَنَ عَنْهُمْ  
أَبْنَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهُمْ قُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَنُورًا . وَلَا تَجْعَلْ بِدَكَ  
مَنْوَلَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا . إِنْ رَبُّكَ  
يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِبِعَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا . وَلَا تَقْتُلُوا  
أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِيتُمْ نَفْسَ فَرْزِهِمْ وَإِنَّا نَكُومٌ ، إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خِطَاً  
كَبِيرًا . وَلَا تَقْرَبُوا الرِّثَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا . وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ  
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا  
فَلَا بُشْرَ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي  
هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا .  
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِيسَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ  
تَأْوِيلًا . وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ

أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا . وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ  
وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا . كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا .

## ٢ — الحديث

الحديث هو قول رسول الله أو حكاية فعله أو حديث الصحابة عنه . فهو  
في المنزلة الثانية من كتاب الله فيما يتعلق بالدين والثقافة ، وأغزر منابع التشريع  
في العبادات والحقوق ، وأقوم طريق يؤدّي إلى فهم القرآن : بوضوح إشكاله ،  
وفصل إجماله ، ويقيد إطلاقه ، ويخصّص عمومه . والأحاديث التي صحت عن  
رسول الله قليلة ، ولكنها موسومة بطابع البيان والإلهام والعبرة ، لنشأته  
في قريش . واسترضاه في بني سعد وهي أفصح القبائل العربية ، وتضلعه من  
لغة القرآن واطلاعه على لغة العرب ، وقدرته الفطرية على ابتكار الأساليب  
العالية ، ووضع الألفاظ الجديدة لما استحدث من المعاني الدينية والفقهية ؛ ولكن  
قيمتها اللغوية ودلالاتها التاريخية لا تسومان إلى مكان القرآن في ذلك ، لأن القرآن  
كان يدوّنه عند نزوله كعبة الوحي ، وكونه كلام الله جعل الاحتفاظ بنصه فرضاً  
على المسلمين ، « فمن بدلّه بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه » . أما الحديث  
فلم يدون إلا حوالي منتصف القرن الثاني للهجرة ، وكان قبل ذلك إنما يروى  
من الذاكرة ، والذاكرة كثيراً ما تخون ، فبالله من تغيير الكلمات واختلاف  
الروايات أكثر مما نال الشعر الجاهلي . وزاد في ذلك أن العلماء أجازوا رواية  
الحديث بالمعنى لاستحالة المحافظة على اللفظ في نقله مشافهة طوال هذه السنين .  
وقامت الخصومات السياسية ، ونجمت الفرق الدينية ، فاستجاز أولو الأهواء  
الكذب على الرسول ، فوضعوا ألوف الأحاديث تأييداً لدعوتهم وترجيحاً  
لنزعهم . واستباح قوم وضع الأحاديث الموافقة لمبادئ الدين وقواعد الفضيحة .  
وحجبتهم أن الناس لا يأخذون إلا بنص الكتاب أو مأثور السنة ؛ فلأوا

الكتب بأحاديث الترغيب والترهيب وتعدوا ذلك إلى وضعها في فضائل الأشخاص والمدن والسور لدعوة سياسية أو نزعة عصبية أو غاية دينية ، كالأحاديث للموضوعة في فضل قريش على العرب ، وفضل العرب على العجم ، وتفضيل بعض الصحابة على بعض ، والمنقولة في بعض التفسير في فضائل السور تزعيماً للناس في دراسة القرآن حين لموا عنه بالفقه والسير . ومن طريق الوضع أدخلوا في الحديث طائفة كبيرة من الحكم المأثورة عن العرب ، والآراء المنقولة عن العجم ، فأثرت في الخطابة والجدل والشعر تأثيراً غير قليل .

كان عمر وبعض الصحابة لا يرون التوسع في رواية الحديث اتقاء لخطر الوضع وحرصاً على كتاب الله أن يجر هذا الوضع إلى الاختلاف فيه أو الانشغال عنه . وقد قال عمر لقرطبة بن كعب ولمن حوله من الصحابة حين خرجوا إلى العراق : إنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل ، فلا تصدومهم بالأحاديث فتشغلهم . جودوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله ( ص ) . ونظن أن ذلك الخوف هو الذي صرفه أيضاً عن الإشارة يجمع الحديث كما أشار بجمع القرآن حتى لا يكون بجانب كتاب الله كتاب آخر يشاركه العناية ؛ فقد روى الزهري عن عروة بن الزبير أن عمر أراد أن يكتب السنن واستشار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار عليه عامتهم بذلك ، فلبث شهراً يستغفر الله في ذلك شاكاً فيه . ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال : إني كنت قد ذكرت لكم من كتابة السنن ما قد علمتم ، ثم تذكرت فإذا ناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء .

فكان من جراء ذلك الخوف هذه الفوضى التي شوهت جمال الدين ، وموتت حقائق التاريخ ، وساعدت على نشر الفتنة ، ولم يفتنوا إلى درئها إلا حين استفحل الشر وانتشرا الأمر وأصبح الطب لها مستحيلاً .



ليس من همّ الأديب أن يعنى عناية النقيض والمخوى والصوى وللؤرخ بما نال الحديث من اختلاف وتبديل ، ولا بما نال المحدثين من جرح وتعديل ، فإن الأدب إنما يعتبر الأحاديث صادقها وكاذبها مذهباً من مذاهب القول ومصدراً من مصادر المعنى لما الأثر البالغ فيه . وليس من شك في أن الوضعيين كانوا يقلدون أسلوب الرسول ويتوخون استعمال كلماته واصطلاحاته ، حتى لا تبتد بين أكثر الأحاديث إلا فرق ما بين صدق النسبة إلى الرسول وكذبها . هذا من جهة الشكل ، أما من جهة الموضوع فإن الأحاديث الصحيحة كانت طريق العلم والإرشاد ، والأحاديث الموضوعة كانت طريق الرأي والاجتهاد ؛ لأنها آراء فردية اجتهدية نسبها أصحابها إلى الرسول لتعمل من قلوب الناس محل الثقة ، فكانت طريقاً لبسط الفقه ، وتهذيب الخلق ، ونشر الثقافة ، ونشوء الرأي المجتهد بجانب السنة الصحيحة في التشريع .

#### أسلوب الحديث

الحديث كما يدل عليه اسمه لا يخرج عن هذا النوع العادى للألف الذى يملأ كل مجلس ويناول كل موضوع . ومن مستلزماته عدم التحضير وقلة التفكير واختلافه باختلاف المقامات والأحوال ؛ ولكن أحاديث الرسول وإن كانت فيض الخاطر وحضو البديهة ، يبدو عليها أثر الإلهام ورسمة المبقرية وطابع البلاغة . وأسلوبها أقرب إلى أسلوب عصر النبوة منه إلى أسلوب القرآن ، وإنما يمتاز بإشراق ديباجته واتساق عبارته وتساق ألفاظه وقره لأداء معنى واضح معين ، ومطابقة مدلوله لمقتضى الحال ، وملاءمة لغته للمخاطب . وأشد ما يكون ذلك ظهوراً حين يخاطب الوفود ، فالرسول يستعمل الغريب ، ويلتزم السجع ، ويذكر ألفاظاً من مهجور اللغات تبعاً لما جرى على لسان الوافدين عليه : من ذلك حديثه مع طهفة بن أبي زهير النهدي ، ومع لقيط بن عامر بن المنتفق ، وذلك من حسن أدبه وسمو بلاغته وقوة تأثيره<sup>(١)</sup> .

(١) أنظر العقد الفريد ص ١٨١ ج ١ .

أما كثر الأحاديث فإن عليها رواء الطبع وجلال النبوة ورواق الفصاحة. وللرسول قدرة عجيبة على التشبيه والتمثيل وإرسال الحكمة وإجادة الحوار، وتلك ميزة الرسل من قبل ولا سيما للمسيح، لأن المرسلين في مقام المعلمين، وأنجع ما يكون في التعليم طريقة التمثيل والمحاورة، كقوله عليه السلام: «إن المُنْبِت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. المؤمن هينٌ أين كالجمل الأنف إن قيد اقتاد، وإن أنيخ على صخرة استناخ أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير: تغدو خفاصاً وتروح بطاناً. مثل المؤمن كالنحلة، لا يأكل إلا طيباً ولا يطم إلا طيباً. إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم. المؤمن آلف مألوف. ولا خير فيمن لا يآلف ولا يؤلف. إن أحبكم إلى وأقربكم مني مجالس يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً، للوطأون أكنافاً، الذين يآلفون ويؤلفون. وإن أبغضكم إلى وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة، الثرثارون المتشدقون المتفيهقون. إياكم وخضراء الدُّمن: المرأة الحسناء في المنبت السوء. المرأة كالضلع إن رُميت قوامها كسرتها. للناس كلهم سواسية كأسنان المشط. جنة الرجل داره. إن قومًا ركبوا سفينة فافتسوا، فصار لكل رجل منهم موضع، فنقر رجل منهم موضعه بفأس، فقالوا له ما تصنع؟ قال هو مكانى أصنع فيه ما أشاء. فإن أخذوا على يده نجا ونجوا، وإن تركوه هلك وهلكوا».

وأثر الأسلوب النبوي قاش في كلام الصحابة وخطبهم، وعلى الأخص في أسلوب من اشتد خلاطهم به أو كثرت روايتهم عنه، كالإمام علي وأبي هريرة. فمن قول الإمام علي كرم الله وجهه: «الآن وإن الخطايا خيل شمسٌ حمل عليها أهلها وخلعت نجومها فتصحت بهم في النار. وإن التقوى مطايا ذُلُّ حمل عليها أهلها وأعطوا أزمته فأوردتهم الجنة. حق وباطل، ولكل أهل شغل من الجنة

والنار أمامه . ساعٍ سريعٍ نجا ، وطالب بطيء رجا ، ومقصر في النار هوى .  
اليمن والشمال مَضَلَّةٌ ، والطريق الوسطى هي الجادَّةُ » .

وأما أبو هريرة فأكثر الناس حديثاً عن الرسول حتى بلغ ما رواه أربعة وسبعين وثلاثمائة وخمسة آلاف ، أكثر لفظها وأسلوبها له وإن كانت جارية على أسلوب السنن . وقد ارتاب بعض الصحابة في كثرة ما روى فقال : « إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ، والله للوحد . كفت رجلاً مسكيناً أخدم رسول الله على ملء بطني ، وكان المهاجرون يشغلهم الصَّقُّ في الأسواق ، وكان الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم ؛ وكنت أزم رسول الله فأشهد إذا غابوا ، وأحفظ إذا نسوا ! » .

### ٣- الشعر الجاهلي

وجد النثر في القرآن الكريم والحديث الشريف خطبة جديدة ومنبعاً فياضاً فجعلهما دليلاً ومدد ، ومضى في طريق الاستقلال والاكتمال والتطور . وانتقل الشعر إلى الإسلام مع العرب فلم يجد منه قبولاً حسناً ولا صدراً رحيباً ، مخافة من عصبيته وجاهليته على وحدة المسلمين وألفة العرب ، فظل يناق كالأعراب وهواه كله في البادية ، ينتزع منها أخیلته وطرقه وصوره . وإذن لانستطيع أن نفهم الشعر الإسلامي إلا بالرجوع إلى منبئه ومشعره ، وقد ألجأنا بالشعر الجاهلي إلالة تقنيناعن استئناف البحث فيه، فلننتقل إلى المصدر الرابع وهو :

### ٤- الأدب الاجنبي

تقع جزيرة العرب بين مدينتين من أعظم مدينيات العالم وهما : مدينة الفرس في شرقها ، ومدينة الرومان في غربها ، وبينها وبينهما اختلاط من قديم الزمن

خلف بعض الآثار في اللغة والأدب من طريق التبادل للمادى والمعنوى ؛ ولكن هذا الاختلاط أصبح بعد أن فتحها الإسلام امتزاجاً شديداً تداخلت به اللغات والأفكار والمفاهيم حتى صار مورداً فياضاً من موارد الأدب ؛ فقد دخل القوم في دين الله ، ودخل كثير من سبائهم في ميوت العرب ، واضطروا إلى تعلم العربية والتكلم بها ، ولكن هؤلاء وأمثالهم لم يغيروا إلا ألسنتهم ، أما أخيلتهم وتصوراتهم وتعبيراتهم فقد ظلت على الجيلة الأولى : يفكرون بالفارسية أو الرومية ، ويكلمون أو يكتبون بالعربية ، ولغاتهم مرسومة القواعد ، وآدابهم وانحة المناهج ، وحضاراتهم مشرقة الجوانب ؛ فلم يكن بد من تأثر الآداب العربية بالآداب الأجنبية والعقلية الآرية ، وأظهر ما يكون هذا التأثير في اللغة والتشريع والأخلاق والشعر والرسائل والقصص .

فاللغة قد آسعت مادتها بما اقتبسته من الألفاظ الفارسية للتعبير عما لم يعرفه البدو في تدوين الدواوين ، وتنظيم الحكومة ، وسياسة الملك ، ومقتضيات الحضارة ، من أداة وظيفية وزينة ، ووضعت قواعدها على منهج النحو السرياني ، وقام على ضبطها وبسطها الأحاجم . وقد عقد السيوطي في كتابه المزهر فصلاً لما أخذ العرب من الفارسية والرومانية والسريانية والقبطية ، ولكن اللغويين خلطوا في ذلك لجهلهم بهذه اللغات ، فنسبوا إلى بعضها ما ليس منها . وغالى الفرس في رد أكثر المعربات إلى لغتهم عصبية أو جهالة ، حتى زعموا أن الرسول تكلم بالفارسية ، ورووا في ذلك حديثين أحدهما قوله : إن جابراً صنع لكم سوراً ، أى ضيافة والآخر قوله . العنبدو ، والتمريك : أى في تناولهما متقى وفرادى . وذلك في تحقيق العلماء لأصله . وقد ذكر الجاحظ في البيان والتبيين أن أهل المدينة عرفوا ألفاظاً من قوم من الفرس نزلوا فيهم ، فيسمون البطيخ : خربز ، والسميط أى المنقوش الصوف : رُودَق . وإن أهل الكوفة يسمون المسحاة بال ، والسوق : بازار ، وذلك كله فارسي . وقد حكى أبو مهدية الأعرابي بعض ألفاظ أعجمية كانت فاشية

لعهده فأنكرها ، وذكر منها على سبيل المثال قوله :

يقولون لي شقيذ ولست مشيناً طوال الليالي ما أقام ثبير  
ولا قائلًا زودًا ليمجل صاحبي ويشتان في قولي على كبير  
ولا تاركًا لحنى لأتبع لحسهم ولودار صرف الدهر حيث بدور

والتشريع تأثر في تفاصيله بفقهاء الرومان ، والأخلاق اعتمدت كثيراً على ما نقل من حكم اليونان عن طريق السريان ، والشعر والفرد قد أخذ يتعاطاها جماعة من الموالى ، كزباد الأعجم ، وأبي العباس الأعمى ، وموسى شهوات ، وإسماعيل بن يسار من الشعراء ؛ وسالم مولى هشام ؛ وتلميذه عبد الحميد بن يحيى ، وصديقه ابن اللقفع من الكتاب . وقد قال أبو هلال العسكري : « من تعلم البلاغة بلغه من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى أمكنه فيها من صناعة الكلام ما أمكنه في الأولى . وكان عبد الحميد الكاتب قد استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي نحوها إلى اللسان العربي » .

وأما القصص ، وهو هنا حكاية التفسير والأثر والخبر تملها وموعظة ، فقد شابه شيء مما كانوا يسمونه العلم الأول . ويريدون به ما أخذوه من أخبار الأمم وأحوال الأنبياء ، والنذر الأولى عن أسلم من أهل الكتاب ، كعبد الله بن سلام الذي أسلم عند هجرة النبي إلى المدينة ، وكعب الأحمار الذي أسلم في خلافة عمر ؛ أو من الموالى كوهب بن منبّه أحد الأبناء الذين عاشوا في اليمن فعرفوا أخبار اليهود ، واتصلوا بالحبشة فعرفوا أخبار النصارى . وكان هو يعرف اليونانية . فأتسع بذلك علمه ، وكان أول من صنف قصص الأنبياء في الإسلام . ثم طاووس ابن كيسان التابعي ، وموسى بن سيار الأسواري . وقد قال الجاحظ في موسى هذا إنه من أعاجيب الدنيا : كانت فصاحتها بالفارسية في وزن فصاحتها بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه للشهور فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية

من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى القوم فيفسرها لهم بالفارسية ، فلا يُدرى بأى لسان هو آيين .

وتأثير أدب اللوالى فى أدب العرب أكبر وأظهر من تأثير أدب اليونان والرومان فيه ؛ لأن اليونان والرومان لم يدخلوا فى الدين ولا فى العربية حتى يكون تأثيرهم مباشراً ؛ بل ظلوا مستقلين غير متصلين إلا بمقدار الصلات الاقتصادية . والعرب لقرب عهدهم بالبداوة وجهلهم باللغات ، واشتغالهم بالفتوح والخصومات ، ونعصبهم لأدبهم لم يفكروا فى نقل شىء من أدب هؤلاء وأولئك . وأما الفرس فقد انتقلوا إلى العرب ذاتاً ومعنى ووطناً ، فاندمجوا فيهم وامتزجوا بهم وأثروا بأنفسهم فى دينهم ولغتهم من غير طلب ولا وساطة . وانصرف العرب إلى سياسة الملك وقيادة الجند وأقصوا عنها اللوالى ، فعكف هؤلاء على تحصيل العلوم الشرعية واكتساب الفنون الأدبية ، فكان منهم رواة الحديث ، وحلة الفقه ، وكتبة الدواوين ، وقالة الشعر ، وعلماء النحو واللغة ، وبذلك اتصلوا بسببنا ، وفقى أدبهم فى أدبنا ، كما تقف شآبيب المطر فى حباب المحيط .

## أنواع الأدب الإسلامى

### الشعر

الشعر فى عهد الرسول :

ظهر الإسلام وقد تحكم فى حياة العرب جاهلية قاسية وعقلية جافية وعصبية مفرقة فكان الشعر مظهر هذه الصفات وباعثها . فلما أعلن الرسول الحرب على هذه الأخلاق تمهيداً لآفة القلوب ووحدة العرب ، كان من الطبيعى أن يُنفض الإسلام رأسه إليه ، والآ يشجع الناس عليه ؛ ففى القرآن : « وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . وَمَا عَلَّمَهُمُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ » ، وفى الحديث . « لأن

يمتلىء جوف أحدكم قبحاً حتى يرى خيراً له من أن يمتملىء فقه شعراً ، ، فازور جانب المسلمين عن قرض الشعر وروايته ، على علمهم بأن الدين لم يكرهه على إطلاقه ، وإنما كره منه ذلك النوع الذى يمزق الشمل ويشير دقات القلوب . ثم شغل الإسلام العرب جميعاً بالدعوة العظمى : فن مؤيد ومن معارض واشتدت الخصومة بين الرسول وبين قريش ، فحردوا عليه الأسيئة والألسنة ، ولكن شعراء العرب وقفوا موقف الحياء والترهب ينتظرون نتيجة المعركة بين التوحيد والوثنية ، وبين الديمقراطية والأرستقراطية ، وبين محمد وقريش . فلم ينامر فى الخصومة إلا الشعراء القرشيون ، وقد كانوا قللاً قبل الإسلام لشواغل الحضارة والتجارة ، فصاروا كثيراً بعده لدهوى النزاع والمعارضة . بدأ هذه الحملة منهم عبد الله بن الزبير وعمر بن العاص وأبوسفیان ، فآذوا الرسول وأتباعه بقوارص المهقاء ، فهاج ذلك من شاعرية المسلمين وودوا لو يأذن لهم الرسول بمساجلتهم ؛ فما هو إلا أن قال لهم . « ماذا يمنع الذين نصرنا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ » حتى نهض للقرشين نفر من الصعابة ، فيهم حسان بن ثابت وكمب بن مالك وعبد الله بن رواحة ، وشبهوها حرباً كلامية جاهلية لم يهاجم المهاجرون فيها بفضائل الوثنية ، ولم يدافع المدافعون بفضائل الإسلام ، حتى نقول إن الشعر قد خطا فى مذاهب الفن خطوة جديدة ، بل كانوا يتهاجون على النمط المعروف من الفخر بالأنساب والتبجح بالسؤدد . بدل على ذلك قول الرسول لحسان : « اذهب إلى أبي بكر فهو أعلم بمثالب القوم » ، وقوله : « كيف تهجو قريشاً وأنا منها ؟ » فقال : « أسلك كما أسل الشجرة من العجيين » .

فليس من شك فى أن الشعر ظل على عهد الرسول جاهلياً . فلما خضعت قريش وسائر العرب للدين الجديد بعد لأمى ، خرس الألسنة اللاذعة وفر الشعر الجاهلى ثانية إلى البادية . وانصرف المسلمون إلى حفظ القرآن ورواية

الحديث وجهاد الشرك ، تخفّت صوت الشعر لقة الدواعي إليه ، فما كان يظهر إلا الحين بعد الحين في صادق للدح والرثاء . وتساهل الرسول في سماعه حتى آتاب عليه ، وحق قال فيه : « إن من البيان اسحرا وإن من الشعر لحكمة » .

### الشعر في عهد الراشدين :

تلك كانت حالة الشعر في عهد النبوة ، وأما حاله بعدها فأقل شأنًا وأحط مكانة لذهاب المعارضة ولشدة الخلقاء في تأديب الشعراء ، وانصراف هم العرب إلى الفتوح . ولكن الدين قد بدأ يفعل في النفوس ، ومظاهر الحضارة قد أخذت تؤثر في الأذهان ، فظهر أثر ذلك ضئيلا في شعر المخضرمين ككعب بن زهير والحطيئة وممن بن أوس والنابغة الجعدي ، ولكنه أثر لا يتعدى بعض الألفاظ الإسلامية كال معروف والمنكر والصلاة والزكاة والجنة والنار والمهاجرين والأنصار . ولذلك نرى من المبالغة جعل المخضرمين طبقة ممتازة ؛ فإن شعرهم استمرار للمذهب الجاهلي لم يتأثر بالإسلام إلا تأثراً عرضياً كضعف الأسلوب في شعر حسان ، أو قلة الإنتاج في قريحة لييد ، أو كثرة في الحطيئة والنابغة الجعدي مثلاً . والأشبه بالحق أن نقرر ما أشرنا إليه من قبل ، وهو أن الشعر العربي ظل في الجاهلية والإسلام واحداً في مظهره وجوهره ونوعه حتى أواخر عهد بني أمية . والتأثير الذي ناله من ثلوالى والسياسة والحضارة والدين لم يعطفه إلى طرق جديدة وإنما وسع في معانيه ومناحيه ، فقوى بعض أغراضه كالمجاء ، وميز بعضاً آخر كالغزل . وهل يمكن التجديد في الشعر وجل الشعراء إنما يأتون من البادية ، والخلفاء يتمصبون للبادية ، والرواة والأدباء والاعويون يطلبون اللغة والشعر في البادية ؟ فصلاً عن أن العرب بطبيعتهم يميلون إلى التقليد ويميلون القديم المأثور من سؤدد وخلق وأدب : فليس من سييلنا أن نتكلف البحث المقيم في القرن الأول عن مذهب شعري جديد يصح أن يكون أساساً لأدب عربي



جديد ، فإن مذهب عمر بن أبي ربيعة في الغزل لا يختلف عن مذهب امرئ القيس إلا في المعاني الحضرية ؛ ومذهب جرير والفرزدق في الهجاء لا يختلف عن مذهب الحطيئة والشماع إلا في المعاني السياسية . فلتقصر الجهد إذن على تحليل نهضة الشعر في العراق والحجاز على عهد بني أمية وبيان خطرهما وأثرهما في الإنتاج العقلي للعرب .

\* \* \*

كانت القحطانية والمدنانية ، والعلوية والبكرية ، والهاشمية والأموية ، والعروبة ، والشعوبية ، تضطرم في نفوس المسلمين اضطرام البركان فيبيل أن يشور . ولكنها كانت تضعف حيناً وتشتد حيناً تبعاً لسياسة القائم بالأمور ونظام حكمه ؛ فالتقبائل كانت تنزل منازلها في البلاد على هذه الفكرة ، والبصرة والكوفة تخطفان على هذه الفكرة ، والخلاف ينجم في فارس والشام والعراق والأندلس من هذه الفكرة ، وكلها تدور على الزعامة والإمامة ، فمن كان سيداً في الجاهلية يريد أن يكون سيداً في الإسلام كان العرب لم يفهموا من الدين الجديد إلا أنه طريق إلى السلطان وسبيل إلى الخلبة والثروة والحكم ليس غير . ولملك تذكر أن بعضاً من شيوخ القبائل كقيس بن عامر والأحنف بن قيس كانوا يمرضون على الرسول أن يدخلوا في دين الله لا على أنه الدين الحق ، بل ليكون لهم الأمر من بعده !

ظلت هذه الروح العصبية مكظومة في عهد الشيخين لأخذها الأمور بالحزم والعدل ، ولانصراف العرب إلى المنعم عن طريق الجهاد والفتح . فلما ولي الأمر عثمان وهنت اليد انصرقة فسندتها يد أخرى ، ونشئت الرأي فلم يصدر عن الخليفة وحده ، وحكم آله الناس بعصيتهم الأموية لا بقومييتهم العربية . وكان المسلمون يومئذ قد أفاءت عليهم الفتوح والمغانم الثراء إلى حد البطر ؛ فاستيقظت الفتنة وقامت الثورة وانتهت بمقتل عثمان ، وتجددت الخصومة على أثر ذلك بين علي ومعاوية .

وقتل الإمام فخرج الأمر وانثقت العصا . وانصرف العرب عن جهاد الدوا إلى جهاد أنفسهم باللسان والسيف . وتفرقوا أحزاباً وشيعاً بعضها للدين وبعضها للدنيا . ففي الشام حزب يشايح بنى أمية ، يرض لهم الأمر ويمكنهم في الملك . وفي الحجاز حزب يناصر ابن الزبير ، يؤيده في دعواه وينصره في دعوته . وفي العراق حزب يشايح أهل البيت ويطلب لهم بحقهم في الخلافة . وهناك حزب ديمقراطي ينكر الأحزاب ويكثر الزعماء ويقول بالشورى في الخلافة . وفي هذه الأحزاب الأربعة توزعت أهواء المسلمين وآراؤهم إلا طاقة قليلة لظمت الحياض وأرجأت الحكم بين المختلفين إلى قضاء الله يوم الدين وهم للرجنة . واتصلت بين الأحزاب الخصومة ، وأعنف فيها الخصوم ؛ ولسكن معاوية ، بعد أن تم له الأمر كان يصانع معارضيه بالدهاء والعطاء والإغضاء والحزم ، حتى استوثق له الأمر طيلة حياته إلا من جهة الخوارج . فلما مات أفاق خصومه من خدر سياسته فزعزعوا عرشه ؛ حتى إذا وهى أدركه مروان وبنوه فسندوه واقتعدوه . وفي زمن عبد الملك اشتدت المعارضة واستمرت الحروب ، وكثر المطالبون بالخلافة ، وانبسط سلطان العرب ، وزخرت موارد الفئ ، واكتمل شباب الجيل الذي نشأ في الإسلام ، واغتنى بشر الفتوح ، واستمتع بجمال الحضارة ، واختلط بأنماط شتى من الناس ، وسام يده ولسانه في هذه الفتن ، فبلغ الأدب العربي غاية ما قدر له أن يبلغ . فهل يمكن أن يظل الشعر بنجوة عن هذه الحياة الصاخبة ، والعصبية الغالبة ، والأحزاب المتصارعة ، والأهواء المتصارعة . والشعر العربي ربيب الخصومة والجدل ، تبعته الحزبية ويقويه المرائش وتوحيه شياطين الفرقة ؛ الواقع أنه كان وقود هذه الفتن ولسان هذه الأحزاب ، يصطنعونه كما نصطنع نحن الصحف اليوم ، فيناضل عن زعمائه ، ويدافع عن آرائه ، ويصطنع بصيغة العقيدة التي يدعو إليها وينافع عنها . وإذا علمت أن العرب جميعاً ساهموا في هذه الخصومات ، وأن أكثرهم يقول الشعر وخصوصاً في هذه الأزمان ، وأن الأمويين استمالوا بالمال هوى الشعراء ، وأوقدوا

بينهم نار التناقض والمجاء ، وأن الشعر أصبح صناعة متميزة يعيش عليها بعض الناس ، أدركت سبب وفرة الشعر وكثرة الشعراء في عصر عبدالملك ، إذ بلغ عدد الفحول للمائة . وليس من شك في أن الشعر وإن حافظ على طريقته وطبيعته قد تأثر بهذه الحياة الجديدة تأثراً ظاهراً في معانيه وأغراضه ، ولكن هذه الحياة لم تكن كلها نزاعاً سياسياً ولا جدالاً دينياً حتى يقف تأثره عندهذا الحد ، وإنما كان لها مظاهر أخرى يحسن أن نشير إليها قبل أن ندل على آثارها في الشعر.

### نظرة عامة

في العراق :

كان من الطبيعي أن تختلف مظاهر هذه الحياة في المواسم العربية لاختلاف الأحوال السياسية والاجتماعية فيها . فالعراق كان منذ القدم ملتجج الخواطر العربية لخصبه ونمائه ، ووفرة غلله ومائه . وقد لاذ العرب قبل الإسلام بأطرافه وأريافه واللسان واليد فيه للفرس فأنشأوا إمارة الناذرة . فلما فتحوه في عهد عمر نزحوا إليه وأنشأوا على حدود البادية البصرة والكوفة . وكان في العراق ميراث وافر من العلم والأدب والدين خلفته الأمم الفارسة ، ولم يؤت العراق مأوتيت مصر من قوة المضم والتمثيل حتى يحيل سكانه إلى جنسية واحدة وعقلية واحدة ، فانطبعت الأهواء فيه على الفرقة ، والتفوس على التنافر . وآتى إليه العرب بالعصبة اليمية والنزارية ، ووقعت فيه الأحداث الإسلامية الجلى كواقعة الجمل ومصرع الأئمة والقادة ، وما نجم عن ذلك من قيام الشيعة والخوارج ، ولشتداد المعارضة لبنى أمية ، واستحكام الخلاف بين البصريين والكوفيين في السياسة والدين والعلم ، فكانت البصرة عثمانية ، والكوفة بعد استقرار الإمام على بها علوية ، والجزيرة القرابية إما نصرانية وإما خارجية ، لأنها مسكن ربيعة ومم كما قال الأصمعي رأس كل فتنة . ومن ربيعة بنو تغلب الذين قال فيهم الإمام علي : « يا خنازير العرب !

والله لئن صار هذا الأمر إلى لأضعن عليكم الجزية » . فكان الشعر العراقي صورة لهذه الحياة النائرة للتنافرة ، فهو قوى عنيف يكثر فيه الهجاء والفخر ، وتتلون فيه المصيبة القبيكة ألوانا شتى من التحزب للمكان والعقيدة والجنس ، وتتغلب فيه النزعات الجاهلية على التعاليم الإسلامية ، وتغذيه نفحات بدوية وصلات أموية ، فيزدهر وينتشر حتى يشغل كل لسان ويحتل كل مكان ويمبر عن كل مبدأ .

### في الحماز

والحماز منبع الإسلام كان أشبه بنباييم النهر . يفيض منه الماء الصافي في سكون ورفق ، حتى إذا بعد مجراه اعترضته الشلالات وتقسمته التيارات ، فتكدر نعيمه واشتد هديره ، وتوزعته الجداول والأقنية ، فيمضه في سباح الأرض ، ويمضه في الرياض ، فروى بعضاً وأغرق بعضاً . انتقلت منه الخلافة والمعارضة والعلم إلى العراق والشام ونقى هو كما كان وكما هو الآن يقبل المال والمونة من كل قطر . واقتضت سياسة الأمويين أن يعتقلوا فيه شباب الهاشميين فلا يتركوه إلا بإذن ، وسلطوا عليهم الترف ، وشغلهم بالمال عن الملك ، وخلوا بينهم وبين الفراغ ، وقد ورثوا مع ذلك عن آبائهم المجاهدين مفاهيم الفتح من أموال ورقيق ، وفي أهل الحماز ملاحه ظرف ووداعة نفس ولطافة حس وفصاحة لسان ومحبة لهو ، فتبسطوا على النعم ، وعكفوا على اللذة ، وقطعوا أيامهم بالمناذرة والمفادمة ، وذهبوا في حياة المجون كل مذهب . ووصل الحج بينهم وبين الحسان والقيان ، واستهوت هذه الحال الغنيين فوفدوا إلى مكة والمدينة من أقطار الدولة حتى اجتمع منهم في وقت واحد كما يقول أبو الفرج الأصبهاني « ابن سُرَيْج ، والفريض ، ومَعْبُد ، وحنين ، وابن محرز ، وجيلة ، وهيت ، وطوَيْس ، والدلال ، وبرد القواد ، ونومة الضحى ، ورحمة ، وهبة الله ، ومالك ، وابن عائشة ،

وابن طنبورة ، وعزة اليلاء ، وحَبَابَة ، وسلامة ، وبلبلَة ، ولدة العيش ، وسعيدة ،  
والزرقاء ، وابن مسجع ، وحتى غلب الغناء على أعمال الناس وميولهم ، فقد  
حدث الإمام مالك عن نفسه قال : نشأت وأنا غلام أتبع للغنين وآخذ عنهم ،  
فقلت لى أمي : يا بُنى إن اللغى إذا كان قبيح الوجه لا يلتفت إلى غنائه ، فدع  
الغناء واطلب الفقه فإنه لا يضر معه قبح الوجه . فتركت للغنين واتبعت الفقهاء  
فبلغ الله بى عز وجل ما ترى . من ذلك شاع الحب فى مدن الحجاز ورقّت  
عواطف بنيّه ، فسلكوا بالشعر مسالك الغزل الحضرى الرقيق الصادق ، حتى  
كاد هذا الفن لافتنانهم فيه يبتدىء بهم وينتهى إليهم .

### فى الشام :

وأما الشام فكان بنجوة من الثورات النفسية والأزمات السياسية لخضوعه  
لبنى أمية وإخلاصه لهم وانصرافه إلى تأييدهم ، فلا هو مضطرب العواطف  
كالهجاز ، ولا هو مضطرب الأهواء كالمراق . وقد أمن الخلفاء جانبه فتركوه  
لشأنه دون أن يثيروا عصبته بخلاف ، أو يهيجوا طامعته لمفهم ، فبقى الشعر من  
جرائ ذلك راكداً فى نفوس أهله لا يبعثه باعث ، ولا يتوفر على دراسته وروايته  
باحث . وأكثر ما كان فيه من ذلك إنما كان بقدر إليه من المراق والهجاز  
مع الشعراء الذين يجذبهم سخاء القصر أو دهاؤه ، والأدباء الذين يطالبهم الخلفاء  
من البصرة كلما أعضلتهم مسألة فى اللغة والنحو والأدب .

### خصائص الشعر فى العراق

لعل الشعر العراقى الإسلامى أصدق ما يصور حياة البادية وأصح ما يعبر عن  
نفسية العرب ؛ فإنه وإن كان كما قلنا استمراراً للشعر الجاهلى يصدر عن دواقمه  
وينبع من منابعه - أنقى جملة وأبين علة وأصلح نسبة ، لقربه من عصر التدوين

واتصاله بأسباب السياسة وأحداث التاريخ : وهو مظهر لتلك الحياة المدنية الأولية التي هيأها الإسلام للعرب لأول مرة : فجعل من الأشقات وحدة ظاهرها الجماعة والألفة ، وباطنها المداوة والفرقة ؛ فهو مهاجاة بين الأفراد ، ومساجلة بين الأحزاب ، ومفاخرة بين القبائل ، ومدح للزعماء والخلفاء . وهذه الموضوعات بطبيعتها تقتضى اللفظ الجزل والأسلوب الرصين والعروض الطويل والصور البدوية ، وتعتمد في الهجاء على مثالب الآباء من جبن وبخل وقلة وذلة ، وفي المدح والفخر على ذكر أيامهم الدامية للاضحية وما ظفروا فيها أسلافهم من الغلب والسلب . فالهجاء في هذا العهد بأنواعه الخاصة والعامة يكاد يكون مظهره العراق ، لتكالب القبائل المتعادية عليه ، وظهور للذاهب للتباينة فيه ، وغلبة البداوة والأنفة والبطر على أهله ؛ فشعراؤه يبتدئون به ويفتنون فيه ويميشون عليه ، وهو ينتحل الأسباب المختلفة ، ويرتدى الأبواب المتعددة ، فيكون شخصياً وقبلياً ووطنياً ودينياً وسياسياً ، ولكنه في الواقع إنما يصدر عن باعث واحد هو العصية للورثة والأحقاد القديمة وقد بنيت للرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

#### الأخطل :

فقاتل هذا البيت غياث بن غوث الأخطل صوت الجزيرة ولسان التغلبية ، وأديب النصرانية وشاعر الأموية ، كان أول ما غرزم به من الشعر الهجاء . هجا امرأة أبيه وهو صنير ، وهجا كعب بن جعيل شاعر تغلب فأهمله وهو واقع ، وعلق به لقب الأخطل معذ شبة لسفاهته . ثم مضى يقرض الشعر فيما يشجر من الخصومة بينه وبين الناس ، أو بين قبيلته وبين القبائل ، حتى كان بين يزيد ابن معاوية وهو ولي العهد وبين عبد الرحمن بن حسان الأنصارى نقاول وجدل ، فطلب من كعب بن جعيل أن يهجو الأنصار ، فتخرج أن يذم قوماً آووا رسول الله ونصروه ، وقال له : أدلك على الشاعر الفاجر الساهر ( يريد الأخطل )

فهبجا الأخطل الأنصار بالقلاحة واللؤم والحمر ، وفضل عليهم قريشاً في قصيدته  
الرائية ، وكاد يُشفي من ذلك على الخطر لولا عون يزيد . وبالنح الأُمويون  
في إيثاره وإكرامه ، وأمعن هو في الفتح عليهم ، ففاضل الزبيريين بعد الأنصار ،  
ووقف للقبائل القيسية فهتك عنها حجاب الشرف قبيلة قبيلة بقصيدته التي مطلعها :  
ألا يا أسلمى يا هندُ هندُ بنى بكر . وإن كان حياناً جدى آخر الدهر  
لنأصبتها الأُمويين المداء من جهة ، ولا أقتحامها الجزيرة على قومه من جهة  
أخرى . ثم ختم حياته بمالأة الفرزدق ومهاجاة جرير . والأخطل وإن كان  
شديد التمسك بنصرانيته على وثيق صلاته بالخلفاء ، لم يشذ عن طبيعة العرب  
في التدين ؛ فقد قال الأب لامنس اليسوعي في فصل كتبه عنه : « إن أثر  
النصرانية في دين الأخطل ضئيل ، ونصرانيته سطحية ككل العقائد الدينية عند  
البدو » ، فهو يُدمن الخمر في حق الدين ، ويكثر الهجاء في حق الخليفة ، ويهاجم  
القبائل في حق تناب ؛ ولكن هجاءه كان عفيف اللفظ لا يركب فيه متن الشطط  
ولا يتجاوز به حدود الخلق .

#### الفرزدق :

وأبو فراس هام بن غالب الفرزدق الدارمي ثم التميمي نشأ كذلك بالبصرة  
على قول الهجاء مع شرف أسرته وغنى قبيلته وعزة نفسه ؛ فكان يهجو بني قومه  
لحدة طبعه وشراسة خلقه ، فيشكونه إلى أيه فيضربه . ثم لج في هجاء الناس  
حتى استعدوا عليه زياداً وإلى العراق لمعاوية ، فطلبه ففر منه في مدن العراق  
وقبائله ثم لجأ إلى المدينة أخيراً واستجار بوالها سعيد بن العاص من زياد فأجاره .  
فلما مات زياد عاد الشاعر إلى وطنه فشارك فيما وقع فيه من حروب وقتل بعد موت  
معاوية ويزيد ، حتى منى بمهاجاة جرير فشغلت فكره وملأت عمره وصقلت  
مره . وظلت هذه المهاجاة أربعين سنة ونيفاً كان منها للناس مشغلة ، وللسواس

مهزلة . وللأدب العربي ثروة ضخمة من الشعر لا تخلو على سفاقتها وبذاعتها من جمال وحكمة .

جبرير :

وكان جرير بن عطية الخَطَنِي التميمي قد قال الشعر كصاحبيه في الخدانة الباكورة ، وقاله مثلها في الهجاء ، ولكنه بدأ بالرجز على نحو ما يكون من الرعاة وهو منهم . وكان خول عشيرته وضعة أسرته وقرأ ييه وحدة خلقه من العوامل التي ساعدت الطبع على نبوغه في الشعر وتفوقه في الهجاء . وكان أول من نازله وألحمه غسان السليطي حين هجا قومه ، فاستفث السليطي بالبعيث فأغاثه وهجا جريراً ، فنقصر جرير قوله بالهجاء اللاذع ، ففاضل عنه الفرزدق لموجدة في نفسه على جرير ؛ وتهاجى الشاعران التميميان من أجل ذلك . وفضل الأخطل الفرزدق على جرير إما لدفاعه عن قيس ، وإما لرشوة محمد بن عمار إياه ، فهجاء جرير . ثم نبهه الهجاء من كل مكان حتى نصب له من الأقران ثمانون شاعراً ظهر عليهم جميعاً إلا الفرزدق والأخطل فإنهما ثبتا له ونازعا الغلبة . وانشعب الناس في أمر جرير والفرزدق شعبتين تناصر كل منهما أحد الشعارين . وكان بين الفرزدقين والجريريين ما بين العلويين والأمويين ؛ يطلب كل منهم الغلبة لصاحبه بالمعايير والنسكاية والرغبة والرغبة والخلف ، يقوم الأولون بالمربد والآخرين بمقبرة بني حصن ، وقد وقف الشعاران كل بين أتباعه وأشياعه ينشدهم شعره وهم يكتبونه ، والرواة ينشرونه ؛ والأدباء والأمراء يتناولون ما يروى بالموازنة والنقد والحكم ، والأنصار يحاولون رشوة الشعراء واستمالة العلماء ليحكموا صاحبهم على خصمه ؛ فقد روى صاحب الأغاني أن أحدهم تبرع بأربعة آلاف درهم وبفرس لمن يفضل الفرزدق على جرير . وليس أدل على اهتمام الناس بأمرهما واختلافهم في الحكم على شعرهما من أن يتهاذن الجيشان المتقاتلان ساعة ليحكم أحد الخوارج الأدباء بين رجلين



من رجال المهلب تنازعا في أمر جرير والفرزدق . فقد ذكر ابن سلام أن رجلين تنازعا في عسكر المهلب في جرير والفرزدق وهو يازاء الخوارج ، فصارا إليه فقال لا أقول فيهما شيئا ، وكره أن يرض نفسه لشرهما ، ولكن أدلكما على من يهون عليه سخطهما : عبيد بن هلال ، وهو يومئذ في عسكر قطري بن النجاء ، فأتيا فوقفا حبال للعسكر فدعوا نخرج يجر رحمة ، وظن أنه دعى إلى المبارزة ، فقالا له : آلفرزدق أشعر أم جرير ؟ فقال : عليكما وعليهما لعنة الله ! فقالا : نحب أن نخبرنا ثم نصير إلى ما تريد . فقال من يقول :

وطوى القياد مع الطراد بطونها      على التجار يحضر موت برودا  
قالا : جرير . قال : هو أشعرهما .

وهناك طائفة أخرى من شعراء المراق كعبيد الراعي وأبي النجم العجلي والراجز اتخذوا من الشعر ظفراً وناباً مزقوا بهما الأعراض وأشاعوا هجر القول في الناس ، ولكن أحدهم لم يبلغ من سطوة الشعر ونباهة الذكر ما بلغ جرير والفرزدق والأخطل ، لأنهم كما قال أبو عبيدة : « أعطوا حظاً من الشعر لم يعطه أحد في الإسلام : مدحوا قوماً فرفضوم ، وذموا قوماً فوضعوم ، وهجوا قوم فردوا عليهم فأنهضوم ، وهجوا آخرون فرغبوا بأنفسهم عن جوابهم فأسقطوم » .

مذهب الأخطل والفرزدق وجرير في الهجاء :

مذهبهم في الهجاء هو المذهب المتبع والطراز الغالب . على أنهم يتفاوتون فيه تفاوتهم في الطبقة والبيئة والطبع .

فالأخطل سيد في قومه ، كريم في نسبه ، نبيل في نفسه ، يعاقر الخمر ويمجالس الملوك ويحترم الدين ويحتمل في سبيله ضرب الأسقف وأذى السجن وإن كان لا يتعبد ولا يتزهد . ومن أجل ذلك كانت لفته في الهجاء كما ذكرنا من قبل لعنة

الخاصة ، لا يسف إلى القبيح ولا يستعين بالحزى ، وإنما يهاجم القرن في صفات  
الرجولة فينبئ عنه الكرم والبأس والمجد والصدق كقوله في تيم :

وكنيت إذا لقيت عبيد تيم      وتبا قلت أيها العبيد !  
لثيم العالمين يسود تبا      وسيدهم وإن كرهوا مسود  
وكقوله في كليب بن يربوع :

بئس الصحاب وبئس الشرب شربهم      إذا جرى فيهم المزاء والسكر  
قوم تنامت إليهم كل مخزبة      وكل فاحشة سببت بها مضر  
الآكون خبيث الزاد وحدهم      والسائلون بظهر الغيب ما الخبر  
وأقسم الجسد حقاً لا يحالفهم      حتى يحالف بطن الراحة الشر

ولعل أغش معانته قوله في قوم جرير :

قوم إذا استنبح الضيفان كلهم      قالوا لأهمهم بولى على النار  
فتمنع البول شعاً أن تجود به      ولا تجود به إلا بمقدار  
وانلجز كالنهر المندى هندم      والقصح خمسون أردباً بدinar

فترى أنه حتى في إقذاعه وإيجاعه لا يتنلى إلى ذكر المثالب الخاصة والمعايب  
الفردية ، وإنما يهاجم قبيلة الخصم كلها فيقاييس بينها وبين قبيلته في السمو إلى  
المعالى والسبق إلى الغايات ، وفي ذلك يجد بلاغه ومدده ، فلا يضطر اضطرار  
جرير إلى ذكر الصفات لتمامها للخلية الدنيئة من أقرب طريق . أنظر إلى قوله  
لجرير :

يا ابن المراغة إن عني لهذا      قتل الملوك وفككا الأغلالا  
وأخوهم السفاح ظمأ خيله      حتى وردن جبي الكلاب نهالا

فانقُ بضأنك يا جرير فإني      متك نفسك في الخلاء ضللاً  
متك نفسك أن تكون كدارم      أو أن توازي حاجبا وعقلا  
والى قوله له :

ولقد شددت على المراغة سرجها      حتى نزعته وأنت غير مجيد  
وعصرت نطقها لتسرك دارم      هيات من أمل عليك بعيد  
وإذا تماظمت الأمور لدارم      طأطأت رأسك عن قبائل صيد  
وإذا عدت بيوت قومك لم تجد      بيتا كبيت عطارد ولييد

فإذا نظرت إلى ذلك وجدت أن هجاءه أقرب ما يكون إلى النافرة والفخر .  
ومن الواضح أن هذا الهجاء العنيف للترفع وإن أمض لا يجرى مع هجاء جرير  
في ميدان ، ولا يستوى وإياه عند العامة في ميزان ، فكيف إذا اجتمع إلى ذلك  
خمود الشيفوخة في الأخطل وحدة الشبيبة في جرير ؟ إن جريراً نفسه قد علل  
وناء خصمه عنه في آخر الشوط بكبر سنه ، فقد قال : « أدركته وله ناب واحد ،  
ولو أدركته وله نابان لأكلني » . وقال في قصيدته التونية التي هجأها الأخطل  
على أثر تفضيله الفرزدق عليه :

جارت مطلع الرهان بنا يد      رَوْقٌ شبيته وحرك فان  
وإذا استثنينا هجاء الأخطل لجرير وجدنا أشهر أهاجيه إنما قالها في أغراض  
قومية أو سياسية . ومن تلك الأهاجي المأثورة قصيدتان تلخصان مذهبه وتصوران  
فنه : الأولى في هجاء القبائل القيسية ومطلعها :

ألا يا أسلى يا هند هند بن بكر      وإن كان حياً ناعدي آخر الدهر

والأخرى في مدح عبد الملك بن مروان وذم خصومه ومطلعها :

خف القطين فراحوا منك أو بكروا      وأزعجتهم نوى في صرفها غير

ومنها :

بنى أمية إني ناصح لكم      فلا يبين منكم آمناً زُفر  
فإن مشهده كفر وغائلة      وما يُنبئ من أخلاقه وعَر  
إن العداوة تلقاها وإن كنت      كالمرُ بكن حيناً ثم ينتشر  
أمية قد ناضت دونكم      أبناء قوم هم آووا وهم نصروا  
وقيس عيلان حتى أقبلوا رقصاً      فابعوك جهاراً بعد ما كفروا  
ضعوا من الحرب إذ عشت غواربهم      وقيس عيلان من أخلاقها الضجر

والأخطل لنصرانته لم يستطع أن يتخذ من الإسلام سبباً للفخر ولا مادة  
للهجاء ، فاكفى بذكر مناب آبائه ومثالب أعدائه . على أنه يستغل أحيانا  
بعض ما أنكر الإسلام بهجو به . وإن كان هو يستبيحه : كقوله في الأنصار  
يرميهم بشرب الخمر .

قوم إذا هدر العصور رأيهم      حمراً عيونهم من السطار  
وكقوله في كتيب بن ربوع .  
بشر الصحاب وشرب شرهم      إذا جرت فيهم الزماء والسكر

\*\*\*

أما الفرزدق فهو كالأخطل في الذؤابة من قومه ، إلا أنه كان صريح العداوة  
فلا يورى ، فأحتس الدعابة فلا يحتشم ، شديد للدعابة فلا يتعفف ، حاد البادرة  
فلا يتلطف ؛ فهو في هجائه يذكر العورات ، ويعلن المحزيات ، بألفاظها العارية  
وأسمائها الصريحة حتى ليستحي الشاب أن ينشدها ، بله الفتاة الخفيرة . وما أظن  
البداءة وضيق الخلق وسلاطة اللسان وفجور النفس هي كل الأسباب التي أوجبت  
هذا الهجاء السوقي الوقع ، فإن الخطيئة ومن سبقه على اتصافهم بهذه الأوصاف

لم يسفوا هذا الإسفاف ، فلا بد أن يكون لحياة العراق في ذلك العهد أثر قوى في ذلك . فاخلق العربي القوى قد وهت أو اصره باتصال البدو بالحضر واختلاط العرب بالعجم ؛ والوازع الدينى قد ضعف بتغلب الأحزاب وضعف العصبية ؛ والسلطان السيامى ينمى جفنيه ، ويضحك ميل شديقه ، من هذه للهازل التى يمثلها الشعراء والقبائل بالبصرة . أقول القبائل لأن القبيلة كانت من وراء شاعرها تمثال لا تتصاهر بالمال والقتال والرعاية . وربما يأتى كل رجل منهم بالبيتين والثلاثة فيرفد بها الشاعر كما فعلت تيم في مهاجاة شاعرها عمر بن لجأ لجرير . وكان أخش الهجاء هجاء الفرزدق في جرير ، فهو يرى قومه بضعة النسب ، وضعف الحيلة ، واتخاذ الغم ، ورعى الإبل ، وإتيان الأثن ، ويفتن في هذه المعاني افتناناً عجيباً : يرددها في كل قصيدة على صور مختلفة وأساليب شتى ، ولا يتعرج أحياناً من افتعال الحوادث المضحكة إمعاناً في السخر من المهجو والنيل منه . وهذا غاية ما وصل إليه الهجاءون وأهل التنادر في عصور الترف والخلاعة . وأدهى من ذلك أن يقذف خصمه بنوع من السباب الدنى الذى لا يمتدحه هو ولا يصدقده الناس ، إنما يمد إليه مبالغة في التحقير والتشهير على نحو ما يعمل الرماح في الطبقات الوضيعة ، وذلك ما لم نعهده في الهجاء من قبل ، إذ كان الشاعر يرى جهة المحاسن في المرء فيمدح ، أو جهة المساوىء فيه فينم ، وهو في كلتا الحالين صادق .

وقد تبدل الفرزدق في الهجاء إلى البرك الذى لا تسيغه رجولة ، فينقض رثاء جرير (١) لامراته بهجائها المقذع ، دون أن يرى للبيت حرمة ولا للمرأة كرامة ، كقوله :

كانت مناققة الحياة وموتها      خزى علانية عليك وعار  
فلئن بكيت على الأثان لقد بكى      جزعاً فداة فراقها الأعيار

(١) وهى القصيدة التى مطلعها .

لولا الحيلة لما جنى استعمار      ولزوت قبرك والمهيب يزار

تبكى على امرأةٍ وعندك مثلها      قصاء ليس لها عليك خمار  
وليكفينك فقد زوجتك التي      هلكت موقعةً الظهور قصار  
إن الزيارة في الحياة ولا أرى      ميتاً إذا دخل القبور يُزار

ورأى الفرزدق في المرأة يدل على جفاء طبع وسوء أنفة ، وربما دل أيضاً على منزلتها في المجتمع العربي في ذلك العهد . ولا نستنبط ذلك من قوله في زوجة جرير فقد يكون للخصومة بعض الأثر في سوته ، وإنما نستنبطه من قوله في زوجته هو حين ماتت :

يقولون زُر حدراء والترب دونها      وكيف بشيء وصله قد تقطعا  
ولست وإن عزت على بزائر      تراباً على مرموسه قد تضعضعا  
وأهون منقود إذا الموت ناله      على اللراء في أصحابه من تقنعا  
يقول ابن خنزير بكيت ولم تكن      على امرأة عيني إخال لتدعنا  
وأهون رزء لا مريء غير عاجز      رزية مرج الروادف أفرما

على أن طبيعة المهاجرة مع جرير ، وشهوة الغلبة عند العامة ، ونفاد للعاني في الهجاء على طول المدة ، وبلادة الحس وهوان النفس باعتياد الدم ، قد دعت الفرزدق كما دعت جريراً إلى التدرج في الإقذاع والبذاء ، حتى خرج شعرها في النقائض على قوته وجودته عن الحد المألوف بين السفلة . ولكن الفرزدق مع تبذله كان يصبح أحياناً إلى وازع الدين لتشيعه فيتوب عن قرض الشعر ، ويكف عن هجاء الناس ، ويقيّد نفسه ليحفظ القرآن ويقول :

ألم ترني عاهدت ربي وأنتي      كَبِينَ دَتَاجٍ قَائِماً ومَقَامِ  
على قسم لا أشتم الله مسلماً      ولا خارجاً من في سوء كلام  
أو يستجيب إلى داعي الشرف لحسبه فيصدر في الهجاء عن طبع أبي ونفس

كريمة ، قسمو معانيه وتمف ألفاظه ، كقوله في معاوية وقد حبس عنده مالا  
لأحد أعمامه بعد وفاته :

أبوك وعمي يامعاوى أورثا      ترثا فيعتاز التراث أقاربه  
فما بال ميراث الخلتات أخذته      وميراث حرب جامد لك ذائبه  
فلو كان هذا الأمر في جاهلية      علمت من للرء القليل حلائبه  
إلى أن يقول :

وما ولدت بعد النبي وأهله      ككتلى حصان في الرجال بقاربه  
وكم من أب لي يامعاوى لم يزل      أخر يبارى الرمح ما زور جانيه  
نمتة فروع للمالكين ولم يكن      أبوك الذي من عهد شمس يخاطبه

\*\*\*

أما الطامة الكبرى فهي جرير ، لأنه كان مرسل العنان مطلق اللسان  
لا يعوقه قيد ولا تكبعه شكيمة . فلهو صاحب سياسة كالأخطى ، ولأصاحب  
نحلة كالفرزدق ، ولا وارث مجادة كالإثنين ، وإنما كان سوقياً ترعية رزقه الله  
حدة الدهن ورقة الأسلوب وخبث اللسان ، وزاده المهراش صلابة عود ، وفزارة  
فكر ، ومتانة شعر ، وسهولة قافية ، فبلغ بالمهجاء الفردى والقبلى غايته في الإقذاع  
والإقناع والقوة . وربما كان أول من أكره الشعر على قبول الأساليب العامة  
المبتذلة في المهجاء كذكر العورات وهتك المحارم ، فاضطر خصومه إلى أن  
يكلموه باصطلاحه ، ويقاتلوه بسلاحه ، وأصبح بعده المهجاء في العراق لا يفعل  
في النفوس إلا مشوباً بهذا القذر . وما مهاجاة بشار وحاد إلا صورة من هجاء  
جرير والفرزدق .

كان جرير لعاميته وبيئته ، وللأسباب التي ذكرناها من قبل في معرض

الكلام عن الفرزدق ، يصطنع في المعاء أساليب الدعاء ، فيعير الأخطل بالقلف والخزير والشكر ؛ ويقذف البعيث في أمهوى أمة سجستانية ؛ ويهاجم الفرزدق في جدته فيتهمها بجير القين ، وفي أخته جثن فيرميها بابتذال بنى منقر إياها على إثر حادثته مع ظمياء بنت طلحة حفيدة قيس بن عاصم ، ويشهر بقومه في إخفار عمرو بن جرموز لقتلهم في قتل الزبير ، ثم يتسقط عيوبه الصغيرة وهفواته الدنيا فيجسمها بالمبالغة والتزييد ، كضربه النابية لرومي ، وزيجته القالية من نوار .

وكان الفرزدق يذهب في جهاته مذهب الفخر بآبائه ، فيعدد أباهم الظافرة ، ويمجد مفاخرهم الظاهرة ، فلا يستطيع جرير مجاراته في هذا المضمار فيعبد إلى نفس الفخر الصليف بالسخرية اللاذعة والنعش اللوج . وإذا أخذ جرير هذا المأخذ لا يقام له . اقرأ على سبيل المثال قصيدة الفرزدق التي مطلعها :

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أهرز وأطسول  
تجده يقول بعد هذا البيت :

بيتاً زُرارة محبٍ بغناائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل  
لا يحترق بغناء بيتك مثلهم أبداً إذا عُدَّ الفُعال الأفضل  
فيجيبه جرير في قصيدته لها :

أخرى الذي سمك السماء مجاشعاً وبنى بناءك في الحضيض الأسفل  
بيتاً يحمم قيسكم بغناائه دنساً مقاعده خبيث المدخل  
قتل الزبير وأنت عاقدة حبة تبا لحبوتك التي لم تحلل  
واقاك خدرك بالزبير على منى وتجرّ جثتيكم بذات الحرمل  
بات الفرزدق يستجير لنفسه وعجان جثن كالطريق للصيل

ويقول الفرزدق :

حلل للوك لباسنا في أهلنا والساينات إلى الوفى تنسربل



فيجيبه جرير :

لا تذكروا حلل الملوك فإنكم  
ويقول الفرزدق :

أحلامنا تزن الجبال رزاة  
فادفع بكفك إن أردت بناءنا  
خالى الذى غصب الملوك نفوسهم  
إنا لنضرب رأس كل قبيلة  
فيجيبه جرير :

كان الفرزدق إذ يموذ بخاله  
وانفر بضبة إن أمك منهم  
أبلغ بنى وقبان أن حلومهم  
أذرى بحلمهم الفياش فأنتم  
ويقول الفرزدق :

وهب القصائد لى النوايح إذ مضوا  
ثم يمضى يمدد الشعراء الفحول و يقول :

دفعوا إلى كتابهن وصية  
فودعن كانهن الجنادل  
فيجيبه جرير :

أعددت للشراء سما ناقما  
لما وضعت على الفرزدق ميسمى  
حسب الفرزدق أن يسب مجاشع  
فصيت آخرم بكأس الأول  
وصنى البقيث جدعت أنف الأخطل  
ويعد شعر مرقش ومهلل

فأنت تلاحظ أن جريراً يرغب في الطريق السهل ، ويطغى حرارة الجلد ببرودة الهزل ، ويقابل الكى المهاجم في سلاحه ولأمنته ، وهو في ثوب للهرج وبزته وضمكته .

ولجرير قدرة بارعة على تتبع الخصم في حياته الخاصة والعامة ، فينسقط أخباره ، ويتلقت حوادثه ، ثم يطنها في شعره تشهيراً به وفضيحة له :

يتزوج الفرزدق من حذراء بنت زريق بن بسطام على حكم أبيها ؛ فيقول جرير :

يا زريق قد كنت من شيبان في حسب      يا زريق ويحك من أنكحت يا زريق  
أنكحت وبلك قينا في استه حم      يا زريق ويحك هل بارت بك السوق  
يارب قاتله بمسد البناء بها :      لا الصهر راض ولا ابن القين مشوق

فيقبل أهلها عليه ويقولون له : ماتت ، كراهة أن يهتك أعراضهم جرير .  
فيأبى جرير إلا أن يعلن الحقيقة في قوله :

وأقسم ما ماتت ولكما التوى      بحذراء قوم لم يروك لها أهلا

ويعبث الفرزدق في المدينة حيث الشباب ويعترف بذلك في قوله .

ها دائســــــــــــــــان من ثمانين قامة      كما انقض بازا أقم الرش كاسره

فيقول له جرير :

تدليت تزنى من ثمانين قامة      وقصرت عن باع الملا والمكارم

ويضرب الرومي في حضرة سليمان بن عبد الملك فينبو عنه سيفه فيقول

له جرير :

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع      ضريت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ومثل هذه الأخبار لطرافتها وجدتها تعلق بالنفوس وتسير على الألسنة ،

كصحف الأحزاب تجعل من حياة خصومها اليومية مادة لجدالها ، وموضوعاً لنقدها ونضالها . وجريز لعلول ما تترس بالمجاء وغامر في الخصومة لإذع السخرية ، فاحش الدعاية . مر التهكم ، ومن ذلك كان حضور الفرزدق ويمتقع لونه كلما وردت المرید قصيدة لجريز . وأى تهكم أمضى وآلم من مثل قوله :

يا تَيْمُ إن بیوتکم تیسية      قُسُ الماد قصيرة الأطناب  
قوم إذا حضر الملوك وفودهم      نُتِفَت شواربهم على الأبواب

وقوله :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا      أبشر بطول سلامة يا مربع !

وقوله :

والتغلي إذا تمنع للقرى      حك استه وتمثل الأمثالا

وقوله :

فخلَّ الفخر يا ابن أبي خلیل      وأدَّ خراج رأسك كل عام  
لقد علفت يمينك رأس ثور      وما علفت يمينك بالجسام

وكان المجاء كان في جريز غريزة يرى الناس عنها لأدنى سبب وعلى غير معرفة ، فقد دخل على الوليد بن عبد الملك وعنده عدى بن الرقاع العاملي ، فقال له الخليفة : أتعرف هذا ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين . فقال : هذا رجل من عاملة . قال جريز : التي يقول فيها الله : ( عاملة ناصية تصلي ناراً حامية ) ، ثم قال بيتاً قبيحاً ورد عليه عدى بمثله فهجاء جريز بقصيدة منها ذلك البيت المشهور :

وابن اللبون إذا ما لَزَّ في قرَن      لم يستطع صولة البزل القناعيس

ولعل ذلك راجع إلى ميل في طبع أمه إلى هذا الضرب من البذاء والإيذاء فاشتبهت أن تراه فيه ، حتى صُورت لها تلك الأمنية في الحلم ، فرأت وهي حامل

به أن حبلاً نزل منها فصار يثب على الناس فيخضعهم واحداً بعد واحد . فلما تأولت رؤياها قيل لها إنك تلدين ولداً يكون شديد الهجاء والبلاء على الناس والشعراء ، فسمته لذلك جريراً . وسواء أرات أمه هذه الرؤيا أم افترتها ؛ فقد كان لها ولا ريب أثر قوى في توجيه قريحته منذ طفولته .

وهجاء جرير على الجملة ضعيف الفخر لبعده مستقاه فيه ، وما استطاع الفرزدق أن يعجزه إلا في مشواره ، فهو يقول له بحق :

غلبتك بالفقأ والمعنى وبيت المحتى والخافقات

يريد بالفقأ أو المفتى . قوله :

ولست ولو قات عينك واجداً أباً لك إن عد المساعى كدارم

وبالمعنى قوله :

وإلك إن تسمى لتدرك دارماً لأنك للمعنى يا جرير المكلف

وبالمعنى قوله :

بيتاً زارة محب بفنائيه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

وبالخافقات قوله :

وأبن تقي المالكات أمورها بحق وأبن الخافقات اللوامع

والفرزدق يريد بهذه الأبيات الإشارة إلى القصائد التي تضمنتها وهي من عيون شعره ومتين فخره .

وضعف جرير في الفخر إنما يرجع إلى الموضوع لا إلى الأسلوب ، فإنه أجل خصومه صياغة ، وأوفرهم بلاغة ، وأرقهم لفظاً ، وألطفهم مدخلا ، وأكثرهم فتناً . ولسهولة شعره وقلة غريبه تفق عند العامة والشعراء ، دون الرواة والعلماء . وهجاء هؤلاء الأقران الثلاثة إذا استثنينا منه اللعاني الجديدة واللهجة الشديدة والتصوير البارع ، لم يخرج عن سمات المهجائين الفحول كالخيل القريبي ، وحسان

ابن ثابت ، والحليئة ، في الابتداء بوصف الطفل والنزل ، والاعتماد على المفاخرة  
والنفاخرة ، وتلص العيوب من خبايا الماضي ، والانتقال للمقتضب من معنى إلى  
معنى . وأشد ما يسيب هجاء جرير والفرزدق كثرة التكرار ، فإن كلا الرجلين  
إنما يهجو صاحبه بطلاقة من الحوادث والصفات ذكرناها من قبل ، فلا تراه  
يسدل عنها ، ولا يكاد يزيد عليها ، وإنما يرددها في كل قصيدة أو تقيضة  
في أساليب شتى وقواف مختلفة . فإذا قرأنا لكل واحد منهما واحدة منهم  
لا يضيرنا بعدها ألا قرأ غيرها . كذلك إذا ألمنا بهجاء الأخطل والفرزدق وجرير  
فقد ألمنا بسائر الهجاء في هذا الطور ، لأنه مصنوع من مادته ومضروب على مثاله .  
على أن أساليب شعراء العراق في الهجاء الحزبي تختلف عنها في الهجاء  
الفردى ، فبينما هم في هذا لا يترفعون عن المحبو ولا يتورعون عن الكذب ترام  
في ذلك يذهبون مذهب الجاهليين ، فيفاخرون بالنسب ، ويتكاثرون بالعدد  
والمال ، ويؤثرون اللفظ الشريف والأسلوب العف ، بيد أنهم يفلون في الفخر  
حتى يجعلونه في الدين والحكم والعلم والموطن .

قال أعشى همدان وهو من أنصار ابن الأشعث :

أكسع البصرى إن لاقته      إنما يكسع من قل وذل  
وأجعل الكوفى في الخليل ولا      تجعل البصرى إلا في النفل  
وإذا فاخرتمونا فاذكروا      ماقلنا بكم يوم الجمل  
بين شيخ خاضب عنتونه      وفقى أبيض وضاح رفل  
جاءنا يخطر في سابعة      فذببحناه ضحى ذبح الحمل  
وعفونا فتسيلم عفونا      وكفرتكم نعمة الله الأجل  
ومن هجائه السيامى الدينى قوله مرتجزاً في الحجاج :

شطت نوى من داره بالإيوان      إيوان كسرى ذى القرى والريحان

إن تقيفاً منهم الكذابين كذايها للناضي وكذاب ثمان  
أمكن ربي من تقيف همدان إنا سمونا للكفور الفتان  
حين طفى بالكفر بعد الإيمان بالسيد الفطريف عبد الرحمن  
سار يجمع كالدبي من قحطان قتل الحجاج ولي الشيطان  
بثبت لجمع مذهب وحمدان فإنهم ساقوه كأس الذهبان

وملحقوه بقري ابن مروان

وهذا النوع من الهجاء قليل النفوق والبقاء ، كثير النفاق والرياء ، لطمع  
الشعراء في حياء الخلفاء وإيثارهم في الغالب سلامة البدن على سلامة العقيدة .  
وليس الهجاء الحزبي إلا صورة من صور الشعر السياسي الذي نفق في هذا  
العصر . وما نزع بهذه التسمية أن الإسلاميين قد وقعوا على مذهب في الشعر  
جديد القصد والغاية ، فإن مساجلة الخصوم بالشعر كانت مألوفة في عصر الجاهلية  
مشروعة في عهد النبوة ؛ إنما تقصد بالشعر السياسي طائفة من المعاني الجديدة  
استوحيتها خواطر الشعراء من اختلاف الأحزاب في الرأي ، وتنازع الزعماء  
على الحكم . جاءت هذه المعاني الجديدة على النهج القديم في صور مختلفة ،  
نستطيع أن نردها إلى أربع :

١ - في صورة المدح المشوب بالتهريض والتهريض كقول أبي العباس الأعمى :

أبني أمية لا أرى لكم	شبهاً إذا ما التفت الشيع
سعة وأحلاماً إذا نزع	أهل الخلوم فصرها النزع
أبني أمية غير أنكم ،	والناس فيما أطمعوا طمعوا .
أطمعتمو فيكم عدوكو	فما بهم في ذاكم الطمع
فلو أنكم كنتم لقومكم	مثل القى كانوا لكم رجعوا
عما صرهم أو آردم	حذر العقوبة ، إنها نزع

### وكقول الكميث :

بنى هاشم رطط النبي فإني بهم ولم أَرْضَ مراراً وأغضب  
خففت لم منى جناحي مودة إلى كنف عطفاه أهل ومرحب  
وأرعى وأرعى بالعداوة أهلها وإنى لأوذى فيهم وأؤنب

وكفة الأمويين في هذا الباب أرجح ، لما تجمع لهم من الترغيب في المال ،  
والترهيب بالملك ، والتمليق لموى النفوس ، فدحهم ونصرهم أكثر الشعراء  
في عصرهم ، إما دفعاً لشرمهم ، وإما طمعاً في خيرهم ، حتى الذين شايخوا خصومهم  
من الزبيريين والمويين لم يستطيعوا حبس لمابهم عن عطايا القصر .

### ٢ — وفي صورة المهجاء كامر ، وكأقال أعشى ربيعة لعبد الملك :

آل الزبير من الخلافة كالى عجل التاج بحملها فأحاطها  
أو كالضعاف من الحوة حملت مالا تطيق فضنيت أحاطها  
قوموا إليهم لا تفاؤوا عنهم كم للفؤاة أطلتم إهابها  
إن الخلافة فيكم لا فيهم مازلتهم أرككانها وثماها  
أمسوا على الخيرات قفلا منلقاً فانهم يملك فافصح أقالها

٣ — وفي صورة اقتراح لسياسة واستطلاع لرأى ، كقول مسكين الدارمي ،  
وقد أوعز إليه معارية أن يقترح البيعة من بعده لابنه يزيد ليعلم رأى قومه  
في ذلك .

إليك أمير المؤمنين رحاتها تتير القطا ليلا وهن هجود  
ألا ليت شعري مايقول ابن عمر ومروان أم ماذا يقول سعيد

بنى خلقه الله مهلاً فأنسا      بيوتها الرحمن حيث يريد  
إذا المنير الغربي خلاه ربه      فإن أمير المؤمنين يزيد  
فلما أتم إنشاده قال له معاوية : فظفر فيما قلت يامسكين ونستخير الله .  
ومثل ذلك حدث من عبد الملك ، فقد أراد أن يقتل ولاية العهد من أخيه  
عبد العزيز إلى ابنه الوليد ، فأمر النابغة الشيباني أن يقترح ذلك في حضرة  
الناس فقال :

لابنك أولى بملك والده      ونجم من قد عصاك مطروح  
داود عدل فاحكم بسيرته      ثم ابن حرب فإنهم نصحوا  
وهم خيار قاهل بسنتهم      وأحى بخير واكدهم كادحوا  
فابتسم عبد الملك ولم يكلم ، فلم الناس أن ذلك أمره .

٤ - ثم في صور جدل في رأى أو بيان لمذهب ؛ فنجد الجدل السياسى ما وقع  
بين كعب بن جعيل والنجاحش في المفاضة بين حلى ومعاوية ، فقد قال كعب :

أرى الشام تكره ملك العراق	ق وأهل العراق لهم كارهينا
وكل لصاحبه مبغض	يرى كل ما كان من ذاك ديننا
وقالوا على* إمام لنا	قلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى أن تدينوا لهم	قلنا لهم لا نرى أن نديننا
وكل* يسر بما عنده	يرى غث ما في يديه سمينا
وما في على* بمسعتب	يقال سوى ضمه المحدثينا
وليس براض ولا سائح	ولا في النهاية ولا الأمرينا
ولا هو ساء ولا هو سر	ولا بد من بعد ذا أن يكوننا



فلما بلغ ذلك الإمام علياً أمر النجاشي أن يجيبه فقال :

دَعَنْ مَعَاوِي مَا لَمْ يَكُونَا      لَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ مَا نَحْذَرُونَا  
أَتَاكُمْ عَلِيٌّ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ      وَأَهْلَ الْحَبَاذِ فَمَا تَصْنَعُونَا ؟  
يُرُونَ الْعُلَمَانَ خِلَالَ الْمَجَاجِ      وَضَرْبَ الْقَوَارِسِ فِي النَّقَمِ دِينَا  
هُوَ هَزَمُوا الْجَمْعَ جَمْعَ الزَّيْرِ      وَمُطْلَعَةَ وَالْمَعْشَرِ النَّكَثِينَا  
فَإِنْ يَكْفُرُ الْقَوْمُ مَلِكَ الْعِرَاقِ      قَدِيمًا رَضِينَا الَّذِي تَكْرَهُونَا  
فَقُولُوا لَكَعْبِ أَخِي وَائِلِ      وَمَنْ جَلَّ الْفَتْحُ يَوْمًا سَمِينَا :  
جَعَلْتُمْ عَلِيًّا وَأَشْيَاعَهُ      نَظِيرَ ابْنِ هَنْدٍ أَلَا تَسْتَحُونَا ؟  
وَمِنَ الْبَيَانِ الْمَذْهَبِي قَوْلُ كَثِيرٍ عِزَّةً يَشْرَحُ عَقِيدَةَ الشَّيْعَةِ فِي الْإِمَامَةِ :

أَلَا إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ      وَلَاةَ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءٌ :  
عَلِيٌّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ      هُمْ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خِفَاءٌ  
فَسَبَطٌ سَبَطُ إِيمَانٍ وَبَرٍ      وَسَبَطٌ غِييْتُهُ حَكْرُ بِلَاءٍ  
وَسَبَطٌ لَا يَنْوِقُ الْمَوْتَ حَتَّى      يَقُودَ الْخَلِيلَ يَقْدُمُهَا اللَّوَاءُ  
تَغِيبُ لَا يَرَى فِيهِمْ زَمَانًا      بِرِضْوَى عِنْدَهُ عِلَّ وَهَاءُ  
وَكَقَوْلِ ثَابِتِ قَطَنَةَ ، وَهُوَ مِنْ شُعْرَاءِ الْأُمَوِيِّينَ ، بِفَصْلِ مَذْهَبِ الْإِرْجَاءِ :

يَا هَنْدُ فَاسْتَمِعِي لِي إِنْ سِيرْتَنَا      أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ لَمْ نَشْرِكْ بِهِ أَحَدًا  
نَرْجُو الْأُمُورَ إِذَا كَانَتْ مُشَبَّهَةً      وَنَصْدُقُ الْقَوْلَ فِيمَنْ جَارَ أَوْ عِنْدَا  
الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ كَالْهَمِّ      وَالْمُشْرِكُونَ اسْتَبَاؤًا فِي دِينِهِمْ قَدَا  
وَلَا أَرَى أَنْ ذَنْبًا بَالِغٌ أَحَدًا      فِي النَّاسِ شَرَكًا إِذَا مَا وَحَدُوا الصِّدْقَ  
إِلَى أَنْ قَالَ :

كل الخوارج غلط في مقالته ولو تعبد فيما قال واجتهدا  
أما عليّ وعثمان فإنهما عبدان لم يشركا بالله مذ عبدا  
الله أعلم ما قد يحضران به وكل عبد سيقى الله منفردا

هذه جملة المعارض التي عرضت بها المعاني السياسية . ولعلك تلاحظ من  
هذه الأمثلة أنها في النال مهلهلة النسيج ، نائية القافية ، بادية التكلف ، تشبه  
من بعض الوجوه نظم المتن في الشعر التعليمي . وعلة ذلك أن اتصالها بالوجدان  
ضعيف ، وأن أكثرها إنما يصدر عن طبع مكره ، أو شعور بمائق ، أو قرينة  
كافية . والفرق بين شعر الأخطال والفرزدق وجرب ، وبين شعر هؤلاء الذين  
ذكرنا كالفرق بين من يعبر عن شعوره وحسه ، ويدافع عن قبيله ونفسه ، وبين  
من يتصل لسانه بقلب غير قلبه ، ويدفعه طبعه إلى عمالة حزب غير حزبه .

على أن من شعراء الأحزاب من قالوا الشعر عن عقائد دينية ، وعواطف  
نفسية ، ونوازع عصبية ، فكان لشعرهم جمال الإخلاص وروعة اليقين وقوة  
الحقيقة ، أولئك هم شعراء الشيعة والخوارج . فحق علينا ونحن في مقام البحث  
في شعراء العراق أن نديم النظر ساعة في أشعارهم ، لنستشف من خلالها صور  
مذاهبهم وأفكارهم

#### شعر الشيعة :

ورث عليّ بن أبي طالب بحكم مولده وترثاه مناقب النبوة ، ومواهب الرسالة ،  
وبلاغة الوحي ، ومراحة المؤمن ، وبسالة المجاهد ، فأجمع الناس على إجلاله  
وكادوا يطبقون على حبه . حتى من كتب عنه من الأوروبيين قد شاركوا المسلمين  
في هذه العاطفة ؛ فقد قال فيه الكاتب الإنجليزي كارليل : « أما ذلك الفتى  
على فلا يسعك إلا أن تحبه . ركب الله في طبعه النبيل منذ الحداثة ، وتجلّى  
في خلاله الكرم طوال عمره ، ثم طبعه على العمل ونفاذ المهمة ومراحة البأس ،

وآتاه سر الفروسية وجراءة البيت ، وكل أولئك في رقة قلب وصدق إيمان وكرم  
فعال تليق بالفروسية للمسيحية . ثم سار على في خصومته وخلافته وسياسته  
على ضوء هذه الأخلاق ، فقا قارف الأثرة ، ولا حارل الفرقة ، ولا راقب  
الفرصة ، ولا أثار العصبية ، ولا استخدام المال ، وإنما أخلص النية للبعيرين ،  
ومحض النصيحة لعثمان ، وأعذر بالحجة لمعاوية . ولكن دنيا الفتوح كانت قد  
أخذت على عهده تتجاهل دين للبساطة والزهد ، ولم تعد السياسة الدينية وحدها  
فادرة على كبح النفوس المفتونة بمال معاوية في الشام ، وثرأ الرافدين في العراق ،  
فانتشر أمره وانصدعت خلافته ، ثم قتل مظلوماً في محرابه ؛ فكان محباً وممانه  
تاريخاً دامياً للفضيلة للعذبة والنفس المطمئنة الشهيدة . ثم ورث بنيه وأهليه  
ذلك العزم النائر وهذا الجهد العائر ، قدب الموت للحسن سراً في كأس مذعوفة ،  
وقتل الحسين فتلة لا يزال يرعد من هولها الدهر .

وتلاحقت الفواجع الأموية فصرع زيد وقتل يحيى ، واقتنعت المنال الرواصد  
في اختلاج بني على ، وهم يقابلون هول الفوائل الظاهرة والباطلة بالشجاعة  
والصبر والاحتساب ، حتى أسفرت حول وجوههم طفاوة من التنزيه والتقديس  
وتخللت محبتهم قلوب المسلمين ، ولا سيما الشيعة ، فإن ندمهم على خذلانهم إياهم ،  
والمهم لما رأوا من اضطهادهم وأذاهم ، رفعا في نفوسهم ذلك الحب حتى أشرفا به  
على مقام العبادة . ثم ظهر ذلك الحب في صور من العقائد : فقالوا بالوصية ،  
وجعلوا الإمامة من أصول الدين ، وحصروها في على وبنيه ، وطعنوا في إمامة  
الشيخين . ولم يتهبأ لهم السلطان ، ولم تسفهم القدرة ، فاعتمدوا على استمالة  
القلوب وترقيقها بالبكاء والندب ، وتصوير الآلام ، وإعلان الفضائل ، فاصطبغ  
شعرهم بالحزن العميق ، والرثاء النائح ، والمدح المبهل ، والعصبية الحاقدة . على أن  
هذه الخصائص لم تكن واضحة في شعر أوائل الشيعة وضوحها في شعر الأواخر  
منهم : فإن تغفل الفكرة في أصل العقيدة ، وتشكيل الحاكين بآل البيت ،

واضطهاد الولاة للشيعة ، إنما تدرجت قسوة وقوة مع الزمن ، فضلاً عن قلة شعراء الشيعة في هذا العصر لإقصاد الأمور بين الضمائر بالحديد والذهب ، فشرع بدأ ولاء صادقاً ، ومدحاً خالصاً ، وهجاء مرأى ، ثم اشتد فصار مفاضلة جريئة ، ومعارضة شديدة ، ومناقشة قهوية ، ودعاية حزبية . ولعل ذلك يجعل لك فيما ذكرناه وفيما سنذكره من الأمثلة . فمن التعبير عن العاطفة القوية الساذجة قول أبي الأسود الدؤلي :

يقول الأردلون بنو قشير      طوال الدهر لا تنسى عليا  
بنو عبد النبي وأقربوه      أحبُّ الناس كلهم إليَّ  
أحبهم كحب الله حتى      اجيء إذا بعثت على هواي  
فإن يك حبهم رشداً أصيبه      ولست بمخطيء إن كان فيما

ومن المدح وللفاضلة قول أيمن بن خزيم الأسدي :

نهاركم مكابدة وصوم      وليكم صلاة واقراء  
الجمعكم وأقواماً سواء      وبينكم وبينهم الهواء ؟  
وهم أرض لأرجلكم وأنتم      لأرؤسهم وأعينهم سماء

ومن الهجاء قول ابن مفرغ الحميري :

ألا أبلغ معاوية بن صخر      مظنة من الرجل اليماني  
أتعصب أن يقال أبوك عف      وتوضي أن يقال أبوك زاني ؟  
فأشهد إن رحمتك من زياد      كرحم القليل من ولد الأتان  
وأشهد أنها ولدت زياداً      وصخر من سمية غير داني

وقول عبد الله بن هشام السلولي في يزيد بن معاوية :

حسيننا النقيض حتى لو شربنا      دماء بني أنية ما رويلا

لقد ضاعت رعيّتكم وأنتم تصيدون الأرانب غافلين  
ومن المناقشة الجدلية قول الكهيت في الخلافة :

يقولون لم يورث ولولا ترائه      لقد شَرَكْتَ فيه بمجمل وأرحب  
ولا انتقلت عضوين منها يُجَابِرُ      وكان لعبد القيس عضو مؤرَّب  
فإن هي لم تصلح لحي سواهم      إذن فذو القربى أحق وأقرب  
فيا لك أسراً قد تشتت جمعه      وداراً ترى أسبابها تنقضب  
تبدلت الأشرار بعد خيارها      وجدَّ بها من أمة وهي تلعب ا

ويكاد الكهيت بن زيد الأسدي بقصائده الهاشميات يكون الشاعر الفذ  
لهي هاشم ؛ فقد مدحهم واحتج لهم ودافع عنهم بلسان صادق واعتقاد خالص  
ونفس جريئة وقريظة سمحة . ولما أهدر هشام بن عبد الملك دمه لجأ على  
ما أرجح إلى التقيّة في شعره على عادة الشيعة ، فقال من كلمة بمدحه فيها .

فالآن صرتُ إلى أمية والأُمور إلى المصاير  
يا ابن المقاتل للعقا      تل والجماعة الأخاير  
من عبد شمس والأكا      بر من أمية فالأكاير  
لكم الخلافة والإلا      ف برغم ذى حسد وواغر

ومها يقل الكهيت فإن عاطفة شعراء الشيعة ستظل كما قلنا مكظومة بالطمع  
والخوف حتى تنبجس في عهد بني العباس نفثات غيظ ، وحسرات حزن ، وعبرات  
ألم في شعر السيد الحميري ، ودعبل الخزاعي ، وديك الجن ، ومطيع بن إبّاس ،  
وأبي الشيص ، والـكوك ، وأضرابهم .

شعر الخوارج :

وأما الخوارج - وجهرتهم من البدو الجفّة والسذج - فقد قام أمرهم على

الصلابة في الرأي ، والمكابرة في القول ، والاشتطاط في الحكم ، والتشدد في الدين ، والغلو في العبادة ، والقسوة في المعاملة ، والاعتماد على الحرب . شايعوا علياً وآزروه حتى قبل التحكيم ، فقالوا له : حَكِّمْتَ الرجال ولا حكم إلا لله ! ثم خرجوا عليه وأبوا أن يرجعوا إليه إلا إذا أقر على نفسه بالكفر ، ونقض ما عاهد معاوية عليه . فأبى عليهم ما سألوا ، وأوقع بهم يوم النهروان ، فزاد ذلك في حنقهم عليه وخلافهم له ، فاقصروا به واقتالوه . واستعرضوا أعمال الخلفاء وعقائد الناس ، نخطأوا بعضاً وكفروا بعضاً . ثم ذهبوا إلى أن الخلافة تصح في غير قريش وفي غير العرب ، وأن العمل جزء من الإيمان ، فحرموا كل الحرم على أداء الشعائر واجتناب الكبائر ، ولاذوا بكور الجبال يدعون جهراً إلى مذهبهم دون موارد ولا تقية ولا هوادة ؛ فكانوا في الدين كما قال صاحبهم أبو حمزة الشاري : « أنضاء عبادة وإطلاح سهر . قد أكلت الأرض أطرافهم ، واستقلوا ذلك في جنب الله . فإذا كان الجهاد ورعدت الكتيبة بصواعق اللوت ، استغفروا بوعيد الكتيبة لو عيد الله ، ومضى الشاب منهم قدماً حتى اختلفت رجلاه في عنق فرسه ، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه ، فإذا أنقذه الرمح جمل يسمى إلى قاتله ويقول : « وجعلت إليك رباً لترضى » .

وكانوا مع هذا الورع الشديد والخشية البالغة يقسون على مخالفيهم ، فلا يرحمون ضعف المرأة ، ولا براءة العقل ، ولا شيخوخة الهرم ، ولا وشائج الرحم ؛ لأهم - كما ظنوا - باعوا أنفسهم وأموالهم لله بأن لم الجنة ، قطعوا أسباب الحياة ، وأماتوا حواطف الدنيا ، وقتلوا وقتلوا في سبيل هذا المذهب وتلك الغاية . وهم لصراحة بداوتهم ، وشدة عصبيتهم ، وخلوص عقيدتهم ، وما تقتضيه دعوتهم من إيمان الحجاج والفاطمة أسلس الناس منطلقاً ، وأروعهم كلاماً ، وأمتنهم شعراً . ولكن الشعر كان عديم في الحفل الثاني من الخطابة ، لقيام أمرهم على الإقناع والجدل بآيات الله وأحاديث الرسول ؛ وغناء الشعر في ذلك قليل . فإذا ما برز الخارجي

للخمس ، أو هجم على اللوت ، أو وقع في الأسر ، جاشت نفسه بمتين الرجز ،  
أورصين القصيد ، يضمته وصفه للحرب ، وولمه للقتال ، وزهدته في الحياة ،  
واستخفافه بالموت ، وشوقه إلى الشهادة ، وظمأه إلى الجنة ، في لفظ جزل  
وأسلوب قوى ، ولما يدور شعرهم على غير ذلك . فمن الرجز قول ابن أم حكيم :  
أحل رأساً قد سئمت حله      وقد مللت دهنه وغسله

ألا فتي يحمل عن نفسه

ومن القصيد قول معاذ بن جوين يحرص قومه وهو أسير :

ألا أيها الشارون قد حان لأمرى      شرى نفسه لله أن يرحل  
أقم بدار الخاطئين جهالة      وكل امرىء منكم يصاد ليقتل  
فشدوا على القوم المدة فإنها      أقامتكم للذبح رأيا مضلا  
ألا فاقصدوا يا قوم للغاية التي      إذا ذكرت كانت أبر وأعدلا  
فياليتنى فيكم على ظهر ساج      شديد القصيرى دارما غير أعزلا  
فيأرب جمع قد فلت ، وغارة      شهدت ، وقرن قد تركت مجدلا  
وقول الطرماح بن حكيم :

أقد شقيت شقاء لا انقطاع له      إن لم أفر فوزة تنبجى من النار  
والنار لم ينبج من لمبيها أحد      إلا المتيب بقلب الخلفى الشارى  
أو الذى سبقت من قبل مولده      له السعادة من خلافتها البارى  
وقوله :

وأمسى شهيدا ثاريا في عصابة      يصابون في فج من الأرض خائف  
فوارس من شيبان ألف بينهم      تقي الله نزالون عند الزواحف

إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى وصاروا إلى ميعاد ما في المصاحف  
وكقول قطري بن النجاء في يوم دولاب :

فلم أرى يوماً كان أكثر مقصماً      يبيع دماً من فائظ وكلم  
وضاربة خدّاً كريماً على فتي      أغر نجيب الأمهات كريم  
أصيب بدولاب ولم تك موطناً      له أرض دولاب ودير حيم  
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا      تبيح من الكفار كل حريم  
رأت فتية باعوا الإله نفوسهم      بجنات عدن عنده ونعيم

وقليلاً ما يجادل الخوارج بالشعر ويقارعون بالمجاء، لاعتمادهم في الجدل على  
الخطابة، وفي القراع على السيف . ومن هذا القليل قول بعضهم في الجدل  
وقد هزم أربعون منهم ألفين لابن زياد :

ألفاً مؤمن فيما زعم      ويقتلكم بأسك أربعونا  
كذبتم ليس ذاك كما زعم      ولكن الخوارج مؤمنونا  
هي الفئة القليلة قد علم      هي الفئة الكثيرة بنصرونا

وقول عمران بن حطان في هجاء الإمام :

لله در الرازي الذي سفكت      كفاء مهجة شر الخلق إسنانا  
أسى عشية غشاء بضربته      مما جناه من الآثام عرياننا  
وما حمله على ذلك إلا أنه من القعدة لضغفه عن الحرب لكبر سنه  
فجاهد بلسانه .



## نماذج من الشعر الاموى

قال قطري بن الفجاءة :

أقول لها وقد طارت شمعاً      من الأبطال ويحك لن تراعى  
فإنك لو سألت بقاء يوم      على الأجل الذى لك لم تطاعى  
فصبراً فى مجال الموت صبراً      فما نيلُ الخلود بمستطاع  
ولا ثوب البقاء بثوب عز      فيطوى عن أخى الخنع البراع  
سبيل الموت غاية كل حى      فداعيه لأهل الأرض داع  
ومن لا يُعْتَبَطُ بِسَامٍ وَيَهْرُمُ      وتُسَلِّهُ النون إلى انقطاع  
وما للمرء خيرٌ فى حياة      إذا ما عدَّ من سَقَطِ المتاع

وقال عبد الله بن قيس الرقيات فى قريش :

حبذا العيش حين قوى جميعٌ      لم تفرق أمورها الأهواء  
قبل أن تطمع القبائل فى ما      لك قريش وتشت الأعداء  
أيها المشتكى فناء قريش      بيد الله عمرها والفناء  
إن تودع من البلاد قريش      لا يكن بعدهم لحي بقاء

وقال الحطيئة يمدح بفيض بن لؤى :

تزور امرأ يؤتى على الحمد ماله      ومن يؤت أئمان الحامد يُحمد  
يرى البخل لا يبقى على المرء ماله      ويعلم أن البخل غيرُ مخلد  
كسوب ومِتْلَاف إذا ما سألته      تهل فاهتز اهتزاز الهند  
متى تأتاه تمشوا إلى ضوء ناره      نجد خير نار عندها خيرُ موفد

وقالت الخنساء :

دلّ على معروفه وجهه — بورك هذا هادياً من دليل !  
تحسبه غضبان من عزه — ذلك منه خلق ما يحول  
ويُلَمُّه مِسْرَ حرب إذا — ألقى فيها وعليه الشليل !

وقال السكيت<sup>(١)</sup> الأسدي يمدح مسلمة بن عبد الملك :

فما غاب عن حلم ولا شهد الخنا — ولا استعذب العوراء يوماً فقالها  
وتفضل أيمانَ الرجال شماله — كما فضلت يميني يديه شمالها  
وما أجمَ للمعروف من طول كره — وأمرأ بأفعال الندى واقتمالها  
ويبتذل النفس المصونة نفسه — إذا ما رأى حقاً عليه ابتذالها  
بلوناك في أهل الندى قفضلتهم — وباعك في الأبواع قدماً فطالها  
فأنت الندى فيما ينوبك والسدى — إذا الخلود عدت عقبة القدر مالها  
وقالت ليلي الأخيلية تثرى توبة :

لمرك ما بالموت طار على الفقى — إذا لم تصبه في الحياة للماير

(١) هو السكيت بن زيد الأسدي ولد سنة ٦٠ هـ بالكوفة ونشأ في قومه بني أسد  
لثان اللغة وثق الأدب وعلم الأنساب وشابه الأعراب وتلقى أخبار العرب من جدهن له  
أدركنا الجاهلية ، ثم قال الشعر وهو صغير ولكنه كان يحكى أن يديه حتى ألقاه الفرزدق  
شيئاً منه وسأله حكاه فيه أينصره أم يطويه ، فأمره بإذلته فأذاعه . وتقدم قصائده الهاشميات  
يظهر فيها تصبه لأولاد علي ويمدحهم ويذمهم عنهم . ولما قالم بالأحس حكيم الكلبي هاجر  
اليماية هجاء السكيت وعبا اليماية وجاء : فقضب خالد بن عبد الله القسري والى العراق وكان  
يمانياً فسمى به إلى هشام وأسمه شعرة في ذم بني أمية ومدح بني هاشم فأمره بقتله ففجعه ،  
ففر السكيت من سجنه حتى لحق بالشام ولأذ يقيم معاوية بن هفام فأمنه الخليفة ومنا عنه .  
ولبت السكيت على مدح بني هاشم وذم اليماية فأثار العصبية بين اللدنيين والقحطانيين وأرث  
العداوة السكانية في صدور الأمتين ، فانتصت الحوة ونقرات الكلمة وحامت هذه الفتنه حتى  
أواسط الدولة العباسية ، وكانت وفاة السكيت سنة ١٢٦ هـ .

وما أحد حى\* وإن عاش سالماً      بأخذه ممن غيبتة المقابر  
فلا الحى مما أحدث الدهر مُعْتَبَرٌ      ولا الميت إن لم يصبر الحى ناشر  
وكل جديد أو شباب إلى بلى      وكل امرئ يوماً إلى الموت صائر  
وكل قريبى ألقى ليتفرق      شتاتاً وإن ضناً وطال التماشر  
فلا يُبْعِدَنَّكَ الله يا توب هالكا      أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر  
فأليت لا أنفك أبكيك مادحت      على فتن ورقاه أو طار طائر  
وقال أبو ذؤيب الهذلى يرثى بنى النخلة وقد هاجروا إلى مصر فهلكوا  
في عام واحد :

أمنَ اللون وريبها تتوجع      والدهر ليس بمعتب من يجرع ؟  
قالت أمانة ما لجسمك شاحباً      منذ ابتذلت ومثل مالك بنفع  
فأجبتها إرثى لجسى إته      أودى بنى من البلاد فودعوا  
أودى بنى فاعقبونى حسرة      عند الرقاد وعبرة لا تقلع  
فالعين بدمم كأن حداثها      كحلت بشوك فى عورا تدمع  
فغبرت بدمم بعيش ناصب      وإخال أنى لاحق مستنمع  
سبهقوا هوى وأعتقوا لهوام      ففخرموا لكل جنب مصرع  
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم      وإذا اللية أقبلت لاتدفع  
وإذا اللية أنشبت أظفارها      أليت كل تمية لا تنفع  
وتجلدى للشامتين أريهم      أنى لريب الدهر لا أتضع  
حتى كأنى للحواث مروءة      بصفاء المشرق كل يوم تفرع

وقال جرير يرثى ابنه :

قالوا نصيبك من أجر قتلت لهم      كيف العزاء وقد فارقت أشبالى

فارقته حين كف الدهر من بصرى      وحين صرت كعظم الرمة البالي  
وقال مالك بن أسماء في الهجاء :  
لو كنت أحل خيراً يوم زرتكم      لم يفكر الكلب أنى صاحب الدار  
لكن أتيت وريح السك يفتنى      وعبر الهند أذكيه على النار  
فأنكر الكلب ريحى حين أبصرنى      وكان يعرف ريح الزق والقار  
وقال آخر :  
أقول حين أرى كعباً وحيته      لا بارك الله فى بضع وستين  
من السنين تولاهما بلا حسب      ولا حياء ولا قدر ولا دين  
وقال عبد الرحمن بن الحكم :  
سما الله قيساً قيساً صيلان إنها      أضاعت ثنور المسلمين ووات  
فشاول بيس فى الطمان ولا تكن      أخاها إذا ما للشرقية سلت  
وقال الطرماح يهجو بني تميم :  
تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا      ولو سلكت سبل المكارم ضلت  
ولو أن برغوثاً على ظهر نملة      يصكر على صنم تميم لولت  
وقال حندج بن حندج المرى يصف ليل صول :  
فى ليل صول تنهى العرض والطول      كأنما ليسله بالليل موصول  
لأفارق الصبح كفى إن ظفرت به      وإن بدت غرّة منه وتجميل  
يساهر طال فى صول تملله      كأنه حية بالسوط مقتول  
متى أرى الصبح قد لاحت غايله      والليل قد مزقت عنه السراويل  
ليل تميز ما ينعط فى جهة      كأنه فوق متن الأرض مشكول

نجومه رُكْدٌ ليست بزائلة كأنما هن في الجوّ القناديل  
ما قد رآ الله أن يذني على شحط من داره الحزن من داره صول  
الله يطوى بساط الأرض بينهما حتى يرى الرُّبُع منه وهو مأهول

وقالت الخنساء تصف سباقاً كان بين أبيها وأخيها :

جاري أباه فأقبلا ومها يعاوران ملاءة<sup>(١)</sup> الحضر  
حق إذا نزت القلوب وقد نزت هناك العنبر والعنبر  
وعلا هتاف الناس أيها ؟ قال المجهب هناك لا أدرى  
برزت صحيفة وجهه والله ومضى على غلواته يجرى  
أولى فأولى أنت يساويه لولا جلال السن والكبر  
ومها وقد برزا كأنهما سقران قد حطا إلى وكر

وقال الفرزدق يصف ذئباً صادفه أثناء سفره فأطعمه من زاده :

وأطلس عال وما كان صاحباً دموت لتأري موهناً فأتاني  
فلما أتى قلت أدن دونك إنني وإياك في زادي لمشتركان  
فبت أقد الزاد بيني وبينه على ضوء نار مرة ودخان  
وقلت لما تكشر ضاحكاً وقائم سيني من بدى بمكان  
تمش فإن ما هدتني لا تمنوتني فكن مثل من ياذب يصطعبان  
وأنت امرؤ ياذب والغدر كفتا أخيين كانا أرضاً بلبان  
ولو غيرنا نبهت تلتبس القرى رماك بسهم أو شياة سنان

(١) الملاءة : الثياب ، والحضر : العدو الشديد .

وقال بعض المحازين يصف حال امرأته عندما علمت بزواجه من غيرها :

خبروها بأننى قد تزوجت فظلت تكاتم الفيظ سراً  
ثم قالت لأختها ولأخري جزعاً : ليتك تزوج عشراً  
وأشارت إلى نساء لديها لا ترى دونهن للسر سترأ :  
مالقلى كانه ليس منى وعظاى كأن فيهن قترأ ؟  
من حديث نما إلى فظيع خلت في القلب من تظليه جبرا

وقال عروة بن أدبنة في الغزل :

إن التى زعمت فؤادك ملها خلقت هواءك كما خلقت هوى لها  
بيضاء باكرها النعم فصاغها يلباقه فادقها وأجلها  
حجبت تحيتها فقلت لصاحبى ما كان أكثرها لنا وأقلها  
وإذا وجدت لها وسوس سلوة شفع الضمير إلى الفؤاد فسلها

وقال جميل بن معمر :

وإنى لأرضى من بُشينةً بالذى لو ابصره الواشى لغرت بلابله  
بلا ، وبألا أستطيع ، وبالمى ، وبالأمل المرجو قد خاب آمله  
وبالنظرة التجلى ، وبالحول تنقضى أواخره لا نلتقى وأوائله

وقال أيضاً :

وما زلتم يا بن حتى لو اننى من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا  
إذا خدرت رجلى وقيل شفاؤها دعاء حبيب كنت أنت دعائيا  
وما زادنى النأى المفرق بعدكم سلوا ولا طول التلاقي تقاليا  
ولا زادنى الواشون إلا صباية ولا كثرة الناهين إلا تماديا

لقد خفت أن ألقى المنية بفتة      وفي النفس حاجات إليك كما هيا  
وقال يزيد بن الطثيرة .

بنفسى من لو مر برّد بناته      على كبلى كانت شفاء أنامله  
ومن هابنى فى كل أمر وهبته      فلا هو يعطينى ولا أنا سألله  
وقال قيس بن ذريح :

فإن يحببوها أو يملّ دون وصلها      مقالة واش أو وعيد أمير  
فلم يمنعوا عيني من دائم البكا      ولم ينهبوا ما قد أجن خميري  
وقال كثير من قصيدة يذكر فيها هجران عزة وسلوانه :

وما كنت أدري قبل عزة ما البكا      ولا موجعات القلب حتى تولت  
وكانت لتقطع الحبل بينى وبينها      كناذرة نذراً فأوفت وحلت  
ولم يلق إنسان من الحب ميفةً      نعم ولا غناء إلا تجلّت  
أريد الثراء عندها وأظنها      إذا ما أطلنا عندها المكثّ ملت  
فما أنصفت ، أما النساء فبنّضت      إلى ، وأما بالنوال فضت  
يكلفها الفيران<sup>(١)</sup> شتى وما بها      هوانى ، ولكن للمليك استذلت  
هيناً مريضاً غير داء مخامر      لمرّة من أعراسنا ما استعلت  
فوالله ما قاربت إلا تباعدت      بهجر ولا أكثرت إلا أقلت  
فإن تسكن العتي فأهلاً ومرحباً      وحقت لها العتي لدينا وقلت  
وإن تسكن الأخرى فإن وراءنا      منادح لو سارت بها العيس كلت

أسيى بنا أو أحسنى لا ملومةً      لدينا ولا مثلية إن تقلت  
فأنا بالذاعى لعزة بالجوی      ولا شامت أن تعلُ عزة زلت  
فلا يحسب الواشون أن صبايتى      بعزة كانت غسرة فتجلى  
فوالله ثم الله ما حل قبلها      ولا بعدها من خلة حيث حلت  
فيا عجبا للقلب كيف اعترافه      وللنفس لما وطنت كيف ذلت  
وإني وشيأى بعزة بعدما      تخليت عما بيننا ونحلت  
لكالمترجى ظل الغمامة كلما      تبوأ منها للعقيل اضمحلت  
فإن سأل الواشون فيم هجرتها      قل نفس حرسليت قتلت  
وقال جرير على لسان يزيد :

فأنت أبى مالم تكن لى حاجةً      فإن عرضت أبقت أن لا أباليا  
وإني لمزور أعللُ بالمنى      لىالى أرجو أن مالك ماليا  
بأى نجاد تحمل السيف بعدما      قطعت القوى من عمل كان باقيا ؟  
بأى سنان تطعن القوم بعدما      نزع سنانا من قناتك ماضيا ؟  
وقال مالك ابن أسماء يستنذر :

لكل جواد عثرة يستقيها      وعثرة مثلى لا تقال مدى الدهر  
فهبنى يا حجاج أخطأت مرة      وجرت عن المثلى وغنيت بالشعر  
فهل لى إذا ماتبت عندك توبة      تدارك ما قد ظنت فى سالف العمر ؟  
وقال الخليل :

أنتى لسان فكذبها      وما كنت أحسبها أن تُقالا  
بأن الرشاة بلا حرمة      أتوك فراموا لديك الحالا



فَجِئْتُكَ مَعْتَذِراً رَاجِئاً  
لَعَنُوكَ أَرْهَبَ مِنْكَ النِّكَالَا  
فَلَا تَسْمَعَنَّ بِي مَقَالَ الْعَدَى  
وَلَا تُؤَكِّلْنِي هُدَيْتَ الرِّجَالَا  
فَإِنَّكَ خَيْرٌ مِنَ الزَّبْرَقَانِ  
أَشَدَّ نِكَالاً وَخَيْرُ نَوَالَا  
وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

المال يَفْشَى رجالاً لا طَبَاخَ بِهِمْ  
أَصُونُ عَرَضِي بِمَالِي لَا أَدْنَاهُ  
أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَأَجْمَعُهُ  
الْفَقْرُ يُزْزِي بِأَقْوَامِ ذَوِي حَسَبِ  
وَقَالَ كَثِيرٌ :

ومن لا يَغْمُضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ  
ومن يَتَّبِعْ جَاهِلًا كُلَّ عَشْرَةٍ  
وقال كعب بن زهير .

وعن بعض ما فيه يَمْتُ وهو طاب  
يَجِدُهَا وَلَا يَسْلَمُ لَهُ الدَّهْرَ صَاحِبُ

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني  
يسعى الفتى لأمر ليس يدركها  
قاله ما عاش ممدود له أمل  
وقال النابغة الجعدي :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له      بواذرُ نهي صفوه أن يكذرا  
ولا خير في جهل إذا لم يكن له      حلم إذا ما أورد الأمة أصدرا

## الشعراء وطبقاتهم

نبغ في هذا العصر على قصره زهاء مائة شاعر كان لهم السهم الربيع في نهضة العرب الدينية والسياسية والاجتماعية ، لقوة الدعاية في الشعر ، وتأثير الفصاحة في العرب ، وشدة المصيبة في الولاة . وشعرهم وإن سار على منهاج الجاهلية أسمى خيالاً وأقرب منالاً وأوثق مبنى وأغزر معنى من للتقدمين ؛ لتأثرهم بالدين والحضارة كما علمت ، وهم إما محضرمون ككعب بن زهير والخنساء وحسان بن ثابت والخطيئة ؛ وإما إسلاميون كعمر بن أبي ربيعة والأخطل وجريز والفرزدق والكُمَيْت والطَّرِمَّاح وكثير وذى الرُّمة . وكلهم صريح العربية ، صحيح اللغة ، فصيح اللهجة ، في الشعر والنحو حُجَّة .

وأشهر هؤلاء الشعراء كما ذكرنا من قبل ثلاثة منُّوا بداء السياسة ، وشهوة المنافسة ، فزقوا ستائرهم وفرقوا عثارهم ، وأشاعوا هُجر القول في الناس ، ولم يتعرض لهم أحد إلا افتضح ؛ وهم جريز والفرزدق ولأخطل . وقد انقطعوا للشعر والتكسب به ، والتف حول كل منهم طائفة تفتخر به وتفتخر له . ويكاد الناس لا يختلفون إلا فيهم ، ولا يعقدون التفاضل إلا بينهم .

## الشعراء المخضرمون

### كعب بن زهير

المتوفى سنة ٢٤ هـ

### نشأته وهيبته

هو أبو عقبة كعب بن زهير بن أبي سلمى الخزّازي . نشأ أبوه على الأدب والحكمة فشَبَّ فصيحاً شاعراً . ولما ظهر الإسلام خرج هو وأخوه بجير إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بداله فتأخر وتقدم بجبر ، فسمع كلام رسول الله وأسلم . ففضب كعب لإسلامه ونهاه ، وهجاء وهجا رسول الله معه بأبيات يقول فيها :

ألا أبلغنا عنى بجيراً رسالةً      فهل لك فيما قلت وبحك هل لك ؟  
سفاك بها للأمن كاساً رويةً      فأنهلك للأمن منها وعلكا  
فقارفت أسباب الهدى واتبعته      على أى شئ وبى غيرك دلوكا  
على مذهب لم تُلِفْ أمّا ولا أباً      عليه ولم تعرف عليه أخاك  
فإن أنت لم تفعل فليست بأسف      ولا قائل إما عثرت لَمّا لك !

فأهدر الرسول دمه ، وأرجف الناس بقتله . وأشفق عليه أخوه فنصحه بالإسلام والتوبة والثول بين يدي الرسول يطلب رضاه وعفوه ، فلما استلأس كعب من الحجير والنصير جاء إلى المدينة ، وتوسل بأبي بكر إلى الرسول . ودخل في الإسلام ، ومدحه بلاميته للشهورة ، ففقا عنه وأمنه وخلع عليه برّدته ؛ فما زالت في أهله حتى اشتراها معاوية منهم بأربعين ألف درهم ، وتوارثها الخلفاء الأمويون فالعباسيون حتى آلت مع الخلافة إلى بنى عثمان .

### سمره

نشأ كعب في روضة الشعر وباحة القريض فرسخت فيه ملكته ، وتجلت في صغره شاعريته . فأخذ يقرضه وهو دون للراقة . فنهاه أبوه مخافة أن يروى عنه ما لا خير فيه فيلزمه عاره . فكان كعب يأبى أن ينتهى ، ويلج أبوه في منعه حتى امتحنه امتحاناً شديداً طمأنه على نضج قريحته وسلامة طبعه ؛ فتركه لنفسه فتفتح أبوابه ، وسلك شجابه ، وأتى منه بالجيد الرصين والرائق المعجب . وأوشك أن يسامى أباه لولا غرابة في ألفاظه ، وتعميد في تراكيبه ، وقصور في مطولاته ؛

ومن كل ذلك برى أبوه . وما يدل على مكانة كعب وقيمة شعره أن الخطيئة .  
وهو من تابعي الشعراء توسل إليه أن ينوّه بذكره في شعره حتى يشتهر ، فقال .  
فمنّ للقواني شأنها من يحوكها      إذا ماضى كعب وفوز جرول<sup>(١)</sup>  
كفيتك لا تلقى من الناس واحداً      تنخل منها مثل ما تنخل

### نحوذج من شعره

من عيون شعره مشروبه التي مدح بها الرسول ، ومطلعها :  
بانت سعاد قلبي اليوم متبول      متيمّ إثرها لم يفد مكبول  
ومنها :

وقال كلّ خليل كنت آمله      لا ألهينك إني عنك مشغول  
فقلت خلوا سبيلي لا أبالكُم      فكلّ ما قدّر الرحمن مفعول  
كل ابن أثنى وإن طالت سلامته      يوماً على آله حدباء محمول  
أنبت أن رسول الله أوعدني      والوعد عند رسول الله مأمول  
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ      قرآن فيها مواعظ وتفصيل  
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم      أذنب وقد كثرت في الأقاويل  
ومن قوله :

السامع الدم شريك له      ومطعم المأكول كالآكل  
مقالة السوء إلى أهلها      أسرع من منحدّر سائل  
ومن دعا الناس إلى ذمه      فموه بالحق وبالباطل

(١) جرول : اسم الخطيئة .

## الخنساء

المتوفا سنة ٢٤ هـ

### حياتها

هي السيدة ثمّاض بنت عمرو بن الشريد السلية . وَاَلْخَنَسَاءُ لقب قلب عليها .  
نهقت في دوحة الشرف ، وازدهرت في روضة الفضل ، فكان أبوها وأخواها  
معاوية وصخر سادات سليم من مضر . وكانت بارعة الجمال والأدب فخطبها  
دريد بن الصمة سيد هوازن ومارس جشم ، فردته وآثرت الزوج في قومها ،  
ولما قوض الدهر ركني بيتها بموت أخويها معاوية وصخر جزعت عليهما أشد  
الجزع ، وبكتهما أحرّ البكاء ، ورثتهما بأبلغ الرثاء ، ولاسيا صخر لما بلّته من  
كثرة إحسانه ، وشدةحنانه ، وقوة جنانه . ثم وفدت في قومها على الرسول  
صلى الله عليه وسلم فأسلمت ، وأنشدته فاهتز لشعرها واستزادها بقوله : هيه  
يا خنساء ! وكان في الظن أن تنهيه الخنساء بعد إسلامها دموع الجزع على أيها  
وأخويها تعزياً بالدين وعزواً عن سنة الجاهلية ، إلا أن وجدها على صخر كان  
وراء الصبر وفوق المزاء ؛ فلم تزل تبكيه وترثيه حتى ابيضت عيناها من الحزن .  
وكانت تقول : كنت أبكي له من النار ، وأنا اليوم أبكي له من النار . على أن  
السن والزمن والدين ما زالت بهذه الكبد القريضة حتى اندملت ؛ فوجدت  
الخنساء في شيخوختها آسياً من رَوْح الله ومواسياً من فضله ؛ فتقبلت مصرع  
بنفيها الأربعة صابرة محتسبة وقد حرضتهم على القتال في حرب القادسية فاستشهدوا  
جميعاً . فلم تزد على أن قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو أن يجمعني  
بهم في مستقر رحمته . ثم توفيت بالبادية عام ٢٤ هـ .

### شعرها

ليس في شوارع العرب قبل الإسلام وبعده من تقوق الخنساء في رصانة شعرها ، ورقة لفظه ، وحلاوة جرسه ، ولربما ضارعت في هذه الصفات الشعراء الفحول . ويرى النابغة وجريرو وبشار أنها أفضل من الرجال ، لما في شعرها من قوة الرجولة ورقة الأنوثة . وقد غلب في شعرها القفر والرثاء . أما الفخر فلأن أباهما أمثلُ فومه ، وأخويها خير أضر ؛ وأما الرثاء فلن جميعتها فيهم وطول وجدها عليهم . والأسى يُدقُ الشعور ، ويرق الماطفة ، ويفتق القريحة في الرجل ، فكيف به في المرأة ؟ وكانت لا تقول إلا البيتين أو الثلاثة قبل مقتل أخويها ، فلما قتل فاض الدمع من عينها ، والشعر من قلبها ، فأتت في رثائها بالمعجب المعجز . وظلت الخنساء في شعرها بدوية جاهلية ، فلم تتأثر بالاسلام كثيراً ولا قليلاً .

### نموذج من شعرها

قالت ترقى أخاها صغرا :

أعيني جودا ولا تجمدا	ألا تبكيان لصخر الندى ؟
ألا تبكيان الجريء الجميل	ألا تبكيان الفقى السيدا !
رفيع العاد طويل النجا	در ساد عشيرته أمردا
إذا القوم ملوا بأيديهم	إلى المجد مد إليه يدا
فقال الذى فوق أيديهم	من المجد ثم اتمى مصيدا
يحمسه القوم ما عالم	وإن كان أصغرهم مولدا
وإن ذكر المجد أقيته	تأزر بالمجد ثم ارتدى

وقالت ترثيه أيضاً :

ألا يا صخرُ إن أبكيت عيني      فقد أضحككتي زمناً طويلاً  
دفعتُ بك الخطوبَ وأنت حي      فن ذا يدفع الخطب الجليلاً ؟  
إذا قبَّح البكاء على قيل      رأيت بكاءك الحسن الجيلاً

وقالت ترثي وتفتخر :

تسرقني الدهر نهساً وحزاً      وأفنى رجالى فبادوا معاً  
وأنى رجالى فبادوا معاً      كأن لم يكونوا حتى يفتنى  
وخيلى تكدس بالدارعين      وتحت العجاجة يحمز جحزاً  
بييض الصفاح وثمر الرماح      فبالبيض ضرباً وبالسمر وخزاً  
جززنا نواصي فرسانها      وكانوا يظنون ألا تجزاً  
ومن ظن من يلاق الحروب      بالآ يصاب فقد ظن مجزاً  
نصف ونعرف حق القرى      ونهخذ الحمد ذخراً وكنزاً  
ونلبس في الحرب نسج الحديد      وفي السلم نلبس خزاً وبرزاً

ومن قولها :

إن الزمان وما يفنى له حجب      أبقى لنا ذنباً واستوصل الراس  
إن الجديدين في طول اختلافهما      لا يفسدان ولكن يفسد الناس

## حسانُ بنُ ثابت

المتوفى سنة ٥٤ هـ

نشأته ومبائه

هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري ، ولد بالمدينة ونشأ في الجاهلية ، وعاش على الشعر ، فكان يمدح الناذرة والفساسنة ويقتبل صلاتهم . ولكنه بالغ في مدح آل جفنة من ملوك غسان وأكثر من انتجاعهم فأغدقوا عليه العطايا ، وملأوا يديه بالنعم ، ولم ينكروه بعد إسلامه وتصرم ، فجاءته رسلكم ترى بالهدايا من القسطنطينية . ولما هاجر رسول الله إلى المدينة أسلم حسان مع الأنصار واقطع إلى مدحه والنصح عنه . وذلك أن الرسول حينما اشتد عليه أذى قريش بالهجاء قال لأصحابه : ما يمنع الذين نصرنا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بالسنة ؟ فقال حسان : أنا لما ؟ وضرب بلسانه الطويل أرنية أنه وقال : والله ما يسرنى به يقول ما بين بصرى وصنعاء ! والله لو وضعت على صخر لفلقه ، أو على شمر لحلقه ! فقال له النبي : كيف تهجوم وأنا منهم ؟ فقال : « أسلك منهم كما نسل الشجرة من السجين » . فقال : اهجم وممك روح القدس . فهجهم فآلمهم وأبكهم ووقب كلأهم منهم موقع السهام في غسق الظلام ؛ فاشهر بذلك ذكره ، وارتفع قدره ، وطش ما طش موفور الكرامة مكشفي الحاجة من بيت لئال ، حتى توفي سنة ٥٤ هـ هجرة بالنأ من العمر مائة وعشرين سنة ، وقد كف بعصره في أعقاب أيامه .

شعره

كان حسان في الجاهلية شاعر أهل المكن ، وفي البعثة شاعر النبوة ، وفي الإسلام شاعر اليمانية . وكان يثلب في شعره الفخر والحاسة واللدح والهجاء ،



وكلها أغراض تقتضى الانظ القمى والأسلوب القوى ، فبدأ عليه أثر من الحوشية والوحشية ذهب بمجىء الإسلام . ثم سكنت عوامل الشعر في نفسه بساحة الدين وموت الأحقاد وتقدم السن ، فما كانت تتحرك إلا ذياناً عن النبي ودفاعاً عن الأنصار من حين إلى حين . ولكن كثيراً من شعره في هذا الطور كان خشيباً ، فكثرت به السقط ، وقلت فيه الجزالة ، وغلبت عليه السهولة ، فرأى الأصمى أن شعره لم يقوَ إلا في الشر ، فلما جاء الإسلام بالخبر ضعف . وهو في شعره يضارع ابن كثوم في الفخر بقومه والبلادة بنفسه ، مع أنه كان جباناً مخلوع القلب .

### نموذج من شعره

قال في الهجاء :

ألا أبلغ أنا سفيان عنى	مخلقة قد برح الخفاء
بأن سيوفنا ترصصتك عبداً	وعبد الدار سادتها الإمام
هجوت محمداً فأجبت عنه	وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء؟	فشركا تليركا النسياء
لنا في كل يوم من ممدٍ	سبابٌ أو قتال أو هجاء
لسانى صارم لا عيب فيه	ومحرمى لانكدره الدلاء
فإن أبى ووالدى وعرضى	لعرض محمد منكم وقاء

وأقبل على الرسول وفد من تميم يفاخروه وعليهم الزبرقان بن بدر ، فلما أنشدوه أمر حسناً أن يجيبهم فقال :

إن الذوائب من فيهرٍ ولأخوتهم	قد بينوا سنة للناس تُتبع
قوم إذا حاربوا ضروا عدوم	أو حاولوا النفع في أشياهم ففعلوا

سجية تلك فيهم غير مُخَدَّعة      إن الخلائق فاعلم شرها البِدْع  
لا يرفع الناسُ ما أوهت أكَفُّهم      عند الدعاء ولا يوهون مارقعوا  
إن كان في الناس سباقون بدمهم      فكل سبق لأذى سبقهم تبَّع  
أعنة ذُكرت في الوحي عَفْهم      لا يطبَّعون ولا يزرى بهم طمع  
لا يفخرون إذا نالوا عدوهم      وإن أصيبوا فلا خور ولا جزع

وقال يمدح جبة بن الأيهم :

لله درُّ عصابة نادتهم      يوماً يخلق في الزمان الأول  
يمشون في الحلل المضاعف نسجها      مشى الجلال إلى الجلال البزل  
والخالطون قديرهم بفنيهم      والمشفقون على الضعيف الرُّمل  
أولاد جفنة حول قبر أبيهم      قبراين مارية الكريم المفضل  
يسقون من ورد البريص عليهم      بردي يصفق بالرحيق السلسل  
يسقون درياق الرحيق ولم تكن      تدعى ولا تدهم لنقف الحنظل  
بيض الوجوه كريمة أحسابهم      شم الأنوف من الطراز الأول  
فلبثت أزماناً طوالاً فيهم      ثم أدركت كأتى لم أفعل

ومن قوله :

وإن امرأ يمسى ويصبح سلا      من الناس إلا ما جنى لسعيد

وقال أيضاً :

رُبَّ علم أضاعه عدم الما      ل وجهل غطى عليه الدميم  
ما أبالي أنب بالخزن تيس      أم الحاني بظهر غيب لثيم

## الحطيئة

التوفي سنة ٥٩ هـ

نسأه ومبائه

هو أبو مليكة جرؤل بن أوس العبسي ، وكند في بني عبس دعيلا يعرف له نسب ، ولا يوصله بالشرف سبب . فشب محروما مظلوما مذموما لا يجد مدداً من أهله ، ولا سنداً من قومه ؛ فاضطر إلى الشعر يجلب به القوت ويدفع به العدوان وينتقم به لنفسه من بيئة ظلمته وطاردته . واصطاحته عليه عوامل الشر فجعلت منه صورة للرذيلة ، فكان كما وصفه الأصمعي سيء الخلق ، دنيء النفس ، فاسد الدين ، ستولا ، ملحفاً ، جشعاً ، كثير الشر ، قليل الخير ، بخيلاً ، دميماً ، قصيراً ، رث الهيئة ، متدافع النسب في القبائل . وقد بلغ من لومه أن هجأه وامراته وبنيه حتى نفسه . فلما جاء الإسلام أسلم ثم ارتد ثم عاد مزعج العقيدة ، فلم يستطع الدين أن يرفع هذه النفس الوضيعة ، ولا أن يقل هذا القول الجريء البذيء ، فرج لسانه في أعراض الناس واشتدت وقيعته فيهم . حتى الزبرقان ابن بدر صاحب رسول الله وطامل عمر بن الخطاب لم يعصمه منه إكرامه جواره وإحسانه إليه ، فالأبفيض بن عامر خصمه عليه ، ومدح بن أنف الناقة وذم الزبرقان ، فاستعدى عليه أمير المؤمنين عمر ، فخبسه ، واستشفع إليه بشعره فأطلقه وحذره هجاء الناس . فقال : إذن يموت عيالي جوعاً . هذا مكسبي ومنه معاشي . فاشترى منه الخليفة أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم . فكف حتى مات عمر ثم عاد إلى طبعه ، ولبث على تلك الحال حتى أسكته اللوت سنة ٥٩ هـ .

شعره

الحطيئة شاعر متين الشعر ، غزير البحر ، رائق الأسلوب ، شرود القافية ،

متصرف في فنون القول ، من مديح وهجاء ونسب ونحو . ولولا خسارة طبعه ،  
ودناءة طعمه ، وقبح تبذله ، لما فضله في المحضرين أحد ، فإنك لا تكاد تجد  
في شعره ما يكثر في شعر غيره من سخافة في النسيج ، أو ركاكة في اللفظ ،  
أو نبوء في القافية ، ولكن شرف الكلام بشرف قائله .

والخطبة كزهير معدود في عبيد الشعر الذين رووا فيه ونقحوه . وقد يؤثر  
عنه قوله : « خير الشعر الحولى للنقح المحكك » . وقلما تجد في هجائه على مرارته  
لحشا أو هجراً ، حتى عمى على أمير المؤمنين عمر قوله في هجاء الزبرقان :

دَعِ الْكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبَغْيِهَا      واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي  
فلم يفعلن إلى موضع الهجاء فيه لدقته حتى دله عليه حسان .

### نموذج من شعره

قال يهجو الزبرقان بن بدر وقد زعم أنه أساء جواره فتحول عنه إلى بغيض :

والله ما معشرٌ لاموا امرأً جنباً	في آل لؤي بن شماس بأكياس
ما كان ذنبٌ بغيض لا أبالكُم	في بائس جاء يملؤ آخر الناس ا
وقد مدحتكم عمداً لأرشدكم	كيا يكون لكم مصي وإمراسي
لما بدالى منكم عيب أنفسكم	ولم يكن لجروحي فيكم آسي
أزمت يأساً مييناً من نوالكم	ولن يرى طارداً للحر كاللياس
جارٌ لقومٍ أطلالوا هونَ منزله	وغادروه مقبياً بين أرماس
ملوا قراءَ وهرته كلابهم	وجرحوه بأنياب وأخراس
دع للكارم لا ترحل لبغيتها	واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه	لا يذهب العرف بين الله والناس

وقال في الملح :

يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها      وإن عضبوا جاء الحفيظة والجند  
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم      من اللوم أوسدوا المكان الذي سدوا  
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنأ      وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا  
وإن كانت السماء فيهم جزوا بها      وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا  
مطاعين في الهيجا مكاشيف لدجى      بنى لهم أبائهم وبنى الجد  
وبعدلنى أبناء سعدٍ عليهم      وما قلت إلا بالذى علمت سعد

### الشعراء الاسلاميون

#### عمر بن أبي ربيعة

٢٣ — ٩٣ هـ

#### نشأته ومبائه

هو أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة القرشي الخزومي . ولد بالمدينة ليلة مات  
عمر بن الخطاب ، فكان يقال ، أى حق رُفِع ، وأى باطل وضع أنم شبل في رمية  
أبيه عبد الله حامل الرسول والخلفاء الثلاثة من بعده . وكان سريراً غنيا ، فتقلب  
عمر في أعطاف النعم ، ورتع في رياض الترف ، وخطا ذُرْعَه من معالجة الأمور ،  
ففرغ للشعر وقاله وهو صغير ، فما أبه له أحد من فحوله كجرير والفرزدق . ومضى  
وهو يروض قوافيه ويستعطف أبيه حتى ارتاض له وألس . فقال جرير وقد  
سمع رأيته التي مطلعها :

أَمِنْ آلِ نَعَمٍ أَنْتَ غَدٍ فَبُكْرٍ      غَدَاةٍ غَدٍ أَمْ رَائِحٍ فَمَهْجَرٍ

« مازال هذا القرشي يهذى حتى قال الشعر » . وسلك ابن أبي ربيعة إلى الشعر طريقاً غير مألوفة ولا معروفة ؛ قصمه على وصف النساء وتزاورهن ومداعبة بعضهن لبعض بلفظ رشيق وأسلوب مبتكر ، فأولع به الفنون والظرفاء ، وشغف به القيان والندماء ، وكثر غناء الناس به وروايتهم له حتى ضج الغيرة والزهاد وقال ابن جرير : « ما دخل العواقر في خدورهن شيء أضر عليهن من شعر ابن أبي ربيعة » . ولم يقف شراً عند ذلك ، وإنما كان يتعرض للحواج فيشبه بالعقائل والأميرات ، ويصنف طائفتي محرمات ، فزهدت كرائم الأمر في أداء هذه الفريضة خشية منه . وأولو الأمر يتخذون هذا الجمل بالحلم رعاية لأسرته ، وغراً بشاعريته ، وترقباً لتوبته . ولكن الخليفة عمر بن عبد العزيز لم يسمع الصبر على تماديه في النجون ، وإمعانه في الجمالة ، فنناه إلى دهلك إحدى جزر البحر الأحمر بين بلاد اليمن والحبشة ، وقد كانت منى لبني أمية ، ولم يعد إلا بعد أن أقسم أنه يقطع عن صبوته ، ويخلص إلى الله في توبته . ولعل بلوغه العمرين قد أعانه على البر بفسه ، فزهد وتنسك . ومن الناس من يقول إن عمر كان عفيفاً يصف ولا يقف ، وبمحم ولا يرد ؛ ويذكرون أنه لما مرض مرضه الأخير جزع أخوه الحارث عليه جزعاً شديداً ، فقال له عمر : أحسبك إنما تجزع لما تظنه بي . والله ما أعلم أني ركب فاحشة قط . فقال : ما كنت أشفق عليك إلا من ذلك ، وقد سررت عني .

### شعره

لشعر ابن أبي ربيعة نوعة في القلب ، وروعة في النفس ، لسهولة وأناقته لفظه ، وحسن وصفه ، وشدة أسره ، وقرب فهمه ، وملاءمته لهوى النفوس في نعت الجمال ووصف الرأه . وقد ساعده نسبه ونشبه وشبابه وترقه على أن يقول في ذلك ما لم يجرؤ أحد على قوله ؛ فسلك في النزول مسلك القصص : يصف

النساء ويحكى حديثهن ومداعبتهن ويذكر أمره معهن . فبهر الناس حتى حملهم على الإقرار لقريش بالشعر ، وقد كانوا ينكرونها عليها . وبرع الشعراء حتى قال جرير : « هذا والله الذي أرادته الشعراء فأخطأته وتعلت بوصف الديار ! » . على أنك لا تجد في شعره ما تجد في شعر جميل وكثير من الشعور العميق والوصف الدقيق للحب ، وإنما هو يتبع نساء يسره أن يخالطن ويتحدثن ويتجمل لمن دون أن يفتح قلبه لواحدة منهن ؛ اللهم إلا أمره مع الثريا بنت على ابن عبد الله بن الحارث فإنه يشبه أن يكون حباً .

### نموذج من شعره

قال من قصيدة في التشبيب :

ولا الحبل موصول ولا أنت مقصير	تحنن إلى نعم فلا الشمل جامع
أهذا للغيرى الذي كان يذكر ؟	قنى فانظري أسماء هل تعرفينه
وعيشك أنساء إلى يوم أقبّر	أهذا للذي أطريت نعتاً فلم أكن
عن الهد والإسان قد يتغير	لئن كان إياه لقد حال بعدنا
فيضعى وأما بالمشى فينحصر	رأت رجلاً أما إذا الشبس عارضت
به فلو أن فهو أشعث أعبر	أخاسر جواب أرض تقاذفت
سوى ما بقى منه الرداء المحبر	قليلاً على ظهر المطيعة ظله
وربان ملثف الحقائق أخضر	وأعجبها من عيشه ظل غرفة
قليست لشيء آخر الليل تسهر	ووال كفاها كل شيء يهملها
وقد يحشم الهول المحب المفرد	وليلة ذى دوران جشمى الكرى
ولى مجلس لولا الليانة أوعر	وبت رقيقاً للرفاق على شفا

قُلت أباديهم فلما أفوتهم  
 فلما قعدت الصوت منهم وأطفئت  
 وغاب قمر كنت أرجو ضيوة  
 ونفخت عنى النوم أقبلت مشية الـ  
 فحييت إذ فاجأها فتوالت  
 وقالت وعضت بالبنان : فضحتني !  
 أريتك أن هنا عليك ألم تخف  
 فلما تقضى الليل إلا أقله  
 أشارت لأخوها أصبا على فتي  
 فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا :  
 يقوم فيمشى بيننا متصكراً  
 فكان مجئى دون من كنت أتمنى  
 فلما أجزنا ساحة الحى قلن لى :  
 وقان أهذا دأبك الدهر سادراً  
 إذا جئت ظمئ طرف عينيك غيرنا  
 هديتكم لبعل العامرية نشرها

ومن قوله :

ألا ليت أنى يوم تقضى ميقى  
 وليت طهورى كان ريقك كله  
 ألا ليت أم الفضل كانت قرينتى  
 لثمت الذى ما بين عينيك والقم !  
 وليت حنوطى من مشاشك والدم  
 هنا أو هنا فى جنة أو جهنم



وكتب إلى الغزاوي باليمن :

كتب إليك من بلدي كتاب مؤثو كد  
كثيب واكف الميثي ن بالحشرات مفرد  
يؤرقه لميب الشو ق بين الشعر والكيد  
فيمسك قلبه ييد ويمسح عينه ييد

### الأخطل<sup>(١)</sup>

المتوفى سنة ٥٩٥ هـ

#### نسأه ومبائه

هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبي : نشأ بالجزيرة الفراتية في قومه بني تغلب على النصرانية كأكثر أهل هذه القبيلة . وفجع في أمه وهو صغير ، فربته زوجة أبيه فأساءت تربيته . فشب سليط اللسان خبيث النية مدمناً للخمر . وبدأت بواكير شعره منذ الحداثة ، فهاجى كعب بن جعيل شاعر تغلب فأخذه وهباً ذكره يسير . ولما طلب يزيد بن معاوية وهو ولي العهد من كعب بن جعيل أن يهجو الأنصار لتمرص عبد الرحمن بن حسان لأخته في شعره ، خشي الأنصار ودله على الأخطل رجاء أن يفتكوا به ، فكان ذلك سبباً في صعود نجمه وذيوع اسمه . فإنه اتصل بيزيد وهجا الأنصار فغضبوا ، وشكوه إلى معاوية فحكمهم فيه ، فطلبوا قطع لسانه . ولكن يزيد ترضاهم فغفوا عنه . وعرف له خلفاء بني أمية هذه اليد فقدموه وأكرموه ، وبخاصة عبد الملك بن مروان ، لأنه استعان به على قبائل قيس وشعرائها لما ألأهم أعداءه من آل الزبير ، فسئل عليه

(١) راجع صفحة ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ .

(م — ١١ تاريخ الأدب العربي)

حجابه ، ووطأ له جنباه ، وأخذق عليه صلاه ، وسماه شاعر الخليفة : وبلغ من دالة الأخطل على عبد الملك أنه كان يمجته وعليه جبة خز وفي عنقه صليب ذهب ولحيته تنفض خيراً فيدخل عليه بغير إذن . أما دخوله في الهاجاة بين جرير والفرزدق ، فسببه أنه عرض بتفضيل هذا حينما سئل أيهما أشعر . فلما بلغت حكومته جريراً غضب وهجا الأخطل بأبيات منها :

يا ذا الفباوة إن بشرأ قد قضى      ألا تجوز حكومة النشوان

فرد عليه الأخطل في شيء من الضعف لتقدم سنه وفقر طبعه . وقد اعترف بذلك جرير في قوله لابنه : « أدركته وله ناب واحد ، ولو أدركته وله ناهان لأكلني » وما زال الأخطل أثيراً عند بني أمية حتى أقصاه عمر بن عبد العزيز . وكان يعيش حيناً في دمشق وحيناً في بلاده الجزيرة ، وتوفي في أول خلافة الوليد سنة ٩٥ بالفا من العمر سبعين سنة .

### شعره

الأخطل أحد الثلاثة السابقين للتقدمين في هذا العصر ، وهم جرير والفرزدق وهو . وقد اتفق الناس على أنهم أجود معاصريهم شعراً وأسيرهم ذكراً ، ولكن اختلفوا في أيهم أشعر إخوته . والحق أن لكل منهم مزية وميزة .

فالأخطل ممتاز بإجادة المدح ، ونعت الخمر ، وقلة البذاء في الهجاء ، وسلامة قصائده الطوال من اللفظ والسقط ، ومروءة طبعه على الروية والتقيح : فقد يلبث في بعض مدائحه سنة . وربما بلغت قصيدته تسعين بيتاً فيقتصر منها بعد التهذيب على الثلث . وأبت عليه طبيعته للريحة أن يقول في الرثاء : فلم يؤثره منه إلا أربعة أبيات في رثاء يزيد بن معاوية ، وهو سبب شهرته وأصل نعمة . وكان غفوراً بنفسه ، لا يرى فوقه أحداً إلا الأعشى ، ولذلك كان يجري على أسلوبه .

### نموذج من شعره

قال يمدح عبد الملك بن مروان :

نفسى فداء أمير المؤمنين إذا      أبدى النواجد يوماً عارم ذكر  
الخائف الفجرة الميمون طائره      خليفة الله يستسقى به المطر  
فى نعمة من قريش يعصون بها      ما إن يوازى بأعلى نبتها الشجر  
حشد على الحق عتافوا الخائف      إذا ألت بهم مكروهه صبروا  
لا يستقل ذوو الأضغان حربهم      ولا يبين فى عيدانهم خور  
شمس العداوة حق يستقاد لهم      وأوسع الناس أحلاماً إذا قدروا  
هم الذين يبارون الرياح إذا      قل للطمام على العافين أوقروا  
بنى أمية نماك مجللة      تمت فلا منة فيها ولا كدر  
وقال يهجو الأنصار :

وإذا نسبت ابن القريمة خلته      كالجش بين حارة وحار  
لعن الإله من اليهود عمابة      بالجزع بين صلييل وصرار  
قوم إذا هدر العصير رأيهم      حمراً عيونهم من المسطار  
خلوا المكارم لسم من أهلها      وخنوا مساحيك بنى النجار  
ذهبت قريش بالفاخر كلها      واللوم تحت عائم الأنصار  
ومن قوله :

والناس مهم الحياة ولا أرى      طول الحياة يزيد غم خبال  
وإذا افتقرت إلى الدخائر لم تجد      ذخراً يكون كصالح الأعمال

## الفرزدق<sup>(١)</sup>

الوفى سنة ١١٠ هـ

### نشأته ومبته

هو أبو فراس همام بن غالب التميمي . كانت ولادته ونشأته بالبصرة ، فخرج في عش الأدب وشب في ربوع القضاة . وأخذ أبوه يرويه الشعر ويطلع القريض حتى تفتت عنه قريحته ، وانطلق به لسانه ؛ فقدمه ذات يوم إلى أمير المؤمنين عليّ بعد واقعة الجمل مفتخراً بجودة شعره على صفراء . فقال له عليه السلام أقرئه القرآن فهو خير له . فارتسمت هذه الكلمة في ذهن الفرزدق حتى كبر ، فصمم على حفظ القرآن ، فقيد نفسه وأقسم ألا يفك حتى يحفظه ؛ وبرّ يمينه . ثم اتصل بولاة المصريين فتألم بالمدح والمجاء ، وأجازوه بالإدناء والإقصاء . ومدح خلفاء الأمويين بالشام ولا سيما عبد الملك فوصلوه ولكنه لم ينفق عندهم لتشيعه لآل عليّ . وكان الفرزدق معاصراً لجريرو كان بينهما تنافس وتحاسد . فما كاد يحتمل المجاء بين جرير وبين شاعر آخر اسمه البقيث حتى وقف الفرزدق في صف البقيث وآزره . فحافظ ذلك جريراً فهاجما الفرزدق ، ورد عليه هذا . فاستطاريتهما المجاء عشر سنين ، ففتق ذهبيهما ، وأخذ لسانيهما ، ونمى فيهما قوة البادة والمجادة ، وصدق النظر . وانشعب الناس في أمرهما شعبتين ، تناصر كل منهما أحد الشعارين . وجعل أحد أشباع الفرزدق أربعة آلاف درهم وفرساً لمن يظلمه على جرير ، وكان الفرزدق فاجراً ، فاحش النطق ، خبيث المجاء ، ضعيف الدين ، قاذفاً للمعصيات ، يأوى إلى ركن شديد من شرف حسيبه ، وكرم نسبه . فاستعان بكل رذائله وفضائله على جرير فما هزمه ولا أسقطه .

(١) راجع صفحة ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٦٠ .

ثم كانت له مواقف محمودة في القود عن آل علي تجلت فيها صراحته  
وشجاعته ، كوقفه يوم التقى بهشام بن عبد الملك في الحج ، وسمعه يقول حينما رأى  
علي بن الحسين في موضع التجلة من الناس : ( من هذا ؟ ) تجاهلاً لأمره ،  
وغضاً من قلده . فشق ذلك على الفرزدق ، فأجابه بقصيدته التي مطلعها :  
هذا الذي تعرف البطحاء وطائته      والبيت يعرفه والحل والحرم  
فحبسه هشام ثم أطلقه بعد هجائه إياه . وتوفي الفرزدق بالبصرة سنة ١١٠ هـ  
وقد شارب المائة .

### شعره

كان الفرزدق نفوراً بأصله مدحاً بأهله ، ولوحاً بتعداد مآثر آبائه حتى أمام  
الخطباء ، فغلب شعره في الفخر ؛ ولغة الفخر تقتضي الألفاظ الضخمة ، والأساليب  
الضخمة ، والكلم الغريب ، وذكر أيام العرب وأنسابهم ، واحتذاء الهادين في  
أساليبهم . لذلك أعجب به الرواة ، وفضله النحاة ، وقالوا : لولا شعر الفرزدق  
لذهب ثلث العربية . على أنه طاملاً تألم من صلابه شعره ؛ ونمى أن تكون له  
رقة جرير لعهره ، وجرير صلابته لظهوره . وفي ذلك تأييد منه لحكم الأختل  
عليهما بقوله : الفرزدق ينعت من صخر ، وجرير ينوف من بحر .

والفرزدق بمد ذلك في الهجاء مقذع ، وفي الوصف مبدع ، وفي المديح  
وسط ، وفي الرثاء متخلف .

### نموذج من شعره

إذا اغبرَّ آفاقُ السماء وكشفت      يوتاوريا الحى نكباه حرجف  
وأصبح مُبَيَّنُّ الصقيع كأنه      على سروات التيب قطنٌ مندَّفُ

ترى جارنا فيه بخير وإن جنى  
وكنا إذا نامت كليب عن القرى  
لنا العزة القساء والمدد الذى  
ترى الناس إن سرنا يسرون خلفنا  
وإنك إذ تسمى لتدرك شأونا  
وقال أيضا :

ومستبح طاوى المصور كأنما  
دعوت بحمراء الفروع كأنها  
وأنى سفيه النار للمبتنى القرى  
إذا مت فأبكينى بما أنا أهله  
وكم قاتل مات الفرزدق والندى  
يساوره من شدة الجوع أولق  
ذرى راية فى جانب الجو تخفق  
وأنى حلیم الكلب للضيف بطرق  
فكل جميل قلت فى يصدق  
وقائلة مات الندى والفرزدق

ومن قوله فى مدح على بن الحسين :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته  
هذا ابن خير عباد الله كلمهم  
وليس قولك (من هذا) بضائره  
إذا رآته قريش قال قائلها  
يُنْفِى حياء ويُنْفِى من مهابته  
يكاد يمسه عرقان راحته  
ينشق نور الهدى عن نور غرقه  
من معشر حبيبهم دين وينضمهم  
والبيت يعرفه والحل والحرم  
هذا التقي النقي الطاهر العلم  
العرب تعرف من أنكرت والعجم  
إلى مكارم هذا ينتهى الكرم  
فما يكلم إلا حين يتسم  
ركن الحليم إذا ما جاء يستلم  
كالشمس ينجاب من إشرافها القم  
كفر وقربهم منجى ومعتصم

ومن أياته السائرة قوله :

فيا عجبا حتى كليب تشفى      كان أباه نهشل أو بجاشع  
وقوله :

وكنا إذا الجبار صرّ خله      ضربناه حتى تسقىم الأخادع  
وقوله :

ترجى دبيع أن يحى صنارها      بنهر وقد أعيأ ربينا كبارها  
وقوله :

قولرس تأتيني وتمترونها      وقد يملأ القطر الإناء فيفيم  
وقوله :

أسلامنا تزن الجبال رزاة      وتخالنا جنة إذا ما نهمل  
وقوله :

ترى كل مظلوم إليها قراره      ويهرب منا جهده كل ظالم

جرير<sup>(١)</sup>

للتوفى سنة ١٩٠ هـ

نشأته وحياته

هو أبو حُرْزَة جرير بن عطية الأنظلي التميمي . ولد باليمامة لسبعة أشهر ، ونشأ بالبادية ، فشب فصيحا اللسان صحيح الوجدان مطبوع القريحة على الشعر . ولما آانس في نفسه القدرة على قرضه ، والجرأة على عرضه ، ورد البصرة موطن الفرزدق ينتجع الكرماء ، ويمتدح الكبراء ، ويمتار لأهله . فازدهاء ما رأى على الفرزدق من حُلل النعمة ومظاهر الجاه بفضل الشعر ، وهو تميمي مثله ، فدب في قلبه ديب الحسد له ، واشتغى أن يساويه في حسن حاله ، ووفرة ماله .

فتولدت من تنافسها وتزاحمها أسباب الحاجة بينهما . وأراد جرير أن يراى  
قِرْنَه عن كَثَبٍ ، فترك البادية واستوطن البصرة وغشى للربد<sup>(١)</sup> . ودخل في كنف  
الحجاج فحسن موقعه عنده ، وطارت مدائحُه فيه ، حتى بلغت عبد الملك فنفسه  
على الحجاج . وأحس الوالى رغبة الخليفة فأوفده مع ابنه محمد إلى دمشق ، فلما  
دخل جرير على عبد الملك استأذنه فأبى ، وقال له بلهجة العاتب الخنق : إنما  
أنت للحجاج ! فما زال يتوسل إليه ، ويصعمل بالناس عليه . حتى أنشده قصيدته  
التي مطلعها :

أتصحو أم فؤادك غير صالح      عشية همّ صبحك بالرواح ؟  
فلما وصل إلى قوله منها :

ألستم خيرَ من ركب للطلال      وأندى العالمين بطون راح ؟  
تبسم عبد الملك وقال : كذلك نحن ومازلنا كذلك . وأجازه بمائة لقعة  
وثمانية رِعاء ؛ وأصبح جرير بعد هذه القصيدة وعمود الأخطل آثرَ الشعراء عند  
الخلفاء ولا سيما عمر بن عبد العزيز ، ولكن زلفاه لدى القصر أشعلت نار الفيرة  
في قلوب مناظريه ، فشتوا عليه حرب الهجاء ، وأرثت هذه الحرب أغراضُ  
السياسة ، وتحريضُ الفرزدق ، وضيق خلق جرير ، وحب الناس لمشاهد  
الخصومة ؛ فنصب جرير من هؤلاء الأقران ثمانون شاعراً ظهر عليهم جميعاً<sup>(٢)</sup>

(١) الربد سوق من أسواق البصرة كانت تعرف بسوق الإبل ثم عمرها الناس واتخذوها  
في زمن بني أمية منتدى للشعر والمطالبة ، فألفت فيه حلقات للتأهبة والتفاخرة ، ومجالس الأدب  
وللذاكرة وأسماء الشعراء والأعراف والرواة وطبقات حتى من الناس كل يوم المنارة والمحاكاة  
وتأريث نار الخصومة بين الشعراء ، وكان قصودهم فيها حلقات خاصة أشهرها حلقة الفرزدق والراعي .  
(٢) ظهر جرير هؤلاء جميعاً بلسانه ، فلا هو خو لب كرم محمد بالفخر . ولا ذو عزة  
قوة لمحمد بالهبة ، وهذا سر تفوقه وسبب تفضيله ، روى صاحب الأغانى أن رجلاً قال  
لجرير من أشعر الناس ؟ فقال له : ثم حتى أمرك من هو ؟ ودخل به بيت أبيه عطية وقد  
أخذ عترة فاحتفلها وجعل يمس خصرها ، فصاح به : أخرج يا أبت ؛ فخرج شيخ صميم رث  
المهية وقد سال ابن المتز عن أبيه ، فقال جرير : أترى من هذا الرجل ؟ قال الرجل لا ؛ قال معنا  
أبى ، كان يعرب من خرم المتز عترة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن . وإن أشعر  
الناس من فخر بهذا الأب ثمانين شاعراً وفقر عليهم .



إلا الفرزدق والأخطل فإنهما فازتا الغلبة وتبعتا له . ودامت هذه الهاجاة سجلاً  
بينهم حتى توفي الأخطل ، ففرغ جرير للفرزدق وكانت بينهما النقائض<sup>(١)</sup>  
المشهورة التي لمج بها الناس ، وشغل بها الشعراء ، ثم بدا للفرزدق أن يكف ،  
فكف وتنسك حتى مات . فمضى جرير لسبيله بعده بيضمة أشهر ودفن باليمامة  
سنة ١١٠ هـ .

### شعره

برىء جرير من خبث الأخطل وسُكره ، ومن جفاء الفرزدق وفجره ،  
وتجمل بصفاء الطبع ، ورقة الشعور ، وقهاء الجيب ، وصحة الدين ، وحسن الخلق ،  
فظهر أثر ذلك كله في شعره ، فامتاز بطلاوة الأسلوب ، وحلاوة الغزل ، ومرارة  
المهجاء ، وإجادة الرثاء ، وحسن التصرف في جميع فنون الشعر . فكان بذلك  
أظهر في سماء الشعر ، وأقرب إلى صفة الشاعر ، وأكثر أشياعاً من الأخطل  
والفرزدق . فإن الأول لم يجد إلا في المدح والمهجاء والخمر ، والثاني لم ينبغ  
إلا في الفخر .

### نموذج من شعره

قال يهجو الفرزدق :

لقد ولدت أمُّ الفرزدق مُقرِّفاً	فبعات بوزار قصير القوادم
بوصل حَبْلِيه إذا جَنَّ ليه	ليرقى إلى جاراته بالسلام
تدليّت تزي من ثمانين قامة	وقصّرت عن باع العلى والكارم
هو الرجس بأهل المدينة فاحذروا	مداخل رجس بالخبيثات عالم

(١) سميت بذلك لأن أحدهما يقول القصيدة فينضمها عليه الآخر مقترماً لهما الترمه

صاحبه من الوزن والقافية .

لقد كان إخراج القرزوق عنكم  
ومن جيد قوله فيها :

تسالوا نحاكمكم وفي الحق مقنع  
فإن قريش الحق لم تتبع الهوى  
أذكركم بالله من ينهل القنا  
وكنتم لنا الاتباع في كل موقف  
إذا حلت الأيام أخزيت دارما  
وما زاحني بعد الذي تقض مرة  
ومن قوله يملح عمر بن عبد العزيز :

إننا نرجو إذا ما النيث أخلفنا  
نال الخلافة إذ كانت له قدرا  
أذكر الجهد والبلوى التي نزلت  
مازلت بعدك في دار ترقى  
لا ينفع الحاضر الجهد بادينا  
كم بالمواسم من شتاء أرملة  
يدعوك دعوة ملهوف كأن به  
من يمدك تكفي قد والله  
ومن آياته التي تفرد بها قوله في الفزل :

إن العيون التي في طرفها حور  
قتلتنا ثم لم يحين قتلانا

يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به      ومن أضعف خلق الله إنسانا  
وقوله في النفر :

إذا غضبت عليك بنو تميم      حسبت الناس كلمهم غضابا  
وفي الهجاء :

نفض الطرف إنك من نمير      فلا كبا بلغت ولا كلابا  
وفي التهكم :

زعم الفرزدق أن سيقنل مربعا      أبشر بطول سلامة بأمرهم ؟  
ومن جيد نغره قوله :

إن الذي حرم المكارم تغلبا      جعل الخلافة والنبوة فيها  
مُضَرَّأِي وأبو الملوك ، فهل لكم      يا خزر تغلب من أب كأيسا ؟  
هذا ابن عمي في دمشق خليفة      لو شئت ساقكم إلى قطينا

ويقال إن عبد الملك لما بلغته هذه الأبيات قال : ما زاد ابن المراهقة على أن  
جماني شُرطيا . أما إنه لو قال : لو شاء ساقكم إلى قطينا ، لسقتهم إليه !

### الطرمّاح بن حكيم

المتوفى سنة ١٠٠ هـ

#### نشأته ومبائه

نشأ الطرمّاح بن حكيم الطائي بدمشق في النصف الأخير من القرن الأول .  
وخل في الشام غفلا من الأغفال حتى بلغ حد الرجال فانتقل إلى الكوفة مع مَنْ  
وردها من جنود بني أمية ، ونزل في تيم اللات بن ثعلبة . وكان فيهم شيخ من

الشراء<sup>(١)</sup> الأزارقة له سميت وهيئة ، فكان يحالسه ويلابسه ؛ فوقفه على عقيدته ودعاه إلى طريقته ، قبلها واعتقلها أشد اعتقاد وأصح حتى لقي الله عليها . ثم عرف الكميّ بن زيد الأسدي ، فتساها الوفاء ، وتقاها المحبة ، وتمكنت بينهما الألفة على اختلاف ما بينهما في التسبب والمذهب والبلد . فالطرماع قحطاني شامي خارجي ، والكميت عدناني كوفي شيعي . وقد سأل بعض الناس الكميّ عن سر هذا الاتفاق مع شدة هذا الاختلاف فأجاب : « إنما اتفقنا على بنف من العامة » وهذا الجواب تصديق أو تطبيق للمثل اللاتيني القائل : « كل الشراء أرسقراطيون<sup>(٢)</sup> » . وعاش الطرماع عيش الشراء على فضل الأغنياء بمدح من يعطيه ويهجو من يمتنه ، وهو مع ذلك عزيز النفس ، شريف الطبع ، بعيد الهمة لم يقف على المال على حبه إياه مواقف الضراعة والموان . دخل هو والكميت على محمد بن يزيد المهدي ، فجلس لهما ودعاهما ، فتقدم الطرماع لينشد ، فقال له : أنشدنا قائماً . فقال : « كلا والله : ما قدّر الشعر أن أقوم له فيعط مني بمقامي وأحط منه بضراحتي ، وهو عمود الفخر ، وبيت الذكر لما ذكر العرب » فقيل له : تنحّ ودع البكيت ، فأنشد الكميّ قائماً فأمر له بخمسين ألف درهم ، فلما خرج شاطرهما الطرماع وقال له : أنت أبا ضريبة أبعد همة ، وأنا أطف حيلة .

وكان الطرماع مع اعتداده بأمره وإعظامه لقنوده ، ممجّياً بشعره نفوراً به . سمع هو وصاحبه الكميّ أياً كان من ذي الرثمة ، وكان معاصراً لهما ، فغضب

(١) العراة : الخوارج ، وهم طائفة من كانوا مع الإمام في حرب صفين ، حمّاه على قبول التحكيم بينه وبين معاوية قبله ، ولكن التحكيم جرى على غير الحق فأباه ؛ فخرجوا عليه وقالوا له لم حكمت الرجال ؟ لا حكم إلا لله ، وكبار فرق الخوارج ست : الأزارقة ، والتجنات ، والصفرية ، والسجاردة ، والأباضية ، والنخالية ، والباطنية وغيرهم ، وكلهم يحسون على البراءة من ممان وعمل ؛ ويقدمون ذلك على كل طاعة ، ويكفرون أصحاب الكبار ، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة أمراً واجباً . ويزيد الأزارقة الذين ينسب إليهم الطرماع تكفيراً على تصويبه لفلان ملجم غاتله ، وقد هلوا حتى كفروا الصحابة وسائر المسلمين ، وصاحبه هو قائم بن الأزرق .

(٢) Qui Profanum vulgus et arceus (٢)

الكهيت صدر الطرماع وقال : « هذا والله الديباج لانسجى ولا نسجك الكرايس » فقال الطرماع : « لن أقول ذلك ولو أقررت بجودته » .

وكان الطرماع رغب العين بشره إلى المال ، ويتشوف إلى الفنى ويقول :  
أُخْتَرِي رَيْبَ الْمَنُونِ وَلَمْ أَتْلُ مِنْ الْمَالِ مَا أَعْصَى بِهِ وَأَطِيعُ ؟  
فدأب في سبيله وجدَّ في تحصيله ، ودعا الله ألا يموت حتف أنفه بل يموت  
ميتة المجاهدين أو المجاهدين ، فيكون شهيد الدنيا أو شهيد الدين .  
وفي ذلك قوله :

وإني لمتناد جوادى وقاذِفٌ	به وبفنى العام شقى المقاذِف
لأكسب مالا أو أؤول إلى فنى	من الله يكفينى عِدَاتِ الْخِلَافِ
فيارب إن حانت وقاى فلا تكن	على شَرِّ جَعٍ <sup>(١)</sup> يعلَى بخضر المطارف
ولكن قبرى بطنُ نسر مقيله	بحو السماء في نسر عواكف
وأمسى شهيداً ثاوياً في عصابة	يصابون في فج من الأرض خائف
فوارس من شيبان ألف بينهم	تقى الله نزالون عند التراجف
إذا فارقوا دنيا هم فارقوا الأذى	وصاروا إلى ميعاد ما في المصاحف

ولكن الله لم يستجب دعاءه فمات على فرش وحل في نعش .

#### معره

نشأ الطرماع نشأة حضرية ، فما عرف البادية ولا لابن البدو . ولكنه عاش في الكوفة وألمَّ بالبصرة فسمع الرواة والنحاة فيهما يؤثرون الأدب الجاهلى ويقدهون الشعر البدوى ، لأنه موضع الشاهد ، وموطن الغريب ، فوله ذلك فيه

(١) المرجع : النعش .

وفي الكيت حب الغريب وتكلف الحوشى ؛ فكان يتسقطه من الأعراب  
ويحلقه من الرُجَّاز ، ويستعمله فلا يقع به في مكانه . قال المجاج : كان  
الطرماح والكيت يسألاننى عن الغريب فأخبرهما به ثم أراه في شعرهما وقد  
وضعا في غير موضعه . فقيل له : ولم ذلك ؟ فقال : لأنهما قرويان بصفتان  
مالم يريا . ومن ثم كان الأصمى وأبو عُبَيْدة يعيان شعرهما في الإسلاميين ،  
كما عابا شعر عدى بن زيد وأمّية بن أبي الصلت في الجاهليين . وإنك لترى  
أثر هذا الميل ظاهراً في شعره ، فينما يأتيك بالأبيات الرقيقة الأنيقة العذبة ،  
إذا به يرميك بالأبيات الفريية البعيدة الفجة ، فيشوه شعره ويكدر بحره . وقد  
سئل بن الأعرابي عن ثمانى عشرة مسألة من شعر الطرماح فلم يعرف منها  
واحدة ! هل أنه معدود في الفحول من الشعراء الإسلاميين ، وله مذهب  
معروف في المجاء يركب له المبالغة في تصغير شأن المهجور وتحقير أحراره فكانما  
يوحى إليه . وكان الكيت وهو معاصره ومعاشره يُقَرُّ له بالنبوغ في نواح  
كثيرة من نواحى الفضل ، فقد أنشد يوماً قول الطرماح :  
إذا قُبِضْتُ نفس الطرماح أخلفت عرى الجُد واسترخى عنان القصائد  
قال : إى والله ! وعنان الخطابة والرواية والفصاحة والشجاعة .

### نموذج من شعره

الطرماح من أصحاب الملحمات ، وملحمته تترك التفاوت بين السهل للطبيعى  
والوعر المتكلف ، ومثلها :

قلّ في شطّ نهروان اغتماضى ودعاني هوى العيون المراض  
فتطربتُ للعصا ثم أوقه ت رضى بالتقى وذو البر راضى  
وأراني المليك رشدى وقد مكنت ت أخا عجبية واعتراض  
غير مارية سوى ريق الفرقة (م) ثم اروعيت بعد البياض

ومنها :

وجرى بالذي أخاف من الين (م) لعين تنوض كل مناض  
 صيدحي الضعي كان نساء حيث تبحث رجلاه في أفاض  
 سوف تدنيك من ليس سبتنا : أمارت بالبول ماء الكراض  
 فعي قوداء أفتجت عنداها عن زحاليف صيف ذي دحاض  
 ويقول في آخرها .

إننا مشر شمائلنا الصو ر إذا الخوف مال بالأخاض  
 نصر للذليل في ندوة الحى مرائب اللأى للنهاض  
 لم يفتنا بالوتر قوم ولغيت يم رجال يرضون بالإغاض  
 فسل الناس إن جهلت وإن شئت ت قضي بيننا وبينك قاض

ومن قوله :

لقد زادني حبا لنفسي أني بفيض إلى كل امرئ غير طائل  
 وأنى شئ بالثام ولا ترى شقيا بهم إلا كريم الشائل

ومن قوله يهجو بني نعيم :

لو حان ورد نعيم ثم قيل لها حوض الرسول عليه الأزد لم ترد  
 أو أنزل الله وحيا أن يعذبها إن لم تعد لقتال الأزد لم تعد  
 لا عز نصر امرئ أضعى له فرس على نعيم يريد النصر من أحد  
 لو كان ينفى على الرحمن خافية من خلقه خفيت عنه بنو أسد

## النثر

### الخطابة

كان ظهور الإسلام بالدعوة العظمى من أهم الأسباب التي بلغت بالخطابة غاية كمالها ، وجعلت الأمر في أيدي رجالها . فإن الدعوة إلى الدين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقمع الفتن ، ورد البدع ، وتحميس الجند ، كل أولئك من أغراض الخطابة . وكان لها من آي القرآن وحججه معين لا ينضب ، ومدد لا ينقذ . ولما اختلف المسلمون بعد مقتل عثمان وتعددت الفرق رقت الخطابة رقياً عظيماً ، لاعتماد كل حزب عليها في نشر مصلحته ، وتأيد دعوته .

وأهم ما يميزها في هذا العصر عنوبة ألقائها ، ومتانة أسلوبها ، وقوة تأثيرها وإقناعها من القرآن وانتهاجها منهجه في الإرشاد والإقناع ، واجداؤها بحمد الله والصلاة على رسوله .

وظل العرب على ما ألفوه في الجاهلية من لوثة العامة واتخاذ المخصصة والوقوف على نشر من الأرض ، والخطبة من قيام ، إلا الوليد بن عبد الملك فإنه خطب وهو جالس .

وجملة القول أن ليس في عصور اللغة عصر زها بالخطابة وحفل بالخطباء كهذا العصر لانصراف العرب عن الشعر إليها ، اعتمادهم في الدين والسياسة عليها . أشهر خطبائه الرسول صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدون ، وسعديان وائل ، وزيد بن أبيه ، والحجاج بن يوسف ، وقطري بن النجاعة .



## محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

مولده ونشأته وبعثته

ولد سيدنا محمد بن عبد المطلب بن هاشم القرشي في مكة صباح اليوم التاسع أو الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، لأول عام من حادثة القيل ، أو اليوم العشرين من شهر أبريل سنة ٥٧١ للميلاد ، في مهد اليتم والعُدم ، فقد استوفى أبوه ظم حياته حين كان هو جنيناً . ولم يكد محبوباً لسادسة من عمره حتى استأثر الله بأمه ، فحضنه جده سنتين حضانة إعزاز ومحبة . ثم أوصى به قبل وفاته إلى أبي طالب شقيق أبيه ، فكفله على رقة حاله وكثرة عياله . ولوجرى الأمر على منهاج الطبيعة لشب محمد على أخلاق الهنأى وعاد الجاهلية ، ولكن الله تولى تأديبه وتهذيبه ، فكلله بالعقل الرجيع ، واخلق السجيع ، والنفس الرضية ، والحياة الوقور ، والحلم الرقيق ، والصبر للطمئن ، والصفح الجليل ، واللسان الصادق ، والهمة الوثيقة ، والجأش القوي ، والفؤاد الجيع . ثم طهره من أرجاس الوثنية ، فلم يشرب الخمر ، ولم يأكل مما ذبح على النصب ، ولم يشهد للأوثان عيداً ولا حفلاً ، وصمت نفسه الكبيرة على حدائثها إلى ابتغاء الرزق بحيلته وكده ، فتصرف في التجارة على عادة قومه حاسراً لها من ماله ويده . وشاعت له في الناس فضائل الصدق والصدق والأمانة ، فطلبت إليه السيدة خديجة بنت خويلد إحدى عقائل القرشيين وغنياتهم أن يتجر في مالها ، فسافر إلى الشام مع خادمها ميسرة فتجعت سفرته ودرجت صفته . ثم ارتد إلى مكة فهز من عطف السيدة ما رأت من جزالة الرج وأمانة الراج فخطبته إلى نفسها ، وهي في سن الأربعين وهو في حدود الخامسة والعشرين ، فرضى زواجها ، وخطبها عمه إلى عمها ، وكان لها من جليل الآثر في الإسلام سهم ربيع . ثم مضى الرسول يضرب في الآفاق إلى الأسواق يكسب لأهله ، وينمى

( م - ١٢ تاريخ الأدب العربي )

ثروة زوجه ؛ ونفسه عازقة عن مُتَمَع الحياة ، صادقة عن لذاتة العيش ، فلم يطمع في ثراء ولم يطمح إلى منصب ، بل كان يُخْلِ ذرعه من صوارف الدنيا القبالي الطوال فيعتكف في غار حراء يتعبد ويتأمل ، ويتجه بروحه الصافي اللطيف إلى الملأ الأعلى حتى أوحى إليه في هذا الغار بالرسالة والمعجزة وعمره يومئذ أربعون سنة قربة وستة أشهر . فاقبل إلى زوجه مضطرباً قطعاً لله وقالت له : والذي نفس خديجة بيده لا يخرجك الله أبداً ! إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتؤدي الأمانة ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق . وفترالوحي مدة ، ثم نزل على قلبه الروح الأمين بقول الله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ) فقام بأعباء الرسالة والتبليغ ثلاث حجج في طي الخفاء . ثم أمر أن يصدع بالدعوة ، فعان بها قريشاً وسفهاء أهلها ، وعاب أصدانها ، فكاشفوه بالعداء ، وقصدوه بالإيذاء ، ونصبوا له الحباثل ، وتربصوا به الدوائر ، وهو يتلقى كل ذلك بِحُجَّةِ الصبر وعدة الإيمان ، ومن ورائه عمه أبو طالب يذود عنه ويحميه ، وزوجه السيدة خديجة تواسيه وتقويه ، حتى سلخ على هذه الحال الشديدة عشر سنين . وفي السنة العاشرة من رسالته فجاءه الموت في ذلك المم الببيل ، وفي تلك الزوجة الفاضلة في يومين متقاربين ، فاشتد عليهما حزنه ، وخرج بهما في مكة مقامه . فانتوى الهجرة بالمسلمين إلى المدينة — وقد أسلم فيها كثير من الأوس والخزرج — فأحسن المشركون منه هذا العزم فاشتروا به ليقتلوه . ولكنه خرج ليلة اجتماعهم على قتله هو وصديقه أبو بكر إلى المدينة تكلواهما عين لا تنفرو وقوة لا يقام لها بسيل . فبلغاها يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ٥٣ من مولده ، وهو يوافق اليوم الرابع والعشرين من سبتمبر سنة ٦٣٢ م . فكانت هذه الهجرة المباركة مبدأ لما لو كلمته وانتشار دعوته وتعام نصرته . واستمر بمجاهد المشركين : مجادلهم بالقرآن ، ومجادلهم بالسيف ، حتى انحسر العمى وانجانب الشرك ، وعلت شمس التوحيد في أفق الوجود . وحينئذ نزل قول الله تعالى : ( الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

وَبَيْنَكُمْ وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ( فلم يأت  
على نزول هذه الآية الكريمة ثلاثة أشهر حتى مرض الرسول بالحملى ولحق عليه  
الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى يوم الإثنين ١٣ من ربيع الأول سنة ١١ هجرية ،  
٨ من يونيو سنة ٦٣٢ ميلادية .

### صفته

وصفه بعض من رآه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفماً بطلاً  
وجهه تلاتو القمر ليلة البدر ، أطول من الربوع<sup>(١)</sup> وأقصر من المشدب ؛ عظيم  
الهامة ، رجل الشعر ، إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شعمة أذنيه  
إذا هو وفره ؛ أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزج<sup>٢</sup> الحواجب سوابغ من غير  
قرن ، بينهما عرق يدره الفضب ، أفنى العينين له نور يعلوه ، وحسبه من يتأمله  
أشم ؛ كث<sup>٣</sup> اللحية ، أدهج<sup>٤</sup> ، سهل الخدين ، ضليع<sup>٥</sup> للفم ، أشنب<sup>٦</sup> مفلج<sup>٧</sup> الأسنان ،  
دقيق<sup>٨</sup> المسرربة ، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة ؛ معتدل الخلق بادناتما سكا  
سواء البطن والصدر ، بعيداً بين المنكبين ، ضخم الكراديس ، أشعر<sup>٩</sup> الذراعين  
والمنكبين وأعلى الصدر ، طويل الزندين ، رحب<sup>١٠</sup> الراحة ، شثن<sup>١١</sup> الكفين والقدمين ،  
سائل<sup>١٢</sup> الأطراف ، سبط<sup>١٣</sup> العصب ، خمسان<sup>١٤</sup> الأصصين ، مسيح<sup>١٥</sup> القدمين ينبوعهما  
الماء . إذا زال زال ثقلاً ، ويخطو تكفواً ، ويمشي هوناً . ذريع<sup>١٦</sup> المشية ، إذا مشى  
كأنما ينحط من صلب ، وإذا التفت التفت جميعاً ، خافض<sup>١٧</sup> الطرف ، نظره إلى  
الأرض أطول من نظره إلى السماء . جل<sup>١٨</sup> نظره للملاحظة ، يسوق أصحابه ويبدأ  
من لقيه بالسلام . وكان صلى الله عليه وسلم متواصلاً بالأحزان دائم الفكرة طويل  
السكوت ، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه ، ويحكم بمجوامع الكلم ؛ دمثاً ليس  
بالجاني ولا المهين . إذا أشار أشار بكفه كلها ، وإذا تعجب قلبها ، وإذا تحدث

(١) أنظر شرح مفاتيحه في آخر الكتاب .

اتصل بها فضرب يابها به الميقي راحته اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشاح ،  
وإذا فرح غمز طرفه . جُلَّ ضحكته التيسم ، ويفتر عن مثل حب الغمام .

### فصاحة

تقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخلص القبائل منطقاً وأعذبها بياناً؛  
فولد في بني هاشم ، ونشأ في قريش ، واسترضع في بني سعد . فكان أفصح  
العرب لساناً بالقطرة . وقد حدثت بذلك عن نفسه فلم يُزَيَّف حديثه ولم يُدفع  
قوله . وفصاحة الرسول أشبه بالإلهام والقيض ، فلم يعانيها ولم يتكلفها ولم يرتفع  
لها ، وإنما أسلست له الألفاظ وأسمعت له المعاني فلم يندَّ في لسانه لفظ ، ولم  
يضطرب في أسلوبه عبارة ، ولم يعزب عن علمه لغة ، ولم يَنبُ عن خاطره فكرة  
وكان كلامه كما قال الجاحظ : الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه ،  
وجلَّ عن الصنعة ونزه عن التكلف . استعمل المبسوط في موضع البسط ،  
والمقصود في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن المهجين الشوقي ،  
فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصبة ، وشُدَّ  
بالتأييد ، وبسر بالتوفيق . ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم ثِقاً ، ولا أصدق  
لفظاً ، ولا أعلل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقفاً ،  
ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح من معناه ، ولا أبين عن خواء ، من كلامه  
صلى الله عليه وسلم .

### أثر الحديث في اللغة والأدب<sup>(١)</sup>

أما أثر هذه البلاغة الروحية والفصاحة النبوية في اللغة وآدابها فأبين من أن  
يُبَيَّن ، فإنه عليه الصلاة والسلام قد اجتمع له ما لم يجتمع لغيره من قوة الطبع

(١) راجع صفحتي ١٠٨ و ١٠٩ .

وصفاء الحس ومحض السليقة وتقريب القهن وتمسك اللسان ومؤازرة الوحي ، فكان يقتضب ويتجوز ويشق ، وينهج المذاهب البيانية ، ويرتجل الأوضاع التركيبية ، ويضع الألفاظ الاصطلاحية ، فيصبح ما أمضاء من ذلك حسنة من حسنات البيان ، وسراً من أسرار الأسان ، يزيد في ميراث اللغة ، ويرفع من قدر الأدب . كقوله عليه الصلاة والسلام : مات حَتَفُ أَفْه<sup>(١)</sup> . الآن حي الوطيس . هُدْنَةُ عَلَى دَخَن . يا خيل الله اركبي . لا ينتطح فيها عزازان . وقوله لخادي النساء رويدك ارفقاً بالقوارير . وقوله في يوم بدر : هذا يوم له ما بعده . ناهيك بما استحدثه عليه الصلاة والسلام من أساليب الدين وألفاظ الشريعة بما لم يأت به الكتاب .

## عمر بن الخطاب

### نسأله ومبارة

ولد أبو حفص عمر الفاروق بن الخطاب القرشي بعد مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بثلاث عشرة سنة ، ونشأ نشأة الفتيان من قريش ، فرعى الماشية صغيراً ، ومارس التجارة والحرب كبيراً ، ثم أخذ نفسه بشقافة الأشراف من قومه ، فعلم الكتابة ، وتقلب في التجارات بين اليمن والحبشة جنوباً ، والشام والعراق شمالاً حتى نغم أمره وعظم قدره . واشتهر في الناس ببلاغة اللسان ، وثبات الجتان ، وقوة الشكسية ، ومضاء العزيمة ، فجعلت له قريش السفارة بينهم وبين قبائل العرب في السلم والحرب . ولما جاء الإسلام عارضه وناعضه . ولجَّ في الخصومة والإنكار على متبعية ، والمسلمون يومئذ لا يزيدون على خمسة وأربعين رجلاً وثلاث عشرة

---

(١) روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : ما سمعت كلمة فريفة من العرب إلا وصحتها من رسول الله ( ص ) . وصحته بقوله : مات حَتَفُ أَفْه وما سمعتها من غير رتبة : فوردتها إذن في لامية السؤال للثبوت دليل على أن هذه التصيغة منحولة كلها أو بعضها .

امرأة يجتمعون سرّاً في دار الأرقم الخزومي ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الله أن يعز الإسلام به أو بأبي جهل ، فاختاره الله لهذه السعادة ، وشرح صدره للشهادة . وذلك أنه دخل على ختنته يؤنبه ويمدبه على إسلامه . فلحقت أخته وأخرجت له صحيفة فيها آيات من سورة طه ، فلما قرأها تعظمت في صدره وقال : آمين هذا قرئت قریش ؟ ثم سأل أين الرسول ؟ فقيل له في دار الأرقم . قال عمر : « فأتيت فضربت الباب فاستجمع القوم . فقال لهم حمزة : مالكم ؟ قالوا عمر ! قال : وعمر ! انصعوا له فإن أقبل قبلنا منه ، وإن أدير قتلناه . فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج ، فتشهدت ، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل مكة . قلت يا رسول الله ألسنا على الحق ؟ قال بلى ! قلت : قيم الاختفاء ؟ فخرجنا صنفين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد . فنظرت قریش إلى وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة . فسأني رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ » .

كان ذلك سنة ست وعشرون سنة والأذى قد اشتد بلاؤه بالمسلمين فاحتل منه نصيبه ، وعادى في الله صديقه ونسيبه ، حتى تسأل المؤمنون لوإذا إلى المدينة فارّين من العذاب والفتنة . فلم يشأ عمر الجريء الباسل أن يخفى هجرته ، وإنما تقلد سيفه وتكعب قوسه وأتى الكعبة ، وأشراف قریش بفنائها ، فطاف وصلى ، ثم أقبل عليهم وقال : « شامت الوجوه ! من أراد أن تشككه أمه وبیتّم ولده وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي ! » فلم يتبعه أحد . ولم يزل مع رسول الله الصاحب الأمين يؤيده بسنانه ولسانه ، ويرى له الرأي فيقره القرآن في بعض الحوادث ، حتى قبض الرسول واختلف الأنصار والمهاجرون فيمن يكون الخليفة ، فأيد هو أبا بكر حتى تمت له البيعة . وقام منه في خلافة مقام السنتار للتؤمن والقاضي العدل ، حتى حضر الموت أبا بكر فلم يجد غيره من يهد إليه بالخلافة فتولاها بقوة للتؤمن الخالص ، وعزيمة القوي الشجاع ،

وحكمة الشيخ المجرب ، وحكمة العبرى الأريب ، ووضع يده على ملكوت كسرى وقصر ، وطلق وحده وهو في قلب الصحراء الجديدة يدبره ويسوسه . فيولى الولاية ، ويختار القضاة ، وينصب القواد ، ويحرك الأجناد ، ويبعث الأمداد ، ويرسم الخطط ، ويخطط للذن ، ويسن الشن ، ويقسم الفيء ويقم الحدود ، مما ينوء بالحكومات ويلتوى على المجالس . وكل ذلك في سداد رأى وثقوب ذهن وبعد نظر ومضاء عزم . وكل ذلك وهو بقرش الفراء ، ويعايش الدهاء ، ويتدثر بالثوب الخلق ، ويأتمم بالخل والزيت ولا تزيد نفقته من بيت المال على درهمين في اليوم . ولا تزال خلافته مثلاً من المثل العليا في النظام والعدل والأمن . ولكن عمر القدي أَرْضَى الله والناس بعدله وفضله ، لم يَرْضَ عبداً مجوسياً اسمه لَوَاؤَةُ ، إذ نصح له أن يحسن إلى مولاة المغيرة بن شعبة ، ألا يستكثر عليه درهمين في اليوم يؤديهما إليه ، وهو نجار وتقاش وحداد ، فاحتقد عليه هذه النصيحة ، ودبَّ إليه في الغلس وهو قائم يصلي بالناس في الفجر فطمعه بمنجبر ذى نصلين طعناتٍ كانت سبب موته . وذلك ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ٢٢٣ هـ .

### صفاته ومواهبه

كان أمير المؤمنين عمر ملوياً جسيماً ، أبيض شديداً الحمرة ، أصلع أشيب ، خفيف شعر العارضين ، أصهب طرف السبال كبيره . وكان رفيقاً رقيقاً إلا إذا وجب الحق فلا تأخذه فيه هَوَاة . وَقَلَّ مَنْ سَلِمَ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ وَأَشْرَافِ الْقَبَائِلِ مِنْ دِرَّتِهِ (عصاه) . وكان مُخَصِّدَ الرَّأْيِ ، مُحْكَمَ الْحِيلَةِ ، مُوثِقَ الْحُجَّةِ ، شَدِيدَ الْوَرَعِ ، طَاهِرَ الْيَدِ ، وَاسِعَ الْعِلْمِ ، حَاطِلَ الْخُلَاطِرِ بِالْحِكْمَةِ ، بَارِعَ الْفَقْهِ فِي الدِّينِ ، إِذَا ذَكَرَتْ عَلَيْهِ بِيَلَاغَةِ اللِّسَانِ ذَكَرَتْهُ هُوَ بِيَلَاغَةِ الْعَقْلِ . وَحَسْبُكَ أَنْ تَقْرَأَ لَهُ عَهْدَهُ وَكُتِبَهُ لِلْقَضَاءِ وَالْوَلَاةِ وَالْقَادَةِ فَتَرَى مِنْهُ النِّقِيَّةَ الْمُجْتَهِدَ ، وَالْإِدَارِيَّ

الحازم والسياسي الخنك ، وكل ذلك دون تلقين ولا وحى ولا اقتداء ، وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء .

### نموذج من عهوده وخطبه

ذلك عهدہ إلى أبي موسى الأشعري حين ولاء القضاء ، وقد اعتبره جمهور من القضاة أساساً للنظام وقاعدة للأحكام وما أجدره بذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس ، سلامٌ عليك . أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة . فافهم إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا فإذله . آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطع شريف في حيفك ، ولا يأسَ ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر . والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً . لا يمنعك قضاء قضيتك اليوم فراجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل . القهم القهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة . ثم اعرف الأشباه والأمثال فقس الأمور عند ذلك ، واصمد إلى أقربها عند الله وأشبهها بالحق . واجمل لمن ادعى حقاً غائباً أمدأ ينتهي إليه ، فإن أحضر بيئته أخذت له بحقه وإلا استعطت عليه القضية ، فإنه أنقى للشك وأجلى للعمى . المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد ، أو مجرباً عليه شهادة زور ، أو ظليماً في ولاء أو نسب ، فإن الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والأيمان . وإياك والخلق والضجر والتأذي بالخصوم والتفكر عند الخصومات ، فإن الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به القدر ؛ فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينته وبين الناس . ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله ، فما ظنك بثواب غير الله في طاجل رزقه وخزائن رحمته ؟ والسلام .



ومن خطبة له رضى الله عنه :

أيها الناس ! إنه أتى على حين وأنا أخيب أن من قرأ القرآن إنما يريد الله وما عنده . ألا وإنه قد خيل إلى أن أقواماً يقرءون القرآن يريدون ما عند الناس . ألا فأريدوا الله بقراءتكم وأريدوه بأعمالكم ، فإنما كنّا نعرفكم إذ الوحي ينزل ، وإذ النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، فقد رفع الوحي وذهب النبي عليه السلام ، فإنما أعرفكم بما أقول لكم : ألا فن أظهر لنا خيراً ، ظننا به خيراً وأقنينا به عليه ، ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وبفضناه عليه .

أقصدوا هذه النفوس عن شهواتها فإنها طلعة . وإياكم ألا تقدعوها تنزع بكم إلى شر غاية . إن هذا الحق قليل مري ، وإن الباطل خفيف وبى ، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة .

## على بن أبي طالب

المتوفى سنة ٤٠ هـ

ولد أمير المؤمنين على بن أبي طالب قبل الهجرة بإحدى وعشرين سنة ، وربى مع الرسول في بيته تحقيقاً من أبيه . ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة كان على مراحقاً ، فآمن به وشب على حبه ، وتغلغل أصول الدين في قلبه ، وخاطر بنفسه في سبيل الرسول ليلة هجرته ، وأبلى البلاء الحسن في تأييده ونصرته ، وشهد النزوات كلها إلا تبوك فقد خلفه النبي فيها على أهله . فلما لحق الرسول بربه كان على يرى أنه أحق بخلافته لسكاته من شرف القرابة والعصر . فلما بايع المسلمون أبا بكر وقام بعده من بعده عمر ، وأخطأته الشورى إلى عثمان ، فآوى الجرة ثم سألها ، متعاملاً في كل ذلك على نفسه . وقتل عثمان فبايعه الناس في الحجاز ، وامتنع معاوية وأهل الشام معه غضباً لقتل عثمان وقعوده على من القتل .

وكان ما كان من الفتنة التي حَلَّت العَقْد ، وأوهنت العُرى ، وقسمت المسلمين إلى طائفتين تعادتا واقتتلتا حيناً من الدهر . ثم قرت السيوف في الأغمار دون أن يستوثق الأمر لأحد الرجلين . واتهم ثلاثة من الخوارج بزعماء هذه الفتنة الثلاثة : معاوية وعمر بن العاص وعلي . فكان أمير المؤمنين نصيب ابن ملجم ، فقتله غيلة بمسجد الكوفة سنة ٤٠ هـ وقد مضى على خلافته أربع سنين وتسعة أشهر إلا أياماً .

### أفهامهم ومواهبهم

كان عليّ كرم الله وجهه قوى العضل صادق البأس شجاع القلب لا يبالي أوقع على الموت أم وقع للموت عليه . وكان حُجة في الفقه ، قُدوة في الورع ، شديد الشكيمة في الحق ، قوى الثقة بالنفس ، لا يعرف المهادنة في الدين ولا المرونة في الدنيا ؛ فكانت هذه الخلال السكرية من أنصار معاوية الداهية في الخلاف عليه . ولا نعلم بعد رسول الله فيمن سلف وخلف أفصح من علي في المنطق ، ولا أبلّ ريقاً في الخطابة . كان حكيماً تنفجر الحكمة من بيانه ، وخطيباً تتدفق البلاغة على لسانه ، وواعظاً ملء السمع والقلب ، ومترسلاً بعيد غور الحجة ، ومنكلماً يضع لسانه حيث شاء . وهو بالإجماع أخطب للمسلمين وإمام المنشئين ، وخطبه في الحث على الجهاد ، ورسائله إلى معاوية ، ووصفه الطاووس والخفاش والدنيا ، وعهده للأشتر النخعي إن صح ذلك ، تعد من معجزات اللسان العربي ، وبدائع العقل البشري . وما نظن ذلك قد نهياً له إلا لشدة خلاطه للرسول وميراثه منذ الخدانة على الخطابة له والخطابة في سبيله .

### نموذج منه كلامه

كلام أمير المؤمنين يدور على أقطاب ثلاثة . الخطب والأوامر ، والكتب والرسائل ، والحكم والمواعظ . وقد جمعها على هذا النسق الشريف الرضي

في كتاب سماه ( نهج البلاغة ) لأنه كما قال بحق : « يفتح للنظر فيه أبوابها ،  
ويقرب عليه طلابها ، فيه حاجة العالم والتعلم ، وبنية البليغ والزاهد ، ويضيء  
في أثنائه من الكلام في التوحيد والعدل ماهو بلال كل غلة ، وجللاء كل شبهة »  
والصحيح أن أكثر ما في هذا الكتاب منقول مدخول .

فن خطبه عليه السلام وقد قام إليه رجل من أصحابه فقال : نهيتنا عن  
الحكومة ثم أمرتنا بها فلم ندر أي الأمرين أرشد . فصفق عليه السلام إحدى  
يديه على الأخرى ثم قال : هذا جزاء من ترك العقدة ! أما والله لو أني حين  
أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيراً ، فإن  
استقمتم هديتكم ، وإن اعوججتم قومتمكم ، وإن أيتم تداركتكم ، لكانت  
الوثقى . ولكن بمن وإلى من ؟ أريد أن أدأوى بكم وأتم دأى ، كدأش الشوكة  
بالشوكة وهو يعلم أن ضلعتها معها . اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدوى ،  
وكلت الفرعة بأشطان الركي ! ابن القوم الذين دعوا إلى الإسلام قبلوه ،  
وقرأوا القرآن فأحكموه ، وهيجوا إلى القتال فويلوا وله اللقاع إلى أولادها ،  
وسلبوا السيوف أغادها ، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً ، وصفاً صفاً ،  
بعض هلك ، وبعض نجا ، لا يبشرون بالأحياء ، ولا يعزون بالموتى . مره  
العيون من البكاء ، نخس البطون من الصيام ، ذبل الشفاء من الدواء ، صفر  
الألوان من السهر ، على وجوههم غيرة الخاشعين . أولئك إخواني الزاهبون !  
فحق لنا أن نظماً إليهم ونمض الأيدي على فراقهم .

إن الشيطان يسئ لكم طرقه ، ويريد أن يحمل دينكم عقدة عقدة ،  
ويعطيكم بالجماعة الفرقة . فاصدقوا عن نرغاته ونفثاته ، واقبلوا النصيحة ممن  
أهداها إليكم واعتلوا على أنفسكم .

ومن كلام له عليه السلام .

إلا وإن الخطايا خيل شمسٌ تحمل عليها أهلها ، وخُلعت لجمها فتقشعت بهم

في النار . وإن التقوى مطايا ذُلُّ حِمْلٍ عليها أهلها ، وأعطوا أزمَّها فأوردتهم الجنة . حقٌّ وباطلٌ ، ولكلٍّ أهلٌ . فلتنَّ أمر الباطل قديماً فعل ، ولئن قلَّ الحق فلربما ولعل ، ولقدما أدبر شيء فأقبل . شغل من الجنة والنار أمامه . سارع سريعٌ نجاً ، ومطالبٌ بطيء رجا ، ومقصر في النار هوى ، اليمين والشمال مضلة ، والطريق الوسطى هي الجادة ، عليها باقى الكتاب وآثار النبوة ، ومنها منفذ السنة ، وإليها مصير العاقبة

## سحبان وائل

المتوفى سنة ٥٥٤ هـ

نشأته ومبانيه

نشأ سحبان بن زفر بن إيراد في الجاهلية بين قبيلة وائل من ربيعة ، ثم دخل في الإسلام عند ظهوره ، واتصل بمعاوية ، فحسن موقعه لديه ، واعتمد في يوم الكلام عليه . وكان سحبان خطيباً حمر البديهة ، قوى المعارضة ، متصرفاً في فنون الكلام ، كأنما يطوع عن ظهر قلبه . وبه يضرب المثل في كل ذلك .

قدم على معاوية وفد من خراسان فطلب سحبان فلم يجد في منزله . فاقضب من حيث كان وأدخل عليه . قتل له معاوية : تسكلم . فقال : أحضر والى عصا . قالوا وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ قال : ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه . فضحك معاوية وأمر له بها . فلما جاءت ركبتها ولم ترق في نظره ، فجاءوه بعصاه ، وخطب من صلاة الظهر إلى أن حان وقت العصر ما تمنع ولا سئل ولا توقف ولا تلكأ ولا ابتلأ في معنى وخرج منه وقد بقي فيه شيء . فما زالت تلك حاله حتى دهش منه الحاضرون . فأشار إليه معاوية بيده فأشار إليه سحبان : لا تقطع على كلامي فقال معاوية : الصلاة ! قال

هي أمامك ! نحن في صلاة وتحميد ، ووعد ووعد . فقال معاوية ! أنت أخطب العرب ، قال سبحانه : والعجم والجن والإنس . وهذه الحادثة تدل على قوته وجراته وغزارة بحره ، ومعرفته لقلبه . ولكن المأثور من خطبه قليل في جانب شهرته . ولعل خلوه من الجاه والرياسة ، وبعده عن الأحزاب والسياسة ، وطول خطبه ووحدة موضوعها صرف الرواة عنه . كانت وفاته في خلافة معاوية سنة ٥٥٤ .

### نموذج من خطبه

إن الدنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار . أيها الناس نخذوا من دار تمركم ، إلى دار مقركم ، ولا تهتكوا أستاركم ، عند من لا تخفى عليه أسراركم ؛ وأخرجوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حيتهم ، وفيها خلقتم ، إن الرجل إذا هلك ، قال الناس ماتك ؛ وقالت الملائكة ما قدم ؟ فقدموا بعضاً يكون لكم ، ولا تخلفوا كلاً يكون عليكم .

### زياد بن أبيه

المتوفى سنة ٥٣ هـ

### نشأته ومبانيه

كان للحارث بن كلدة الثقف طيب العرب أمةً بغيٌ تدعى سمية ، وعبد روى يسمى عبيداً . فزوج العبد من الأمة . فولدت على فراشه زياداً في السنة الأولى من الهجرة ! وقد ضربت فيه بريق أشيب فنشأ أديباً . ولم يكد أمر المسلمين يتسع ويتسق حتى دلت عليه كفايته ، فاستكتبه أبو موسى الأشعري والى البصرة من قبل عمر ، فتجلى نبوغه وظهر حذقه . ثم تقلبت به الأمور في عهد عمر حتى شاء أن يعزله عن عمله « لا خيانة ولا لعجز » ، وإنما كره

أن يحمل على الناس فضل عقله ، على أن عمر كان يستكفيه الله من أموره فيكفيه غير عاجز ولا مقصر . وخطب بين يديه يوما في حضرة المهاجرين والأنصار خطبة لم يسمعوها مثلها . فقال عمرو بن العاص : لله در هذا الفلام ! لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه . وبلغ من إعجاب أبي سفيان به أن اعترف بعد إسلامه لعلي بن قريش وفيهم علي أن زياداً ابنه ، اشتملت عليه أمه منه وهو مشرك ، ولكن خوفه من عمر منعه أن يلصقه بنسبه . ولما تولى الخلافة أمير المؤمنين علي وجد في زياد اليد للصرفة ، والرأي الجميع ، واللسان القرب ، فاستعمله ، فراض له الأمور ، وسد الثغور ، وأحكم السياسة . وحاول معاوية أن يستميله إليه فأعياه حتى قتل علي ، فرأى أن يستخلص مودته باستلحاقه بنسب أبيه وادعائه أخاً له ، فصار يدعى بعد ذلك زياد بن أبي سفيان . ولكن كثيراً من الناس لا يعترف له بهذا النسب ، ثم ولاد معاوية المصيرين ، وهو أول من جمعا له فكان يقيم في البصرة ستة أشهر وفي الكوفة مثلها . كانت وفاته بالطاعون سنة ٥٣ هـ .

### أفقره ومواهبه

كان زياد من ذوى الأحلام الوافرة والأذهان الحاضرة واللسان الفتيق ، قال فيه الشعبي : ماسمت متكلماً على منبر قط تكلم فأحسن إلا أحبيت أن يسكت خوفاً من أن يسىء إلا زياداً ؛ فإنه كلما أكثر كان أجود كلاماً .

وزياد من أقوى العمد التي قام عليها عرش بني أمية . رمى به معاوية وجوه القن قلم الشعث وشد السلطان ، واشتد في العقوبة ؛ فأخذ بالظنة ، وعاقب على الشبهة ، وقتل المعلن ، واستصلح المسر ، وخافه الناس خوفاً شديداً حتى أمن بعضهم بعضاً ، وحتى كان الشيء يسقط من يد الرجل والمرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه ، ولا يخلق أحد بابيه ، وهو أول من أعلن الحكم العرفي

في الإسلام بخطبته المعروفة بالبراء<sup>(١)</sup> وهي التي خطبها حين قدم البصرة .

### نموذج منه كلامه : خطبة البراء

أما بعد فإن الجهالة الجاهلاء ، والضلالة العمياء ، والنفي الموقى بأهله على النار حافيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حفاؤكم . من الأمور التي يَنْبَغُ فيها الصغير ، ولا يتعاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، في الزمن السرمدي الذي لا يزول . إنه ليس منكم إلا من طرفت عينه الدنيا . وسدت مسامعه الشهوات ، واختار القانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه ، من تركم الضعيف يقهر ، والضعيف المساوية بالنهار لا تنصر ، والعدو غير قليل ، والجمع غير مفترق . ألم يكن منكم مناهة ينعون الفؤاد عن دلج الليل وغارة النهار ؟ اقربتم القرابة ، وباعدتم الدين . تعذرون بغير العذر ، وتفرضون على النكر ، كل امرئ منكم يرد من سفيهه صنع عن لا يخاف عاقبة ولا يرجو معاداً ! ما أنتم بالحلما ، ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرمة الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم كُنُوساً في مكانس الرب ، حرام على الطعام والشراب حتى أسووها بالأرض هدماً وإحراقاً . إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما يصلح به أوله : لين في غير ضعف ، وشدة في غير عنف ، وإني لأقسم بالله لأخذنّ الولي بالمؤلى والمقيم بالظاعن ، والطيع بالماص ، والصحيح بالسقيم ، حتى يلقي الرجل أخاه فيقول : أنتجُ سداً فقد هلك سعيد ، أو تستقيم قناتكم . إن كذبة الأمير بقاء مشهورة ، فإذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي ، فإذا سمعتموها مني فاقضوها في واعلموا أن عددي أمثالها ، من قَبِ منكم عليه فإناضامن لما ذهب

---

(١) سميت كذلك لأنه لم يحد الله فيها ، والبراء الطهارة للعمرة .

من ماله . فإيأى ودلج الليل فإنى لا أوتى بمدح إلا سكت دمه . وقد أجلكم  
فى ذلك بمقدار ما يأتى الخبر الكوفة ويرجع إليكم ، وإيأى ودعوى الجاهلية ،  
فإنى لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعت لسانه . وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن ، وقد  
أحدثنا لكل ذنب عقوبة . فمن أغرق قوماً أغرقناه ، ومن أحرق قوماً أحرقناه .  
ومن نقب قلباً نقبنا عن قلبه . ومن نبش قبراً دفناه فيه حياً . فكفوا عن أيديكم  
والسيفكم أكفف عنكم يدي ولسانى . ولا تظهر من أحدكم ريبة بخلاف ما عليه  
عانتكم إلا ضربت عنقه . وقد كان بينى وبين قوم إحنٌ فجعلت ذلك دبراً أذى  
وتحت قدمى . إنى لو علمت أن أحدكم قد قتل الشلث من بغضى لم أكشف  
له قناعاً ، ولم أهتك له سترأ ، حتى يبدى لى صفحته ، فإذا فعل ذلك لم أناظره .  
فامسأنفوا أموركم . وأمينوا على أنفسكم ، قروباً مبتثس بقدمنا سيئس ، ومسرور  
بقدمنا سيبتس .

أيها الناس ! إنا قد أصبحنا لكم سامة ، وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان  
الله الذى أعطانا ، ونفوذ عنكم بنىء الله الذى خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة  
فما أحببنا . ولكم علينا العدل فيما ولينا . فاستوجبوا عدلنا وفتنا بمناسحتكم لنا .  
وأيم الله إن لى فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل منكم أن يكون من صرعائى !

### الحجاج بن يوسف

٤١ — ٨٩٥

#### نشأته وحياته

ولد أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفى سنة ٤١ فى مهد المحول والفقر . فزاول  
مع أبيه تعاليم الصبية بالطائف ؛ إلا أن نفسه الرغبية الطامحة ربات به عن الضمة  
فلقت إليه بذكاته رَوْحَ بن زنباع الجذامى أحد أعوان عبد الملك بن مروان



فجعله في شُرطته . ورأى الخليفة انحلال عسكره فشكا ذلك إلى رُوح بن زنباع فذله على الحجاج ، فقلده إمرة الجند فسلّكهم في النظام وردم إلى الطاعة . ثم اشتهر أمره ونبه ذكره بقيادة الجند إلى عبد الله بن الزبير ، وقد دعا إلى نفسه بالحجاز ، فحاصره بمكة ثم قتله وأزال ملكه . فثبتت كفايته وسمت مكاتته في نفس عبد الملك ، فولاه العراق وهو يضطرب بفتنة الشيعة ، ويضطرم بثورة الخوارج ، ففسدهم عسفاً شديداً أذل أعناقهم ، وطأطأ إشرافهم ، وعاد بهم إلى حظيرة الجماعة يتعثر في أشلائهم ، ويخوض بهم في دمائهم .

وبقي طول حياته بالعراق دِعامَةً للملك عبد الملك وابنه الوليد يضبطه ويبسطه حتى طبق ما بين الشام والصين . ثم مات بواسط سنة ٩٥ هـ .

### أخوه ومواهب

كان الحجاج طامحاً إلى السلطان والمجد ، فسلك إليهما سبيل الظلم والقسوة ، وتذرع لئيلهما بالفصاحة والقوة ، ورزقه الله من طلاوة اللسان وقوة الجنان القسط الأوفر ، فأتتهى أمره إلى السلطان القاهر والسكامة النافذة . قال له عبد الملك يوماً : كل امرئ يعرف عيوب نفسه ، فصف نفسك ولا تخف عني شيئاً . فقال : « أنا لجوج حقود حسود . ومتى كانت هذه الصفات في متسلط أهلك الحرث والنسل إلا أن يدين له الناس ويذلوا » وكان فصيحاً قوى الحجة لا يكاد يبدله في ذلك أحد من أهل زمانه . قال مالك بن دينار : « ما رأيت أحداً أئين من الحجاج : إنه كان ليرقى المنبر فيذكر إحسانه إلى أهل العراق وصفحته عنهم وإسائتهم إليه حتى لأحسبه صادقاً وأظنهم كاذبين » مع أنه قتل منهم بالصبر مائة وعشرين ألفاً ، وتوفي وفي سجنونه منهم خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة .

### نموذج من خطبه

لما قدم الحجاج أميراً على العراق دخل المسجد مُعْتَمِلاً بعمامة قد غطى بها  
أكثر وجهه ، وصعد المنبر وهو منتقل سيفه مُتَكَبِّبُ قَوْسَهُ ، ومكث ساعة لا يتكلم .  
فقال الناس بعضهم لبعض : قبح الله بنى أمية إذ تستعمل مثل هذا على العراق !  
وهمَّ عُمَيْرُ بْنُ ضَايَاءِ الْهَرَجِيِّ أَنْ يَرْجِعَهُ ، فَنَعِمَ النَّاسُ حَتَّى يَرَوْا عَاقِبَةَ أَمْرِهِ . فلما  
رَأَى الْحَجَّاجُ عَيُونَ النَّاسِ إِلَيْهِ حَسَرَ اللِّثَامَ عَنْ فِيهِ وَنَهَضَ فَقَالَ :

أَنَا بَيْنَ جَلَا وَطَلَّاعِ الثَّنَائِ لَا مَتَى أَضْعُرُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ! إِنِّي لَأُرَى رَعُوساً قَدْ أَبْنَعَتْ وَحَانَ قَطَافُهَا ، وَإِنِّي  
لصَاحِبُهَا ! وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الدِّمَاءِ بَيْنَ الْعِمَامَةِ وَاللَّحْيِ !

هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدَى زَيْمٌ قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطَمٍ  
لَيْسَ بِرَاعِي لِأَبْلِ وَلَا غَنَمٍ وَلَا بِحِزَارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمٍ

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِمِصْلَتَيْ أَرْوَعِ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوْثَى  
مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِي

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشَدُّوا وَجَدَتْ الْحَرْبُ بِكُمْ فُجْدُوا  
وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌّ مُرْدٌ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدَّ  
لَا بَدَّ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ بَدٌّ !

إِنِّي وَاللَّهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ مَا يَقْمَقُ لِي بِالشَّنَانِ ، وَلَا يُغْمِزُ جَانِبِي كَتَفَاظِ  
التِّينِ . وَلَقَدْ قُرِرْتُ عَنْ ذِكَاةٍ ، وَفَتَنْشَتْ عَنْ تَجْرِيبَةٍ . وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، نَثَرَ كَنَافَتَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ عِيدَانَهَا فَوَجَدَنِي أَمْرًا عَوْدًا

وأصلها مكسر أفرماكم بي . لأنكم طللما أضعتم في الفتنة ، واضطجعتكم في مراقد الضلال .

والله لأحزمنكم جزم السكمة ، ولأضربكم ضرب غرائب الإبل ؛ فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . وإني والله ما أقول إلا وفيت ، ولا أم إلا أمضيت ، ولا أخلق إلا فربت . وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم إلى محاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة . وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه .

## الكتابة

كان أولياء العرب في الصدر الأول كتاباً بالطبع يملون أو يكتبون ما يريدون بأسلوب موجز ولفظ فصيح . فلما امتدت ظلال الخلافة وقامت موارد الفنى اضطرم ضبط ذلك إلى إنشاء الدواوين فدونها عمر . ثم عهد الخلفاء بالكتابة فيها إلى العرب والموالي وللتعريب . وظلت كتابة الخراج في الأقاليم بلغة أهل مصر : ففي العراق وفارس بالفارسية ، وفي الشام بالرومية ، وفي مصر بالقبطية . حتى حذقها من العرب طائفة صالحة مدوا حاجة الدواوين<sup>(١)</sup> فحوّلت كلها إلى العربية في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد<sup>(٢)</sup> .

ثم ثقلت أعباء الدولة على الخلفاء فاتخذوا نواميس من كتاب العرب وأدباء الموالى ، وفي هؤلاء من وقف على أنظمة الفرس والروم فوضعوا للرسائل قيوداً وحدوداً أو شكت أن تصير بها صناعة .

أما أسلوبها فكان جزل الألفاظ ، نغم التراكيب ، واقفاً عند الغرض ، خالياً من التطويل والتجويل واللباقة ، جارية فيه الضمائر على قانون الوضع ، فلا تستعمل ضمائر الجمع في كلام التشكلم وخطاب الواحد . وكانت تبدأ بالبسملة وقولهم : من فلان إلى فلان ، أما بعد . أو إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . وتختتم بالسلام ، أو بقولهم : والسلام على من اتبع الهدى . فلما ولي الخلافة الوليد ابن عبد الملك أمر بتجويد القراطيس ، وتفخيم الخطاب ، وألا يكاتب بمثل ما تكاتب به السوق . وجرى العمل على ذلك من بعده ، حتى استتخلف

---

(١) المراد بالدواوين هنا دواوين الخراج لأن دواوين الجند ودواوين الرسائل كانت تكتب بالعربية منذ وضعت .

(٢) لل ديوان الخراج في العراق صالح بن عبد الرحمن في ولاية الحجاج ، ونقله في الشام أبو ثابت سليمان بن سعد كاتب الرسائل في خلافة الوليد بن عبد الملك ، وأما في مصر فأول من وليه ابن يربوع الغزاري الحمصي في خلافة الوليد بن عبد الملك أيضاً :

عمر بن عبد العزيز ، ثم يزيد بن عبد الملك ، فحملهما الورع ومقت البدعة على الرجوع بالكتابة إلى نهج السلف .

على أن نظام الكون وطبيعة الناس في هذا العهد أياً هذا الجود ، فجاء عبد الحميد الكاتب فأسهب في الرسائل ونقحها ورققها وأطال التحميدات في أولها وتبعه في ذلك سائر الكتاب . وجملة القول أن النثر في أربعين سنة خطافي سبيل الكمال بفضل الدين والفتوح خطوة واسعة ، فانقل من السجعات القصيرة المفككة ، والمعاني العامة الجملة ، إلى هذا الأسلوب المحكم الفير ، الطرد السياق ، المختلف الفرض ، العميق الأثر ، كما ترى في رسائل الإمام علي وخطبه وهو تقدم سريع لم يظفر بمثله الشعر .

## الكتاب

### عبد الحميد بن يحيى

#### نشأته ومبانيه

نشأ أبو غالب عبد الحميد بن يحيى بالشام من سلالة غير عربية ، ونسب إلى بني عامر نسبة ولائية . تفتت الكتابة على سالم مولى هشام بن عبد الملك وكاتب سره ، ثم أخذ يمارس تعليم الصبية يجوب إلى ذلك البلد بعد البلد حتى علم بمكانته مروان بن محمد فاستكتبه أيام ولايته على أرمينية فكتب له وفق عند موته كدت بينهما اللودة . فلما جاء البشير بمبايعة أهل الشام لمروان بالخلافة سجد لله شكراً وسجد أصحابه إلا عبد الحميد . فقال له مروان : لم لا تسجد ؟ فقال : ولم أسجد ؟ أعلى أن كنت معنا فطرت عنا ؟ فقال : إذن تطير معي . قال : الآن طالب السجود . وسجد . فاتخذ مروان كاتب دولته . ولما هاله خنوق الألوية السود ودنو أبي مسلم وتتابع القتل قال لعبد الحميد : قد احتجت أن تصير مع

عدوى ، وتظهر الغدري ، فإن إعجابهم بأدبك ، وحاجتهم إلى كتابتك :  
تموجهم إلى حسن الظن بك . فإن استطعت أن تنفعني في حياتي ، وإلا لم تعجز  
عن حفظ حرّمي بعد مماتي . فقال له عبد الحميد : إن الذي أشرت به حتى أنفع  
الأميرين لك وأقبحهما بي ، وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل  
مهلك ، وأنشد :

أميرٌ وفاء ثم أظهر غدره      فن لي بعذر يوسع الناس ظاهره ؟

ومكث معه حتى قتل مروان بمصر ، فلجأ إلى صدقه عبد الله بن المقفع بالبحرين  
فجاءه الطلب وهو في بيته . فقال الذين دخلوا عليهما : أيكما عبد الحميد ؟ فقال  
كل منهما : أنا . مخافة على صاحبه . وأوشك الجند أن يقتلوا ابن المقفع لولا أن  
صاح بهم عبد الحميد قائلاً : ترفعوا بنا فإن لكل منا علامات ، فوكلوا بنا  
بعضكم وليمض البعض الآخر إلى من وجهكم فيذكر له تلك العلامات . ففعلوا  
وأخذ عبد الحميد يقتل سنة ١٢٢ هـ .

### أثره في الكتابة

كانت الكتابة قبل عبد الحميد حديثاً مكتوباً لا ترجع إلى نظام ، ولا تمحور  
إلى فن ولا تعد في الصناعات الشريفة . فلما تقلدها كانت الحال داعية والنفوس مهيأة  
إلى فن من الكتابة جديد ، فإن تشب أطراف الدولة ، وبدؤت آثار الحضارة ، وزهو  
النثر والخطابة ، ودنو العربية من الفارسية ، وتخرج عبد الحميد على سالم مولى  
هشام ، وصلته الوثيقة بابن المقفع ، كانت سبباً في ظهور هذا النمط الجديد في أسلوب  
عبد الحميد . فقد نوع الخطاب موافقة لحال المخاطب ، وأوجز وأطنب مراعاة لمقتضى  
الحال ، وتقنن في البدء والختام مطابقة للعرض ، وأطال التحصيدات في صدور  
الرسائل ، وسار على أثره المترسلون فأصبحت الكتابة صناعة محررة الأصول  
مميزة الفصول مبينة القواعد .

### أسلوبه

أسلوب عبد الحميد عذب للورد صافي الديباجة ، يسبي للشاعر ويفعل بالألحان  
فعل السحر . وقد عرف الناس له ذلك حتى إن أبا مسلم الخراساني أبي أن يقرأ  
الكتاب الذي كتبه إليه عن لسان مروان يستجابه به ويستميله ، ثم أحرقه  
إشفاقاً على نفسه من تأثيره ؛ وكتب على جُذاة منه إلى مروان :

عما السيف أسطار البلاغة وانتحى عليك ليوث الغاب من كل جانب

### نموذج من شعره

كتب إلى أهله وهو منهزم مع مروان :

أما بعد ، فإن الله تعالى جعل الدنيا مخفوفة بالسكره والسرور ، فن ساعده  
الحظ فيها سكن إليها ، ومن عصته بنابها ذمها ساخطاً عليها ، وشكاهامستزيداً  
لها ، وقد كانت أذقتنا أفاريق استحليناها ثم جمعت بنا نافرة ، ورحمتنا مولية ،  
فملح عذبها ، وخشن لينها ، فأبعدتنا عن الأوطان ، وفرقتنا عن الإخوان ،  
فالدار نازحة ، والطير بارحة . وقد كتبت والأيام تزيدنا منكم بعداً ، وإليكم وجداً ؛  
فإن تتم البلية إلى أقصى مدنها يكن آخر العهد بكم وبنا . وإن يلحقنا ظفر جارح  
من أظفار عدونا نرجع إليكم بذل الإسار ، والقل شر جار . نسأل الله تعالى الذي  
يعز من يشاء وينزل من يشاء ، أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة ، في دار آمنة ،  
تجمع سلامة الأبدان والأديان ، فإنه رب العالمين وأرحم الراحمين .  
وقال من وصيته للكتاب ، وفيها دلالة على أن الكتابة صارت صناعة ،  
وأن الكتاب أصبحوا حامة .

..... وإياكم والكبر والسُّخف والعظمة ، فإنها عداوة مجتلبة من غير  
إحنة ، وتماثروا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالتي هي أليق لأهل

الفضل والعدل والنبيل من سلفكم . وإن نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه  
وواسوه حتى يرجع إليه حاله ، ويثوب إليه أمره . وإن أقعد أحدكم الكبر  
عن مكسبه وبقاء إخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته  
وقديم معرفته .

وكتب في التوصية بشخص : حق موصل كتابي عليك كلفه على ، إذ جعلك  
موضعا لأمله ، ورآني أهلا لحاجته . وقد أنجزت حاجته ، فصدق أمله .

### نماذج من النثر

#### الحكم

من حكم أبي بكر رضي الله عنه قوله :

صنائع المعروف تقي مصارع السوء . اللوت أهون مما بعده وأشد مما قبله .  
ثلاث من كن فيه كن عليه : الهني والنكت والكر .

ولعمري رضي الله عنه : من كنتم سره كان الخيلار في يده . مر ذوى القربايات  
أن يتزاوروا ولا يتجاوروا . أشكو إلى الله ضعف الأمين وخيانة القوى .  
وقال هل كرم الله وجهه : رأى الشيخ خير من جلد الغلام . الناس أعداء  
ما جهلوا . قيمة كل امرئ ما يحسن .

#### الخطب

خطب الرسول صلى الله عليه وسلم ذات يوم فحمد الله بما هو أهله ثم أقبل  
على الناس فقال :

أيها الناس ! إن لكم معالماً فانتبهوا إلى معالكم . وإن لكم نهاية فانتبهوا  
إلى نهايتكم ؛ فإن المبد بين مخافتين : أجل قدمضي فلا يدري ما الله فاعل به ،



وأجل باق لا يدري ما لله قاض فيه . فليأخذ العبدُ من نفسه لنفسه ، ومن دنياه  
لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل المات . فوالذي نفسُ محمد  
بيده ، ما بعد الموت من مستعقب ، ولا بعد الدنيا من دار ، إلا الجنة والنار .  
وقام أبو بكر يوم السقيفة وقد اختلف المهاجرون والأنصار في أمر الخلافة  
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ! نحن المهاجرين أول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ،  
وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثرم ولادة في العرب . وأمسهم رحماً  
برسول الله صلى الله عليه وسلم . أسلفنا قبلكم ، وقدمنا في القرآن عليكم ،  
فقال تبارك وتعالى : ( والسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ  
اتَّبَعُوا بِإِحْسَانٍ ) فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار ، إخواننا في الدين وشركاؤنا  
في النية ، وأنصارنا على العدو . آويناكم وواسينكم فجزاكم الله خيراً ؛ فنحن الأمراء  
وأنتم الوزراء . لا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش . فلا تنفَسُوا على  
إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله .

وصعد معاوية منبر المدينة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أهل المدينة ! إني لا أحب أن تكونوا خلقاً كخلق العراق : يَمَيِّيون  
الشيء وهم فيه . كل امرئ منهم شيعته نفسه . فاقبلونا بما فينا . فإن ما وراءنا  
شرٌ لكم ، وإن معروف زماننا هذا منكراً زمان مضى ، ومنكر زماننا  
معروف زمان لم يأت . ولو قد أتى فلترتقُ خير من التقي ، وفي كلِّ بلاغ ، ولا  
مقام على الرزية .

وخطب الحجاج أهل العراق بعد دير الجاجم قال :

يا أهل العراق ! إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب  
والمسامع والأطراف والشفاف ، ثم مضى إلى الأعناق والأصمخ ، ثم ارتفع

فمَشَّشَ ، ثم باض وفرَّخَ ، فحشاكم نفاقاً وشقاقاً . وقد اتخذتموه دليلاً تتبعونه ، وقائداً تطيعونه ، ومؤمراً تستشيرونه . فكيف تنفعكم تجربة ، أو تعظيكم وقعة ، أو يحجزكم إسلام ، أو يردكم إيمان ؟ ألسن أصحابي بالأهواز ، حيث رُمتم للمكر وسعيتم بالغدر ، وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته ، وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون ليواذاً ، وتنهزمون سراعاً . ويوم الزاوية ! وما يوم الزاوية ! بها كان فشلكم وتنازعكم وبراءة الله منكم ونكوص وليه عنكم ، إذوليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها ، النوازع إلى أعطانها ، لا يسأل الله منكم عن أخيه ، ولا يلوى الشيخ على بنيه ، حتى عضكم السلاح ، وقصصكم الرماح ! ويوم دير الجماجم ! وما دير الجماجم ؟ بها كانت المعارك والملاحم ، بضرب يزيل الهام عن مقيله ، وبذهل الخليل عن خليله . يا أهل الدراق ! أهل الكفريات والفدرات ، والثورة بعد الثورات ! إن أبعثكم إلى تفوركم علم وختم ، وإن أمتم أرجفتم ، وإن خفتم ناقتم ، لا تذكرون خشية ، ولا تشكرون نعمة . هل استخفصكم ناكث واستغفواكم غاو واستنصركم ظالم واستمضدكم خالغ إلا وتقتمونه وآو يتموه ونصرتمونه ورضيتمونه ؟ هل شغب شاغب أو نعب ناعب إلا كنتم أشياعه وأنصاره ؟ ألم تنهكم المواقظ ؟ ألم تزجركم الوقائع ؟

ثم التفت إلى أهل الشام فقال : يا أهل الشام ! إنما أنا لكم كالظلم الذاب عن فراخه ، ينفي عنها المدر ؛ ويبعد عنها الحجر ، ويكنها من المطر . يا أهل الشام أنتم أجنة الرداء ، وأنتم العدة والنطاء !

### الرسائل

كتب أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ينصحه :

من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب ، سلام عليك ،

فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإننا عهدناك وأمر نفسك لك  
مهم ، فأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة أحرها وأسودها ، مجلس بين يديك  
الصديق والعدو ، والشريف والضيع ، ولكل حصة من العدل . فانظر كيف  
أنت يا عمر عند ذلك . وإنا نذكرك يوماً تنو فيه الوجوه ، وتجب له القلوب ،  
وتنقطع فيه الحجج ، محبة ملك قهرهم بجهوته والخلق داخرون له ، يرجون  
رحمته ويخافون عقابه . وإنا كنا نتحدث أن أمر هذه الأمة يرجع في آخر زمانها  
أن يكون أخوان العلانية أعداء السريرة . وإنا نعوذ بالله أن تنزل كتابنا  
سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا ، فإننا إنما كتبنا إليك نصيحة لك والسلام .  
وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر إلى بعض إخوانه يعاتبه :

أما بعد فقد طغى الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك . وذلك أنك  
ابتدأتني بلطف من غير خبرة ، ثم أعقبني جفاء من غير جريرة ، فأطمعني  
أولاً في إختاتك ، وأياسني آخرك من وفائك . فلا أنا في اليوم مجمع لك  
أطراحاً ، ولا أنا في غد وانتظاره منك على ثقة . فسبحان من لو شاء كشف  
بإيضاح الرأي في أمرك عن عزيمة الشك فيك ، فاجتمعنا على ائتلاف ، أو افترقنا  
على اختلاف ، والسلام .

### الوصايا

أوصى علي بن أبي طالب ولده الحسن قال :

احفظ عني أربماً وأربماً لا يضرك ما عملت معهن : أغنى الغنى العقل ،  
وأكبر الفقر الحق ، وأوحش الوحشة العجب ، وأكرم الحسب حسن الخلق .  
يا بني ! إياك ومصادقة الأحمق ، فإنه يريد أن ينقصك فيضرك . وإياك ومصادقة  
البخيل ، فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه . وإياك ومصادقة الفاجر ، فإنه

يبعك بالتافه . وإياك ومعاداة الكذاب ، فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد ،  
ويبعد عنك القريب .

وأوصى قيس بن عاصم للتقوى بفيه عند احتضاره قال :

يا بني " احفظوا عني ثلاثا ، فلا أحد أنصح لكم مني : إذا أنا مت فسودوا  
كباركم ، ولا تسودوا صفاركم ، فيحقر الناس كباركم وتهونوا عليهم .  
وعليكم بحفظ اللال ، فإنه منبها للكريم ، ويستغنى به عن اللثيم . وإياكم  
والمسألة فإنها أخس كسب الرجل .

### اللعن ونشوء العامية

كان من أثر الأسواق والحج وزعامة قريش أن توحدت في الجاهلية لغات  
العرب ، وتمثلت لهجاتها في لغة قريش ؛ فلم يبق إلا بعض اللحن على أطراف  
المناطق . فلما جاء الإسلام ، ونزل بها القرآن ، وكان من بينها النبي الكريم  
والقائمون بالأمر بعده ، تمت لها الغلبة . فخضعت لها الألسنة ، وهويت إليها  
الأفئدة ، وأصبحت لسان النبوة والملك ، ولغة الحضارة والعلم ، في أقطار المسلمين  
كافة . ولما كان الإسلام انقلابا عظيما له تأثيره في الأخلاق والطباع ، وتغييره  
في السياسة والاجتماع ، لم يكن للغة بد من الخضوع له والتأثر به ، فأنسمت مادتها  
وتشعبت أغراضها بالتعبير عن عقائد الدين ، وأنظمة الملك ، ومقتضيات الحضارة ،  
ومصطلحات العلوم . وتهذبت ألفاظها وركت أساليبها بما أثر في طباع القوم من  
بلاغة القرآن ، وبشاشة الإسلام ، وجمال للدنية ، وتنوع المناظر الحضارية<sup>(١)</sup> .  
ثم كان من أثر الإسلام في حياة العرب أيضا أن محا العصبية ، وأزال

---

(١) الحضارة الفارسية والرومية السهم الأوفر في تهذيب اللغة وإصلاحها أيام الأمويين ،  
فقد اتخذ المسلمون لغات الحرير وسطور البياض وزادت حاجاتهم ومراقتهم فزادت معها  
الألفاظ ، وركت حواشيها بركة اللبقة ورقتها .

القوارق الاجتماعية وغير مقاييس السيادة فجعلها بالتقوى والعبادة ، وجمع شتات القبائل على عقيدة واحدة ، وضم نشرهم تحت راية جامعة . ثم خرج بهم من شبه الجزيرة إلى جهاد الشرك بالقرآن والسيف ، فأوطأهم ديار كسرى وقيصر ، وأوغل بهم في الأرض نصراً وفتحاً حتى ركزوا أعلامهم في أقصى الشرق وأدنى الغرب . ومنذ يومئذ لم تعد العربية لغة إقليم واحد ولا لسان شعب واحد ، وإنما انحدرت مع الإسلام من بوادي الحجاز ونجد إلى حواضر البصرة والكوفة ودمشق وبغداد وقرطبة ومصر . واستفاضت على ألسنة المسلمين<sup>(١)</sup> أحرم وأسودم ، والعربيين أديانهم وأبداهم ، وليس في مقدور هؤلاء بطبيعة الخلق أن ينطقوا بها كأهلها ، فارتضخوا أنواعاً من الكنة ، وأحدثوا أوضاعاً من الخطأ ، خلقت بألسنة المستضعفين من العرب والفاشئين منهم بين اللوالب . ولذلك ظهر اللحن في الحواضر والمدن دون البادية ، فقد بقيت اللغة على خلوصها فيها حتى آخر القرن الرابع . بدت أعراض هذا الداء منذ زمن الرسول ( ص ) ثم أخذ يستفحل كلما توفرت أسبابه حتى فشا في الدولة الأموية فشواً تناول الخلفاء والخاصة . وخيف منه على القرآن فوضعوا له النحو والشكل والإعجام والنقط . على أن كل ذلك لم يمس اللغة ولم يصد عنها عادية اللحن ، فأمن العامة في التصعيف والتعريف حتى جعلوا اللغة لنتين : لغة الكتابة ولغة المحادثة كما هي الآن .

## النحو

يروى للزورخون أن أبا الأسود الدؤلي للوقوف سنة ٦٩ هو واضع مبادئ النحو ،

---

(١) قال ابن خلدون : « ولا حيز الدين اللغات الأجنبية وكان لسان الناطقين بالدولة الإسلامية عربياً هجرت كلها في جميع ممالكها ؛ لأن الناس تبعوا للسلطان وعلى دينه . فصار استعمال لسان العرب من شحاتر الإسلام وطاعة العرب . وهجر الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميع الأنظار والممالك وصار لسان العرب لغتهم حتى وضع ذلك لغة في جميع أمصارهم وصارت الألسنة الأجنبية دخيلة فيها وغريبة » .

وأن السبب الذي حدا به إلى التفكير فيه هو نشوء اللحن وهجوم العجبة. وذكروا في ذلك أنه دخل يوماً على زياد بن أبيه وهو إلى المراقين ، فقال له : « أصلح الله الأمير ! إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم ففسدت ألسنتهم . أفأذن لي أن أضع لهم ما يقيمون به كلامهم ؟ » فأبى عليه ذلك زياد ثم عاد فأمره بما نهاه عنه ، لأنه سمع اللحن بأذنه من رجل دخل عليه يقول : « أصلح الله الأمير . توفي أبانا وترك بنون . . . » فوضع أبو الأسود باب التمعجب ثم باب الفاعل والمفعول ، وأخذ كلما سمع لحنة وضع القاعدة التي تصلحها . ثم تناوله منه أدباء البصرة والكوفة فكلوه وفصلوه كما سذك ذلك بعد . والغالب في خلقنا أن أبا الأسود لم يضع النحو والنقط من ذات نفسه وإنشائه ، وإنما يرجع أنه ألم بالسريانية ( وقد وضع نحوها قبل نحو العربية ) أو اتصل بقساوسها وأخبارها فساعدته ذلك على وضع ما وضع . وعلى أية حال فإن أولية النحو لا تزال مجهولة .

### العلوم في العصر الأموي

لم تكن نفوس العرب مهيأة بعد إلى العلم ، ولا عقولهم ناضجة للبحث فيه ؛ وإنما توزعتهم عواطف الدين وشواغل الفتح ونوازع الأدب ، فاكثفوا منه بالضرورة الموروث كالطب والنجوم . حتى إذا هلم اللحن ودهمت العجبة ، وتشعبت عليهم الأقضية ، وضعوا النحو لضبط القرآن ، والتفسير لحل مشكله ، والفقه لاستنباط الأحكام منه ، ودونوا الحديث خوفاً من ضياعه أو افتحاله .

واقترضت حكمة معاوية وحكمة خلفائه أن يستعينوا في تأييد ملكهم وثبيت حكمهم بتجارب الماضين وأخبارهم <sup>(١)</sup> ، فألف عبيد بن شربة كتاب

(١) ذكر السعدي أن معاوية كان يجلس لأصحاب الأخبار في كل ليلة من المساء إلى ثلث الليل ، فيقصون عليه أخبار الحزم والعرب وسياستهم في ديارهم ومكائدهم في حروبهم ثم ينام تلك الليل ويحوم فتأتيه خلفان مرعوبون وعندما كتب قد وكلوا بمغفلها وقرأتها ، فيقرأون عليه ما بها من سير الملوك وأخبار الحروب وأنواع السياسات .

الملوك وأخبار الماضين معاوية ؛ وربما كتب غيره غيره ، ولكن شيئاً من ذلك لم يأتنا علمه . أما ترجمة العلوم الأجنبية فلم تكن أحدًا في هذا العصر ، اللهم إلا خالد ابن يزيد حفيد معاوية ، فقد قيل إنه انصرف إلى العلم بعد فشله في الملك ، واستقدم جماعة من مدرسة الإسكندرية علومه الكيمياء وترجموا له شيئاً منها . وجملة القول في هذا العصر أن كان فيه نُضج الآداب الجاهلية ، ونشوء العلوم الإسلامية ، وبداية النقل من العلوم الأجنبية .

### الخط بعد الإسلام

جاء الإسلام وما يكتب من العرب غير بضعة عشر رجلاً من قريش وبعض أهل المدينة وتجار اليهود . فلما كتب الله النصر للمسلمين على قريش في يوم بدر وأخذ بعض كتابهم أسرى ، قبل الرسول صلى الله عليه وسلم من هؤلاء أن يفتدى كل منهم نفسه بتعليم عشرة من أطفال المسلمين الكتابة ، فكثر سواد الكتّاب من أهل المدينة . وشاعت الكتابة بعد ذلك في العرب إطاعةً لأمر الرسول ، ورغبة في كتابة القرآن ، وطمعاً في دخول الدواوين ، وانتشرت معهم في الأقطار المفتوحة :

وكان الخط في أول أمره خالياً من الإعصام والشكل ، حتى فشا اللحن وخيف منه على القرآن ، فضبط أبو الأسود الدؤلي في زمان معاوية أواخر الكلام في المصاحف بالنقط ؛ فجعل علامة الفتحة نقطة من فوق الحرف ، وعلامة الكسرة نقطة من أسفله ، وعلامة الضمة نقطة بين يديه . واستعمل الناس هذه النقط وكتبوها بمداد مخالف . فلما تباينت أشكال الخط ، وتشابهت أوضاع الحروف ، ظلت تست الجيم<sup>(١)</sup> بالحاء ، والذال بالذال ، والسين بالسين ، أمر الحجاج نصر بن

(١) من أمثال ذلك أن عبّوا جاعت الفرزدق وقالت له : إن استعبرت بغير أهلك . فقال لها : ما حالك ؟ قالت : إن تمّ بن زيد خرج بائعاً ولا ليرة لمني ولا كاسب على سواه .

عاصم ويحيى بن يعمر تلميذى أبى الأسود فوضعا الإيجام بالمداد الذى تكتب به الكلمة تمييزاً للحروف بعضها من بعض . ثم جاء بعد ذلك الخليل بن أحمد وضع الشكل على هذا النمط المعروف ، فحل نقط أبى الأسود<sup>(١)</sup> .

وفى العصر العباسى نال ما نال كل شئ فيه من النمو والتقدم . فقد تنافس الكتاب فى تجويده ، وتفننوا فى تنويحه . وخالفوا بين أوضاعه فى بغداد وأوضاعه فى الكوفة ، باختراع الأقلام المختلفة كالقلم للرصع ، وقلم النساخ ، والقلم الرياسى (نسبة إلى مخترعه ذى الرياستين الفضل بن سهل) . ثم تعددت تلك الأقلام وتنوعت حتى نيفت أشكال الكوفى على عشرين شكلاً . أما الخط النسخى فقد كان مستعملاً بين الناس فى غير الكتابة الرسمية حتى جاء أبو على محمد بن مقله المتوفى سنة ٣٢٨ فوجد هذا الخط ونمقه حتى تميز من أصله بالحسن والجودة ، واستعمل فى كتابة المصاحف وأدخل فى الدواوين . وجاء بعده على بن هلال المتوفى سنة ٤١٣ فزاد فى تهذيبه وتحسينه حتى حل محل الكوفى . ثم تنوع الخط النسخى إلى عدة أقلام (كالطومار) وعرض قعته أربع وعشرون

== فقال . وما اسم ابنك ؟ قالت : خنيس . فكتب إلى تميم :

تميم بن زيد لا تكونن طبعي بظهر فلا يبا على جوابها  
وحب لي خنباً واحسب فيه منة لميرة أم لا يسوغ شرابها  
فذاك تميم في أمم الرجل ( خنيس ) واستقرى أسماء رجالة فوجد ستة أسماءم بين خنيس وحنيس وحسب الح فوجههم إليه .

(١) انتصرت الأم السامية فى خطوطها على رسم الحروف الساكنة دون الصوتية ، فلا يكتبون ( نصر ) ( نامارا ) كما يفعل اليونان والرومان والأمم الأوربية الآن ، ودلوا على مؤنث الزمان على الأحرف المحذوفة من الكلمة بنقط فوق الحرف أو تحته على نحو ما فعل أبو الأسود فى الخط العربى . ولكن الخليل بن أحمد إن صح أنه واصل الشكل المعروف لم يستعمل النقط فى الدلالة على الحركات . وإنما استعمل الحروف الصوتية المحذوفة وهى الألف والواو والياء ، فاختصر من الألف الفتحة ، ومن الواو العمة ، ومن الياء الكسرة . فالحركات كما قال الإمام الرازى أبحاث للمعربات . أما العلامات الأخرى كالمد والوصلة والشد فقد وضعت فى العصر العباسى بعد زمن الخليل . وهى رؤوس كلمات تؤدى مايلها : قائمة ( من ) مد ( ، والوصلة ( س ) من ( سل ) ، والفتحة ( ) من ( شد ) .



شعرة من شعر البرذون . أو ثلاثة مليمترات ، ( والثلاثين ) وعرضه مليمتران ،  
( والنصف ) وقياسه مليمتر ونصف . ( والثلاث ) وعرضه مليمتر واحد . ثم تتدرج  
الأقلام في الدقة ، فيجىء خفيف الثلث ، فاللؤلؤ ، فالتوقيع ، فالرقاع ، فاللحقيق ،  
فالغبار ، وهو أدقها ، وبه كانت تكتب بطائق الحمام الزاجل ونحوها . ولا يزال  
الخط العربي يتنوع ويتفرع خضوعاً لنظم الطبيعة في النشوء والرقى . وكثير من  
الأمم التي استضأت بنور الإسلام واستعزت بلغته يكتب به ، كالفارسية  
والأفغانية والأردية واللغات الإفريقية .

على أن اقتصار العرب في خطهم على رسم الحروف الساكنة دون الصوتية  
قد أوقع القارىء في لبس شديد ، فإن الكتاب قد برموا بالشكل وضاقوا به  
فتركوه فأصبح القارىء إذا رأى أمامه لفظ ( علم ) مكتوبة مثلاً لا يدري كيف  
يقرأه إلا إذا فهم المقصود منه في سياق الكلام . فهو يقرأ : عِلْمٌ أو عِلْمٍ أو عِلْم  
أو عِلْمٌ أو عِلْمٌ أو عِلْمٌ . ولذلك يدعو كثير من المصلحين اليوم إلى إصلاح الخط  
العربي ، حتى غلا بعضهم فدعا إلى إتخاذ الحروف اللاتينية كما فعلت تركيا بعد  
سقوط الخلافة . وقد رصد مجمع اللغة العربية بالقاهرة جائزة قدرها ألف جنيه لمن  
يبتكر طريقة للخط العربي تكمّل قصصه وترفع قصوره فجاءته من أكثر البلدان  
الشرقية والغربية طرق شتى نيفت على الألف ، ولكنها لم تصب الفرض الذي  
نصبه المجمع ، فألف في عام ١٩٥٩ لجنة من بعض أعضائه ومن ذوي الاختصاص  
بوزارة التربية والتعليم في الجمهورية العربية المتحدة فلبت الأمر على جميع وجوهه  
ثم انتفت على بقاء الخط كما هو وأوصت باتباع الشكل كاملاً في كتب التعليم  
الابتدائي ثم يقل بالتدرج في المراحل المتعاقبة حتى يقتصر منه على شكل  
ما يشكل من الكلمات ، وبرأيها أخذ المجمع .

## الباب الثالث

### العصر العباسي<sup>(١)</sup>

#### خطره وأثره وعيذاته

عصر الدولة العباسية هو عصر الإسلام الذهبي الذي بلغ فيه المسلمون من العمران والسلطان ما لم يبلغوه من قبل ولا من بعد<sup>٢</sup>. أثمرت فيه الفنون الإسلامية، وزهت الآداب العربية، وتقلت العلوم الأجنبية، ونضج العقل العربي فوجد سبيلاً إلى البحث ومجالاً للتفكير. وملوك هذه الدولة يُنمّون إلى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، اقتزعوا الخلافة قسراً من يد الأمويين بمعونة الفرس، وأقاموا عرشها بالعراق، وتبوأه منهم سبعة وثلاثون خليفة في خمسة قرون وبعض القرن، حتى نل ذلك العرش هلاكاً كونه ست وخمسين وستائة، وما زالت حضارة الدولة وآدابها تهبط بهبوطها، حتى سقطت بسقوطها.

وتختلف هذه الدولة عن الدولة الأموية بأحوال سياسية وعمرانية كان لها الأثرُ الظاهر في أدب اللغة: فالدولة الأموية كانت عربية خالصة، تعصبت للعرب ولغتهم وآدابهم، وجعلت قاعدتها دمشق على حدود بلادهم. وكان جنودها وقوادها وكتابها وسائر عمالها من العرب، فلم يحدث في أدب اللغة تأثير إلا ما اقتضاه التحضر واتساع العمران.

---

(١) ينسب هذا العصر إلى العباسيين على وجه من التخليب لقوة أثرهم فيه ومبلغ نفوذهم منه، ولكن الكلام فيه يتناول العباسيين في بغداد، واليوهيين في فارس، والحمدانيين في الشام، والقائلين في مصر وأفرب. والأمويين في الأندلس.

إلا أن هذه الأسماخ على تباينها وتناهيها إنما كانت قائم يهدي بغداد وتستمد منها فليس لها في الغالب أدب مستقل، وتلك لا نذكرها إلا لتمامها.

أما الدولة العباسية فقد اصطفت بصيغة فارسية ، لأن الفرس هم الذين أوجدوها <sup>(١)</sup> وأيدوها ، فأنخذت قصبها بتداد أقرب الأمصار إلى بلادهم ، وأطلق الخلفاء أيدي اللوالب في سياسة الدولة فاستقلوا بشؤونها ، واستبدوا بأمورها ، وكالوا للعرب من الحقارة والمهانة صاعا بصاع . فضمنت العصية العربية ، وعلا صوت الشعوبية ، ونشج من ذلك دخول العناصر الفارسية والتركية والسرانية والرومية والبربرية في تكوين الدولة ، وتمازجهم بالتزاوج والتناسل ، واختلاط المدنية الآرية بالمدنية السامية ، ولكل منهما لغة وأخلاق وعادات واعتقادات أثرت في الأخرى . فاهيك بما امتازت به هذه الدولة من إطلاق الحرية في الدين ، وتعدد الفرق <sup>(٢)</sup> ، وشيوع المقالات المختلفة في الإلحاد والسياسة ، وتكاثر الجوارى والغلمان ، والاسترسال في الخلالة والمجون ، والتأنق في الطعام واللباس ، والتنافس في البناء والراش . وكل ذلك له أثر بين في اللغة وآدابها سنجمله فيما يلي من هذه السطور .

(١) كانت موقعة الزاب بين الحراسانيين ومروان بن محمد ودأغير حاسم على موقعة القادسية بين العرب والفرس ، فإن بني ساسان الذين طأطأ الفتح من إشرافهم ، وخطم الأمويون بالقلب ألوف إشرافهم ، لم يستطيعوا أن يرضوا الأمور لهم ، ولأن يعمدوا السلطان فيهم ؛ لأن العرب طبعهم بطابعين قوين لا يزولان أبد الدهر . وما الفرق والفة ، فوقفوا من الأمر عند الثأر من عصابة الأمويين ، بنقل الملك منهم إلى العباسيين ، وأخذوا يجركون أيدي الخلفاء بإيريدون وبنو العباس يعرفون لهم تلك اليد ، ومحتلون منهم هذه المالة ، حتى خشي طغيانهم أبوجعفر المنصور فكسكفه بقتل أبي مسلم . ثم مالبث أن عاد هذا الطغيان فامتد واشتد في عهد الرشيد فاستأسله بقتل البرامكة . ولكنه انتمش ثانية بالحلابة بين الأحول الأميين والمأمون وما استبهم من الحرب بين النصريين العرب والفراسي ، حتى بلغ تمامه في عهد بني تويه . فلم يخضد شوكتة ويغل شبهه إلا بنو سلجوق من الترك . على أن نفوذهم الأدبي والعقلي كان أوسع وأعمق من أن يكسر منه هذا الفصل السياسي ، فظهر أثره في اللغة والأدب والفقه والفلسفة والأخلاق وكان من هذا الأثر أولا ، ومن أثر العناصر الأخرى ثانيا ، هذه الحضارة العباسية والمدنية الإسلامية التي مازت الطيب من الخبيث ، ووصلت العالم القديم بالعالم الحديث .

(٢) تجمعت في الأمة الإسلامية من غير أهل السنة فرق كثيرة يكفر بعضها بعضا ، وانقسمت كل فرقة إلى فرق متصدعة ترى كل واحدة منها الحق معها دون الأخرى . ومن أشهر هذه الفرق المعتزلة وهم عصفرون فرقة ، والشيعة وهم اثنتان وعصفرون ، والخوارج وهم سبع فرق وكل أولئك منهم جعية ومنهم معيبة ، ولكل جمعة لقب تعرف به .

## الفصل الأول

### اللغة وأثر الفتح والسياسة والمفصرة فيها

فتح العرب في أواخر الدولة الأموية أكثر المعروف حينئذ من الدنيا القديمة ،  
قامت ملكهم من الهند والصين شرقاً ، إلى جبال بيرانس غرباً ، وانبسط  
سلطانهم على تلك الشعوب ، واستولى دينهم على الأقدسة ، ولغتهم على الألسنة ،  
فتعربت هذه الأمم المختلفة ، وامتزجت تلك العناصر المتباينة ، وسارعوا إلى تعلم  
اللغة والتكلم بها تقريباً من الفصح ، واستدرازاللرزق ، وتفقهافي الدين ، فكثرت  
اللعن وسرت عدواء إلى البادية وقد كان قاصراً على الحاضرة وبقي داء العجمة  
يستفحل بين العامة والصناع بالرغم من محاربة الأئمة وأولى الأمر لهذا الوفاء  
بجدوين علوم اللسان وتقييح العامية ومقت للتكلمين بها ، حتى نشأ في كل  
إقليم لغة عامية مؤلفة من العربية ومن لغة الإقليم الوطنية .

وقد اتسعت دائرة اللغة بما اقتضاه تمدد الدولة ونقل العلوم عن الفارسية  
والهندية واليونانية من المصطلحات العلمية والألفاظ الإدارية والسياسية<sup>(١)</sup>

---

(١) لقد كثرت تلك الألفاظ للرسمية والنفوس حتى اضطروا إلى أن يضموا لها بدوئ  
معجمات خاصة بها ككتاب التعريفات لجرجاني (٨٨١٦هـ) وكشاف اصطلاحات الفنون  
(٨١١٥٨هـ) وهذا الكتاب والذي قبله من غير ما يستعان به على وضع للمصطلحات العلمية  
الحديثة . فن الألفاظ الموضوعة ليوان الخراج مثلاً : ( الحسرى ) للبراث الذي لا وارث له  
( والإقطاع ) للأرض التي يعطيها السلطان رجلاً فتصير له رقبتها ، ( والطعمة ) ضيعة تدفع إلى  
رجل مدى حياته فيعمرها ويؤدى عشرها ، ( والتبكة ) ما يترك الرجل من خراج سنة .  
ومن الألفاظ المنقولة : الكوز والحرة والأبرق والعلش والحوان والطق والحز والديباج  
والياقوت والفيروز واللور والسكك والغالوذج والفلقل والزنجيل والترجس والنسرين والملك  
والعنبر والبستان والقرمز والحوز والوز والبولاب والطلسان والفرسخ الخ عن الفارسية .  
والبدونس والزخرفون والمصطكى والقيراط والأليق والمباون والميولى والفلسفة والمنطيس  
والإقليم والقانون عن اليونانية .

والاقتصادية والمترزية . وكان لدار الحكمة التي أسسها المأمون الفضل الأكبر في تهذيب الكتب المترجمة وتوحيد الأسماء المترجمة . ثم رقت الألفاظ لانفاس القوم في الحضارة ، وإخلاصهم إلى الترف ، وإيثار الموالي للكلم السهل والأسلوب البين ، لأنهم حذقوا اللغة بالدراسة والصنعة ، لا بالتلقين والطبع .

واقترنت العربية من الفارسية غير الألفاظ كثير من الأساليب ، كالتهجيل في الخطاب ، والاحتشام مع المخاطب ، وإسناد الشيء إلى الحضرة والجناب والجلوس ، وإحداث الألقاب والنعوت للخلفاء والوزراء والكتاب والقواد ، كالسفاح والنصور والرشيد وذو الرياستين وركن الدولة الخ ، والإسهاب في المهود والرسائل ، وتأدية المعنى الواحد بألفاظ كثيرة وجل مترادفة ، وغير ذلك مما زان اللغة من جهة وشأها من جهة أخرى .

وما زالت اللغة تنسج وتنمو بانساع الملك وتقدم العلم ونمو الحضارة ، وتنتشر وتسمو في حى الدين وظل الخلافة وسلطان العرب ، حتى خلافة المتوكل على الله سنة ٢٣٢ إذ استفحل أمر الأتراك للذين جلبهم المعتصم من التركستان فأخذوا يغالون العرب ، ويؤاثبون الفرس ، ويفتصبون السلطان . وكان الأمر للموالى بعد غلبة المأمون وهم شيعة نجاء المتوكل فمعد الأتراك ونصر السنة . فتقاتل العنصران ، وتماضى المذهبان ، وابتنى كل منها الفلج والفوز بقهر العرب وكبت الخلفاء ، حتى ذهب جلال الخلافة من النفوس ، وزالت هيبتها من القلوب ، فاستشرف ولاية الأطراف إلى الاستقلال ، وبدأ بنو بويه<sup>(١)</sup> فوضعوا أيديهم سنة ٣٣٤ هـ على شؤون الدولة في بغداد . وامتد نفوذهم إلى جل الممالك الشرقية

(١) بنو بويه ثلاثة إخوة أحدهم سياد ، خالفهم السادة وخطبتهم السيادة ، فتقلبوا في الناصب ، وتدرجوا في الحكم ، حتى انقسموا بينهم ملك العراقيين العجمي والعربي وفارس والجزيرة ، فكان عماد الدولة أبو الحسن علي ، وهو أكبرهم ، صاحب فارس ، ورحكن الدولة أبو علي الحسن وهو أوسطهم ، صاحب عراق العجم . ومعز الدولة أبو الحسين أحمد ، وهو أصغرهم ، ملك العراق والأهواز وصاحب الأمر والنهي في بغداد . وقد دام الملك لهم ولبنوهم من سنة ٣٢٢ إلى سنة ٤٨٨ هـ .

الإسلامية ، فأخذ سلطان العرب والعربية يتراجع في الشرق ، وهب أحفاد الأُكاسرة وأبناء الدهاقين يستردون مجد أجدادهم ، ويطاردون اللغة ونفوذها من بلادهم . وطلبوا إلى شعرائهم من أمثال اللقيط والفردوسي أن يجددوا مفاخر الأسلاف بتأليف المنظومات القصصية والأناشيد القومية . ومن المعجيب أن ثم لم ذلك سريعاً ، فإن المتنبي وهو من رجال القرن الرابع يقول وقد زار شعب جوان من بلاد الفرس :

مغاني الشعب طيباً في المغاني      بمنزلة الربيع من الزمان  
ولكن الفتي العربي فيها      غريب الوجه واليد واللسان  
ملاعب جنة لو سار فيها      سليمان لسار بترجمان

ثم اقتدى بالفرس في ذلك الأتراك والأكراد . ولكن العربية بقيت في حى القرآن تدافع سيل الفارسية والتركية الجارف ، وقد عز النصر من أهلها ، حتى غلب التتار على بغداد فغلبت على أمرها وخضعت لقانون الطبيعة القاهر ، بعد ما خلفت في تلك البلاد شرائع وعلوم وآداباً لم تقو على محوها الأيام .

## الفصل الثاني

### النثر الكتابة

الإنشاء مظهر العقل، ومرآة الخاطر، يتأثر بما يتنازل المدارك والمشاعر من عوامل الحضارة، وتبائج العلم، وظواهر العمران.

ولقد كان لذلك الانقلاب العباسي أثرٌ عظيم في المقول والميول فظهر على أقلام الكتّاب والسنن. فقد استنبطوا عيون المعاني. وتخبروا شريف الألفاظ، مما لم يكن حوشياً ولا سوقياً، وفتحوا أبواب البديع، وعنوا بالتعميق والتنسيق. ولما استبحر العمران، وطما بحر الخراج، واتسع نطاق الدولة، لم تعد الكتابة مقصورة على الدواوين وإنشاء الرسائل كما كانت في الدولة الأموية، بل تعدتها إلى أغراض شتى، كال تصنيف والترجمة، ولقالات والمقامات، والعبود، والوصف، والمناظرة، وإنشاء الكتب في الإهداء والاستهداء، والعارف قبل اللقاء، والشكر والعتاب والتعازي والتهاني والاستعطاف، وغير ذلك من المعاني الحضارية التي لم يعمد أكثرها من قبل.

وحلت الكتابة محل الخطابة في قمع الأهواء، وردع الأعداء، وإطفاء الفتن، وتأليف القلوب. ثم تنوع الكتاب بتنوع الدواوين: فكان منهم كتاب الخراج والنفقات، وكتاب المظالم والقضاء، وكتاب الجيش والشرطة، وكتاب الضياع والإقطاع، وكتاب الرسائل، وهؤلاء هم أساطين البلاغة وأستاذ البيان، وموضوع أدب اللغة؛ لأن كتابة غيرهم لا تعتمد على فن ولا تقوم على ذوق.

وظلت الكتابة في أول العصر العباسي على أسلوب عبد الحميد بن المليل إلى الإيجاز<sup>(١)</sup> والقصد في الفلو والتتميق ، ولا سيما في الرسائل والتوقيعات ، فإن النظر فيها أكثر ما يكون للخلفاء والوزراء ، عنهم تصدر ، وإليهم ترد . وكان جعفر بن يحيى يقول في إشار الإيجاز : « إن استطعتم أن تجعلوا كتبكم كلها توقيعات فافعلوا » .

فلما نزع العرب إلى الترف ، وزاد اختلاطهم بالفرس ، أخذوا يتأقنون ويغليون . وازداد ذلك بتراخي الزمن حتى خرجوا عن أساليب القدماء ، وعاقبوا الجمل على المعنى الواحد ، ورأوا ذلك التكرار أبلغ للمعنى ، وأوقع في النفس . وانتقدوا مذهب الإيجاز في صدر الإسلام وبعده كقول يزيد لمروان وقد تلصقا في بيئته : « أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاعتمد على أيهما شئت » فقال ابن قتيبة في أدب الكاتب . « إن هذا لو قيل الآن لم يأت بالتأثير المطلوب . والصواب أن يطيل ويكرر ، ويبعد ويبديء ، ويحذر ويحذر » . ثم مالوا إلى الازدواج والسجع ، وتضمنين الأشعار والأمثال . وكل ذلك جار مجرى الطبع لحسن التصرف في المعنى وقلة التكلف في اللفظ .

فلما ضعفت الخلافة وقام بالأمر غير أهله ، سرى الضعف إلى الكتابة ، فجعل أربابها الغرض منها ، ومالوا إلى زخرف القول وتدييج اللفظ بأنواع البديع ، وأوغلوا في ذلك حتى سمجت مبانيهم وفسدت معانيهم ، فكانت موهبة الظاهر مشوّهة الباطن ، كسيف من الخشب في غمد من الذهب . وليتهم وقفوا بهذا الأسلوب عند الرسائل والعهود ، بل خرجوا به إلى تصنيف الكتب وتدوين العلوم ، كتاريخ العتبي والفتح القدسي .

وكتاب هذا العصر أربع طبقات نبقت كل طبقة في عصر من عصوره

(١) أسلوب عبد الحميد موجز إذا ووزن بما استحدث بعده من الأساليب ، ومطرب إذا ووزن بما قبله .



الأربعة<sup>(١)</sup>؛ فالطبقة الأولى إمامها ابن المقفع . وطريقته تنويع العبارة، وتقطيع الجملة، والمزاوجة بين الكلمات، وتوخي السهولة، والعناية بالمعنى، والزهد في السجع<sup>(٢)</sup>. وقد حذّ البلاغة فقال: « هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها ». وقال لبعض الكتاب: « إياك وتنبّع الوحش من الكلام طمعاً في نيل البلاغة فإن ذلك هو الميُّ الأكبر ». وقال لآخر: « عليك بما سهل من الألفاظ مع التجنب لألفاظ السفلة ». ومن رجال هذه الطبقة يعقوب ابن داود، وجعفر بن يحيى، والحسن بن سهل، وعمر بن مسعدة، وسهل بن هرون، والحسن بن وهب .

والطبقة الثانية إمامها الجاحظ . وطريقته أشبه بالطريقة الأولى في سهولة العبارة وجزالتها، وإنما تمتاز بتقطيع الجملة إلى فقرات كثيرة مقفاة أو مرسلّة، وزيادة الإطناب في الألفاظ والجل، والاستطراد، ومزج الجذب بالهزل لدفع سامة القارىء، وتحليل المعنى واستقصائه، وتحكيم العقل والمنطق، والاعتراض بالجل الدعائية . ومن رجال هذه الطبقة ابن قتيبة والمبرد والصولي .

والطبقة الثالثة إمامها ابن العميد وطريقته أعلق بالنفس وأملك للوجدان لأنها شعر لا يميزه إلا الوزن . وهي أشبه بالطريقة<sup>(٣)</sup> الاتباعية عند الفرج . لتقيدها بقيود لا بدّ من مراعاتها وتغلبها على سائر الأساليب .

(١) يقسم العصر العباسي إلى أربعة أصغر تبعاً لأحواله السياسية والاجتماعية، فالمعصر الأول من ابتدائه إلى خلافة التوكل سنة ٢٣٢ . والثاني من خلافة التوكل إلى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة ٣٣٤ . والثالث من قلب البويهيين إلى دخول السلجقة بغداد سنة ٤٤٧ . والرابع من دخول السلجقة بغداد إلى سقوطها في أيدي التتر سنة ٦٥٦ .

(٢) قال ابن أبي الإسبح في تحرير التعبير: قد كان المتقدمون لا ينفنون بالسجع جملة، ولا يصدونه جملة إلا ما أنت به القصاحة في أثناء الكلام، وافترق من غير قصد ولا اكتساب وإن كانت كاياهم متوازنة، وألفاظهم متشابهة، ومعانيهم قاصدة، ومباراتهم رالمة، وفصولهم متقابلة . وتلك طريقة الإمام علي عليه السلام ومن اتقى أثره من فرسان الكلام كابن المقفع وسهل بن هرون والجاحظ وغير هؤلاء من العلماء والبلغاء .

(٣) آثرنا أن نترجم Ecole Classique بالطريقة الكلاسيكية وEcole Romantique بالرومانسية .

بالطريقة الاتباعية؛ لأن الاتباع والابحاع أقرب الألفاظ دلالة على معنى هذين المذهبين . وبهذا الرأي أخذ جميع اللغة العربية .

فمن قيودها السجع القصير ، والجناس ، وتضمن الملح من التاريخ والعلوم ،  
والاستشهاد بالنظم في غضون النثر ، والتوسع في الخيال والتشبيه ؛ مع إجادة المعنى  
وسلامته . ومن رجالها صاحب بن عباد ، والوزير المهلبى ، والحوارزى ،  
والبديع ، والصائى ، والشعالجى . ومن آثار هذه الطبقة المقامات .

والطبقة الرابعة إمامها القاضى الفاضل . وطريقته مؤسسة على أصول الطريقة  
الثالثة من توخى السجع والبديع ، إلا أنه غالى في التورية والجناس حتى أصبحت  
الكتابة في عهده صناعية محضاً . ألفاظ منمقة تحتمل معنى غث وخيال ضئيل .  
ومن رجالها ابن الأثير صاحب اللؤلؤ السائر ، والكاتب الأصبهاني .

على أن عقيدة الكتاب أن استظهار للأثر من المنثور هو عُدَّة الثقافة  
وسبيل التفوق كانت تخالف بين الأقلام ، وتباعد بين الأساليب ، فتعددت  
مذاهب الكتابة في العصر الواحد ، فتجد في عصر الجاحظ من يقلد ابن المقفع  
كأبن عبد ربه . وفي عصر ابن العميد من يقلد الإمام علياً كالشريف الرضى .  
ولكن المعاصرين بالرغم من ذلك يخضعون لأحوالهم السياسية والاجتماعية ،  
فيكون لإنشائهم طابع خاص يميزهم من باقي العصور .

### الخطابة

كان للخطابة في صدر هذا العصر مكانة في النفوس وسلطان على  
القلوب ؛ لاعتماد القوم عليها في توطيد الملك ، وتحسيس الجند ؛ واستقبال  
الوفود . وكان للخلفاء الأواوين ودعاتهم فيها الشأن الرفيع والشأو البعيد ،  
كالمصور والمهدى والرشيد والمأمون وداود<sup>(١)</sup> بن علي وخالد بن صفوان

---

(١) لعا داود بن علي بن هبة بن عباس مع إخوته الاتين والعشرين في قرية الحبيبة  
من أعمال عمان . وهي منى أبيه في عهد الوليد بن عبد الملك ، فالتبس العلم من أبيه واكتسب  
الفصاحة من خلاطه قبايل لخم وخصان وقيس . ثم شهر بالشجاعة والأفة وسلاية الرأي وحريته

وشيب<sup>(١)</sup> بن شيبية .

فلما استوثق الأمر لبني العباس وقام للموالى بسياسة الدولة وقيادة الجيش ، وقلّ النضال باللسان واللسان ، ضمنت الخطابة لضعف القدرة عليها ، وقلة الدواعى إليها ، وحلت الرسائل والنشورات محلها في دفع العقائس وشل السخائم . وقصرت على خطب أجمع والميدين والزواج . على أن الخلفاء أنفسهم ما برحوا يخطبون الناس ويؤمنونهم إلى عهد الخليفة الراضى . فلما غل بنو بويه أيديهم وحصروهم في دورهم عهدوا بالخطابة والإمامة إلى الكفاة من العلماء ؛ فنبغ في آخر هذا العصر طائفة من الأدباء شُهِروا بهذا النوع من الخطابة : كالخطيب البغدادي والخطيب التبريزي . ولما استعجم المسلمون ومكّ اليأس ألسنة الوعاظ فلم يستطيعوا إنشاء الخطب في الموضوعات المختلفة ، عمدوا إلى استظهار خطب أسلافهم كابن نباتة المصري ، وأخذوا يرددونها فوق المنابر من غير فهم لمعناها ، ولا علم بمغزاها . ودرجوا على هذه الحال الخزية تلك القرون الطويلة حتى أدركتها عوامل النهضة المصرية الحديثة فرفقاها قسم الوعظ والإرشاد بالجامعة الأزهرية .

## نماذج النثر

### التوقيعات

التوقيعات هي ما يملقه الخليفة أو الأمير أو الوزير أو الرئيس على ما يقدم

السكر ورقة للتدقيق فلولاً أبو العباس مام بعته الكوفة وسوادها ثم أضاف إليه في تلك السنة ولاية الحجاز واليمن والحماة فوطد تلك لنسب العباس في تلك الأسقام ، ونسكل بمن وجد فيها من بني أمية ثم استقر قراره بالمدينة بعد موسم الحج ، فأدركت منيته فيها شهر ربيع الأول سنة ١٣٣ هـ .

(١) فلما شيب بن شيبية بن عبد الله للقرى القيسية في البصرة على خير ما تشأ عليه الرجال من النزة والأريحية والتواضع والشفقة ، واجتهد منذ القوعة بمحو الكلام وبهيب بالخطب في حلوة وسهولة وهدوية ، وما زال يزداد حتى صار في كل موقف يباغ بقليل الكلام ما لا يبلغه الخطباء المصالح بكثيره ، سمع عنه خالد بن شعوان خطيب عجم ذات يوم خطب قومه ، فقال له : يا بني لقد نسي إلى نفسي إحسانك في كلامك ، فإننا أهل بيت ما تشأ فينا خطيب الإمام من قبله . فقال له حبيب : بل ببيتك الله ومجلى مدائك . وكان شيب من خاصة النصارى قبل خلافة بويه وبعدها وبقيت له هذه الخطوة لدى ولي عهد الهدي ، فكان من خطبائه الأدلين حتى توفي سنة ١٧٠ هـ .

إليه من الكتب في شكوى حال أو طلب نوال . وميزتها الجمع بين الإيجاز والجمال والقوة . وقد تكون آية أو مثلاً أو بيت شعر . مثالها :

وقع السفاح في كتاب لأبي جعفر وهو يحارب ابن هُبَيْرَة بواسطة . إن حلتك  
أفسد علمك ، وتراخيك أتر في طاعتك . نغزلي منك ، ولك من نفسك .

وقع أبو جعفر للنصور في كتاب عبد الحميد صاحب خراسان : شكوت  
فأشكيناك ، وعتبت فأعتبناك ، ثم خرجت على العامة ، فتأهب لفراق السلامة .  
ووقع إلى صاحب مصر حين كتب يذكر نقصان النيل : طهر عسكرك من الفساد ،  
يعطك النيل القياد . ووقع في كتاب أناء من صاحب الهند يخبره أن جنداً شغبوا  
عليه وكسروا أقفال بيت المال : لو عدلت لم يشغبوا ، ولو وفيت لم ينهبوا .

وقع هرون الرشيد إلى صاحب خراسان ؛ داو جرحك لا يتسع . ووقع  
في نكبة جعفر بن يحيى : أنبتته الطاعة وحصدته للعصية .

وقع المأمون إلى الرستمي في قصة من تظلم منه : ليس من اللوعة أن تكون  
آيتك من ذهب وفضة ، وغريمك خاو ، وجارك طاو . ووقع في قصة متظلم  
من أبي عيسى أخيه : ( فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ  
ولا يتساءلون ) . وكتب إليه إبراهيم بن المهدي : إن غفرت فبفضلك ، وإن  
أخذت فبمدلك . فوقع في كتابه : القدرة تذهب الحفيظة ، والندم جزء من  
التوبة وبينهما عفو الله ، ووقع في رقعة مولى طلب الكسوة : لو أردت  
الكسوة للزمت الخدمة ، ولكنك آثرت الرقاد فحظك الرؤيا .

وقع جعفر بن يحيى في قصة محبوبس : العدل أوتقه ، والتوبة تطلقه . ووقع  
في كتاب رجل شكاً إليه بعض عماله : قد كثر شاكروك ، وقل شاكروك ،  
فإما اعتدلت ، وإما اعتزلت .

ووقع في قصة مستمنح قد أعطاه مراراً : دح الضرع بدر أخيرك كما در لك .

### الخطب

خطب للنصور بعد قتل أبي مسلم قال :

أيها الناس : لا تخرجوا من أنس للطاعة إلى وحشة للمعصية ، ولا تُسرُّوا  
غش الأئمة ؛ فإنه لم يسر أحد قط منكراً إلا ظهرت في آثاره ، أو فلتات لسانه ،  
وأبداها الله لإمامه ، لإعزاز دينه وإعلاء حقه . إننا لن نبغسكم حقوقكم ، ولن  
نبغس الدين حقه . إن من نازعنا عروة هذا القميص أجزَّناه خي . هذا القميد .  
إن أبا مسلم بايعنا وبايع الناس لنا على أن من نكث فقد أباح دمه ، ثم نكث  
بنا لحكنا عليه حكمه على غيره ، ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه .  
ومن خطبة لعبد الملك بن صالح الهاشمي بعد أن خرج من السجن يذكر  
فيها ظلم الرشيد إياه :

والله إن الملك لشيء ما يويته ولا تمنيته ، ولا قصدت إليه ولا ابتغيته . ولو  
أردته لكان أسرع إلى من السيل إلى الخدور ، ومن النار إلى بابس العرقج .  
وإني لما خوذ بما لم أجني ، ومستول عمالاً أعرف . ولكن الله حين رآني للملك  
قناً ، وللخلافة خطراً ، ورأى لي يداً تنالها إذا مدت ، وتبلغها إذا بسطت ،  
ونفساً تكمل لخصالها ، وتستحقها بخلالها . — وإن كنت لم اختر تلك الخصال ،  
ولا اصطنعت تلك الخلال ، ولم أترشح لها في سر ، ولا أشرت إليها في جهر ،  
ورآها تحن إلى حنين الوالدة ، وتميل إلى ميل المملوك ، وخاف أن تنزع إلى أفضل  
منزع ، وترغب في خير مرغوب ، عاقبني عقاب من قد سهر في طلبها ، ونصب  
في التماسها . وتفرد لها بمجده ونهياً لها بكل وسعه ، فإن كان إنما حبسني على أني  
أصلح لها وتصلح لي ، وأليق بها وتليق بي ، فليس ذلك بذنب فأتوب منه ،  
ولا تناولت إليه فأحط نفسي عنه . وإن زعم أنه لا صترف لعقابه ، ولا نجاة من  
عذابه ، إلا بأن أخرج له من الحكم والعلم ، والحزم والعزم ، فكما لا يستطيع

للضعف أن يكون حافظاً ، كذلك لا يستطيع العاقل أن يكون جاهلاً ، وسواء عليه أعاقبني على عقلي أم أعاقبني على طاعة الناس لي . ولو أردتها لأعجلته عن التفكير ، وشغلته عن التدبير ، ولم يكن لما كان من الخطب إلا اليسير . ومن المجهود إلا القليل !

وخطب داود بن علي يوم بيعة أبي العباس على منبر الكوفة قال :

شكراً شكرياً ! إنا والله ما خرجنا لنختر فيكم نهراً ، ولا لنبنى فيكم قصراً . أظنّ عدو الله أن لن نقدر عليه أن رُوخى له من خطامه ، حتى عثر في فضل زمانه ؟ فالآن حيث أخذ القوسَ باريها ، وعاد القوسَ إلى النزعة ، ورجع الملك إلى نصابه . في أهل بيت النبوة والرحمة ، أمينَ الأسود والأحمر . ولكم ذمة الله . لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . لكم ذمة العباس . لا ورب هذه البنية — وأوماً بيده إلى الكعبة — لا نهيج منكم أحداً .

وخطب شبيب بن شيبه يمزى للمهدي يوم توفيت ابنته قال .

أعطاك الله يا أمير المؤمنين على مارؤثت أجراً ، وأعقبك صبراً ، ولا أجهد الله بلاءك بنقمة ، ولا زرع منك نعمة . ثواب الله خير لك منها . ورحمة الله خير لها منك ، وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى رده !

### الرسائل

كتب أحمد بن يوسف إلى إبراهيم بن المهدي في هدية استقلها :

بلغني استقلالك لما أطفئك . ولدي تمنع عليه من الأتس سهل علينا قلة الحشد لك في البر ، فأهدينا هدية من لا يحتشم ، إلى من لا ينتشم .

وكتب في تهنته بابلاله من مرض :

قد أذهب الله وصَب للعة ونصبها ، ووفر أجرها وثوابها ، وجعل فيها من

إرغام المدونة بقبأها ، أضغاف ما كان عنده من السرور بأولأها .

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات عن لسان الخليفة لأحد البهال :

أما بعد : فقد انتهى إلى أمير المؤمنين كذا فأنكره ، ولا تخلو من إحدى منزلتين ليس في واحدة منهما عذر يوجب حجة ، ولا يزيل لأئمة : إما تقصير في عملك دعائك إلى الإخلال بالحزم والتفريط في الواجب ، وإما مظاهره لأهل الفساد ومداهنة لأهل الرب . وأية هاتين كانت منك ، حجة للسكر بك ، وموجبة للعقاب عليك ، لولا ما يلقاك به أمير المؤمنين من الأناة والذفيرة ، والأخذ بالحجة ، والتقدم في الإعذار والإندار ، وعلى حسب ما أقبلت من عظيم العثرة يجب اجتهدك في تلافى التقصير والإضاعة . والسلام .

وكتب أبو الفضل بن العبيد إلى أبي عبد الله الطبري :

كتابي وأنا بهال لو لم ينقص منها الشوق إليك ، ولم يرتق صفوها النزوع نحوك ، لعددتها من الأحوال الجميلة ، وأعددت حظي منها في النعم الجميلة ، فقد جمعت فيها بين سلامة عامة . ونعمة تامة ، وحظيت منها في جسي بصلاح ، وفي سمي بفجاح ؛ لكن ، ما بقي أن يصفولي عيش مع بدي عنك ، ويخلو ذرهي مع خلوي منك ، ويسوغ لي مطعم ومشرب مع انفرادي دونك . وكيف أطعم في ذلك وأنت جزي من نفسي ، وناظم لشل أنسى . وقد حمت رؤيتك ، وعدمت مشاهدتك . وهل تسكن نفس منشعبة ذات انقسام ، وينفع أنس بيت بلا نظام . قرأت كتابك — جعلني الله تعالى فداءك — فامتلات سروراً بملاحظة خطك ، وتأملت تصرفك في لفظك . وما أقرظهما ، فكل خصالك مفرط عندي . وما أمدحهما ، فكل أمرك مدوح في ضميري وعندي . وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقة لتقديري فيك ، فإن كان كذلك وإلا فقد غطي هوك وما ألقى على بصري .

## المقامات

### المقامة الحرزية لبديع الزمان الهمداني

حدثنا عيسى بن هشام قال : لما بلغت بي القربة باب الأيواب ، ورضيت من الغنيمة بالإياب ، ودونه من البحر وثاب بفاربه ، ومن السفن عساف براكه ، استخرت الله في القفول ، وقعدت من الفلك ، بمثابة المهلك . ولما ملكنا البحر وجن علينا الليل ، غشيتنا سحابة تعد من الأمطار حبالا ، وتحوذ من الغيم جبالا ، بريح ترسل الأمواج أزواجاً ، والأمطار أفواجاً ، وبقيتنا في يد الخين ، بين البحرين ، لا نملك حدة غير الدعاء ، ولا حيلة إلا البكاء : ولا عصمة غير الرجاء . وطويناها ليلة نابية ، وأصبحتنا نقباكي ونشأكي ، وفيها رجل لا يخضل جفنه ، ولا تبتل عينه ، رضى الصدر منشرحه ، نشيط القلب فرحه . فمجبنا والله كل العجب . وقلنا له ما الذي آمنتك من العطب ؟ فقال : حرز لا يفرق صاحبه . ولو شئت أن أمنح كلامكم حرزاً لفعلت . فكل رغب إليه ، وألح في المسألة عليه . فقال لن أقبل ذلك حتى يعطيني كل واحد منكم ديناراً الآن ويمدني ديناراً إذا سلم . قال عيسى بن هشام : فتقدنا ما طلب ، ووعدناه ما خطب ، وآبت يده إلى جيبه فأخرج قطعة ديباج ، فيها حقة عاج ، قد ضمن صدرها رقاعاً ، وحذف كل واحد منا بواحدة منها . فلما سلت السفينة ، وأحلتنا المدينة ، اقتضى الناس ما وعدوه ، فتقدوه . واتبع الأمر إلى فقال دعوه . فقلت لك ذلك ، بعد أن تلعنى سرّاً حالك . قال : أنا من بلاد الإسكندرية . فقلت . كيف نصرك الصبر وخذلنا ؟ فأنشأ يقول :

ويك لولا الصبر ما كُنت تملأت الكيس تبراً

لن ينال المجد من ضا ق بما يفشاء صدرا



ثم ما أعقبني الساعة ما أعطيتُ خُرا  
بل به أشتد أزراً وبه أجبر كسراً  
ولو أني اليوم في الغر في لما كنت عنرا

ومن المقامة البغدادية للحريري على لسان عجوز مستجدية :

إعلموا يا مآل الآمل ، وثمال الأرامل ، أني من سرّوات القبائل ، وسرّيات  
العقائل ، لم يزل أهلي وبلي يحلون الصدر ، ويسرون القلب ، ويُمطون  
الظهر ، ويولون اليد . فلما أردى الدهرُ الأعضاء ، وفجّعَ بالجوارح الأكباد ،  
واققلب ظهراً لبطن ، نبا الناظر ، وجفا الحاجب ، وذهبتِ اليمين ، وقطعت  
الراحة ، وصلّد الزند ، ووَهنتِ اليمين . وضاع اليسار ، وبانت المرافق ،  
ولم يبق لنا ثنية ولا ناب . فذا اغبرّ العيش الأخضر ، وازودّ الحبوب الأصفر  
اسودّ يومى الأبيض ، وابيض فودى الأسود ؛ حتى رنى لي المدو الأزرق ،  
فهذا الموت الأحمر !

# الفصل الثالث

## الكتاب

### ابن المقفع

المتوفى سنة ١٤٢ هجرية

## نشأته وميانه

عبد الله بن المقفع كاتب فارسي الأصل عربي النشأة . ولد حوالي سنة ست ومائة للهجرة ، ونشأ بالبصرة على ما ينشأ عليه أبناء اليسار ، وكان والده داؤديه المجوسي يتولى خراج فارس للحجاج بن يوسف ، فاحتج من مال السلطان شيئاً ، فضر به الحجاج حتى تقفمت يده فلقب بالمقفع . وربى عبد الله منذ طفولته على النمط الإسلامي ، وأولع بالعلم وهو فارغ القلب من هموم العيش ، فنبغ وهو يافع في الكتابة باللغتين الفارسية والعربية ، فاستكتبه في عهد بني أمية داود بن عمر بن هبيرة ، وفي عهد بني العباس عيسى بن علي عم المنصور ، وعلى يديه أسلم ، قال له ذات يوم : « قد دخل الإسلام في قلبي وأريد أن أسلم على يدك » ، فطلب إليه عيسى أن يندو عليه بين القواد ودموس الأجناد ليكون إسلامه مشهوداً . ثم حضر معه لليلة عشية ذلك اليوم فجعل يأكل ويزمزم على عادة المجوس . فلما كمل عيسى في ذلك قال : « كرهت أن أبيت على غير دين » ثم غدا عليه فأعلن إسلامه ، وتسمى عبد الله واكتفى بأبا محمد ، وقد كان اسمه من قبل روزبة .

وقد قيل إنه أسلم ابتغاء عرض الدنيا . ورُوى بالإلحاد لمعارضته القرآن ،

وترجمته كتب الزنادقة ، وتمثله حيناً مر على بيت نار للمجوس يبيق الأحوص :  
 يا بيت عائكة الذي أتمزلُ حذر العدى وبه الفؤاد موكل  
 إني لأمنحك الصدودَ وإني قما إليك مع الصدود لأميل  
 وبقى ابن المقفع في خدمة عبي النصور عيسى وسليمان حتى كانت حادثة الأمان  
 الذي كلف أن يكتبه عن لسان النصور لعمه عبد الله ، فإنه تشدد فيه على الخليفة  
 بمثل قوله : « ومتى غدر أمير المؤمنين بعبد الله قنساؤه طوالق ، ودوا به  
 حبس ، وعبيده أحرار ، والسلمون في حل من بيعته » فوجد المنصور عليه  
 وأوعز بقتله إلى سفيان بن معاوية المهلي أمير البصرة ، وكان يضطفن على ابن المقفع  
 لسخره منه واستخفافه به في حضرة وجوه البصرة . فقد قالوا إنه كان كبير  
 الأنف ، فكان كلما دخل عليه ابن المقفع قال : ( السلام عليك ) يعني سفيان وأنفه .  
 فاهتبل الأمير هذه الفرصة وقتله حرقاً بالنار بالغاً من العمر ستاً وثلاثين سنة .

### أخبركم وعلم

كان ابن المقفع ذكي القلب فصيح المنطق ضليماً في أدب العرب والنرس  
 « مقدماً »<sup>(١)</sup> في بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني وابتداع السبر .  
 وكان يتعاطى الكلام<sup>(٢)</sup> ولا يحسن منه لا قليلاً ولا كثيراً .

وقد قيل : لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكي من الخليل ، ولا كان في المعجم  
 أذكي من ابن المقفع . وقد اجتمع هذان الصديقان لأول مرة . فكنا يتحدثنان  
 ثلاثة أيام ثم افترقا فقيل للخليل كيف رأيت عبد الله ؟ فقال ماشئت من علم  
 وأدب ! إلا أن علمه أكثر من عقله . وقيل لعبد الله كيف رأيت الخليل ؟ فقال  
 ماشئت من علم وأدب ! إلا أن عقله أكثر من علمه . وقد سئل ابن المقفع : من  
 أدبك ؟ فقال نفسي : كنت إذا رأيت من غيري حسناً أنيته ، وإن رأيت قبيحاً

(١) هنا رأى الجاحظ فيه من رسالته في الطين . (٢) علم التوحيد .

أبيته . وكان في سائر أحواله عفيفاً أديباً وفياً لأصحابه . وأمره<sup>(١)</sup> مع عبد الحميد الكاتب شهيد بذلك .

### شعره وشعره

ابن المقفع إمام الطبقة الأولى من الكتاب . وقد استخلص من الأسلوب الفارسي والعربي طريقة في الكتابة عرفت به وأخذت عنه . وقد فصلنا ذلك في أثناء كلامنا عن النثر في هذا العصر فارجع إليه . أما شعره فقليل جيد ، روى صاحب الحاشية منه قوله في رثاء يحيى بن زياد :

رُزِئْنَا أبا عمر ولا حيٌّ مثلهُ      فله رَيْبُ الحادثات بمن وقع  
فإن تَكُ قد طارقتنا وتركتنا      ذوى خَلَّةٍ ما في انسدادِ لها طمع  
فقد جَرَّ نَمًّا قد نالكَ أننا      أميناً على كل الرزايا من الجزع

### من ترجماته ومؤلفاته

ابن المقفع مترجم قدير لا تلمح في ترجمته أثر العجمة ، وتكاد لا تفرق بين نقله ووضعه . وكتابه كافي<sup>(٢)</sup> ودمنة إذا صح أنه مترجم لا يزال مثلاً للترجمة الصحيحة البليغة . وهو كما قال القفطي أول من اهتم في الملة الإسلامية بترجمة الكتب المنطقية لأبي جعفر المنصور ، فترجم كتب أرسطو الثلاثة في المنطق . وكتاب إيساغوجي لفرغوريوس الصوري ؛ نقلها عن ترجمة بالفارسية لأنه لم يعرف غيرها على الأرجح ؛ ونقل كتب التاج في سير قانوشروان . وألف كتابي الأدب الصغير والكبير في الأخلاق ، وكتاب اليتيمة في طاعة السلطان .

### نموذج من شعره

قال : لا يؤمنك شرُّ الجاهل قرابةً ولا جوارٌ ولا إلف ، فإن أخوفَ

(١) قد مر بسط ذلك في ترجمة عبد الحميد بن يحيى الكاتب .

(٢) أنظر ما كتب من كافي ودمنة في باب الكلام من القصص .

ما يكون الإنسان لحريق النار أقرب ما يكون منها . وكذلك الجاهل إن جاورك أنصبك ، وإن ناصبك جنى عليك ، وإن ألقك حمل عليك مالا تطيق ، وإن عاشرك آذاك وأخافك ؛ مع أنه عند الجوع سبغ ضار ، وعند الشبع ملك فظ ، وعند الموافقة في الدين قائد إلى جهنم ؛ فأنت بالهرب منه أحق منك بالهرب من سم الأسود ، والحريق الخوف ، والدين الفادح ، والداء العمياء .

وقال أيضاً : « إن استطعت أن تنزل نفسك دون غايتك في كل مجلس ومقام ومقال ورأى وفعل فافعل . فإن رفع الناس إياك فوق المنزلة التي تحط إليها نفسك ، وتقريبهم إياك في المجلس الذي تباعدت عنه ، وتمظيمهم من أمرك مالم تعظم ، وتزيينهم من كلامك مالم تزين ، هو الجمال . »

وقال أيضاً . كان لي أخ أعظم الناس في عيني . وكان رأس ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه . كان خارجاً من سلطان بطنه ، فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد . وكان خارجاً من سلطان لسانه ، فلا يتكلم بما لا يعلم ، ولا يماري فيما علم . وكان خارجاً من سلطان الجهالة ، فلا يقدم أبداً إلا على ثقة بمنفعة . وكان أكثر دهره صامتاً ، فإذا قال بذا القائلين . وكان ضعيفاً مستضعفاً ، فإذا جد الجدل فهو الليث عادياً . وكان لا يدخل في دعوى ، ولا يشارك في مراء ، ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضياً فهمًا وشهوداً عدولاً . وكان لا يلوم أحداً فيما يكون المذنب في مثله حتى يعلم ماعنؤه . وكان لا يشكو وجهه إلا عند من يرجو عنده البرء ، ولا يستشير صاحباً إلا أن يرجو منه النصيحة . وكان لا يقبرم ولا يتسخط ولا يتشكى ولا يتشهى ، ولا ينتقم من العدو ولا ينقل عن الولي ، ولا ينحس نفسه بشيء دون إخوانه من اهتمامه وحيلته وقوته .

فمليك بهذه الأخلاق إن أطلقها ، ولن تطيق ، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع .

## الجاحظ

المتوفى سنة ٢٥٥ هجرية

### نشأته ومبانيه

ولد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ بالبصرة ونشأ بها وهي يومئذ مهد العلم ومقتدى الأدب ، فأكب على الدرس وجد في التحصيل وأخذ عن جهاينة اللغة والرواية كالأصمعي وأبي عبيدة . وتخرج في علم الكلام على أبي إسحق النظام أحد المعتزلة فأخذ بمقالاته ، ونصر الاعتزال بكتابته . وصاحب فئة من كتاب العرب ومترجمي الفرس فنقل عنهم واستفاد منهم ، وأغرم بالمطالعة إغراماً شديداً فلم يقع في يده كتاب إلا استتم قراءته ، واستوعب مادته . وكان يكثرى حوائث الوراقين ويمتسكف فيها للدرس والمطالعة حتى أحصى مسائل العلوم ، واستبطن دسائل الفنون ، وأصبح في الأدب منقطع القرين .

قضى أكثر عمره في مسقط رأسه عاكفاً على التأليف مرعى الجباب ، مكفى الحاجة ، أثيراً لدى الولاة ، مكرماً عند الوجوه ، بما يؤلف من الرسائل ويصنف من الكتب . ثم كان ينتجع بغداد في عهد للآمون والمعتصم والوائق والمتوكل ؛ وانقطع بعد ذلك إلى محمد بن عبد الملك الزيات طول وزاراته الثلاث ؛ ثم استقر بالبصرة بعد نكبة الوزير . وأصيب بالفالج النصفى في عاقبة عمره . وطال عليه المرض وتبلفت به العلة حتى قبضه الله إليه سنة خمسة وخمسين ومائتين وقد شارب المائة .

### صفاته وأخلاقه

كان أبو عثمان دميم الخلقه جهم الوجه جاحظ العينين « ومن ذلك لقبه » ؛ حتى قيل إن الخليفة المتوكل سمع بمنزلته من العلم والفهم فاستقدمه إليه يسر من رأى

ليؤدب ولده . فلما رآه استبشع منظره وصرفه بعشرة آلاف درهم . وكان في الجاحظ دُعابة ومجانة واستخفاف بالعادات المرعية والآداب الوضيعة ، ولكنه كان لطيف الروح ذكي الفؤاد فكّه المحاضرة صادق المواقفة .

### علم وأدب

ليس في مقدور هذا القلم العاجز للوجز أن يصف للقارىء ما نابغة العرب وفُتُتير الشرق من الأثر في الأدب . ونَحْسَبُنا أن نقول إنه تميز من أنداده بفزارة العلم ، وقوة الحجة ، واستقصاء البحث ، وشدة المعارضة ، وبلاغة القول ، وإنه تبحر في علم الكلام وخطه بفلسفة يونان ، وانفرد دون المتكلمين بمذهب في التوحيد شايعه عليه كثير منهم فسُمُوا بالجاحظية . وشارك في سائر العلوم وكتب فيها كتابه محقق ضليع . وهو أول عالم عربي جمع بين الجدوالمزله ، وتوسع في المحاضرات وأكثر من التصنيف وكتب في الحيوان والنبات والأخلاق والاجتماع .

### نثره وشعره

نقل الجاحظ الكتابة إلى طور جديد في الأسلوب والفرض ، ونهج المترسلين والمصنفين طريقة في الإنشاء ذكرناها في معرض الكلام عن الكتابة فلا نعيد فيها القول . وقد قال فيه البديع : إن كلامه بعيد الإشارة ، قريب العبارة ، قليل الاستعارة . وهذا الحكم وإن كان شديداً بطابق الحق أحياناً . أما شعره فلا روعة له ولا جلال فيه . وقد نزع في نظمه إلى الاتباع لا إلى الابتداع ، وهو قليل منشور في ثنايا الرسائل والكتب كقوله للوزير ابن عبد الملك :

بدا حين أرى لإخوانه      قتلَ منهم شبابة العدم  
وأبصر كيف انتقل الزمان      فبادر بالعرف قبل الندم

وقوله :

لئن قدّمت قبلي رجالاً فظالماً      مشيت على رجلي فكنت المقدما

ولسكن هذا الدهر تأتي صروفه      فغير منقوضا وتنقض مبرما

#### مؤلفاته

كتب الجاحظ تربي على مائتي كتاب ، وهي كما قال الأستاذ ابن العميد ؛  
« تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً » ولم ينشر منها إلا كتاب البيان والتبيين  
في الأدب والإنشاء والخطابة ، وكتاب الحيوان وهو أقدم كتاب عربي في موضوعه ،  
وكتاب المعاسن والأضداد ، وكتاب البغلاء ، وديوان رسائله .

#### مثال من شعره

قال يعاتب صديقاً له . « والله يا قليب لولا أن كبدى في هواك مقروحة ،  
وروحى بك مجروحة ، لسا جللتك هذه القطيعة ، وماددتك حبل المصارمة ،  
وأرجو الله أن يدلّ صبرى من جفائك ، فيردك إلى مودتى وأنف القلى راغم ؛  
فقد طال العهد بالاجتماع ، حتى كدنا ثناكر عند اللقاء » .  
وقال في رسالة الترييع والتدوير وهي من أبلغ رسائله :

قد اعتدنا في معصيتك والخلاف على محبتك ، مرة بالمزاح ، ومرة بالنسيان ،  
ومرة بالانسكال على عفوك . وعلى ما هو أولى بك . والجملة أنا لو اعتدنا ، ثم  
أصررنا ، ثم أنكرنا ، لكان في فضلك ما يتفهمه ، وفي كرمك ما يوجب التفاؤل  
عنه . فكيف وإنما سهونا ثم تذكرنا ، واعتذرنا ثم أطلبنا ؟ فإن تقبل غفلك  
أصبت ، ولنفسك نظرت . وإن لم تقبل فاجهد جهدك ، ولا أبق الله عليك إن  
أبقيت ، ولا عفا عنك إن عفوت . وأقول كما قال أخو بني منقر :

فما بقيّا على تركتاني      ولكن ختما صدر الببال

والله لئن رميتني ببجيلة لأرمينك بكنانة . ولئن نهضت بصالح بن عليّ  
لأنهضنّ يسماعيل بن عليّ . ولئن صلت على سليمان بن وهب لأدمنك بالحسن  
ابن وهب . وأنا أرى لك أن تقبل العافية ، وترغب إلى الله تعالى في السلامة .



واحذر البغي فإن مصرعه وخيم ، واتق الظلم فإن مرعاه وويل . وإياك أن تتعرض  
لجرير إذا هجا ، وللقرزدق إذا فخر ، ولهرثة إذا دبر ، ولقيس بن زهير إذا مكر ،  
ولالأغلب إذا كر ، ولطاهر إذا صال . ومن عرف قدره عرف قدر خصمه ، ومن  
جهل نفسه لم يعرف قدر غيره . وعليك بالجادّة ودع البنيّات . فإن ذلك أمثل  
لك . وأنت والله تعلم علم الاضطرار ، وعلم الاختيار ، وعلم الأخبار ، أني أظهر منك  
حرباً ، والطف كيداً ، وأكثر علماً ، وأوزن حلاً ، وأخف روحاً ، وأكرم  
هيباً ، وأقل غشاً ، وأحسن قدراً ، وأبعد غوراً ، وأجل وجهاً ، وأنصح ظرفاً ،  
وأكثر ملحاً ، وأنطق لساناً ، وأحسن بياناً ، وأجهر جهازة ، وأحسن شارة ،  
وأنت رجل تشدّ من العلم ، وتكتف من الأخبار ، وتموّء نفسك ، وتعرّض من  
قدرك ، وتتهيا بالثياب ، وتقبل بالمرآك ، وتتعجب بحسن اللقاء ؛ ليس عندك  
إلا ذاك . فلم تراحم البحر بالجداول ، والأجسام بالأعراض ، ومالا يتناهى  
بالجزء الذي لا يتجزأ ؟ ومن يعدل بين القناة والسكر ؟ وبين رضى الطعان  
وبين سيف يمان ؟ وإنما يكون التمثيل بين أتم الخيرين ، وأقص الشرّين ،  
وبين للتقاربين دون المتفاوتين . فأما الخل والعسل ، والحصاة والجبل ، والسم  
والغذاء ، والفقر والغنى ، فهذا مما لا يخطئ فيه الذهن ، ولا يكذب فيه الحس .

### أبى العميد

للتوفى سنة ٣٦٠ هـ

### تأته ومبائه

أبو الفضل محمد بن الحسين المعروف بابن العميد قارنى الأصل من أهل  
مدينة ( قم ) . كان أبوه مترسلاً بليغاً يتولى الكتابة لتوح بن نصر السامانى  
ملك بخارى ، فنشأ على الأدب ودرّبه فى الكتابة ، وغذاه بالعلم ، فبرع

في الإنشاء والترسل ، وتوسع في الفلسفة والنجوم ، حتى سمي بالأستاذ ولقب بالجاحظ الثاني .

ولما استكملت عدته ، واستحصدت قوته ، غادر بخارى إلى بلاد الجبل من ملك آل بويه ؛ فقلد الأعمال في دولتهم . وما زال يتنقل في مدارج الرقي ، ويتوقل في معارج الشرف ، حتى وزر لركن الدولة بن بويه سنة ثمانى وعشرين وثلاثمائة ، فاضطلع بأعباء الوزارة ، وقام بشئون الدولة ، وجرى على منهاج بنى برمك في الجود ، فانتصحه الشراء وقصده العلماء من بغداد والشام ومصر فكان هو والصاحب بن عباد والوزير المهلب روحاً لنهضة العلم وقطباً لدائرة الأدب في ذلك العصر . وقد كان للتنبى على مكانته يحله وبهيتبه ، وله فيه مدائح مشهورة منها قصيدته التي مطلعها :

بادِ هَوَاكَ صَبَرْتُ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا      وَبُكَاءُكَ إِن لَمْ يَجْرِدْ مُعْكَ أَوْ جَرَى  
ويقول فيها :

مَنْ مَبْلَغُ الْأَعْرَابِ أَنَّى بَعْدَهَا      شَاهَدْتُ رَسْطًا لَيْسَ وَالْإِسْكَدْرَا  
وَمَلَّتْ نَحْرَ عِشَارِهَا فَأَضَافَنِي      مِنْ يَنْحَرِ الْبَدْرِ النَّضَارِ لِمَنْ قَرَى  
وَسَمِعْتُ بِطَلِيمُوسَ دَارِسَ كَتَبَهُ      مَتَمَلَّكَ مَتَبَدِّيًا مَتَحَضَرَا  
وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا      رَدَّ إِلَهُ نَفُوسَهُمُ وَالْأَعْصَرَا

ولكن ابن العميد كان قليل الخلق من العافية ألحَّت عليه الأوصاب وتناوبه القولنج والنقرس حتى استعز بالله به سنة ستين وثلاثمائة .

### نثره وشعره

عصر ابن العميد عصر تألق وزخرف ، وعهد خيال وشعر ، فهداه طبعه إلى استحداث أسلوب جديد متناسب الفقر أنيق الديباجة ، بديع الوشى ، طبع على غرار مشايبه لموافقته ذوق العصر . ولمكانة الوزير من

الفضل . إلا أنه كان أرق معاصريه طبعاً ، وأقلهم سجعاً ، وأكثرهم نثراً للشعر وتلميحاً للأمثال ، وتضميناً للحكم ، ولا يضارعه في أكثر ذلك على ما أرى إلا البديع ، وكان ابن العميد متفهماً في فنون الكتابة ، متفوقاً في ضروب الرسائل ، حتى شاعت فيه الكلمة المأثورة : « بُدِئت الكتابة بعبد الحميد ، وخُتِمت بابن العميد » .

أما شعره فيغلب فيه الحسن ويرويه ماء الطبع ؛ إلا أنه على الجملة أخف وزناً من نثره .

### مختار من كلامه

قال من رسالته إلى ابن بلكا عند استمعائه على ركن الدولة :  
كتابي وأنا مُترَجِّح بين طمع فيك ويأس منك ، وإقبال عليك وإعراض عنك . فإنك تدل بسابق حُرمة ، وتمت بسالف خدمة ، أسرها بوجوب رعاية ويقتضي محافظة وعناية ، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة ، وتبغهما بآنف خلاف ومعصية : وأدنى ذلك يحيط أعمالك ، ويمحق كل ما يُرعى لك . ولا جرم أنى وقفت بين ميل إليك ، وميل عليك ، أقدم رجلاً لصدملك ، وأؤخر أخرى عن قهملك ، وأبسط بدأ لاصطلامك واجتياحك ، وأثنى ثانية لاستبقاتك واستصلاحك ؛ فقد يضرُب العقل ثم يثوب ، ويعزُب القلب ثم يثوب ، ويذهب الحزم ثم يعود ، ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضاع الرأي ثم يُستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكثر الماء ثم يصفو .

ومنها : وزعمت أنك في طرف من الطاعة بعد أن كنت متوسطها . وإذا كنت كذلك فقد عرفت حالها ، وحلبت شطريها ؛ فنشدتك الله إلا ما صدقتني عما سألتك . كيف وجلت مازلت منه ، وكيف تجدد ما صرت إليه ؟ ألم تكن من الأول في ظل ظليل ، ونسيم عليل ، وريح بليلى ، وهواء غدي ، وماء روي ،

ومهاد وطني ، وكنّ كنين ، ومكان مكين ، وحصن حصين ، عززت به بعد  
الذلة ، وكثرت بعد القلة ، وارتفعت بعد الضعة ، وأيسرت بعد المعسرة ،  
وأثريت بعد اللثربة ؟ . فقيم الآن أنت من الأمر ؟ وما العوض عما عددت ،  
وأتخلف عما وصفت ؟ وما استغدت حين أخرجت من الطاعة نفسك ، ونفست  
منها كفك ، وغمست في خلافها يدك ؟ وما الذي أظلك بعد انحسار ظلها عنك ؟  
أظلك ذو ثلاث شعب ، لا ظليل ولا ينقي من اللمب ؟ قل نعم كذلك .

ومرّها : تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابي فستنكرها . والمس  
جسدك وانظر هل يُحس ؟ واجسُس عرقك هل ينبض ؟ وفتش ما حنا عليك  
هل تجد في عرضها قلبك ؟ وهل حلّى بصدرك أن تغفر بفوت سريح ، أو موت  
مريح ؟ ثم قس ظائب أمرك بشاهده ، وآخر شأنك بأوله .

ومن شعره قوله لبعض إخوانه .

قد ذبتُ غيرَ حشاشةٍ وذيماء	ما بين حرّ هوى وحر هواء
لا استفيق من الغرام ولا أرى	يخلوا من الأشجان والبرحاء
وصروف أيام أقنَ قيامتي	بنوى الخليل وفرقة القرناء
وجفاء خيل كنت أحسب أنه	هوني على السراء والضراء
أبكي ويضحك الفراق ولن ترى	هجياً كحاضر ضحكك وبكائي

ومنها :

من يشف من داء بآخر مثله	أثرتُ جوانحه من الأدوية
لا تقنمُ إغضائي فلعلها	كالعين تقضيها على الأقداء
واستبق بعض حشاشتي فلعلي	يوماً أقبك بها من الأسواء
فلئن أرحت إليّ عازب بلوني	ووجدت في نفسي نسيم عزاء
لأجهزن إليك قبحَ تشكر	ولأنثرن عليك سوء ثناء
ولأعضلن مودتي من بعدها	حتى أزوجها من الأكفاء

## الصاحب بن عباد

٢٢٦ - ٢٨٥

### تأثره ومبادئه

وُلد كافى الكفاة أبو القاسم إسماعيل الصاحب بن عباد بطالقان من أعمال قزوین ، ودرس على ابن فارس اللغوى ، واتصل بابن العميد شاباً فأخذ عنه ؛ واشتدت محبته له فلقب من أجل ذلك بالصاحب . وزرَّ لمؤيد الدولة ابن بويه بعد أن قُتل أبو الفتح بنُ العميد<sup>(١)</sup> وزيره ، فدبر أموره وسدَّ ثغوره . ولما ملك نجر الدولة بعد أخيه استعفى الصاحب ، فقال له : « لك في هذه الدولة من إرث الوزارة ، مالا فيها من إرث الإمارة . فسبيل كل منا أن يحتفظ بحقه . فأتسع سلطان الصاحب وعم إحسانه ، وغرس للأدب جناحاً فاضراً ، وشار للعلم ربوعاً عامرة . وقصد حضرته الأدباء والعلماء والتكلمون والصفون يتعرضون لمنعه ، ويتنافسون في مدحه ، وهو يرشدهم بنقده ، ويعينهم برفده ، حتى ازدهر الأدب في عهد بني بويه بفضل ازدهاراً قلَّ أن يصادفه في عهد آخر .

وكان للصاحب وَلَعٌ يجمع الكتب وشفف بمطالعها . وكان مجلسه لا يخلو من أديب يحاضر ، ومتكلم يناظر ، وناشئ يروى ويستفيد . وعاش الصاحب ما عاش مبعجلاً مفضلاً نافذ الأمر مطاع الإشارة . فلما مات أغلقت له أبواب الرى واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون جنازته وفيهم نجر الدولة وقوادُّه في خير ملابسهم . فلما خرج نعشه من الباب صاحوا بأجدهم صيحة واحدة وقبلوا الأرض . ودفن بأصبهان .

---

(١) هو على أبو الفتح ذو الكفارين ابن العميد بن أبي الفضل بن العميد الذى تقدم ذكره . خلف أياه على الوزارة لركن الدولة بن بويه حتى ترقى فوزر لمؤيد الدولة فتغير عليه بعض الأسباب قتله .

### شعره

سار صاحب على نهج ابن العميد وأربى عليه في الحلية اللفظية ولا سيما في السجع والجناس ، حتى قيل فيه : « لورأى سجة تنحل بموقعها عروة لللك ، ويضطرب بها جبل الدولة ، لما هان عليه أن يتخلى عنها » ومنزلته بعد البديع وقبل الخوارزمي . وله ذوق سليم في صوغ الشعر ونظر صادق في نقده . ولم تنفك تكاليف الوزارة ولا مظاهر الإمارة عن التأليف ، فصنف في اللغة كتاب المحيط في مائة مجلدات ، وكتاب الإمالة ، والكشف عن مساوي المتنبي ، وغير ذلك : وأكبر فضله في تشجيع الأدباء وتنشيط العلماء وإذكاء شعلة الأدب .

### نموذج من كلامه

كتب إلى القاضي أبي بشر الجرجاني حين وروده باب الرمي وأندأ عليه :  
تحدثت الركابُ بسير أروى إلى بلد حططتُ به خيامي  
فكدتُ أطير من شوق إليها بقادمة كقادمة الحمام  
أحقُّ ما قيل أمرُ القادم ، أم ظنُّ كأماني الحالم ؟ لا والله بل هو درك العيان ،  
وإنه ونيل النى سيان . فرحباً أيها القاضي راحلتك ورَحْلُكَ ، بل أهلاك  
وبكافة أهلاك ، وبأسرعة ما قاح نسيم مسراك ! ووجدنا ريح يوسف من  
رياك ؟ فحثُّ المطيُّ تزل غلتي بسقياك ، وتزع غلتي بلقياك . وقص على يوم  
الوصول لنجمله عيداً مشرفاً ، وتتخذُه موسماً ومعرفاً ورُدَّ الغلام ، أسرع من  
رجع الكلام ، فقد أمرته أن يطير على جناح نسر ، وأن يترك الصبا  
في عقاب وأسر .

سقى الله دارات مررت بأرضها      فأدَّتكَ نحوى يازيادُ بن عامر  
أصائلَ قُربٍ أرئى أن أنالها      بلقياك قد زحزح من حرِّ الهواجر

## الخوارزمي

٣٠٣ — ٢٨٣ هـ

### تأثر ومبات

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي ، أصل آبائه من طبرستان وولد بخوارزم ، ثم فارقها وهو فتى السن ابتغاء للعلم والتمسك للرزق ، فجاب الأقطار وتقلب في خدمة كثير من الملوك والأمراء . ولقى سيف الدولة وخدمه بالشام ثم مضى على غلواته في الاضطراب والاعتراب : فورد بخاري ونيسابور وسيجستان حتى وافى الصاحب بن عباد بأصبهان ، فأكرم مشواه ثم زوده بكتاب إلى عضد الدولة بشيراز فنجحت سفرته ، وريحت تجارتها ، وصدر عنه بمال جم وخير كثير فاستوطن نيسابور واقتنى بها ضياعاً وعقاراً ، وعاش قرير العين ناعم البال بين مجالس الدرس ومجالس الأنس حتى مضى في آخر زمانه بمساجلة البديع الممداني ومناظرتهم . فأنخذل أنخذالاً شديداً ، ونالت منه هذه الفسكة فاعتلت صحته ، ونجحت شهرته ، ولم يحل عليه الحول حتى علقه حمامه سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة

### مصرته في الأدب والكتابة

روى عن الخوارزمي ما روى عن أنداده من سرعة الحافظة وقوة الذاكرة ، وشهر بذلك حتى قيل : إنه قصد الصاحب بن عباد بأرجان ، فلما وقف ببابه ذهب الحاجب إلى الصاحب وقال . إن بالباب أديباً يستأذن في الدخول . فقال الوزير قل له : قد أئزمت نفسي ألا يدخل علي إلا أديب يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب . فقال أبو بكر للحاجب : ارجع إليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ فلما أخبر بذلك الصاحب قال : هذا أبو بكر الخوارزمي !

وكان الخوارزمي مع ذلك إماماً في اللغة والأنساب ، عالماً بأشعار العرب وأخبارها ، واقفاً على أسرار الأسان وخواص التراكيب . وهو في النثر من طبقة ابن العميد . وكثير من الناس يفضلونه على صاحب . ولكنه يتخلف أحياناً فلا يمحور إلى ذوق ، ولا يرجع إلى سليقة . أما شعره فيبين الردىء والجيد .

### مختار من كلامه

من فصوله المختارة قوله : الرجال حصون يبنونها الإحسان ، ويهدمها الحرمان ، وتبلغ بشرها البر واليسر ، ويمحقها الجفاء والكبر . وإنه لا مال إلا برجال ، ولا صلح إلا بعد قتال . والجبان مقتول بالخوف . قبل أن يقتل بالسيف ، والشجاع حي وإن خافه العير ، وحاضروا إن غيبه القبر . ومن طلب الدنيا هربت منه كل الحرب ، ومن هرب منها طلبته أشد الطلب . وقال :

أكبر من الأسير من أمره ثم أعتقه ، وأشجع من الأسد من قيده ثم أطلقه . وأكرم من النبت الزكي من زرعه ، وأكرم من الكريم من اصطلمه . لا صيد أعظم من إنسان ، ولا شبكة أصيد من لسان ، وشتان بين من اقتنص وحشياً بمحبته ، وبين من اقتنص إنسياً بمقالته . ومن أجود شعره قوله :

مضت الشبيبة والحبيبة فالتقى      دمعان في الأجفان يزدهجان  
ما أنصفتني الحادثات ، رميتني      بمودعين وليس لي قلبان  
وقوله :

قلت للعين حين شامت جمالا      في وجوه كواذب الإيمان  
لا يفرّتك هذه الأوجه الغرّ (م)      فيارب حية في رياض  
وقد ذم أحد خلفاء بني العباس قال :  
مالي رأيت بني العباس قد فتحوا      من الكسبي ومن الألقاب أبواباً ؟



ولقبوا رجلاً لو عاش أولهم      ما كان يرضى به للقصر بواباً  
قلّ الدرام في كفى خليفتنا      هذا فأنفق في الأقوام ألقاباً  
وقال في الحكم :

لا تصحب الكسلان في حالاته      كم صالح بفساد آخر يفسد  
عدوى البليد إلى الجليد سربه      والجمر يوضع في الرماد فينمعد  
وقال يرثي ركن الثورة :

ألست ترى السيف كيف انثلم      وركن الخلافة كيف انهدم ؟  
طوى الحسن بن بويه الردى      أبدى الردى أى جيش هزم  
فصيح اللسان بديع البيان      رفيع السنان سريع القلم  
إذا تم شيء بدا قصصه      توقع زوالاً إذا قيلَ نعم

### بديع الزمان الهمداني

المعروف سنة ٣٩٨ هـ

نسأله ومبائه

أبو الفضل أحمد بن الحسين والديه همدان ونشأ بها . وتعلم العلم باللغتين الفارسية والعربية ، ولم يترك أدبياً في همدان إلا استفند ما عنده . ثم غادرها إلى صاحب ابن عباد فازداد من معارفه وعوارفه . وقصد جرجان فأقام في أكناف الاسماعيلية واختص بأبي سعيد محمد بن منصور . وفي سنة ٣٨٢ يعم نيسابور فتجلت فيها عبقريته ، وذاعت بين الناس شهرته ، وأملى بها أربعمئة مقامة . ثم تصدى لمناظرة أبي بكر الخوارزمي ، وكان أسن منه وأشهر . وجرت بينهما مكاتبات أفضت إلى مناظرات . وغلب هذا قوم وذلك آخرون . وساعد البديع شبابه ولسانه وحاجته إلى الظهور ، فظهر على الخوارزمي ظهوراً أطار ذكره ورفع قدره عند الملوك والرؤساء . وأجاب قرنه داعي ربه ، تخلا له الجو ، وابتم له الدهر ،

وتنقل في حواضر فارس منتجعاً أمراءها ، حتى ألقى عصاه بهرات وصاهر أحد وجهائها وعلماؤها ، وعاش بها رخيئاً البال متسق الحال إلى أن ناداه ربه فلباه سنة ٣٩٨ .

واختلف في موته فقيل مات مسموماً ، وقيل مات بالسكتة وعُجل بدفنه فأفاق في جدته ، وسمع صوته بالليل فلبشوا عليه فوجدوه قد مات قابضاً على لحيته من هول القبر .

### أخلاقه ومواهبه

كان البديع مقبول الصورة ، خفيف الروح ، ناصع الظرف ، ذكي القلب ، قوى الحافظة . حدث التاريخ عنه أنه كان ينظر في أوراق من كتاب لم يعرفه نظرة واحدة ثم يؤدي ما فيها لا يخرج منه حرفاً . وأنه كان يقترح عليه إنشاء رسالة في معنى غريب فيخرج منها عفو الساعة والجواب عنها فيها . وربما ابتداء بآخر سطر من الرسالة وانتهى بها إلى أولها فيخرجها بلفظ مرتبط ومعنى متسق . وكان يترجم ما يقترح عليه من الشعر الفارسي إلى الشعر العربي فيجمع بين الإبداع والإسراع .

### نثره وشعره

نثر البديع يستهوي القلوب ويملك الشمور ، وكله من قبيل الشعر المنثور . وللصناعة تأثير فيه ؛ إلا أنه مع ذلك جار مجرى الطبع ، لم يفسده تسكلف ، ولم يبهمه تسق . وقد جمع كلامه بين متانة اللفظ ورشاقة للمعنى وجمال العبارة ودقة التخيل . وقد تصرف هذا الكاتب في فنون الترمز ، وتقنن في ضروب الرسائل حتى كان بحق فارس الطريقة العميدية وابن مجدتها .

وله شعر رقيق لم يبلغ من الجودة مبلغ نثره ، لأن الجمع بين حسن النظم وحسن النثر قلما يتفق لأحد .

### مقامات

المقامات<sup>(١)</sup> حكايات قصيرة تشتمل كل واحدة منها على حادثة لا تستغرق غالباً أكثر من مقامة ( جلسة ) وتنتهى بعظة أو مُلحمة . ولحسن الديباجة وأناقة الأسلوب فيها المحل الأول . والبديع أول من أجاد هذا النوع . والمفطنون أنه حاكى بالمقامات الأحاديث الأربعين لابن حريز للتوفى سنة ٣١٠ . وقد كتب أربعاً مقامة في الكذبة وغيرها ، نحلها أبا الفتح الاسكندري على لسان هبسي بن هشام . ولم يصنوا منها إلا على ثلاث وخمسين مقامة شرحها الأستاذ محمد عبده . أسلوبها طليّ شهي ، إلا أن قصرَ حكاياتها وتقارب الخيال فيها يبعدها عن السكال . والبديع غير المقامات ديوان رسائل ومجموعة شعر وكلام مطبوع .

### مختار من كلام

قال من رسالة : والله لولا يذّ تحت الحجر ، وكبدّ تحت الخبجر ، ومفل كفرخ يومين قد حَبَّبَ إلى العيش ، وسلب من رأسى العيش ، لشمخت بأننى من هذا المقام . ولكن صبراً جميلاً والله للسمعان .

وقال من رسالة أخرى : وجدتك تعجب أن يجحد لثيم فضل صنيعك . تخفض عليك يرحمك الله ! إن الذى تعجب منه يسير ، فى جنب ما يجحد من الناس كثير . إن الله خلق أقواماً وشقّ لهم أبصاراً وآتاهم بصائر ، فناصروا بها على عرف الذهب فقصده ، ولم يزالوا بالنجم حتى رصدوه ، واحتالوا للطائر فأزلوه من جو السماء ، وللحوت فأخرجوه من الماء ، ثم جعلوا مع هذه الأفكار النائصة والأذهان النافذة صانعهم : فقالوا أين وكيف ؟ حتى رأوا السيف . فلم تعجب إن جعلوا فضلاً ليست الأرضُ بساطه ، ولا الجبال سباطه ، ولا السماء قسطاطه ، ولا الليل رباطه ، ولا النهار صراطه ، ولا النجوم أشراطه ، ولا النار سياطه ... ؟

(١) اقرأ ما كتبه من المقامات بعد ذلك فى باب المقامات والنص .

وكتب إلى بعض أصدقائه يحذره :

لعلك ياسيدي لم تسمع بيتي الناصح حيث قال :

اسمع نصيحة ناصح جمع النصيحة والمقّة

إياك واحذر أن تكون من الثقات على قّة

صدق والله وأجاد . فالتفت ، خيانة في بعض الأوقات . هذه المين ترك  
السراب شراباً ، وهذه الأذن تسمعك انطعاً صواباً ، فليست بمحذور ، إن وقعت  
بمحذور ، وهذه حال السامع من أذنه ، الواثق بيمينه . وأرى فلاناً يكثر غشيانك  
وهو الذي دخلته ، الرديء نحلته ، السيء وصلته ، الخبيث جعلته . وقد قامته  
في أزرّك ، وجعلته موضع برك . فأرني موضع غلطك فيه ، حتى أريك موضع  
تلافيه . ما أبعد غلطك عن غلط إبراهيم عليه السلام ! إنه رأى كوكباً ، ورأيت  
تولها . وأبصر القمر ، وأبصرت القدر . وغلط في الشمس ، وغلطت في الشمس !  
أظلمه فرك ، أم باطنه سرك ؟

ومن قوله في أبي القاسم ناصر الدولة :

غضى جفونك ياربا ض قد فتنت الحور خزا

واقى سمائك ياربا ح قد كدرت النفس هزا

وارفق بجفوك يا غما م قد خدشت الورد وخزا

خلع الربيع على الرّبي وربوعها خزا وبزا

ومطارفا قد نقشت فيها يد الأمطار طرزا

ومنها :

وكان أمطار الربيع إلى ندى كفيك تمزى

يا أيها للك الذي يساكر الآمال يتزى

خلقت يداك على العدى سيفا ولعافين كنزا

لازلت يا كف الأمير ر لنا من الأحداث حرزا

## الحريرى

٢٤٦ — ٥١٦ هـ

### نسأته ومبائه

محمد القاسم بن على البصرى عربى صميم من بنى حرام . ولد بقرية يقال لها  
المشان ، ونشأ بالبصرة وتخرج على فضلائها . وكان فى أول أمره يبيع الحرير  
أو يصنعه فلقب بالحريرى . وصرفه عن ذلك شغفه بالعلم وولوعه بالأدب ، فجد  
فى المدرس والتحصيل حتى سمى منزله واستطارت شهرته فى وقوفه على أساليب  
العرب وحفظه لأخبارهم وأشعارهم . فقربه الأمراء وأمه الأدباء يستفيدون من  
علمه ويستزيدون من أدبه .

### صفاته وأخلاقه

كان الحريرى دميماً قصيراً بخيلاً قدر الثوب مولماً بشفافيته عند التفكير .  
فماضه الله من ذلك برائع أدبه ، ورقيق ملحه ، وسعة صدره ، واعترافه بالحق  
لأهله . ولذلك كان الحديث عنه خيراً من النظر إليه . سمع بشهرته رجل غريب  
فبعاه بثنائى عنه الأدب ، فلما رآه استزرى شكله ، وفهم الحريرى منه ذلك . فلما  
التمس منه أن يمل عليه قال له اكتب :

ما أنت أول سار غره قر  
ورائد أعجبت خضرة الدمن  
فاختر لنفسك غيرى إننى رجل  
مثل لليدى قاسم بى ولا ترنى  
فجعل الرجل وانصرف .

### نثره وشعره

الحريرى كاتب مكث وشاعر مقل كالبديع . وهو من ساقه أتباع ابن العميد  
ومن الممهدين لظهور الطريقة الفاضلية بالتصدد إلى البديع ، والمبالغة فى الصنعة ،

والإفراط في تدييج اللفظ ، والتفريط في جانب المعنى ، حتى تراءت معانيه من خلال ألفاظه عليه ضئيلة كالعروس المسلوقة جملوها بالأصباغ وأثقلوها بالفلافل والحلى . وشعره كثره في السكف بالبديع والعناية باللفظ . وضع منه كثيراً في ثنایا المقامات وجمع في ديوان خاص .

### مؤلفاته

له من المؤلفات كتاب درة النواص في أوهام الخواص ، انتقد فيه أهل عصره في خروجهم عن حدود العربية في بعض الألفاظ والتراكيب . وكتاب ملحة الإعراب في النحو ، وديوان رسائل ، ثم المقامات وهي أجود آثاره .

### مقاماته

له خمسون مقامة نحلها أبا زيد الشروجي على لسان الحارث بن همام ونسجها على منوال البديع . جمع فيها من اللغة والأمثال والأحاجي ما لا غاية بعده . فهي ديوان مُمتعٌ للألفاظ العربية ، والنوادر اللغوية ؛ والصناعة اللفظية ، ولعل ذلك هو السبب في عناية الأدباء من العرب والفرنج بها وانتشارها بينهم . فقد ترجمها أكثر من عشرين مستشرقاً من الفرنسيين والألمان والإنجليز . وطُبعت بالإنجليزية في لندن سنة ١٨٥٠ ، وباللاتينية في هيسبرج سنة ١٨٣٢ ، ونقلت إلى الفارسية سنة ١٢٦٣ ، ثم إلى التركية وطُبعت بالأستانة . ولا تزال تدرس في بعض جامعات أوروبا بالشرح الذي وضعه لها رأس المستشرقين سلفستردسامي سنة ١٨٣٢ .

### عيوبها

ينتقدونها أدباء الفرنج في قصرها ، ووحدة مفزاها ، وأن المؤلف لم يَمُن فيها بتصوير الحكايات على نحو ما ألفه الفرنج واليونان قديماً ، وإنما صرف همه إلى تحسين اللفظ وتزيينه . وأدباء العرب يقولون إنها تكاد لا تخرج عن خيال

متكرر في صور مختلفة، وإن في إنشائها تكلفاً لا تسح به طبيعة البدوى الذى قيلت على لسانه .

### سبب وضعها

سبب وضع المقامات أن الحريرى كان جالساً بمسجد بى حرام بالبصرة ، فدخل المسجد شيخ ذو طمرين عليه أهبة السفر ، رث الحال ، فصيح المقال . فسأله الحاضرون : من أين الشيخ ؟ فقال : من سروج . فاستخبروه عن كنيته ، فقال أبو زيد . فأنشأ الحريرى المقامة الحرامية وعزاها إلى أبي زيد وجعل الراوى فيها الحارث بن همام مريداً نفسه . أخذاً بالحديث للأثور : كلكم حارث وكلكم همام . واشتهرت تلك المقامة حتى بلغ خبرها شرف الدين وزير للسترشد بالله ، فأعجب بها وأشار على الحريرى أن يضم إليها سواها فأعياها خمسين .

### مختار من كلامه

قال يشكر أحد الوزراء : دعاء العبد للوزير دامت جدوده سعيدة ، وسعوده جديدة ، وعليآؤه محسودة ، وأعداؤه محسودة ، دعاء من يتقرب بإصداره ، على بعد داره ، ويقصر عليه ساعاته ، مع قصور مسعاته . وشكره للانعام الذى أوصله إلى التجميل والتأميل ، وجمع له بين التنويه والتنويل ، شكر من أطلق من أسره ، وأذيق طعم اليسر بعد عسره . ولو نهضت به القدمان ، وأسعده عون الزمان ، لقدم اعتمار الباب المصور ، وأسرع إليه إسراع العبد للأمور ، ليؤدى بعض حقوق الإحسان ، ويقرأ صحف الشكر باللسان . ولكن أنى ينهض القعد ؟ ومن له بأن يصعد فيسعد ؟

ومن شعره فى الحكم قوله :

لا تزر من تحب فى كل شهر  
فاجتلاء الهلال فى الشهر يوم  
غدر يوم ولا تزد عليه  
نمى لا تنظر العيون إليه

وقال أيضاً :

لا تقعدن على ضررٍ ومَصْفَةٍ      لكي يقالَ عزيرُ النفسِ مصطبر  
وانظر بينيك هل أرضٌ مُعَلَّةٌ      من النبات كَأَرْضِ حَفِّهَا الشجر ؟  
فعدت عما تشير الأضياء به      فأى فصل لعود ما له ثمر ؟  
وارحل دكا بك عن ربيع ظمئت به      إلى الجنب الذي يهوى به للطير  
واستنزل الرى من دَرِّ السحاب فإن      بليت يداك به فليهنك الظفر

### القاضي الفاضل

للتوفى سنة ٦٩٥ هـ

نشأته وحياته

ولد أبو علي عبد الرحيم البيسانى بمدينة عسقلان من بلاد فلسطين ، وأخذ العلم عن أبيه بهاء الدين على قاضى عسقلان . ثم ورد مصر فى أواخر الدولة الفاطمية ليعلم الكتابة فى الديوان ، وذهب إلى الإسكندرية فدخل ديوان ابن حديد قاضيا . ومالبث أن ظهر فضله ودل عليه نبوغه ، فقدم القاهرة وكتب فى ديوان الظاهر . ولما قامت الدولة الأيوبية استوزره صلاح الدين بن أيوب فساس ملكه خير سياسة . ثم وزر من بعده لولده العزيز ثم لأخيه الملك الأفضل . وتوفى سنة ٦٩٥ بالقاهرة .

### مؤلفاته فى الكتابة

كان من طبيعة منصب القاضى الفاضل أن يخالط الكتاب فى الأصقاع المختلفة ويقف على المذاهب الكتابية المتباينة فى الشام والعراق ومصر . فجزته المحاكاة والمفاضلة وقوة الشخصية إلى استعدادات طريقة جديدة بناها على أصول طريقة ابن العميد ومازها بالإغراق فى التورية والجناس ، حتى أصبحت الكتابة فى عهده



كما ذكرنا من قبل طلاء خدّاعاً من زخرف اللفظ على هيكل بالٍ من المعنى .  
السقيم . بهرت هذه الطريقة العقيدة العيون الكلية والقرايح الناضجة فاقفها  
عُباد الصنعة من أشباه الكتّاب ، وورّطوا أنفسهم فيها لاغناء فيه ولا رجوع منه .  
وغل هذا للذهب غاشياً على الميرون ، رائئاً على القلوب ، حتى عصرنا الحديث  
فزال على التدريج بتأثير ابن خلدون وتقليد الآداب الفرنجية .

### نموذج من كلام

كتب هذه الرسالة إلى صلاح الدين يشفع خطيب عيذاب في توليته خطابة  
الكرك وهي :

أدام الله السلطان الملك الناصر وثبته ، وتقبل عنه بقبول صالح وأمينته ،  
وأخذ عدوه قاتلاً أو يتيته ، وأرغم أنفه بسيفه وكبته .

خدمة المملوك هذه واردة على يد خطيب عيذاب . ولما نجا به المنزل عنها ،  
وقلّ عليه المرفق منها ، وسمع هذه الفتوحات التي طبّق الأرض ذكرها ، ووجب  
على أهلها شكرها ، هاجر من هجير عيذاب وملحها ، سارياً في ليلة أمل كلها  
نهاراً فلا يسأل عن صبحها . وقد رغب في خطابة الكرك وهو خطيب ، وتوسل  
بالمملوك في هذا للتمس وهو قريب ، ونزع من مصر إلى الشام وعن عيذاب  
إلى الكرك وهذا عجيب . والفقر سائق عنيف ، والمذكور عائل ضعيف ،  
ولطف الله بالخلق بوجود مولانا لطيف ، والسلام .

## الفصل الرابع

### الشعر وأثر السياسة والحضارة فيه

لقد كان أثر هذا الانتقال الاجتماعي في خواطر الشعراء أبلغ منه في نفوس الكتاب ؛ فإن أولئك بالخلفاء الصق ، وقوسهم بالترف والمدنية أعاق ، وهم للنادمون على الشراب ، والمفاكهون في السر . ضاق مضطربهم في السمع فانسع متقلبهم في الخيال ، وغلت أيديهم بالكسل عن العسل فاشتغلت أفئدتهم بالفكر وانطلقت أسنتهم بالقول . ولم يجدوا العيش ميسوراً بالتأليف لصعوبة النسخ والنشر فتفرغوا لصوغ الشعر في ضروبه المختلفة . ووجدوا من الخلفاء والأمراء مؤازراً ، ومن الحضارة والطبيعة ناصراً ، ومن القريحة والسليقة مؤاتاة ، فجالوا في الشعر جولة لم تتوفر أسبابها لأسلافهم ، وقلوه من البوادي المجربة ، والأخبية اللطيفة إلى الرياض الناضرة ، والقصور الشاهقة ، وللناظر الموثقة . على يد زعيم المولدين بشار .

ولقد عرضت لشعر عوارض أثرت في أسلوبه ومعانيه وأغراضه وأوزانه . فأما التأثير في أسلوبه ، فبهجر الكلمات الغريبة ، وعذوبة التركيب ووضوحه ، واستعدادات<sup>(١)</sup> البديع والاستبصار منه ، وترك الابتداء<sup>(٢)</sup> بذكر الأطلال إلى

---

(١) ظهر البديع على لغة في شعر مسلم بن الوليد ومن بعده حتى جاء أبو تمام فنقص إليه وابن المعتز فأفاض فيه .

(٢) أول من كسر هذا القيد مطيع بن نيس أو أبو نواس على الأرجح بدل على ذلك

مثل قوله :	صفة العالول بلافة القدم	فاجل صفاتك لايتنه الكرم
وقوله :	يبكى على طلل الماضين من أسد	لادر حرك قل لي من بنو أسد
	لاجب دم القى يبكى على حجر	ولامقا قلب من يصير إلى وتد
وقوله :	ياربح ، شفتك إن شئت في عقل	لافاقن فيك لو تهرى ولا جل

وصف القصور والخور والفزل ، والإغراق في اللذخ والمجاء ، والإكثار من التشبيه والاستعارة ، والحرص على التناسب<sup>(١)</sup> بين أجزاء القصيدة ، ومراعاة الترتيب في التركيب .

وأما في معانيه فتوليد للمعاني الحضرية ، واقتباس الأفكار الفلسفية ، إذ أكثر شعراء هذا العصر ولدان جنسيين ، ورضاع لغتين وأديين . ودرائب حضارتين مختلفتين . ولهذا القحاح من الأثر في الفكر والعقل ما يعلل لك وفرة المعاني الجديدة في شعر بشار وأبي نواس وأبي الصنابية وابن الرومي . ثم نقل العرب علوم اليونان وغيرهم فكان لهذا النقل فضل على الشعر في معانيه لافي فنونه ، لأنهم لم يترجموا إلا كتب العلم والحكمة ، ولم يحفلوا بشعر اليونان وقصصهم ، ولا بشعر اللاتين وخطبهم ؛ تمصباً لأدبهم وإيثارة لشعرهم ؛ فلم تؤثر الترجمة في الشعر إلا بما دخله من الخواطر الفلسفية والسياسية والآراء العلمية في شعر أبي تمام والتمني وأبي الملاء وأضرابهم .

وأما في أغراضه فبالبالغة في نعت الخمر ومجالسها ، ووصف الرماض والصيد ، وغزل المذكر ، والجنون ، والوعظ ، والزهد ، والأخلاق ، والفلسفة ، وضبط العلوم كالنحو وغيره .

وأما في أوزانه ، فبالإكثار من النظم في البعور القصيرة ، وابتداع أوزان أخرى ، كالمتطيل والمتمد وما عكس الطويل وللدديد ، والموشح<sup>(٢)</sup> والزجل ،

(١) جاء في زهر الآداب من الخاتمي قوله : مثل القصيدة مثل الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض ، ففي الفصل واحد من الآخر وبيته في وحدة التركيب فادر الجسم ذا طامة تخفون بحاسنه وتنفخ معاله . وقد وجدت سناق القصصين وأرباب الصناعة من المحدثين يستمدحون في مثل هذه الحال حتى يقع الاتصال وتأتي القصيدة في تناسب سدورها وأعجازها كالرسالة البليغة والمطبة للوجزة ... وهذا مذهب اختص به المحدثون لتولد خواطرم ولطف أنكرهم ...

(٢) أوله من ابتدع للشراء للوهج مقدم بين ماطر من شعراء الأبح ابن عبد الله الرواني ، ( وم ينظرونه أسماطاً أسماطاً ؛ وأخصافاً أخصافاً ، ويكثرون منها ومن أمارضها المختلفة ، ويسبون للتعدد منها يتأوا واحداً . ويخزبون قوال تلك الأخصاف وأوزانها متتالياً فيما بعد إلى آخر القطعة ، وأكثر ما انتهى عندهم إلى سبعة أبيات . ويعتدل كل بيت على أخصاف ...



لا يزهران إلا في ظل ملك أو أمير<sup>(١)</sup> .

وما زال الشعر على حاله من العناية بالألفاظ ، والإصابة للنرض ، والافتنان في المعنى ، حتى تجرّم القرن الخامس للهجرة ، فذهب معه جمال الشعر العربي من الشرق ، وقد تأثروا في النفوس ، فذهب المصنّعين لمن بنى بويه ، وقلة الراغبين فيه من آل سلجوق<sup>(٢)</sup> ، واستشمار النفوس لقل الثابتة والتهرجة إلى الفتن والحن ، فانصرفت الخواطر إلى التصوف والأدعية ، وعيّت القرائح عن التوليد والابتداع ، فجلا الشعراء معاني الأقدمين في حلّ سهلّة النسيج مُنمّقة الوشّ ، وأخذوا يتعلّقون بالبديع ، ويغلون في الجاز والكناية ، ويقلدون المعجم في إغراقهم ومهاواتهم الملوك<sup>(٣)</sup> والأمراء ، ولا سيما المتأخرون منهم ، حتى أصبح غرض الشعر عندهم إنما هو الكذب والاستجداء فقالوا : « أعذب الشعر أ كذبه » . ثم كان مآل الشعر في هذا العصر كمال الترفيه سواء بسواء .

(١) قال أسامة بن مغل : كان الفخاح راغباً في الخطب والرسائل يصطنع أهلها ويبيهم عليها ، فخلعت ألب رسالة وألف خطبة طلباً للخلوة عنده فنتها . وكان للنصور بعده معنيا بالأخبار والأخبار وأيام العرب يدنو أهلها ويجزهم عليها ، فلم يبق شيء من الأخبار والأخبار إلا خطبته طلباً للقرية منه فظفرت بها . وكان موسى مفرماً بالشعر يستغنى أهله ، فترك بيتاً نادراً آخر ، ولا شعراً ولا نصيباً سائراً إلا خطبته . وأما في طلب الهمة في علو الحال . ولم أر شيئاً أحسن إلى تعلم الأدب من رغبة الملوك في أهلها وولاتهم عليها ، ثم زهد هرون في هذه الأريسة فأسيها حتى كآني لم أحفظ منها شيئاً .

(٢) أسرة من الترك تنسب إلى جدّها سلجوق . تألبوا على الدولة البساسية وهي ل انحلالها ونهايتها فاستولوا على ملكها واستولوا به استقلالاً فطيا سنة ٤٤٧ هـ .

(٣) تعجيب الخلفاء والأمراء الشعراء بالجوائز والمنازل كان له ضرر في خفض الشعر كما كان له نفع في رفعة ؛ وذلك لأن الشعراء الذين ما كانوا يجدون السبيل إلى الرزق إلا بالخلوة لدى الملوك والأمراء ، اضطروا إلى قول الشعر وإن لم تنفعهم شهوة إلى قوله . فكذبوا الخاطر وأجهدوا الطبع ؛ لجأوا بالشعر الكاذب للتكليف ، ونزلوا عن استقلالهم الشخصي وهو أرفع مقام للنفس إلى حضيض التملق الدنيء والتفاني السافل . ذلك أن العلم في سلات الكبراء دفع كثيراً من ضياء السليقة في الشعر إلى لرضه فأتوا منه بالحلم الحانه ، وكان ذلك من الأسباب التي ساعدت على انحلاله .

وأنت إذا أخذت الشعر العربي كله بنظرة واحدة فعرضت تاريخه كما تعرض  
تاريخ السكائن الحي وجدته قد تطور في موضوعه تطور الأمة العربية ، وقطع معها  
سراحل الحياة الإنسانية ؛ فهو في الجاهلية أنقام صهي ، وحاسة فتوة وعواطف  
آثرة ، وفي الإسلام أناشيد جهاد ، وثوران عصبية ، وأطباع حياة . ثم استعار  
شبابه واكتمل في صدر الدولة العباسية ، فظهر في شعر بشار وأبي نواس  
وأضرابهما عوث شباب ، وأغاني طرب ، ومظاهر ترف . ثم عرض على نواجذ  
الحلم واكتمل في أوساطها فبدأ في شعر ابن الرومي وأبي تمام والخبزي وأمثالهم  
دروس تجربة ، وتناجح حكمة ، وخواطر فلسفة . ثم أدركه الهرم في أواخرها فظهر  
في شعر المتأخرين تمويه صنعة ، وخرف شيخوخة ، ومعالجة روح . أما ولادته  
وطولته فلم يدركهما التاريخ ولم يدخل في علمه .

## نماذج من الشعر العباسي

### الحماسة

قال أبو فراس الحمداني :

ولما تار سيف الدين ثرنا	كما هيجت آساداً غضاها
أسنته إذا لاقى طعانا	صوارمه إذا لاقى ضرابا
دعانا والأسنة مشرعات	فسكنا عند دعوته الجواها
صدائح فاق صانعيها فقاقت	وغرس طاب غارمه فطابا
وكنا كالسهم إذا أصابت	صراميه فراميه أصابا
فلما اشتدت الهيجاء كنا	أشدّ نخالبا وأحدّ نابا
وأمنع جانبنا وأعزّ جاراً	وأوفى ذمة وأقلّ عابا
إذا ما أرسل الأسماء جيشاً	إلى الأعداء أرسلنا السكبابا

وقال أبو الطيب المتنبي :

عش عزيزاً أو متاً وأنت كريمٌ      بين طمن القنا وخقق البنود

فرعوس الرماح أذهب قنبر      ظ وأشقى لئلى صدر الحقود  
لا كما قد حيت غير حميد      وإذا مت مت غير قعيد  
فاطلب العز في لئلى ودع القل (م)      ولو كان في جنان الغلود

### المرح

قال أبو تمام :

بمهدى بن أمرم عاد عودى      إلى إيراقة وامتمد باعى  
سى فاستنزل الشرف اقتساراً      ولولا السى لم تكن للسامى  
ونفمة مُعتَفٍ يرجوه أحل      على أذنيه من نغم السماع  
جعلت الجلود لألاء السامى      وهل شمس تكون بلا شعاع؟  
ولم يحفظ مضاع المجد شىء      من الأشياء كاللحال للضام  
ولو صورت نفسك لم تزدها      على ما فيك من كرم الطامع  
وقال الجنى :

قوم بلوغ الغلام عندهم      طمن نهور الكناة لا الحلم  
كأنما يولد الندى معهم      لا صفر عاذر ولا هرم  
إذا تولوا عداوة كشفوا      وإن تولوا صنيعة كتموا  
ظن من كثرة احتلامهم      أنهم أنصوا وما علوا  
إن برئوا فالخوف حاضرة      أو نطقوا بالصواب والحكم  
تشرق أعراسهم وأوجهم      كأنها في نفوسهم شيم  
أعيذك من صروف دهركو      فإته في العكرام متهم  
وقال ابن الرومى :

كان مواهبه في العصور      ل آراؤه عند ضيق الحيل  
فلو كان غيباً لم البلاد      ولو كان سيقاً لكان الأجل  
ولو كان يعطى على قدره      لأغنى النفوس وأغنى الأمل

المرثاء

قال الحسين بن مطير يرى معن بن زائدة :

المأ على معن وقولا لغيره	سقتك النوادي مرّبعاً ثم مرّبعاً
فيا قبر معن أنت أول حفرة	من الأرض خطت الساحة مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده	وقد كان منه البر والبحر مراعاً
بل قدوسمت الجود والجود ميت	ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا
ففي عيش في معروفه بعد موته	كما كان بعد السيل تجراه مرّعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى	وأصبح عرين المكارم أجدا

وقال محمد بن عبد الملك الزيات يرى زوجته :

ألا من رأى الطفل للفارق أمه	بُعيد الكرى حينه تفسكبان ؟
رأى كل أم وابنها غير أمه	يبيطان تحت الليل ينتجبان
وبات وحيداً في الفراش تحته	بلايل قلب دائم الخفقان
فلا تلعباني إن بكيت فأنما	أداوى بهذا الدمع ما تران
فهني هزمت الصبر عنها لأنني	جليد ، فن بالصبر لا بن ثمان ؟
ضعيف القوى لا يطلب الأجر حسبة	ولا يأتس بالناس في الحدان
فلم أر كالأقدار كيف تصيبني	ولا مثل هذا الدهر كيف رمان
أعني إن لم تسعدا اليوم عبرتي	فبئس إذن ما في غد تعداني

وقال المتنبي يرى أخت سيف الدولة :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر	فرعت فيه بآمالى إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملا	شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

المرجاء

قال مسلم بن الوليد .

أما المرجاء فدق عرضك دونه	واللدح عنك كما علت جليل
فاذهب فأنت طليق عرضك إته	عرض عززت به وأنت ذليل



وقال أبو تمام :

كم نعمة لله كانت عنده      فكأنها في غربة وإسار  
كسيت مباب لومه فضاءلت      كتضاؤل الحساء في الأطمار  
وقال ابن الرومي :

يُقتر عيسى على نفسه      وليس يهاق ولا خاله  
فلو يستطيع لتقتله      تنفس من منخر واحد

وقال المتنبي في كافور الإخشيدي :

أكلنا اغتال عبدُ السوء سيده      أو خانه فله في مصر تمهيد ؟  
صار الخصى إمام الأبقين بها      فالخر مستعبد والعبد معبود !  
نامت نواظير مصر عن ثعالبها      حتى بشمن وما تقي المناقيد  
العبد ليس لحر صالح بأخ      لو أنه في ثياب الحر مولود  
لا تشتت العبد إلا والمصا معه      إن المبيد لأنجاس مناصكيد  
من علم الأسود الخصى مكرمة ؟      أقومد البيض أم آباؤه الصهيد ؟  
أم أذنه في يد النحاس دامية      أم قدره وهو بالفلسن مردود ؟  
وذاك أن الفحول البيض عاجزة      عن الجميل فكيف الخصىة السود ؟  
وقال ابن لىكك :

وعصبة لما توسطتهم      صارت على الأرض كالحاتم  
كانهم من سوء أفهامهم      لم يخرجوا بعد إلى العالم  
يضحك إبليس سروراً بهم      لأنهم طرّ على آدم

الوصف

قال البحتري من قصيدته في وصف إروان كسرى :

صنّت نفسي عما يدّئس نفسي      وترفعت عن جدّا كل جيس  
وتماسكت حين زعزعني الله      رُ التماساً منه لتعسى ونكسى  
بلغ من صباية العيش عندي      طفتها الأيام تطقيف بحس

وكان الزمان أصبح عمو  
 واشترأى العراق خُطة غني  
 ولقد رابى نَبو ابن عمي  
 وإذا ما جُفيت كنت حرياً  
 حضرت رجلي الموم فوجم  
 أنسلي عن المخطوط وآسى  
 ذكرتهم المخطوب التوالى  
 ومم خافضون في ظل عال  
 مُطلق بابه على جبل أقيـ  
 حِلَّ لم تكن كاطلال سُدَى  
 ومستمع لولا الحُبابه منى  
 نقل الدهر عهد من عن الجـ  
 فكان الجرماز من علم الأذـ  
 لو تراه علمت أن الليالى  
 وهو ينبيك عن عجائب قوم  
 وإذا ما رأيت صورة أنطا  
 وللنابا موائل وأنو شر  
 وعراك الرجال بين يديه  
 من مشيح يهوى بعامل رمع  
 نصف المين أنهم جِدُّ أحيـ  
 ينتل فيهم ارتياى حتى  
 قد سقانى ولم يُصرِّد أبو الفـ  
 من مُدام قَولها هي نجم  
 وزاما إذا أجذت سروراً

لا هواه مع الأخس الأخس  
 بعد بيعى الشام بيعة وهكس  
 بعد لين من جانيبه وأنس  
 أن أرى غير مُصبح حيث أُمسى  
 ت إلى أبيض اللدائن عَنسى  
 لحل من آل سامان دَرَس  
 ولقد تَذَكَّر المخطوب وتَنسى  
 مشرف يُحسِرُ العيون ويغنى  
 ق إلى دارتي خِلاط ومكس  
 في قفار من البسابس مُنسى  
 لم تطبقها مَسْماة عنس وهبـ  
 دة حتى غلن أنضاء لبس  
 س وإخلاقه بَنِيَّة رَمَس  
 جعلت فيه مائماً بمد عرس  
 لا يُشَاب البيان فيهم بلبس  
 كية ارتعت بين روم وفوس  
 وان يزجى الصفوف تحت الدرفس  
 في خفوت منهم وإخماض جَرمس  
 ومُليح من السنان بَرمس  
 ه لهم بينهم إشارة خرمس  
 تنقراهم يَدَى بلمس  
 ث على السكرين شربة خلس  
 أضوا الليل أو مُجاجة شمـ  
 وارتيلاً للشارب التَحصى

أفرغت في الزجاج من كل قلب  
وتوهمت أن حكرى أبرز  
حلم مطبق على الشك عني  
وكان الإيوان من عجب الصنعة  
بتظني من الكتابة إن يبي—  
مرعجا بالفراق عن أنس إلف  
حكمت حفظه الهياك وبات الـ  
فهو يبدى بجلها وطيه  
لم يعبه أن بر من بسط الله  
مشغور تلو له شرقات  
لابسات من البياض فأتته  
ليس يذرى أصنع إنس لجن  
غير آى أراه يشهد أن لم  
فكأنى أرى للراتب والقو  
وكان الوفود ضاحين حكرى  
وكان القيان وسط المقاصد  
وكان اللقاء أول من أم  
عمرت للسور دهرأ فصارت  
قلما أن أحيها بدموع  
ذاك عندي وليست الدار دارى  
غير نسي لأهلها عند أهل  
أبدوا ملكنا وشدوا قواه  
وأعانوا على كتائب أربا  
وأراني من بعد أكلف بالأهـ

فهي محبوبه إلى كل نفس  
ز معاطى والبهجة أنسى  
أم أمان غيرن غلى وحدي  
مة جوب في جنب أزعن جلس  
د لعيني مصبح أو تمسى  
عز أو مرهقا بتظليق هرس  
مشتري فيه وهو كوكب نفس  
كلكل من كلال كل الدهر مرسى  
باج واستل من ستور الدمشق  
رفت في رموس رضوى وقُدس  
هر منها إلا غلائل برس  
سكنوه أم صنع جن لانس  
يك بانيه في اللوك ينكس  
م إذا ما بلغت آخر حسي  
من وقوف خلف الزحام وخس  
ر يرجعن بين حو ولمس  
س ووشك الفراق أول أمس  
للتعزى رباعهم والتأسي  
موقفات على الصباية حبس  
ياقرب منها ولا الجنس جنسى  
غرسوا من زكاتها خير غرس  
بكاة تحت الستور خمس  
ط بطعن على النحور ودغس  
راف طرا من كل صبح وأسـ

وقالت إحدى شواهر الأندلس تصف وادي آش :

وقانا لفحةً الرمضاء واد	مقام مضاعف ألغيت العيم
حللنا دوحه فحنا علينا	حنوا للرضعات على الفطيم
وأرشفنا على غلماً زلالا	ألد من اللدامة للقديم
تروع حصاه حالية العذارى	فتلس جانب العقد العظيم
يصد الشمس أنى واجهتنا	فيحجبها ويأذن للنسيم

الحكم والرمز

قال بشار بن برد :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً	صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعيش واحداً أوصل أخاك فإنه	مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب سرار أهل القذى	ظلمت، وأى الناس تصفو مشربه

وقال مسلم بن الوليد :

حسبي بما أبدت الأيام تجربة	سعى على بكأسينها الجديدان
دلت على عيبها الدنيا وصدقها	ما استرجع الدهر مما كان أعطاني
ما كنت أدخر الشكوى لحادثة	حتى اجتلي الدهر أسرارى فأشكاني

وقال أبو العتاهية :

العصمت أجهل بالفتى	من منطق في غير حينه
لا خير في حشو السكلا	م إذ اعتديت إلى عيوته
كل امرئ في نفسه	أعلى وأشرف من قربه

وقال أبو تمام :

من لي بإنسان إذا أغضبت	وجهات كان الحلم رد جوابه
وإذا طربت إلى للدام شربت من	أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصنى الحديث بقلبه	وبسمه ولله أدرى به

وقال البعري :

وَرِثْتُ الْقَوْمَ نَمَ ظَنَنْتُ فِيهِمْ      ظَنُونَا لَسْتُ فِيهَا بِالْحَكِيمِ  
فَمَا خُرِقُ السَّفِيهِ وَإِنْ تَعْدَى      بَأْبَلُغَ فَيْكَ مِنْ حَقِّدِ الْحَلِيمِ  
مَتَى أُخْرِجْتَ ذَا كَرَمٍ تَخْطَى      إِلَيْكَ يَبْعُضُ أَخْلَاقِ اللَّثِيمِ

وقال ابن الرومي :

هَدُوكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَاد      فَلَا تَسْعَكُنَّ مِنَ الصَّعَابِ  
خَانَ الدَّاءُ أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ      يَحُولُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ  
وَمَا اللَّجَجُ لِللَّاحِ بِمُرُوءَاتٍ      وَتَلْقَى الرَّيَّ فِي النَّطْفِ الْمَذَابِ

وقال المتنبي :

إِنَّا لَنِي زَمَنٍ تَرَكَ الْقَبِيحَ بِهِ      مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانًا وَإِجَالًا  
لَوْلَا لِلشَّقَةِ سَادَ النَّاسِ كُلُّهُمْ      الْجُودُ يَفْقَرُ وَالْأَقْدَامُ قَتَالًا  
وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَلَاهُ      مَا كُلُّ مَاشِيَةٍ بِأَرْحَلٍ شِمَالًا  
ذَكَرَ الْفَقْرَ عَمْرَةَ الثَّانِي ، وَحَاجَتَهُ      مَا قَاتَهُ ، وَفَضُولَ الْعَيْشِ أَشْفَالًا

هو هتارو هو سعطاف

قال علي بن الجهم يعتذر للتوكل :

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ أَلَا حَرَمَةٌ      تَجُودُ بِعَفْوِكَ أَنْ أَبْهَدَا  
لَنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْ      لَأَنْتَ أَجَلٌ وَأَعْلَى بَدَا  
أَلَمْ تَرِ عِبْدًا هَدَا طَوْرَهُ      وَمَوْلَى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى ؟  
وَمُفْسِدٌ أَمْرٌ تَلَا فَيْتَهُ      فَفَسَادٌ قَاصِلٌ مَا أَفْسَدَا  
أَقْلَنِي أَقَالَكَ مِنْ لَمْ يَزَلْ      يَقِيكَ وَيَعْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى

وقال البعري :

فَدَيْنَاكَ مِنْ أَيِّ خُطْبٍ عَرَى      وَثَابِتَةٌ أَوْ شَكْتَ أَنْ تَتُوبَا

وإن كان رأيك قد حال في  
أَكْذَبُ نَفْسِي بَأَن قَدْ سَخَطَتْ  
ولو لم تكن ساخطاً لم أكن  
أَيُصْبِحُ وَرِدِي فِي سَاحِيكَ  
وما كان سخطك إلا الفراق  
ولو كنت أعرف ذنباً لما كا  
سَاصْبِرُ حَتَّى أَلَاقَ رِضَا  
أَرَأَيْتَ رَأْيَكَ حَتَّى يَصْحَ

وأوليتني بعد بشر قطوبا  
وما كنت أعهد ظني كذوبا  
أذم الزمان وأشكو الخطوبا  
طَرَقًا وَمَرَعَايَ تَخْلًا جَدِيًّا  
أَفْضُ الدَّمْعِ وَأَشْجَى الْقُلُوبِ  
نَ خَالِجِي الشُّكَّ فِي أَن أَتُوبَا  
كَ إِمَّا بَعِيدًا وَإِمَّا قَرِيبَا  
وَأَنْظُرْ عَطْفَكَ حَتَّى يَثُوبَا

وقال سعيد بن حميد :

لم آت ذنباً ، فإن زعمت بأن  
قد تطرف الكف عین صاحبها

أتيت ذنباً ، فغير مُعْتَمَد  
فلا يرى قطعها من الرشد

ومن قصيدة للعتبي يستعطف بها سيف الدولة لبني كلاب بعد أن ظفروا بهم :

طَلَبْتُهُمْ عَلَى الْأَمْوَاءِ حَتَّى  
يَهْزِ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبِيهِ  
وكيف يتم بأسك في أناس  
تَرْفُقُ أَهْلُهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ  
وإنهم عبيدك حيث كانوا  
وعينُ المخطئين هم وليسوا  
وما جهلت أياديك البوادي  
وكم ذنب مؤلده دلال  
وجرم جرّه سفهاء قوم

تَخُوفُ أَن تَفْتَشَهُ السَّحَابُ  
كَأَنَّ نَفْضَتِ جَنَاحِيهَا الْعَقَابُ  
تُصِيبُهُمْ فَيُؤَلِّمُكَ الْمَصَابُ ؟  
فإن الرفق بالجاني عتاب  
إذا تدعو لحادثة أجابوا  
بِأَوَّلِ مَعْشَرٍ خَطَنُوا فَتَابُوا  
ولكن ربما خفي الصواب  
وكم يُعِدُّ مُؤَلِّدُهُ اقْتِرَابُ  
وحلّ بغير جارمه العقاب

## الفصل الخامس

### الشعراء المولودون

كان الشاعر في الجاهلية لسان دقاع ، وخامى ذمار ، ومسجل محامد ؛  
وفي الدولة الأموية كان داعية دين ، ودعامة ملك ، وناشر مذهب ، ومؤيد فرقة ؛  
وفي الدولة العباسية كان نديم خليفة ، وسهر أمير ، وأليف كأس ، وصريح غانية .  
وكان أكثر شعراء بغداد في صدر هذا العصر من اللوالى الذين أطاعوا العرب  
كرها ، ولعقلوا الإسلام رياء ، فهاجوا الأخلاق بالخلعة والمجون ، وأذاعوا  
في الناس الزندقة والشك ، ولكنهم أذاعوا كذلك الآراء الحرة ، وللمعانى  
المبتكرة ، والأخيلة البديعة ، والأوصاف الدقيقة ، والمذاهب الجديدة ، والمبقرات  
المأثورة ، كطيم بن إلياس ، وحامد مجرد . وحسين بن الضعك ، وبشار بن برد ،  
ووالبة بن الحباب ، وأبي نواس ، ومسلم بن الوليد ، وأبان بن عبد الحميد ، وأبي  
السعاهية ، وأبي دلامة ، ومروان بن أبي حفصة ، وهب بن الأحنف ، وهب  
ابن الجهم ، ودعبل الخزاعي ، والقسكوك .

#### شعراء بغداد

#### بشار بن برد

للتوفى سنة ١٦٧

#### نشأته ومبائه

هو بشار بن بُرْد بن يَرْجُوخ العبَّليّ بالولاء . كنيته أبو معاذولة ، للرَّعَثِ  
لأنه كان في أذنيه رُعْثَةٌ ، « والرَّعْثَةُ القُرْطُ » . أصل أبيه من فرس طخارستان

من سبي المذهب بن أبي صفرة ، وهبه لا امرأة من بنى عقيل فتزوجته ونسب إليها . ولد بشار بالبصرة ونشأ في بنى عقيل مولعاً بالاختلاف إلى الأعراب الخمين ببادية البصرة ، حتى شب فصيح اللسان صحيح البيان من الكفة والخطأ ، ولذا كان آخر من يحتاج النعاة بشعرهم من الشعراء . فلما بلغ مبلغ الرجال انتجع الخلفاء والأمراء بالمدح ، وكاد يعيش في ظلال الشعر وادع الفس رغد العيش لولا تعديده بالمجاء ، وتعرضه للنساء ، وهتكته ستر الحشمة ، حتى فقم الناس ذلك منه ، وتمنوا موته صوناً للمدارى وغيره على الخدرات . قال مالك بن دينار . « ما شئ أدعى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى الملعن » ، ودخل فريق من النُفَر على المهدي فأسمعوه قصيدة من غزله ، فقال : « بمثل هذا الشعر تميل القلوب ويلين الصعب » وأمر به ، فلما جاء قال له : « والله لئن قلت بعد هذا بيتاً واحداً في تشييب لآتين على روحك » ، فكان بشار بعد ذلك إذا أراد الغزل ذكر أن الخليفة منه من كيت وكيت ويذكر ما يريد من اللهو وحديث النساء .

ولما توقع بشار وتهتك ، ولم يردعه تهديد المهدي له ، ولا ذراية الناس عليه ، سعى به ثانية إلى الخليفة ورعى عنده بكل قبيصة . وصادف ذلك أن بشار أمدح المهدي فلم يجره ليله عنه وتغيره عنه ، فهجاء بأبيات منها .

بنى أمية هُبُوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود  
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزق والعود  
وبلغ الخليفة ذلك ، فدعا صاحب شرطته وأمره أن يضربه بالسوط ، فضر به حتى مات سنة ١٦٧ ، وقد أوفى على السبعين

صفته وأغزله

ولد بشار أكمة فما رأى الدنيا قط . على أنه كان يشبه الأشياء بعضها ببعض في شعره فيأتى بما لا يقدر عليه البصراء ، كقوله :



كان مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تنهاوى كواكبها

وكان ضعم الجنة ، مفرط الطول ، مجذور الوجه ، جاحظ الحدقتين ، قد  
تغشاهما لحم أحمر ؛ فكان أقبح الناس عني وأفظمهم منظرأ . قالت له امرأة  
ذات يوم : لا أدري لِمَ يهابك الناس مع قبح صورتك ؟ فأجابها : ليس  
من حسنه يهاب الأسد . ودخل عليه أحد الأدباء يوما وهو نائم في دهنيزه كأنه  
جاموس ، فقال له : يا أبا معاذ ، من القاتل :

إن في بُردى حسما ناعلا لو نوكأت عليه لانهدم  
قال : أنا . قال : من القاتل أيضا :

في خلق جسم فتى ناعل لو هبت الريح به طاحا  
قال : أنا قال : فما حملك على هذا الكذب ؟ والله إنى لأرى أن لو بعث الله  
الرياح التي أهلك بها الأم الخالية ما حركتك من موضعك !  
وكان بشار معوقا لكاه ، حاضر الجواب ، صادق الحس ، بذىء اللسان ،  
كثير الجون ، مغموز الدين ، يؤمن بالرجمة ويصوب رأى إبليس في تقديم النار  
على الطين وإبائه السجود لأدم في مثل قوله :

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار  
وكان إذا أراد الإنشاد صفق يديه وتحننح وبصق يمينا وشمالا ثم ينشد :

### شعره

قال بشار الشعر وهو ابن عشر سنين ، فما بلغ الحلم إلا وهو طائر الصيد فيه .  
وقد أدرك جريرا وهجاء وقال : هجوت جريرا فاستصغرتني وأعرض عني ، ولو  
رد على نكبت أشعر الناس . وأول ما تكلم فيه من أنواع الشعر الهجاء لأن  
سوقه كانت نافقة أيام ولد . وطرق كل باب من أبواب الشعر التي فتحت قبله ثم

زاد عليها . ورواة الشعر وتقدته متفقون على أنه زعيم طبقة المولدين<sup>(١)</sup> ، وأسبقهم إلى المجون البذى والتزل الرقيق ، وأول من جمع شعره بين جزالة البدو ورقة الحضرة ، وأن شعره هو الحد الأوسط بين الشعر القديم والحديث . فهو في المولدين كأمريء القيس في الجاهليين ، والبارودي في المحدثين ، وكان الأصمعي يشبهه بالأعشى والنابغة لسلامة شعره من الخلل وخلوه من الخوشى والتمقيد . وقد شهد له الجاحظ بالتبريز في سائر مناحى القول وفنون الكلام فقال : « كان بشار خطيباً صاحب منظوم ومنثور ومزدوج وسجع ورسائل . وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المتفنيين في الشعر ، القائلين في أكثر أجناسه وضروبه » .

ولسلامة شعر بشار وطلاوته أولع به شبان البصرة وخلعواؤها ، وافتتن به نساؤها ؛ فسكن يذهبن إليه ، وينعمن بحديثه ، ويتفننن بشعره . فهوى جارية مهن تسمى عبدة ، شهرها بشعره حتى صار له معها أخبار طائفة وأشعار سائرة .

### هيوب شعره

لا ينسى لباحث أن يعرف ما ينتقد به عليه ؛ لأن شعره لم يدون فذهب به الزمان ، ولم يبق من اثني عشر ألف قصيدة إلا قطع مختارة منتثرة في الكتب<sup>(٢)</sup> وكل ما يعلم من هيوبه خروجه في شعره عن الحد للمألوف من المجون ، وتسكيبه القافية إذا أعوزته بالفاظ لا حقيقة لها ، وتبذله في شعره أحياناً فيميل عن الشعر الجزل إلى الركيك السهل كقوله في جاريته :

ربابة ربة البيت      تصب الخل في الزيت

لها عشر دجاجات      وديك حسن الصوت

(١) المولدون أو المحدثون هم الشعراء الذين فسدت فيهم ملكة اللسان فمالجروها بالصناعة كعمرام النصر الباسي . وميزتهم أن شعرهم توليد اللاني ، ودقة الأغراض ، ورقة الألفاظ وجمال الصنعة ، لأنهم أقل من سابقيهم أسرا وضواة ، وأكثر حرصاً وكلفة .

(٢) اختار له ( الخالديان ) طائفة حسنة من شعره ثم شرحها تحت عنوان ( المختار من شعر بشار ) وقد طبع بالقاهرة سنة ١٩٣٥ م .

وقوله :

إن على خلقت من قصب      قصب السكر لا عظم الجمل  
وإذا أدنيت منها بصلا      غلب المسك على ريح البصل  
ولكنه كان يعتذر عن مثل الأول بأن له حالا تقتضيه ، وعن مثل الثاني  
بأنه قاله في صباه .

نموذج من شعره

من قوله في الغزل :

يزهدني في حب عبدة معشر      قلوبهم فيها مخالفة قلبي  
قللت دعوا قلبي وما اختاروا رضى      فبالقلب لا بالعين يضرروا الحبر

وقوله :

يا قوم أذن لي بعض الحى عاشقة      والأذن تعشق قبل العين أحيانا  
قالوا بمن لا ترى تهذى ؟ قللت لهم      الأذن كالعين توفى القلب ما كانا

وقوله :

لم بطل ليلي ولكن لم أنم      وثقى عني الكرى طيف ألم  
نفسى يا عبد عني واعلمى      أنتى يا عبداً من لحم ودم  
إن فى بردى جسا ناعلا      لو توكت عليه لانهدم  
ومن أبياته السائرة قوله :

هل تعلمين وراء الحب منزلة      تدنى إليك ، فإن الحب أقصانى

وقوله :

أنا والله أشتى سحر عينيه      لك وأخشى مصارع المشاق  
وقال وهو يدل على اعتقاده بالجبر :

طبعت على ما فى غير مخير      هواى ، ولو خيرت كنت المهنا  
أريد فلا أعطى ، وأعطى ولم آرد      وقصر على أن أنال النينا

ومن قوله في الوصف والحاسة :

إذا للملك الجبارُ صعرٌ خدّهُ      مَشِينًا إليه بالسيوف نعاتبه  
وأرْعَنَ يَفْشَى الشَّمْسُ كَوْنُ جَدِيدِهِ      وَتَحْبِسُ أَبْصَارَ الكِمَاةِ كَتَائِبَهُ  
تَفْصُءُ به الأرضُ الفَضَاءَ إذا غدا      تَزَاحِمُ أَرْكَانَ الجِبَالِ مَنَّاكِبَهُ  
رَكِبْنَا له جَهْرًا بِكُلِّ مَشْفُفٍ      وَأَبْيَضُ تَسْتَقِي الدُّمَاءُ مَضَارِبَهُ  
كَانَ مَنَارُ النِّقَعِ فَوْقَ رءُوسِنَا      وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ

### أبو العتاهية

١٣٠ - ٢١١ هـ

#### نسأله ومبارة

هو إسماعيل بن القاسم بن سويد وكنيته أبو إسحاق ولقبه أبو العتاهية. ولد  
بعين التمر قرية بالحجاز ونشأ في الكوفة على صناعة أهله ، وكانوا باعة جرار .  
فجعل يصطلمها ويحملها في قفص على ظهره منتقلا في شوارع الكوفة يبيعهما .  
إلا أنه مع ذلك كان ولوعا بالقريض ، فزوعا إلى الأدب ، يقول الشعر على  
سجيته من غير أن يجهد نفسه فيه . وربما حدث ببعض الحديث فيأتي موزونا  
مقفي فيظنه الناس نثرا وهو شعر . ومنشأ ذلك تمكن الشاعرية منه ورسوخها فيه ،  
حتى إنه كان يقول عن نفسه « لو شئت أن أجعل كلامي كله شعرا لفعلت » .  
وبما يؤيد أن الشعر كان فيه سليقة لاصناعة ، أنه كان يجهل العروض جملا  
تماما ؛ وله أوزان لا تدخل فيه ، ولا تجرى في مجاريه . ولما سمع به متأدبو الكوفة  
وفتيانها كانوا يذهبون إليه في مصنعه ويستنشدونه فينشدهم أشعاره ، فيأخذون  
ما تكسر من الخزف فيكتبونها فيه . وهكذا بدأ أبو العتاهية يصنع الشعر في أتونه  
خزفا ، ثم مال به أن صنعه درا تقلدته الأمراء والكبراء ، وجرى ذكره مجرى  
للؤلؤ ، فانتقل الخزاف من بين الطين واللآء ، إلى مجالس الشعراء ودواوين الخلفاء .

وقد إلى بغداد حاضرة العلم والأدب في أول خلافة المهدي ومدحه فحظي لديه واختلط ببعض جواريه فعشق منهن جارية تسمى عتبة ، أكثر فيها الغزل حتى هم المهدي أن يهبها إياه لولا ضراعتها وكرامتها له . فألهاء عن ذكرها بالمال الكثير ، فكان يأخذ للمال ولا يفتر عن ذكرها في شعره حتى في مدائحها له <sup>(١)</sup> . وكل ذلك كما قيل تصنع وتخلق ليذكر بذلك . فلما توفي المهدي واستخلف الهادي ، تغيرت أخلاق الشاعر فلما عن ذكر عتبة ، وأخذ في التزهيد والتخشن ، وأقبل على درس مذاهب المتكلمين وبعض الفرق ، فكان يأخذ بكل وقتا ثم ينصرف عنه إذا سمع طاعنا عليه . ولم يأت عصر الرشيد حتى أضر به عن الغزل وقصر قوله على التزهيد في الدنيا والتذكير بالموت . ثم عرضت له حال امتنع فيها عن قول الشعر ألبتة . فأرغمه الرشيد عليه فأبى ، فصر به ستين عصا وسجنه ولم يطلقه حتى رجع إلى قول الشعر . وكان بعد ذلك لا يفارقه في حضر ولا سفر ، وأجرى عليه وظيفة مقدارها خمسون ألف درهم غير الجوائز منه ومن أمرائه . واتصلت شهرته بالآفاق وتغنى بشعره اللغنون وتناجى به الزهاد وسائر الناس على اختلاف طبقاتهم ، وعنى العلماء والرواة بجمع شعره ، ولم تزل تلك حاله مدة الرشيد والأمين وأكثر أيام المأمون حتى مات سنة ٢١١ .

#### صفته وأخلاقه

كان أبو المتاهية أبيض اللون أسود الشعر له وفرة جمدة وهيئة حسنة . وكان ليق اللسان مذبذب الرأي مفككا معتل العقيدة لا ضطرابه في الآراء وتلونه في العمل ، مقترا على نفسه وأهله مع وفرة ماله وحسن حاله . وكان بعض الناس ينسبه إلى إنكار البعث محجبا بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والنقاد دون ذكر النشور والبعث . وعلى الجملة فالنار من حياة الرجل يراه مضطرب المزاج غريب الأخلاق مذبذبا في نسبه وحبه وعلمه وعقيدته .

(١) زهر الأدب ص ٢٠٠ .

### شعره

كان هذا الشاعر غزير البحر ، لطيف المعاني ، سهل الألفاظ ، كثير الافتتان قليل التكلف ، إلا أن شعره كثير الساقط المرذول . وأجوده ما قاله في الزهد والأمثال . ولقد قال الأحمسي : « إن شعر أبي العتاهية كساحة الملوك ، يقع فيها الجواهر والذهب والتراب والنوى » وذلك حق ؛ لأنه كان يرسل الشعر إرسالا على البديهة من غير تمثّل ولا تنقيح . على أنه في الطبقة الأولى من المولدين كبشار وأبي نواس ، وهذا كان يفضل على نفسه . ويمتاز أبو العتاهية بقلة تكلفه وسهولة ألفاظه حتى كادت تخرج إلى حد الابتذال . وحجته في ذلك أنه يرى إلى العظة والزهد فينبغي أن يكون شعره مفهومًا لدى الناس على السواء . وهو الذي نهج للشعراء مناهج الزهد والمظالم فاقضوا أثره فيها . ولقد طرق أبواب الشعر فأجاد ، إلا أن تفوقه ونبوغته إنما هو في الحكم وخرب الأمثال . وله أرجوزة جمعت أكثر من أربعة آلاف مثل . أما فزله فخبره ما قاله في عتبة . وأحسن مدائحه ما قاله في المهدي والرشيد . ولقد صان لسانه عن الهجاء إلا ما كان يبيته وبين عبد الله بن مemon ، فإنه قال فيه من غير فحش ولا هجـر :

فصنع ما كنت حليت به سيفك خلفـالا  
ومما تصنع بالسيف إذا لم تك قتيلا ؟  
ولو مدّ إلى أذنيـه كفـيه لما نـالا  
أرى قومك أبطالاً وقد أصبحت أبطالـالا

درر منه قتلـته

من قوله في النزول :

عيني على عتبة مثـهـلة بدسها التـكـب السائل

كانها من حننها درة  
كان في فيها وفي طرفها  
بسطت كفى نعوكم مثلاً  
إن لم تنيلوه فقولوا له  
لم يبق مني حبها ما خلا  
يا من رأى قبل قبلاً بكى  
وقال للمهدي وقد توفيت ابنته :

ما للجديدين لا يبلى اختلافها  
يا من سلا عن حبيب بعد ميته  
كان كل نعيم أنت ذاقه  
لا تلعبن بك الله يا وأنت ترى  
ما حيلة الموت إلا كل مسألة  
وكل غصن جديد فيها بالي ؟  
كم بدموتك أيضاً هلك من سالى  
من لذة العيش يحكى لعة الأل  
ما شئت من هرب فيها وأمثال  
أو لا ، فما حيلة فيه لخال

ومن قوله للرشيده وقد سجنه لإخراجه عن النزل :

تذكر أمين الله حتى وحررق  
ليالى تدنى منك بالقرب مجلسي  
فمن لي بالدين التي كنت مروة  
ومن قوله يعظ الرشيد :

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس  
واعلم بأن سهام الموت قاصدة  
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها  
وقال :

لدا للموت وابوا للحرب  
ألا ياموت لم أر منك بدا  
كانك قد هجمت على مشيبي  
فكلكم يصير إلى ذهاب  
أتيت وما تحيف وما تحاي  
كاهجم للشيب على الشباب

## أبو نواس

١٤٥ — ١٩٩ هـ

### نشأته ومبائه

هو الحسين بن هانيء بن عبد الأول الحسكي . يكنى بأبي نواس لأن خلفا الأحرار كان له ولاء باليمن ، وكان من أميل الناس إلى أبي نواس فقال له : أنت من أشرف اليمن فتكن بأسماء الذويين ( وهم الملوك الذين تبدأ أسماءهم بذو ) ثم أحصى أسماءهم فقال : فوجدن وذويزن وذو نواس . فاختار ذا نواس فكناه بها ، فغلبت على كنيته الأولى وهي أبو علي . ولد بقرية من قرى الأهواز ونقل إلى البصرة ونشأ بها . ثم انتقل إلى بغداد وتوفي فيها . كان أبوه من جند مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية . ولما توفي لم يجد أبو نواس من يموله ، فالتجأ إلى عطار يشتغل عنده . ولكنه كان مولماً بالعلم مشغوفاً بالأشعار والأخبار ، فكان كثيراً ما ينشئ أندياة العلماء ، ويحضر حوار الشعراء ، ويقدم بالنظم . وقد سمع بذكر والبة بن الحباب وشهرته في الشعر فكان يود لو يتصل به ليأخذ عنه . فاتفق أن مر والبة هذا بالعطار الذي كان يعمل عندهما أبو نواس فتوسم فيه الكاء والقطنة وتوقد الدهن . فقال له إني أرى فيك غيايل أرى ألا تضيعها ، وستقول الشعر فاصحبنى آخر جلك ، فقال له ومن أنت ؟ قال : أنا والبة بن الحباب . فقال له . نعم أنا والله في طلبك ، ولقد أردت الخروج إلى الكوفة لأخذ عنك . فسار أبو نواس معه ، وقدم ببغداد وقد أربى على الثلاثين ، وهناك صحب الشعراء ودرس على العلماء حتى أصبح من أشرف أهل عصره وأغزرهم علماً وأنبيهم اسماً . وتأدى



خبره إلى الرشيد فأذن له في مدحه فمدحه واتصل به وثق<sup>(١)</sup> عنده . وبلغ من دالة أبي نواس عليه أنه كان يمر به بنو هاشم والقواد والكتاب فيحيونه وهو متسكىء ممدود الرجل فلا يتحرك لأحدهم . وكان يقصد عمال الولايات فيمدحهم ومن هؤلاء الخصيب عامل مصر ، فقد مدحه بقصائد رواها عنه المصريون دون العراقيين . ثم انقطع بعد ذلك إلى محمد الأمين فنادمه ومدحه ، وثبت عنده ما يوجب سجنه فسجنه مدة ، ولم يلبث بعد إطلاقه أن مات سنة ١٦٩ بهنداد .

### صفاته وأخلاقه

كان أبو نواس جميل الصورة ، خفيف الروح ، حلو الحديث ، حاضر البديهة فصيح اللسان ، مدمنا للخمر ، كثير المزمل والمجون ، جامعا لأشتات الصفات التي يجب أن تكون في النديم ، مستغنياً بأمور الدين . وله مع الشعراء مناقضات كثيرة . ونوادره المجونية مجموعة في كتاب خاص غير ديوانه طبع منه جزؤه الأول في القاهرة ؛ إلا أن أكثر هذه النوادر وتلك الأشعار المجونية مذكوس عليه ، لأن جل أشعاره في ذكر الله ووصف الخير وما يتبع ذلك ، وليس هذا مذهب المعاصرين له ولا المتأخرين عنه ، فألقى الناس بشمره كل ما وجدوه من جنسه ولم يعرفوا قائله . وأكثراخباره مع جارية شاعرة تسمى جنان قد هويها وكلف بها .

### مزيلته في الشعر

كان أبو نواس ضليعا في اللغة راويا للشعر والأخبار ، حتى قيل إنه لم يقل الشعر إلا بعد أن حفظ شعر ستين امرأة خلاف الرجال . وقد قال فيه الجاحظ ما رأيت أحدا كان أعلم باللغة من أبي نواس ولا أفصح لهجة منه مع حلاوة

(١) قالوا إنما حصل على مكافئه عند الرشيد لأنه كان يبكر إليه فيسأل خواصه الفصيح عما جرى له مع الجواري ، ثم ينقده أعمارا تطابق ذلك .

ومجانبة استكراه . ولج أبواب الشعر كلها ، إلا أنه امتاز من كل الشعراء بفحش  
 بجونه ، وصراحة قوله ، وصدقته في تصوير خليفته ويثته ، ووصفه الخمر وصفاً  
 « لوسمه الحسنان <sup>(١)</sup> لهاجرا إليها وعكفا عليها » وأقل شعره مدائح ، وأكثرها  
 في الرشيد وولده الأمين . ويعد أبو نواس ثاني بشار في منزعه لفظاً ومعنى ،  
 وكثيراً ما ضرب على وتره ، حتى قال الجاحظ : « بشار وأبو نواس منها  
 واحد والبعة اثنان : بشار حل من الطبع بحيث لم يتكلف قولاً ولا تعب  
 في عمل شعر ، وأبو نواس حل من الطبع بحيث يصل شعره إلى القلب بغير إذن » .  
 وكان أبو نواس مشهوراً بالتنقيح ، يعمل القصيدة ويتركها ليلة ثم ينظر فيها  
 فيحذف أكثرها ويقتصر على الجيد منها ، ولهذا قصر أكثر قصائده . وهو على رفته  
 وبجونه جزل الألفاظ ، نغم الأسلوب ، كثير الغريب ولقد ابتدع في الشعر أشياء  
 أنكرها عليه العقلاء ، وأخذها عنه الشعراء ، كاستهتاره في الفجور ، واسترساله  
 في الجون ، ونقله الغزل من أوصاف المؤنث إلى أوصاف الذكر . ولا ريب أن  
 هذه الطريقة التي شرعها هذا الشاعر للاجن كانت جنابة على الأدب ، ووصمة  
 في تاريخ شعر العرب .

### دور من قصائده

قال في الخمر :

مازات أسئلُ رُوح الدنِّ في لطفٍ      وأستقى دمه من جوف مجروح  
 حتى انثنت ولي روحان في جسدي      والدن منطرح جسماً بلا روح  
 وقال أيضاً :

مُعْتَقَّة صاغ للزاجُ رأسها      أكاليلَ دِرٍّ ما المنظومها سلاك  
 جرت حركات الدهر فوق سكونها      فذابت كذوب الجبر أخلصه السبك

(١) الحسن البصري وابن سيرين .

وقد خفيت من لطفها فكأنها      بقايا يقين كاد يذهبها الشك  
وقال في وصف شاربها :

ومستطيل على الصبياء باكرها      في فتية باصطباح الراح حذاق  
فكل شيء رآه ظنه قدحاً      وكل شخص رآه ظنه الساق  
وقال في وصف الكأس :

ودار نداهى عطلوها وأدجلوا      بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارس  
مساحب من جرّ الزقاق على الثرى      وأضغاث رِيحانٍ جنيٍّ ولابس  
حبست بها معني فجددت عهدهم      وإني على أمثال تلك الحابس  
تدار علينا الراح في مسجدة      حبها بألوان التصاوير فارس  
قرارتها كسرى ، وفي جنباتها      مَهْما تدريها بالقسي الفوارس  
فللخمر مازرت عليه جيوبها      وللماء ما دارت عليه القلائس  
وقال في عاقبة الجمالة :

ولقد نهزت مع الفؤاة بدلوم      وأسمت مَرَحَ اللهو حيث أساموا  
وبلغت ما بلغ امرؤٌ بشبابه      فإذا عَصَاة كل ذلك أئام  
وقال في مدح الخصيب أمير مصر :

تقول التي من بيتها خفٌ محلى      عزيز علينا أن نراك تسير  
أما دون مصر لئنني مُتَطَلِّبٌ      بلى إن أسباب النفي لكثير  
فقلت لها واستعجلتها بواذر      جرت فجرى في إثرهن حيدر  
دعيني أكثر حاسديك برحلة      إلى بلاد فيه الخصيب أمير  
فتى يشتري حسن الثناء بماله      ويعلم أن الدائرات تدور  
فما جازه جود ولا حل دوته      ولكن يسير الجود حيث يسير  
وقال في وصف الدنيا :

ألا كل حي هالك وابن هالك      وذو نسب في الهالكين عريق

إذا امتنع الدنيا لبيب<sup>١</sup> تكشفت له عن علو في ثياب جديق  
ومن أبياته التي يمثل بها :  
قوله :

لا أنود الطير عن شجر قد بلوت<sup>٢</sup> للر من ثمره  
وقوله :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد  
وقوله :

صار جدا ما مزحت به رب<sup>٣</sup> جد ساقه اللعب

### ابن الرومي

٢٢١ — ٢٨٤ هـ

نشأته ومبانيه<sup>(١)</sup>

أبو الحسن علي بن العباس بن جرجيس مولى عبيد الله بن علي رومي الأصل  
ولد ببغداد وفيها نشأ وتأدب حتى شعر ونبع . ثم قضى حياته كأكثر الشعراء  
في انتجاع السراة والولاة . وقد حمل الناس بلسانه على بره وتكرمته ، له مارغبة  
وإمارهة .

كان ابن الرومي شرها كما يظهر من غصون شعره . وله أشعار كثيرة  
في الطعام والشراب . وكان شديد الطيرة ينلو فيها ويحتج لها ويقول : إن النبي  
صلى الله عليه وسلم كان يحب الغال ويكره الطيرة ، وأنه مر برجل وهو يرسل ناقلة  
ويقول : ( يا ملعونة ) ، فقال لا يصحبنا ملعون . وأن علياً رضي الله عنه كان  
لا يغزو غزاة والقمر في المقرب . وكان يزعم أن الطيرة موجودة في الطباع ، وهي

(١) حياة ابن الرومي لا تزال سرّاً مكتوماً في ضمير الزمان فلم يترجم به أحد ترجمه  
والية . وقد ذكر الأستاذ كلبيان ميار ( Cl. Huard ) أن أبا عثمان سعيد الخالدي من علماء  
سيف الدولة كتب ترجمته مفصلة ، ولكن أين هي ؟

في بعضهم أظهر ، وأن الأكثر في الناس إذا لقي ما يكرهه قال : على وجه من أصبحت اليوم ؟ قال على بن المسيب : « دخل علينا ابن الرومي يوم مهرجان سنة ٢٧٨ وقد أهدى إلى عدة من الجوارى القيان ؛ وكانت فيهن صبية حوله وعجوز في إحدى عينيها نسكة . فتطير من ذلك ولم يظهر لي أمره ، وأقام باقي يومه لا يخرج . فلما كان بعد مدة يسيرة سقطت ابنتي من بعض السطوح ، وجفاه القاسم ابن عبيد الله فجعل القينتين سبب ذلك وكتب إلي يقول :

أيها للتحفي بحول وعُور      أين كانت عنك الوجوه الحسان ؟  
قد لعمري ركبت أمراً مهيناً      ساءني فيك أيها الخُلصان  
فتحك المهرجان بالحول والمو      ر أرانا ما أعقب المهرجان  
كان من ذاك قَدُّكَ ابنتك الحرَّ      ة مصبوغة بها الأكفان  
وتجاني مؤمِّل لي جليل      لج فيهِ الجفاء والمجران  
قف إذا طيرة تلقنتك وانظر      واستمع ثمَّ ما يقول الزمان  
خبر الله أن مشامة كما      نت لقوم وخبر القرآن

وبلغ من تطير ابن الرومي أنه كان يقيم الأيام لا يخرج من داره إذا قرعت أذنه صبيحة اليوم كلمة سيئة . وله في ذلك أخبار غريبة مع الأخفش . وكان هذا الشاعر فاحش الهجو شديد حتى خشيه الكبراء والوزراء لذلك . وكان أبو الحسن القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد لا يفتأ حذراً منه خائفاً من هجائه ، ولا يكاد يصدق أنه يسلم من لسانه . وكان هذا الوزير شريفاً سفاكاً للدماء ، فدمس عليه من سمه في أكلة وهو حاضر . فلما أحس ابن الرومي بالسم قام ، فقال له الوزير : إلى أين ؟ فقال إلى الموضع الذي بعثت بي إليه فقال له سلم على والدي . فقال ليس طريق على النار . ولحق بمنزله فأقام به أياماً . وكان الطيب يتردد عليه فزعم أنه غاط في بعض المقابر ، فقال وقد سأله نقطويه النحوى وهو يجود بنفسه : غاط الطيب على غلطة مُورِد      عجزت مواردُه عن الإصدار

والناس يَلْحَوْنَ الطَّيِّبَ وَإِنَّمَا غَلَطَ الطَّيِّبُ إِصَابَةَ الْأَقْدَارِ

شعره

كان في الناس من يعير ابن الرومي جنسيته ، وينتقص لأجلها شاعريته ؛  
كما يؤخذ من قوله :

كَمْ حَائِبٌ كُلِّ شَيْءٍ وَكُلِّ مَا فِيهِ عَيْبٌ  
قَدْ تَحَسَّنَ الرُّومُ شِعْراً مَا أَحْسَنَتْهُ الْعَرَبُ  
لَا مَنَكِرَ الْجَمْدِ فِيهِمْ أَلَيْسَ مِنْهُمْ صَهَبٌ ؟<sup>(١)</sup>

ولكن هذه الجنسية كان لها الأثر الأظهر والفضل الأكبر في نبوغه، فإنه  
جمع إلى تعمق الآريين في الفكر ، تفوق الساميين في الخيال ؛ وضم إلى دقة  
الروم في التصور ، قوة العرب في التصوير . فامتاز بتوليد المعنى واستقصائه حتى  
لا يترك فيه بقية لغز . ومن ثم طالت قصائده من غير تكرير ولا سقط . وقلماً  
رأبنا شاعراً يسلم على الطول وتنسأوى أجزاء قصيدته في الحسن والقوة . ولا بن  
الرومي براعة نادرة في وصف الشيء وتشبيهه ، وقدرة غريبة على العتاب والمجاء ،  
لما كان يمتنى به من جفاء الأصدقاء ، وإعراض الكبراء ، لحدة طبعه وضيق  
خلقه . وهو في منزلة أبي تمام والبعثري ، وربما فضلهما أحياناً ؛ لأنه قال في كل  
فنون الشعر المعروفة ( وزاد عليها زيادة لو وزعت على عشرة شعراء لأحاطهم  
منازل الفصول ) .

على أنه يسف أحياناً فيطلب محبة المعنى ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ  
وخشونته . ولو أنه نشأ نشأة عبد الله بن المعتز لما كان له معه ذكر في باب التشبيه  
والملاح ؛ فإن ابن الرومي أعلى كعباً منه في الشعر ، ولكن علمه بالمشبهات دون  
علم الملوك وقد قال له بعض معاصريه يلومه لم لا تشبه كتشبيهات ابن المعتز ؟

(١) صهيب بن ستان بن مالك الرومي صحابي جليل ، وهو أول من أسلم من الروم .  
توفي سنة ٣٨ أو ٣٩ هـ .

فقال له : أنشدني من قوله الذي استعجزتني عن مثله . فأنشده قوله في الهلال :

أنظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حولة من عنبر ؟

فقال له زدني . فأنشده قوله في الأذريون ، وهو زهر أصفر في وسطه نخل أسود :

كان آذريونها غب سماء هامية

مداهن من ذهب فيها بقايا غالية

فصاح واغوثاء ! لا يكلف الله نفساً إلا وسعها . ذاك إنما يصف ماعون بيته

لأنه ابن خليفة ، وأنا أي شيء أصف ؟ ولكن انظر إذا وصفت ما عرف أين يقع

قولي من الناس . فهل لأحد قط مثل قولي في قوس النعام :

وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً من الجود ككتا والحواشي على الأرض

يطرزاها قوس السحاب بأخضر على أحمر في أصفر إثر مبيض

كأذيال خوذ أقبلت في غلائل مصبغة والبعض أقصر من بعض

وقولي في صانع الرقاق :

ما أنس لا أنس خبازاً مرت به يدحو الرقاقة مثل الملح للبصر

ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر

إلا بمقدار ما تنساح دائرة في لجة الماء يلتقي فيه بالحجر

### نموذج من شعره

من قوله ، وقال ما سبقني أحد إلى هذا المنى .

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجّون نجوم

منها مصالم للهدى ، ومصباح تجلو الدجى ، والأخريات رجوم

ومن معانيه المختصرة قوله :

وإذا امرؤ مدح امرأ لنواله وأطال فيه فقد أراد هجاءه

لأنه لم يقدر فيه بُدّ المستقى عند الورود لما أطال رِشاه

وكان هو يطيل .

وقوله :

توددتُ حتى لم أجدُ متودداً      وأقنيت أفلأى عتاباً مُردداً  
كأنى استدنى بك ابن حنيفة<sup>(١)</sup>      إذا النزع أدناه من الصدر أبعداً

ومن بدائع قوله في الشباب :

رأيتُ سواد الرأس واللهو تحته      كليل وحلم بات رائيته ينعم  
فلما اضمحل الليل زال نعيمه      فلم يبقَ إلا عهد التوهم

وقوله من قصيدة يصف الشمس في الأصيل :

وقد رنقت شمس الأصيل ونفقت      على الأفق الغربي ورساً مزعزماً  
وودعت الدنيا لتفنى نحبها      وشول باقي عمرها فتشمعشاً  
ولاحظت النوار وهي مريضة      وقد وضعت خدّاً إلى الأرض أخيراً  
كما لاحظت عوادة عين مدنف      توجّع من أوصابه ما توجعاً  
وظلت عيون النور تخضل بالندى      كما اغرورقت عين الشجي لتدمعاً  
يراعينها صوباً إليها روانياً      ويلحظن الحائلاً من الشجر خضماً  
وبين إغصانه الفراق عليهما      كأنهما خلاً صفاء تودعاً  
وقد ضربت في خضرة الروض صفرة      من الشمس فاخضرا خضراً مشعشاً  
وأذكي تسم الروض ريعان ظله      وغنى مغنى الطير فيه وسجماً  
وغرّد ربيّ الأبواب خلاه      كما حنّحت النشوان صنجاً مشرعاً  
فكانت أرائين الأبواب هنا كو      على شدوات الطير ضرباً موقعاً

(١) ابن حنيفة كناية عن القوس .



## ابن المعتز

٢٤٩ — ٢٩٦

### نشأته ومبانيه

هو أمير المؤمنين أبو العباس عبد الله بن الخليفة المعتز ، ولد في بيت الملك وموئل الخلافة ، وربى في باحة النعيم وموطن الجلالة ، فنشأ نبيل النفس دقيق الحس ، قوى الشعور بالجمال ، ولوعاً بالأدب واللوسيقى . تأدب على شيوخ الأدب في عصره كالبردد وتعلب ، وشارك في أكثر العلوم النقلية والعقلية ، وشغله الأدب والطرب واللعب عن دسائس القصر ومطامع الخلافة فكان كما وصف نفسه .

قليل هموم القلب إلا لذّة	ينعم نفساً آذنت بالتثقل
فإن تطلبه تقتنصه بحاجة	وإلا يستأن وكرم مظلّل
ولست تراه سائلاً عن خليفة	ولا قائلاً من يعزلون ومن يلى
ولا صائحاً كالغير في يوم لذة	يماظر في تفضيل عثمان أو على

إلا أن جماعة من شيعته لما رأوا ضعف المقتدر واستبداد المالك وسوء سياستهم خلعوه وبايعوا ابن المعتز فتابوا العرش إلا يوماً وليلة ، لأن أنصار المقتدر لم يشاءوا التسليم راضين . فتعزبوا وحاربوا أعوان ابن المعتز فشتتوهم ، وأعادوا المقتدر إلى دسته ، واختفى الخليفة الشاعر في دار الجصاص الجوهري ، فتقحموا عليه الدار واعتقلوه . ودفعه المقتدر إلى مؤنس الخادم فخفه وسله إلى أهله ملفوفاً في كساء .

### شعره

لنشأة ابن المعتز أثر ظاهر في شعره . فهو رقيق اللفظ ، سهل العبارة ، حياقي الأسلوب ، لينة طبعه ومهولة خلقه ، وصفاء خاطره . وهو يبالغ الاستعارة

رائع التشبيه ، دقيق الوصف ، لدقة حسه ، ولطف شعوره ، وامتلاء ذهنه بروائع  
الجمال وبذائع الخيال ورويق الحضارة . وكان يقول الشعر لإرضاء لنفسه وتصويراً  
لحسه ، فبريء من كذب المدح ولؤم المجهاء ، وانصرف إلى وصف الطبيعة ومجالس  
الأنس ومطاردة الصيد ومراسلة الإخوان . وله ولع بالبديع في حسن صنوغ وقلة  
تكلف . ونثره لا يقل عن شعره في نقاء الأسلوب وجودة اللفظ ودقة التعبير .

#### مؤلفاته

لابن للمعز كتاب البديع<sup>(١)</sup> ، وهو أول مصنف في هذا الفن ، جمع فيه سبعة  
عشر نوعاً منه . وكتاب مكاتبات الإخوان بالشعر ، وكتاب الجوارح والصيد ،  
وكتاب أشعار الملوك ، وكتاب طبقات الشعراء ، وكتاب الزهر والرياح ،  
وتصانيف أخرى أغلبها مفقود . وقد طبع ديوانه بالقاهرة في جزأين .

#### نموذج من شعره

كن جاهلاً أو فتجاهل تنز  
للجهل في ذا الدهر جاء عريض  
والعقل محروم يرى ما يرى  
كما ترى الوارث عين المريض  
وقال :

اقتلا هي بصرف عفار  
واتركا الدهر فاشاء كانا  
إن للمكروه لقمة هم  
فإذا دام على المرء هانا  
وقال :

ونسيم يبشر الأرض بالقطر  
ر كذيل الضلالة الملول  
ووجوه البلاد تنتظر النيب  
ث انتظار الحب رجوع لرسول  
وقال :

أعاذل قد كبرت على العتاب وقد ضحك الشيب على الشباب

(١) نثره عام ١٩٣٥ الأستاذ أختا طيوس كراوف فيسكي للمعز في الرومي وقد صدره  
بمبحث باللغة الانجليزية عن الكتاب والنسخة التي نقل عنها ، وفيه بدرجة لابن المعز أبان فيها  
عن أثر الكتاب في الأدب العربي .

رددت إلى التقي نفسى قمرت  
وقال في مقبرة :

وسكان دار لا تزاور بينهم  
كان خواتماً من العليف فوقهم  
وقال :

كم حاسد حنق على بلا  
متضاحك نحوى كما ضحكت  
وقال :

انظر إلى حُسن هلال بدا  
كنجل قد صيغ من فضة  
وقال :

قلبي وثاب إلى ذا وذا  
يهيم بالحسن كما يبنى  
وقال :

من لى بقلب صيغ من صخرة  
جرحته خديه بلحظى فسا  
وقال :

ولقد قضت نفسى مآربها  
ونهار شيب الرأس يوقظ من  
وقال :

وإني على إشفاق عيفى من البكا  
كما حللت عن ماء برد طريدة  
وقال أيضاً وإشارته إلى الديك :

لتجمع منى نظرة ثم ألق  
تمد إليه جيدها وهي تفرق

صفق إما ارتياحة لسفا الفجـ سر وإما على الدجى أسفا  
ويقال إن له هذا اللوشع للشهور ، ولا ندرى إن كان ابتدعه أم اتبع  
فيه الأندلسيين :

أيها الساقى إليك المشتكى ا قد دعونك وإن لم تسمع

\*\*\*

ونديم همت في غرته  
وبشرب الراح من راحته  
كلما استيقظ من سكرته  
جذب الكأس إليه واتكى وسقاني أربعا في أربع

\*\*\*

ما لم ينى عشيت بالنظر ا  
أنكرت بعدك ضوء القمر  
وإذا ما شئت ، فاسمع خبري :  
عشيت ميناى من طول البكا وبكى بعضى على بعضى مى ا

\*\*\*

فصن بان مال من حيث التوى  
مات من بهواه من فرط الجوى  
خفيق الأحشاء موهون القوى  
كلما فكر فى الين بكى وبه ا يسكى لما لم يقع ا

\*\*\*

ليس لى صبر ، ولا لى جلد  
يا لقومى عذلوا واجتهدوا ا  
أنكروا شكواى عما أجد  
مثل حالى حقه أن يشتكى ؟ كد اليأس وذل الطمع ا

كبد حرّى ، ودمع يكفُ  
يندرف اللمع ولا يندرف  
أيها المعرض عما أحف !  
قد نما حبي بقلبي وزكا لا تقل في الحبّ إنى مدعى

### الشریف الرضی

٢٥٩ — ٤٠٤ هـ

#### نشأته ومبایته

وُلِدَ أبو الحسن محمد بن الحسين اللّوسوی ببغداد ، ونشأ في حجر والده ،  
ودرس العلم في طفولته ؛ فبرّع في الفقه والفرائض ؛ وفاق في العلم والأدب ،  
وقال الشعر وعمره لا يزيد على عشر سنين . فلما بلغ التاسعة والعشرين من عمره  
خلف أباه في نقابة الطالبين سنة ٣٨٨ هـ ، ثم ضمت إليه مع النقابة سائر الأعمال  
التي كان بليها أبوه ، وهي النظر في المظالم والحج بالناس .

وبقى في هذه الأعمال حيناً من الدهر حتى تغير عليه الخليفة القادر لانتهاكه  
عنده بالميل إلى العلويين الفاطميين بمصرف صرفه عنها ، فعاش عيش القانع الشريف  
حتى قبضه الله إليه في المحرم من سنة ٤٠٤ هـ ودفن بداره في الكوخ .

#### صفته وأخلاقه

كان الشريف أبي النفس على الهمة ، سمت به عزيمته إلى معالي الأمور  
فلم يجد من الأيام مبعيها عليها وكان عفيفاً لم يقبل من أحد صلة ولا جائزة ؛  
حتى بلغ من تشده في العفة أن رد ما كان جارياً على أيه من صلوات الملوك  
والأمراء ، واجتهد بتوبويه أن يحملوه على قبول صلاتهم فما استطاعوا .

### شعره

نهج الرضى فى شعره منهج الأقدمين من الشعراء فى جزالة اللفظ ونفاة للمعنى . وشعره أشبه بشعر البحتري<sup>(١)</sup> إلا أنه غلب فى الفخر والمجاسة ، وتنزه عن عيب الوليد ومجونه . قال الثعالبي : « وهو أشعر الطالبين من معنى منهم ومن خبر على كثرة شعوائهم المفلقين . ولو قلت إنه أشعر قریش لم أبعد عن الصدق » ثم قال بعد ذلك : « ولست أدري فى شعراء العصر أحسن تصرفاً فى المرائى منه » . وكان على مكانته فى الشعر راسخ القدم فى الكتابة ، بعيد الشاؤ فى الترسى . ولو كان حقاً ما يقال من أن له بدأ فى نهج البلاغة لما تردد منصف فى الحكم بأنه أكتب الكتاب فى العريضة ؛ لأن نهج البلاغة هو فى المجل الثانى من كتاب الله وحديث رسوله بلاغة وبياناً :

### مؤلفاته

ألف هذا الشاعر فى معانى القرآن كتاباً يدل على تضلعه فى النحو واللغة وأصول الدين ، وكتاباً آخر فى مجازات القرآن . وله مجموعة رسائل وديوان شعر ؛ ثم كتاب نهج البلاغة وهو ما جمعه من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب . ومن الناس من يميل إلى أن أكثر هذا الكتاب من صنع الشريف ؛ لما فيه من التعرض للصعابة بالأذى والهجر ، ولأن ما فيه من فلسفة الأخلاق ، وقواعد الاجتماع ، ودقة الوصف ، وتكلف الصنعة ، ليس فى إمكان ذلك العصر ولا فى طبعه . والظاهر أن الشريف جمع كل ما نسب إلى الإمام وفيه الصحيح والمشوب .

---

(١) تجد مثالا لذلك إذا وازمت بين قصيدة الشريف فى مدح الطاهر باقر وبين قصيدة البحتري فى مدح التوكل وقد أتينا فى ترجمة كل منهما بخطبة من قصيدته .

### نموذج من شعره

قال من قصيدة له في مدح القادر بالله واستعطافه وقد ترسم فيها خطي البحتري  
في مدح المتوكل :

لله يومٌ اطلعتك به السلا	علماً يزاول بالعمون ويرشق
لما سمت بك عزة مومسوقة	كالشمس تبهر بالضياء وتومق
وبرزت في برد النبي وللهدي	نورٌ على أسرار وجهك مشرق
وكان دارك جنةً حصباؤها الجا	ديٌ أو أنماطها الاستعبرق
في موقف تفضي العمون جلالةً	فيه ويعثر بالكلام المنطق
وكانما فوق السرير وقد سما	أسدٌ على نشرات غاب مطرق
والناس إما راجع متهب	بما رأى ، أو طالع منشوق
مالوا إليك محبة فتجمعوا	ورأوا عليك مهابة فتفرقوا
وطعت في غرر الكلام بفيصل	لا يستقل به السنان الأزرق
وغرست في حب القلوب مودة	تزكو على مرّ الزمان وتورق
وأنا القريب إليك فيه ودونه	ليدّى عدوك طود عز أعتق
عظماً أمير المؤمنين فإننا	في دوحة العلياء لا تفرق
ما بيننا يوم الفخار تغلوت	أبدأ ، كلالنا في العالي مئرق
إلا الخلافة ميزتك فإنني	أنا عاطل منها وأنت مطروق

### الطغرائي

المتوفى سنة ٥١٣ هـ

### نسأته وحياته

هو العميد أبو إسماعيل الحسين بن علي المعروف بالطغرائي نسبة إلى مهنته أول  
حياته . فقد كان يكتب الطغراء ( الطرة ) في أعلى الكعب بخط خاص فيها نعوت

السلطان وألقابه . ولقد بأصبهان من أسرة فارسية ثم تقلب في ظل آل سلجوق حتى وُزر للسلطان مسعود السلجوقي بالموصل ، وصار ينعت بالأستاذ ويلقب بالمشي . فلما نشبت الحرب بين السلطان مسعود وبين أخيه السلطان محمود بالقرب من همدان وكانت النعرة لثانيهما أخذ الطغرائي أسيراً ، ثم أغراه وزيره نظام الدين بقتله ، ومالاه عليه بعض حسدته من رءوس الكتاب فرماه عنده بالإلحاد فقتل ظلماً سنة ٥١٣ هـ .

### شعره

شعر الطغرائي عامر الأبيات ، متين القافية ، مختار اللفظ ، يغلب فيه الفخر والحكمة . ونثره من طبقة شعره في إحكام الصنعة ورصانة الأسلوب . وله ديوان شعر كبير أكثره في مدح السلطان سميد بن ملك شاه ونظام الملك . وخير ما فيه قصيدته اللامية المشهورة بلامية المعجم ، وهي من عيون الشعر ومختاره . قالها ببغداد يندب الزمان ويشكو الإخوان أثناء عطلة له من العمل . وقد أفردها العلماء بالشروح ما بين كبير وصغير . قال في مطلعها :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل      وحلية الفضل زانتني لدى العطل  
مجدى أخيراً ومجدى أولاً شرعاً      والشمس رأت الضحى كالشمس في العطل  
ومنها :

حب السلامة يثنى هم صاحبهِ      عن المعالي ويفرى للرء بالسكل  
فإن جنحت إليه فأنخذ فققاً      في الأرض أو سلماً في الجو فاعتزل  
ودع غمار العسلا للمقدمين على      ركوبها واقتنع منهم بالبلل  
رضا الدليل بمقتض العيش مسكنة      والعز تحت رسم الأيتق الذلل  
وقال وقد رزق مولوداً على كبره :  
هذا الصغير الذي وافى على كبره      أقر عيني ولكن زاد في فكري



سبع وخمسون لو مرت على حجر  
ومن قوله في الفخر:

أبي الله أن أسمو بنير فضائي  
وإن كرمت قبل أوائل أسرتي  
وما المال إلا عارة مستردة  
إذا لم يكن لي في الولاية بسطة  
ولا كان لي حكم مطاع أجيزه  
فأعذر إن قصرت في حق مجتد  
أأكفي ولا أكفي؟ وتلك غضاضة  
من الحزم ألا يضجر المرء بالدي  
إذا جلد في الأمر خان ولم يمن  
ومن يستين بالصبر نال مراده  
وإذ ما سما بالمال كل مسود  
فإني بحمد الله مبدأ مؤددي  
فلا بفضل كأتروني ومجدي  
يطول بها باع وتسلو بها يدي  
فأرغم أعدائي وأكبت حسدي  
وآمن أن يعتادني كيد متدي  
أرى دونها وقع الحسام المهدد  
يعانيه من مكروهة فكان قد  
مريرة عزمي ناب عنه تجلدي  
ومن يستين بالصبر نال مراده  
ولو بعد حين - إله خير مسدد

### الشعر والشعراء في الشام

كانت دمشق في عهد الأمويين حاضرة الخلافة ، وقاعدة الملك ، ومقر الجند ، ومقل الإسلام ، ومناط الأمل . فشغلها أدب السيف عن أدب القلم ، وألهاها عن حل الكتاب حل العلم ، وخلصتها خوالج الرياسة والسياسة عن رواية الأدب وقرض الشعر ، فتخلت عنها العراق والحجاز ، فزخرت مدنها بالشعراء ، وغصت بحالسيها بالأدباء . وقد علت كيف كان أثر معاوية وأخلاقه في إذكاء هذه النهضة .

فلما أдал الله العباسيين من الأمويين والفرس من العرب ، وبغداد من دمشق ، فترت حركة الأدب في الشام ، فما كان يصدر عنها ولا يرد إليها ، حتى تملك بنو حمدان في القرن الرابع على حلب ، وهم كما قال الثعالبي : ملوك وأمراء ألسنتهم للفصاحة ، وأيديهم للسباحة ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، وواسطة

قلادتهم ، وهو أديب بارع وشاعر مطبوع ، ذلك مُدَّح ؛ فوطاً كنفه للأدياء  
والشعراء والعلماء ، حتى ( ليقل إنه لم يجتمع بيب أحد من الملوك بعد الخلفاء  
ما اجتمع بيباه من شيوخ الشعر ونجوم الشعر ، وإنما السلطان سوق يجلب إليها  
ما ينفق لديها ) .

والطريقة الغالبة على أهل الشام في الشعر هي طريقة البعثري في إظهار اللفظ  
الجزل ، والأسلوب القصيح السهل ، دون تعمق في المعنى ، ولا إفراط في الإيجاز .  
وقد سمع الثعالبي عن صاحب بن عباد أنه كان يُعجب بها ، وينهل من أديها .  
وَرَوَى هو أيضاً عن الخوارزمي أنه قال : « ما فتى قلبي ، وشغذ فمي ، وصقل  
ذهني وأرهف حدسائي ، وبلغ بي هذا اللبغ إلا تلك الطرائف الشامية ،  
والطوائف الحلبية ، التي علفت بحفظي ، وامتزجت بأجزاء نفسي ، وغصن  
الشباب رطوب » .

وكنى الشام غفراً أن أعادت إلى العرب في أبي تمام والبعثري والمغني  
وأبي فراس وأبي العلاء سبق الشعر بمد أن غلبهم عليه متعربو الفرس وأبناء  
الروال في صدر هذا العصر .

وسنقتصر على الترجمة بهؤلاء النابغين منهم ، فإن الإحاطة بهم ، والكشف  
عن مفاسد أديهم ، لا يتسع لها صدر هذا المختصر .

## أبو تمام

١٨٨ — ٢٣١

نشأته ومبائه

ولده حبيب بن أوس الطائي بقرية يقال لها جاسم من أعمال دمشق . ثم انتقل  
أبوه إلى دمشق يحترف الحياكة وهو معه في خدمته . فلما تهرع غادرها إلى  
مصر فكان يسقى الماء بجامع عمرو ويستقي من أدب علمائه . ولم يزل يحفظ

الأشعار ويحاكي الشعراء فيصادفه التوفيق مرة ويخطئه أخرى ؛ حتى بلغ من الشعر مبلغا لم يزاحمه فيه أحد من أهل عصره . وقد سار به شعره إلى أسواق الأدب في أنحاء البلاد ، فنادر مصر يغشى منازل الكرماء ويضيا ظل النعمة . فأقبل عليه عشاق الأدب واللدح إقبالا لم يُبق لغيره مجالا ، حتى لم يستطع أحد من الشعراء أن يكسب درهما بالشعر في حياته . ثم اتصل بأحمد بن المعتصم ومدحه فأجازه بولاية بريد للوصل فوليه عامين ثم مضى لسييله قبل أن يتم الأربعين .

#### صفاته وأهمه

كان أبو تمام أسمر اللون طويل القامة فصيحاً حلوا الكلام فيه تمتمة بسيرة . وكان ذكي الطبع حاضر البديهة قوى الذاكرة . قيل : إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير القصائد وللقطوعات . وكتابا الحماسة وفحول الشعراء ناطقان بذلك . ويدل على فطنته وسرعة خاطره أنه لما أنشدا أحمد بن المعتصم قصيدته السينية التي يقول في مطلعها :

ما في وقوفك ساعة من باس      تقضى ذمام الأربع الأدراس  
ووصل إلى قوله فيها :

إقدام عمرو في ساعة حاتم      في حلم أحنف في ذكاء إياس  
قال أبو يوسف الكندي الفيلسوف وكان حاضرا : الأمير فوق من وصفت .  
وما زدت على أن شبهته بأجلاف العرب . فأتى أبو تمام قليلا ثم قال على البديهة :  
لا تنكروا ضربى له من دونه      مثلا شرودا في الندى والباس  
فأله قد ضرب الأقل للنوره      مثلا من للشكاة والنهراس

ولما أخذت منه القصيدة لم يجدوا فيها هذين البيتين فغضبوا . وقال الفيلسوف للخليفة : مهما يطلب فأعطه ، فإن فكره يأكل جسمه كما يأكل السيف للهند غمده ، ولا يعيش كثيرا : فولاه بريد للوصل .

### شعره

أبو تمام رأس الطبقة الثانية من اللوادين . جمع بين معاني للتقدمين والمتأخرين ، وظهر الحضارة راقية ، والمعلوم مترجمة ، فحصف عقله ولطف خياله بالاطلاع عليها . واستنبط من ذلك طريقته التي آثر فيها تجويد المعنى على تسهيل العبارة فكان أول من أكثر من الاستدلال بالأدلة العقلية والكنائيات الخفية ولوأفضى ذلك إلى التعقيد . وكأنه لما رأى أن سلاسة اللفظ قاتته أراد أن يجبر ذلك الكسر فتوخى الجلباس والمطابقة والاستعارة ، فسلم له بعض واعتل عليه بعض ، فصار كالكلف في صفحة البدر . ومع هذا قد سلم له من كلامه جملة لم يحسم حولها السابقون وقصر عنها اللاحقون : معان مبتكرة ، وألفاظ متخيرة ، ضمنها من الأمثال والحكم ما زاد في ثروة الأدب العربي ، ومهدلن خلفه الطريق فسلكتها المتنبي وأبو العلاء إلى حكمهم وأمثالهم . واغلبة الحكمة عليه قيل : « أبو تمام والمتنبي حكيان ، والشاعر البعري » ، وقد كثر اختلاف الناس فيه ؛ فمنهم من تعصب له وأفرط حتى فضله على كل سلف وخلف . ومنهم من حمد إلى جيده فطواه ، وإلى رديته فرواه . ولكن لسان المدح كان أظلم ، فقد فضله من الرؤساء والاهلفاء مالا قبل للطاعنين عليه بهم . قال محمد بن عبد الملك الزيات وقد مدحه بقصيدة شاعرة : « يا أبا تمام إنك لتُحلى شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد حسنا على بهي الجواهر في أجياد الكواعب . وما يُدخر لك شيء من جزيل المكافأة إلا ويقصر عن شعرك في الموازاة » .

وقد جمع شعره في ديوان طبع مرارا . وله غيره كتابا الحماسة وفحول الشعراء جمع فيهما هيون الشعر وغرره في الجاهلية والإسلام . وقد أحسن في الاختيار جد الإحسان حتى قيل إنه في اختياره أبلغ منه في شعره .

### نحوذج من شعره

من أبدع قصائده قوله .

خلدت تستجير الهمع خوف نوى غد      وعاد قتاداً عندها كل مرقد  
وأقننها من غمرة اللوت أنه      صلود فراق لا صلود تعد  
فأجرى لما الإشفاق دماً مورداً      من الهم يجرى فوق خد مورد  
ويقول فيها في الحث على الاغتراب ؛ ولوتأملت وجدته يتوخى الطباق  
في كل بيت :

ولكنني لم أخو وفراً مجمعاً      ففرت به إلا بشل مبدد  
ولم تعطني الأيام نوماً مسكناً      ألق به إلا بنوم مشرد  
وطول مقام للرء في الحى مخلقاً      لذي حاجته فاعترب تتجدد  
فإني رأيت الشمس زيدت محبةً      على الناس أن ليست عليهم بسرمد  
ومن قوله :

نقل فؤادك<sup>(١)</sup> حيث شئت من الهوى      ما الحب إلا للعبيب الأول  
كم منزل في الأرض يأنفه الفتى      وحنينه أبداً لأول منزل  
وقال في رثاء محمد بن حميد الطوسي :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر      فليس لعين لم يقض ماؤها عنذر  
توفيت الآمال بعد محمد      وأصبح في شغل عن السفر السقر  
ألا في سبيل الله من عطلت له      فيجأج سبيل الله وأثغر الثغر  
فتى كلما قاضت عيون قبيلة      دماً خحككت عنه الأحاديث والذكر  
فتى دهره شطران فيما ينوبه      فتى بأسمه شطر وفي جوده شطر

(١) من عجب توارد الخواطر أن هذا الذي بينه سار به مثل فرسي وهو :

L'homme revient toujours  
A ses premiers amours

قتى مات بين الطمن والضرب موتة      تقوم مقام النصر إذ فاته النصر  
وما مات حتى مات مضرب سيفه      من الضرب واعتلت عليه القنا السمر  
تردّى ثياب اللوت حمرًا فما دجا      لما الليل إلا وهى من سندس خضر

وقال في اللدح :

حوّل ، لافعاله مرتّع القدم (م) ولا عرضه مراح العيوب  
سرح قوله إذا ما استمرت عقدة اليمى فى لسان الخطيب  
لا ممتى بكل شيء ولا كل (م) عجيب فى عينه بمعجب  
ليس يعرّى عن حلق من طراز لا مدح من راجز بها مستثيب  
وإذا حكت راحب سلبته راح طلقا كالكوكب المشبوب  
مامهاة الحجال مسلوبه أظ رف حسنا من ماجد مسلوب  
واجد بالخليل من برحاء الش وق وجدان غيره بالحبيب  
كل شعب كنتم به آل وهب فهو شعبى وشعب كل أديب  
إن قلبي لكم لكابد الحرى ي وقلبي لغيركم كالقلوب

وقال أيضا :

إذا حركته هزة الجدد غيرت عطاياها أسماء الأمانى الكواذب  
يرى أقبح الأشياء أوبة آمل كسته يد للأمول حلة خائب  
وأحسن من نور تفتحه الصبا ياض العطايا فى سواد لطلال

### البحرى

٢٠٦ — ٢٨٤ هـ

### تأثر وميات

أبو عبادة الوليد بن عبيد الله الطائى عربى صميم ولد بمذبح ( بين حلب

والقرات ) سنة ٢٠٦ ونشأ في البادية بين قبائل طيء وغيرها فغلبت عليه فصاحة العرب . ثم خرج إلى بغداد فلقى أبا تمام ووزمه حتى تخرج عليه واقتبس طريقته في البديع . وروى عن كثير من العلماء كأبي العباس البرد وطل صنينة لأبي تمام يردد صداه ، ويترسم خطاه ، وحبيب يرشده ويعضده لأنه طائي مثله ، حتى قال له يوماً : « أنت والله يا بني أمير الشعراء غداً بعدى » ، فصدق الله نبوءته . وأصبح البعثرى بعد وفاة أبي تمام سائر الشعر طائر الذكر إماماً في الأدب والقريض . وأقام بالمراق في خدمة للتوكل والفتح بن خاقان وزيره إلى أن قُتل على مشهد منه ، فرجع بعدئذ إلى منبج . وكان يختلف أحياناً إلى سراة بغداد « وسُرَّ من رأى » فيمدحهم حتى مات سنة ٢٨٤ .

### صفات وأهوقه

كان البعثرى على أدبه وفضله ورقته من أوسع خلق الله ثوباً وأجلهم على نفسه وغيره . وكان من أبيض الناس إنشاداً : يتشادق ويتزاور في مشيته جانباً أو القهقري ، ويهز رأسه مرة ومفكيه أخرى ، ويشير بكفه ويقف عند كل بيت ويقول : أحسنت والله ! ثم يقبل على السامعين قائلاً : مالكم لا تقولون أحسنت ؟ هذا والله مالا يحسن أحد أن يقول مثله . ولكنه كان منصفاً يعترف بالفضل لأهله ولا يدعى ماليس له . قال له بعض الناس وقد سمع شعره : أنت أشعر من أبي تمام . فقال : ما يتعنى هذا القول ولا يضرب أبا تمام . والله ما أكلت الخبز إلا به ، ولوددت أن الأمر كما قالوا ، ولكني والله تابع له ، آخذ منه لا تذب به ، نسيي يركد عند هوائه ، وأرضي تنخفض عند سجاته !

### شعره

ترسم البعثرى خطو أبي تمام في الشعر ومضى على أثره في البديع ، إلا أنه أجاد في سبك اللفظ على المعنى « وأراد أن يشرفني » كما قال فيه ابن الأثير

واستمد معانيه من وحى الخيال وجمال الطبيعة لا من قضايا العلم والنطق ، فأعاد للشعر مذهب من بهجته ودروعه . وإلى ذلك أشار للتنبى بقوله : « أنا وأبو تمام حكيان ، والشاعر البحتري » ، ثم صارت له طريقة خاصة في الجزالة والمذوبة والفصاحة امتاز بها من أستاذه ومدربه ، نهجها معاصروه ومن جاء بعدهم من الشعراء وعرفت بطريقة أهل الشام . وقد تصرف أبو عباد في فنون الشعر إلا في المجهاء ، فإن بضاعته فيه نزرة وجيدة منه قليل . ويقال إنه أحرق هذا النوع قبل موته وهو الأرجح ولم يسلم شعره من الساقط الغث لكثرت ، وإنما يمتاز بالإجادة في اللدح والقصد فيه ، والقدرة على تصوير أخلاق المدوح ، والإبداع في وصف القصور الفخمة والأبنية المعبية ، كوصف إيوان كسرى<sup>(١)</sup> وبركة المتوكل ، وقصر المعتز بالله . وقصائده تكاد لا تخلو من افتتاح بالفضل . وقد جمع شعره أبو بكر الصولي ورتبه على الحروف . وله غيره كتاب معاني الشعر وحاسة البحتري . وهي كحاسة أبي تمام ، إلا أنها تمتاز بكثرة أبوابها وخلوها بما تنبؤ الأسماح عنه ؛ وقد طبعت في بيروت .

### نموذج من شعره

من قوله في وصف بركة للتوكل :

تنصَّبُ فيها وفودُ الماء مُمَجَّلَةٌ	كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة	من السبائك تجري في مجاريها
إذا علتها الصبا أبدت لها حُبكا	مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضحكها	وريق الفيت أحيانا يباكيها
إذا النجوم تراءت في جوانبها	ليلا حسبت سماء رُكبت فيها

وقال يمدح الخليفة المتوكل ويهنته بعيد الفطر :

(١) قصيدة البحتري في وصف إيوان كسرى من بدائع الشعر العربي الخالد ، وقد أوردنا أكثرها في التماذج .



هاليز صمت وأنت أفضل صائم      وبسنة الله الرضية تنظر  
 فأنعم يوم الفطر عينا إله      يوم آخر من الزمان مُشهر  
 أظهرت عزّ لك فيه بحفل      لجب يحاط الدين فيه وينصر  
 فالخيل تمهل والقوارس تدعى      والبيض تلع والأسنة تزهر  
 والأرض خاشعة تميد بتقلها      والجو متكرّ الجوانب أغبر  
 والشمس طالعة توقد في الضحى      طورا ويطفئها العجاج الأكر  
 حتى طلعت بنور وجهك فأنجل      ذاك الدجى وأنجاب ذاك المثير  
 فاقنّ فيك الناظرون فإصبح      يوحى إليك بها وعين تنظر  
 ذكروا بطلعتك التي فهلوا      لما طلعت من الصفوف وكرروا  
 حتى انتهيت إلى المصلى لابساً      نور الهدى بيدك عليك وبظهر  
 ومشيت مشية خاشع متواضع      لله لا يُزهي ولا يتكبر  
 فلو أن مشاعا تكلف فوق ما      في وُسعه لسى إليك المبر  
 أبدت من فصل الخطاب بحكمة      تنبى عن الحق المبين وتخير  
 ووقفت في بُردِ النبي مذكراً      بالله تنذر تارة وتبشر  
 ومن قوله في الطيف :

إذا ما الكرى أهدى إلى خياله      شفى قربه التبريح أو وقع الصدى  
 إذا انتزعت من يدى انتباهه      حسبت حبيباً راح منى أو خذا  
 ولم أر مثلياً ولا مثل شأننا      نُدب أبقاظاً ونعم هُجدا

### المتنبي

٣٠٣ — ٨٣٥٤

### نُتأروميّة

أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي ولد بالكوفة من أبوين فقيرين . كان

أبوه سقاء بالكوفة . ثم سافر به وهو صغير إلى الشام منتقلا من البادية إلى الحاضرة يسلمه إلى المكاتب ، ويردده في القبائل ، ومخايله نواطق بفضل ، ضوامن لتجعه ، حتى توفي أبوه وقد ترعرع الشاعر ونال حظه من علوم اللغة والأدب فأخذ يضرب في الأرض اجتفاء للرزق واكتسابا للجد .

وكان المتنبى منذ نشأته كبير النفس على الهمة طموحا إلى المجد . بلغ من كبر نفسه أن دعا إلى بيعته<sup>(١)</sup> بالخلافة وهو لذن العود حديث السن . وحين كاد يتم له الأمر تأدى خبره إلى والى البلدة فأمر بحبسه . فكتب إليه من السجن قصيدة منها :

أمالِكَ رَقِي وَمِنْ شَأْنِهِ هَبَاتُ اللَّجَيْنِ وَعَتَقَ الْعَبِيدَ  
دَعْوَتِكَ عِنْدَ اقْتِطَاعِ الرِّجَا ، وَالْمَوْتُ مِنْ كَيْلِ الْوَرِيدِ  
دَعْوَتِكَ لَمَّا بَرَأَنِي الْبَيْلِ وَأَوْهَنَ رَجُلِي قَلْبُ الْحَدِيدِ  
تَعَجَّلْ فِيَّ وَجُوبَ الْحُدُودِ وَحَدِّى قَبْلَ وَجُوبِ السُّجُودِ<sup>(٢)</sup>  
فأطلقه . ولكن حب الرئاسة لم يزل متمكنا من قلبه إلى أن أخلق بُرْدَ  
شبابه وتضاعفت عقود عمره . وفي سنة ٣٢٣ ادعى النبوة في الشام وقتئذ شرذمة  
من الناس بقوة أدبه وسعر بيانه . ولما سئل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
إنه بشر بمجيشي وأخبر بنبوتى . فقال : لا نبى بعدى ، وأنا اسمى في السماء .  
( لا ) . وصنف كلاما عارض به القرآن . فلما اشتهر أمره قبض عليه لؤلؤ أمير  
حمص نائب الأخشيدي ، فأوثقه ثم أطلقه بعد أن استتابه . وتفرق عنه أصحابه .  
فطلق يتجشم أسفارا أبعد من آمله ، ولا زاد إلا صبره ، ولا عدة إلا بأسه .  
كما يتجلى ذلك في مثل قوله :

وجيد من الخللان في كل بلدة إذا عظم المطلوب قل المساعد  
وقوله :

(١) اليعبة ١ ص ٧٩ .

(٢) يريد : أنى سمى لم أبلغ الحلم فيجب على السجود ، فكيف يجب على الحدود ؟

ضاق صدرى وطال في طلب الرزق ق قيايى وقل عنه قعودى  
أبدأ أقطع البلاد ونجى فى نحوس وهمى فى سمود  
ولم يزل هكذا حتى اتصل بأبى العشار وإلى أنطاكية من قبل سيف الدولة  
وامتدحه ، فأكرم مثواه وقلمه إلى سيف الدولة وعرفه بمنزلته من الشعر والأدب .  
فضمه الأمير إليه وحسن موقعه عنده ، فسلمه إلى الرواض فعلموه القروسية والطراد .  
حتى لا يفارقه فى الحرب ولا فى السلم . وأقم وطابه ودرت له أخلاف الدنيا على  
يده ، حتى كان من قوله فيه :

تركت الشرى خلفى لمن قل ماله وأنطت أفراسى بنعاك عسجدنا  
وقيدت نفسى فى هواك عجة ومن وجد الإحسان قيذاً تقيداً  
ولم يزل معه فى حال حسنة حتى حدثت بينهما جفوة ففارقه <sup>(١)</sup> إلى مصر  
فى سنة ٣٤٦ . ومدح كافوراً الإخشيدى وأبا شجاع . وأقام فى مصر ردها من الزمن  
يرقب الفرصة من كافور فيصعد المجد على كاهله . فاهو إلا أن قال :  
أبا للسك ، هل فى الكأس فضل أناله فإنى أغنى منذ حين وتشرب  
وقال :

وهل نافى أن ترفع الحجب بيننا ودون الذى أملت منك حجاب  
وفى النفس حاجات وفيك فطانة سكونى بيان عندها وخطاب  
حتى أوجس كافور منه خيفة ، لتعاليه فى شعره وطموحه إلى الملك ، فزوى عنه  
وجهه ، فهجاء وقصد بغداد . ولم يمدح الوزير للهلبى لأنه كان يترفع عن مدح غير  
الملك ، فشق ذلك على الوزير فأشلى عليه شعراء بغداد فقالوا من عرضه ومن  
شعره : ولكنه لم يحبهم ، وذهب قاصداً أرجان لزيارة الفضل بن العميد فكتب  
إليه الوزير صاحب بن عباد يستزيره بأصبهان طامعاً أن يمدحه فلم يقم له وزناً ،  
وأمّ عضد الدولة بشيراز . فأوغر عليه قلب صاحب وأخذ يتبعه فواته ، وهو أعلم

(١) أثر هنا الترانى فى أبى الطيب فاضرب أمره وتراجع شعره . ولا هو بى آخر  
أيامه على ذلك قال : قد تموزت فى قولى ، وأحيت طبعى ، واختمت الراحتمندارات آل عدنان .

الناس بحسناته — وعنى عليه هو وأشياعه حرباً قلبية ، وألقوا الكتب في نوره  
ورموه بالسرقه والخروج عن الأساليب العربية ، وهو لا يأبه لهم ذهاباً بنفسه  
وإعجاباً بشعره .



ولما حصل عند عضد الدولة أسبغ عليه نعمته ووصله بثلاثة آلاف دينار  
وخيل وثياب ؛ ثم دس عليه من يسأله : أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ؟  
فقال له : هذا أجزل إلا أنه متكلف ، وسيف الدولة كان يعطى طبعاً . فغضب  
عضد الدولة من ذلك . ويقال إنه جهز عليه فانكراً الأسدي في قوم من بني ضبة ،  
فعرض له بالصفافية من سواد بغداد واقتلا . فلما رأى العائرة عليه هم بالفرار .  
فقال له غلامه : لا يتحدث الناس عنك بالفرار وأنت القاتل :

الخليل والليل والبيداء تعرفني      والسيف والرمح والقرطاس والقلم  
فقاتل حتى قتل هو وولده وغلامه في أواخر رمضان من سنة ٥٣٥٤ .

### شعره

المتنبي شاعر من شعراء المعاني ؛ وفق بين الشعر والفلسفة ؛ وجمل أكثر  
هنايته بالمعنى ؛ وأطلق الشعر من القيود التي قيد بها أبو تمام وشيعته ، وخرج  
به عن أساليب العرب التقليدية . فهو إمام الطريقة الابتداعية <sup>(١)</sup> في الشعر  
العربي . ولقد حظى في شعره بالحكم والأمثال ، واختص بالابداع في وصف القتال ،  
والتشبيب بالأعرايات ، وإجادة التشبيه ، وإرسال للثلثين في بيت واحد ، وحسن  
التخلص ، وصحة التقسيم ، وإبداع للديج ، وإيجاع المهجاء . وأخص ما يميز المتنبي

(١) الابتداعية كما قلنا من قبل ترجمة معنوية لكلمة *Romantique* لأن أهل هذه  
الطريقة من الألمان والإنجليز والفرايين قد خرجوا على الطريقة الاتباعية *Classique* بإبداع  
أسلوب جديد الأهر في أوروبا بعد عتاء طويل وفصل عتيف بين أرياب الطريقتين . وإن في  
خروج أبي الطيب المتنبي وابن هاتمه الأندلسي وأبي العلاء المعري وأضرابهم على أساليب العرب  
المقصودة وإطلاقهم الشعر من قيود الصنعة ما يفهم تلك الطريقة .

بروز شخصيته في شعره ، وصدق إيمانه برأيه ، وقوة اعتداده بنفسه ، وصحة تعبيره  
عن طبائع النفس ومشاكل الناس وأهواء القلوب وحقائق الوجود وأنراض الحياة ؛  
ولذلك كان شعره في كل عصر مدحاً لكل كاتب ، ومثلاً لكل خاطب .

### هيوب شعره

بيت المتنبي يضيق أحياناً بمعناه فيعسر فهمه ، وتبعد غايته منه فيطيش سمعه .  
وقد بلغ من إهماله اللفظ أن وقع في بعض المساوئ ، كاستكراه اللفظ ، وتعقيد  
اللفظ ، واستعمال الغريب ، وقبح الطالع ، ومخالفة القياس ، وكثرة التفاوت  
في شعره ، والخروج في اللبالة إلى الإحالة ، كقوله :

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه      ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف  
وقوله :

أنى يكون أبا البراء آدم      وأبوك والثقلان أنت محمد<sup>(١)</sup>  
وقوله :

لو لم تكن من ذا الوري الذي منك هو      عصمت بمولده نسلها حواء  
والاستشهاد على كل ذلك يخرج بنا إلى التطويل فارجع إلى يتيمة الدهر للشعالي .

### نموذج من شعره

قال يشكو الزمان :

لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدى	شيئاً تتيه عين ولا جيد
ياساقى آخر في كؤوسكا	أم في كؤوسكا هم وتسويد ؟
أصغرة أنا ؟ ما لي لا تغيرنى	هذى للدام ولا تلك الأناشيد ؟
إذا أردت كيت الخمر صافية	وجدتها وحبيب النفس مفقود

(١) تقديره : أنى يكون آدم أبا البراء وأبوك عند وأنت الثقلان .

ماذا لقيت من الدنيا ؟ وأجيبها  
وقال يتفلسف :

نحن بنو اللوت فما بالنا  
تبخل أيدينا بأرواحنا  
فهذه الأرواح من جوهر  
لوفكر الماشق في متع  
لم يُرقن الشمس في شرقه  
يموت راعي الضأن في جهله  
وربما زاد على عمره  
وغاية للفرط في سلمه  
وقال :

نصيبك في حياتك من حبيب  
رمان الدهر بالأرزاء حتى  
فصرت إذا أصابني سهام  
وهافت فما أبالي بالرزاء  
وقال :

محب الناس قبلنا ذا الزمانا  
وتولوا بنصبة كلهم من  
ربما تحسن الصنيع ليالي  
وكانا لم يرض فينا برب الله  
كلما أنبت الزمان قناه  
ومراد النفوس أصغر من أن  
غير أن الفتي يلاق للنالا  
ولو أن الحياة تبقى لحي  
وعنام من أمره ما عدنا  
ه وإن سر بعضهم أحيانا  
ه ولكن تكدر الإحسانا  
ر حتى أماته من أمانا  
رغب للره في القناه منانا  
تعالى فيه وأن تتفاني  
كالحات ولا يلاق الهوانا  
لعدنا أضلنا الشجانا

وإذا لم يكن من اللوت بُدٌّ      فن العجز أن تموت جباناً  
وقال أيضاً :

زودينا من حسن وجهك ما دام      م فحسن الوجوه حال تحول  
وصيلنا نصلك في هذه الدهر      يا فإن للقام فيها قليل

أبو فراس الحمداني

٣٢٠ — ٣٥٧ هـ

نشأته ومبانيه

هو أبو الطاهر بن أبي العلاء ابن عم سيف الدولة . ولد بمنبج ورُبِّي في حبر  
النعم بين أئمة الملك وعزة السلطان . فنشأ على خلال العطاء شجاعاً أبي النفس  
سليم الطبع ، كريم الخلق ، جامعاً بين أدبي السيف والقلم . وكان سيف الدولة  
محبباً بمحاسنه مؤثراً له على سائر قومه ، فاصطفاه لنفسه ، واصطاحبه في غزواته ،  
واستخلفه في أعماله ؛ فكان الدرّة الفريدة في تاج سيف الدولة ، يقود جيوشه  
في الحرب ، ويرأس كتابه في السلم . وكان النصر حليفه في كل وقائمه ، فالت  
إليه القلوب ولهجت بذكره الألسن ، وانطلق لسانه برائع الشعر في القصر والحاسة  
ووصف الحروب ، حتى خانه الفوز فأسرهُ الروم في بعض اللواقع وهو جريح قد  
أصابه سهم ببق نعله في فخذه ، فسجنوه بخرشنة ، ثم نقلوه إلى القسطنطينية .  
وتعذرت المفاداة فلبث في الأسر أربع سنين ظهرت فيها أشعاره الروميات مملأى  
بمواعظ الحب والحبين إلى أهله وأصحابه ، ممثلة ما يكن صدره من لواعج الشوق  
لأمة العجوز وابنته الوحيدة . وعوامل الحب لسيف الدولة . ولم يزل أبو فراس  
يعالج مرازة الأسر وحرارة الشوق حتى تنوَّظ في المدة والأسرى فأطلقه الروم  
بعد أن أكرموه ومجلوه .

« ولما خرج قر البيان من سِراره ، وأطلق أسد الحرب من إساره » ، لم تمهله المنية أن يسترد ما ذهب من شبابه أيام عذابه . فتوفى سيف الدولة وخلفه ولده أبو المعالي ابن أخت أبي فراس ؛ فأراد الأمير الشاعر أن يضم إليه مدينة حمص فأبى عليه ذلك أبو المعالي ، وجرت بينهما معركة قتل فيها أبو فراس وهو لهنّ العود غص الإهاب .

### صفات وأغراض

كان أبو فراس كما قدمنا بطلاً أياً سخياً معجباً بشعره وبفنه ، كثير الفخر بأصله وقومه ، عزوفاً عن الشراب والمجون ؛ فبرى شعره من كل ذلك وانطبت أخلاقه فيه . وهو القائل :

لئن خلق الأنعام لحسّو كأس      ومزمار وطنبور وعود  
فلم يُخلق بنو حـمدان إلا      لجد أو لباس أو لجود

### شعره

شعر أبي فراس على مثال الشعر القديم متانة وأسلوباً ، إلا أن عليه رؤاه الطبع ، وسمّة الظرف ، وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله ابن المعتز . وكان الصاحب بن عباد يقول : « بدى الشعر ملك وختم بملك » يعنى امرأ القيس وأبا فراس . وقد تصرف هذا الشاعر في أغلب فنون الشعر فأجاد ، إلا أن منزلته في الفخر والاستعطاف والعتاب أعلى ، وروميته أجمل وأدل على فضله ؛ فإن مثله لا يزكوه أن يمدح أميراً ، أو يهجو صغيراً ، أو يذيل مصوناً شعره بين الشراب والمجون ، فقد علمنا كيف نشأ وأين درج . وله غزل رقيق تتضاءل فيه عزة الملك أمام سلطان الحب ، فيكون أتم جلالاً وأشد روعة . وزعم الثعالبي أن المتنبي كان يشهد له بالتبريز ويحجاني جانبه ( فلا يبرى لمهاراته ، ولا يجترىء



على مجاراته ، وإنما لم يمدحه ومدح غيره من آل حمدان تهيئاً له وإجلالا  
لا إغفالا ) ، وهو زعم لا يطمئن عليه القلب ، ولا يقول به من عرف المتنبي .

### نموذج من شعره

قال وقد سمع حمامة تنوح على شجرة بالقرب من سجنه بالقسطنطينية :  
أقول وقد ناحت بقرني حمامة      أيا جارتا لو تشعرين بحالي  
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى      ولا خطرت منك الموم بهال  
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا      تعالى أقامك الموم تعالى  
تعالى ترى روحاً لدى ضعيفة      تردد في جسم يندب بالي  
أيحمل محزون الفؤاد قوادم      على غصن نأى المسافة عالى ؟  
أيضحك مأسور وتبكي طليقة      ويسكت محزون ويندب سالى ؟  
أقد كنت أولى منك بالدمع مقالة      ولكن دمي في الحوادث غالى  
ومن قصيدة له إلى سيف الدولة يستعطفه :

بمن يثق الإنسان فيما ينوبه      ومن أين للعز الكريم حجاب ؟  
وقد صار هذا الناس إلا أفلهم      ذئاباً على أجسادهم ثياب  
تغايبت عن قوم فظنوا غباوة      بفرق أغباناً حصى وتراب  
إلى الله أشكو أننا بمنازل      تحكم في آسادهن كلاب  
تمر الليالي ليس للنفع موضع      لدى ولا للمعتفين جناب  
ولا شدلى سرج على متن ساج      ولا ضربت لى بالمرء قباب  
ستذكر ألامى نيمر وعامر      وكعب على علائها وكراب  
أنا الجار لا زادى بطيء عليهم      ولا دون مالى في الحوادث باب  
ومنها :

وما زلت أرضى بالقليل عبة      لديه وما دون الكثير حجاب  
وأطلب إبقاء على الود أرضه      وذكرى منى في غيرها وطلاب

كذلك الوداد المحض لا يرتجى له      ثواب ولا يُخشى عليه عقاب  
وقد كنت أخشى المجر والشل جامع      وفي كل يوم لقية وخطاب  
فكيف وفيما بيننا ملك قيصر      والبحر حولي زخرة وعباب !  
أمن بعد بذل النفس فيما تريده      أثاب بمرّ العتب حين أثاب ؟  
فليتك تحلو والحياة مريرة      وليتك ترضى والأنام غضاب !  
وليت الذي بيني وبينك حامر      وبينى وبين العالمين خراب !  
إذا صبح منك الود فالكل هين      وكل الذي فوق التراب تراب

### أبو العلاء المعري

٣٦٣ — ٤٤٩ هـ

#### نسأته ومبارة

هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي نسبة إلى تنوخ إحدى قبائل اليمن .  
ولد هذا الفيلسوف الحكيم بالمرّة من أبوين شريفيين . فقد كان أبوه من أفاضل  
العلماء وجده قاضياً بالمرّة . فلما بلغ الرابعة من عمره أصيب بالجدري فذهب  
يسرى عينيه وابتضت اليمنى ؛ فنشأ ضريراً لا يعرف من الألوان إلا الحمرة لأنهم  
ألبسوه ثوباً معصفاً وهو مريض فكان هذا اللون أول ما عرفه وآخر ما رأى .  
ولما أدرك سن التعلم أخذ أبوه يلقنه علوم اللسان العربي فتعلّمها . وتلمذ بعد ذلك  
لنفر من علماء بلده فضم إلى صدره ما حوته صدورهم . ولم ير بعد ذلك فيمن حوله  
من سبقه إلى علم ، أو اختص دونه بفهم ، فاشق إلى بيته وقد ناهز العشرين  
من عمره ، وأخذ يدرس اللغة والأدب ويتقرب عن دقائق اللسان وخواص التركيب  
حتى تفوق في ذلك وبلغ منه ما لم يبلغه أحد . وفي سنة ٤٩٢ هـ غادر المرّة إلى  
بلاد الشام . فزار مكتبة طرابلس ، وعالج على اللاذقية ، وكان بها دير للرهبان  
فزل به وأقام بين أهله حتى درس المهددين القديم والجديد . وبعد أن طوف في

بلاد الشام عزم الرحلة إلى بغداد مبعث العلم ومستقر العلماء ليدرس الحسكة اليونانية والفلسفة الهندية . وما أحسن بمقدمه البغداديون حتى تقاطروا إلى لقائه ظمأ إلى أدبه . فأقام بينهم يأخذون عنه العلم والآدب ويبحث هو في علوم الفلسفة حتى جرى فيها شوطا بعيدا . ووجد أبو الملاء في بغداد بيئة صالحة وأرضا كريمة لبحث المسائل وغرس للبإدى . فأخذت آراؤه تظهر وتذيع . واتصلت أسبابه بمجالسة من الفلاسفة الأحرار كانوا يجتمعون كل جمعة في دار أبي أحمد عبد السلام بن الحسن البصرى أحدم فآثر خلاطها في عقله وأدبه . وما كادت علاقته تتوثق بالبغداديين حتى فوجىء على بعد للزار بنى أمه ، وكان أبوه قد توفى قبلها ، فوجد عليها وجدا شديدا ، ونالت منه هذه النازلة . وكان الأمراء والدماء قد أخذوا يرتابون في عقيدته ويشكون في أمره ، فاضطربت حياته ، واختلقت أطواره وأعوز المشفق والبصير . فنظر إلى العالم بمنظار أسود ، وقرر في نفسه العزلة والخروج عن الدنيا . وعاد إلى المرة سنة ٤٠٠ هـ فاعتقل عن الناس إلا عن تلاميذه . وسمى نفسه رهن الحبسين : المنى والنزل . وظل ها كفا على التلميم والتأليف عازفا عن ملذات الحياة لا يأكل الحيوان ولا ما ينتج منه ، قائما من الطعام والحلوى بالعدس والتين . ومن المال ثلاثين دينارا موقوفة عليه في كل عام ، راضيا من الألباس والفراش بفليظ القطن وحصير البردى . وحرم على نفسه الزواج ضنا بنفسه على لؤم الناس وبؤس الحياة . ولم تزل تلك حاله حتى استأثر به الله سنة ٤٢٩ هـ ، وقد أوصى أن يكتب على قبره هذا البيت :

هذا جناه أبى على (م) وما جنيت على أحد<sup>(١)</sup>

ولمات وقف على قبره زهاء ثمانين ومائة شاعر فيهم الفقهاء والمحدثون والمتصوفون .

#### مواهب وعقيدة

كان أبو الملاء إنسى<sup>١</sup> الولادة وحشى التريزة كما وصف نفسه ؛ رقيق القلب

(١) الرأ ترجمته مفصلة في كتاب ( ذكرى أبى الملاء ) للدكتور طه حسين . أو كتاب ( أبو الملاء وما إليه ) لراجكوتى . طبع بالقاهرة .

سخيا وفيا ، قامعا لشهواته ، سىء الفطن بالناس ، شديد الخذر منهم ، قوى -  
الذاكرة ، سريع الحفظ ، وقد رووا عنه في ذلك الأعاجيب ؛ فزعموا أنه كان  
يحفظ ما يفهم وما لا يفهم . وقد قال الشعر لإحدى عشرة سنة . ولم يمنعه ذهاب  
بصره من إجابة التشبيه ومشاركة للبصرين في ألعابهم : فقد كان يجيد لعب  
النرد والشطرنج ويدخل في كل باب من أبواب المزل والجد .

وقد اختلف الناس في عقيدته ، فمنهم من قال إنه ملحد يرى رأى البراهمة .  
وغيرهم يقول : إن شعره ككلام الصوفية له باطن وظاهر . وبعضهم يقول : إن  
هذه الأشعار الغضالة مدسوسة عليه من أعدائه . وأكثر الناس يرجع أنه كان  
شاكا ، فتارة يثبت وأخرى ينفي ، ولذلك كثر التناقض في شعره <sup>(١)</sup> .

### شعره

ينقسم شعر أبي العلاء إلى قسمين : شعر الشباب ويجمعه سقط الزند؛ وشعر  
الكهولة وقد وعته اللزوميات . فأما شعره في الشببية فكثير للمبالغة ، واضح التقليد  
بين التكلف ، قلده فيه المتنبي واستمد منه أكثر معانيه ، واستغنى بقواعد  
اللغة ، وجارى شعراء عصره في البديع . بيد أنه استعمل الغريبوا كثر في شعره

(١) فيينا بأول مثلا :

عجبت لكسرى وأشياعه	وخل الوجوه بسول البحر
وقول النصارى إله ضام	ويظلم جبا ولا ينتصر
وقول اليهود إله يحب	رشاش السماء وريح القدر
وتوم أتوا من أطاس البلاد	لرى الجبار وثم الحجر
فرا مجبا من مملاتهم	أيمى من الحق كل البشر ؟
هفت الخنيفة والصارى ما تمتعت	ويهود حارث والمخوس مضلة
اننان أهل الأرض : ذوقل بلا	دين ، وآخر دين لا عقل له
وبقول : ضحكنا وكان الضحك تائبامة	وحق لكان البرية أن يبكوا
تخططنا الأيام حتى كأننا	زجاج ولكن لا يجد له سبك
إذ به يقول : خلق الناس لبقاء فضلت	أمة يحسبونهم للنقاد
إنما ينقلون من دار أعما	ل إلى دار شقوة أو رشاد

من اصطلاحات العلوم ، وقال في أكثر أغراض الشعر إلفي الحمز والمجون والصيد والمجاء . وقد سلم له في هذا الطور جملة من القصائد المختارة في الرثاء والمدح والفخر . وأما شعره في الكهولة قليل للمبالغة والتكلف ؛ قد عارض فيه المتقدمين من العرب ، فأثر اللفظ الجزل والأسلوب البدوي ، وركب القوافي الصعبة ، والتزم ما لا يلزم ، وتشدد في اتباع القياس ، وأكثر من البديع والجناس ، وأودع شعره في هذا الطور فلسفته وآراءه . ولكنه حشاه بالألفاظ الغريبة والتراكيب الغامضة كأنما خاف شر الناس على تلك الثمرات الفكرية لحاطها بأشواك من الكلمات حتى لا يمتد إليها بنان ولا يتذوقها لسان . وقد ابتدع في شعره مناجاة الحيوان كمحاورة الديك والحمامة ، ومناظرة الذئب والشاء . وهو أحكم الناس بعد أبي الطيب . ويختص دونه بالخيال الدقيق ، وتصريف القول في الفلسفة والاجتماع وأخلاق البشر وأنظمة الحكومات والقوانين والأديان ، وهو واحد الشعراء في هذه السبيل .

### نثره

نثر أبي العلاء كشعره ، يختلف في كهولته عنه في شبابه . فقد كان كثير للمبالغة ، مقما بالغريب ، متكلف السجع ، كثير الاصطلاحات العلمية . ثم حكم فلسفته في نثره فقلت للمبالغة ، وفاضت الجمل بالمعاني . ولم تخل كتابته من غموض يُعَيِّ القارىء وتطويل بملء ؛ فربما كتب الرسالة إلى بعض أصدقائه فيمن فيها ويستطرد حتى تكون كتاباً ضخماً غريب المسائل كثير الفوائد .

### مؤلفاته

أكثر مؤلفاته ذهبت بها ربح الحروب الصليبية ، فلم يبق إلا سقط الزند ، واللزوميات ، والبرعيات ، والفصول والغايات ، وديوان رسائله ، ورسالة الملل والنحل ،

ورسالة الغفران ، وهي شديدة الشبه باللهة الإلهية لدانتي<sup>(١)</sup> ، والتردوس المفقود ملتن<sup>(٢)</sup> لأنه تخيل رجلاً صعد إلى السماء ووصف ما شاهده هناك ، وانتقد فيها الشعراء والرواة والنحاة بأسلوب روائى بديع . ثم عبث الوليد . وهو شرح ديوان البحترى وقد طبع في دمشق . وقد فقد كتاب الأيكة والغصون في مائة مجلد ، وهو دائرة معارف في العلم والأدب ؛ ومعجز أحمد ، وهو شرح ديوان للتنبى ؛ وذكرى حبيب ، وهو شرح ديوان أبى تمام ، وغير ذلك كثير .

### نموذج من شعره

قال ينمى على الحكام استبدادهم بالرعية وعينهم بمصالحها :  
مُلُّ للقام فكم أعاشر أمة      أمرت بخير صلاحها أمراؤها  
ظلموا الرعية واستعازوا كيدها      وغدروا مصالحها وهم أجراؤها  
وقال في أحكام الحظ وأوهام الحياة :

تباركت أنهارُ البلاد سوانح      بعذب وخُصت بالملوحة زمزم  
هو الحظ ، غيرُ البيدرِ سافٍ بأنفه      خزاي وأنف العود بالذل مخزم  
توهمت خيراً في الزمان وأهله      وكان خيالاً لا يصح التوم  
فما النور نوار ولا الفجر جدول      ولا الشمس دينار ولا البدر درم  
ومن قصيدة له في الرثاء :

صاح ! هذى قبورُنا تملأ الرُخ      مَبَ قَافِنُ القبورُ من عهد عاد ؟  
خفف الوطء ما أظن أديم الـ      أرض إلا من هذه الأجساد  
وقبيحُ بنا وإن بَدَدَ العـ      د هَوَانُ الآباء والأجداد

(١) دانتي ( Dante ) زعم الشعر الإيطالي وحبيب بياتريس ( Beatriz ) وملعى .

اللهة الإلهية ( La divine Comedie ) ولد سنة ١٢٦٥ وتوفى سنة ١٣٤١ م .

(٢) ملتن ( Milton ) شاعر إنجليزي شهير كان ناموساً لكرموبل فلما مات تضعف

أمره وغل ذكره ، ثم كيف بصره ، فكان يمل طرزوجه وابنتيه قصيدته الخالدة الفردوس

المفقود ( le paradis perdu ) وهي ركن من أركان الشعر الإنجليزي وإحدى روائع

الخيال البشري . ولد سنة ١٦٠٨ وتوفى سنة ١٦٧٤ .

سر إن اسطمت في الهواء رُويْدًا      لا اختيلا على رُفات العباد  
رُبَّ لحد قد صار لحدًا مرارًا      ضاحكًا من تزامم الأضداد  
فاسأل الفرقدين عن أحسَّا      من قبيل وآنسا من بلاد  
كم أقاما على زوال نهار      وأنارا لِمُدِّج في سواد  
تعبٌ كلها الحياة فما أء      جب إلا من راعب في ازدياد  
إن حزنًا في ساعة الموت أضعا      فُ سرور في ساعة الميلاد

وقال ينعي على التزهدين المرائين من أهل الدين :

رُويْدك قد غُرِرْتَ وأنت حر      بصاحب حيلة يعظ النساء  
يَحْرُمُ فيكم الصبياء صُبْحًا      وبشرها على عَمْدٍ مساء  
يقول لكم غدوت بلا كساء      وفي لذاتها دهن الكساء  
إذا فعل الفقى ما عنه ينعى      فمن جهتين لاجهة أساء

وقال :

يحسن مرأى ابنى آدم      وكلهم في الدوق لا يعذبُ  
ما فيهم بَرٌّ ولا ناسكُ      إلا إلى نفع له يجذب  
أفضل من أفضلهم صخرة      لا تظلم الناس ولا تكذب

وقال :

خف دنيًا كما تخاف سريًا      صال ليث الشرى بظفر وناب  
والصلالُ التي تخاف رداها      شرها في الرموس والأذنان

وقال :

عجبي للعليب يلحد في الخا      لقي من بعد درسه التشريحا  
رُبَّ روح كطائر القفص للـ      بجون ترجو بموتها التسريحا

## الشعر والشعراء في الأندلس

أفلت صقر قريش من شرك السفاح ونجا بنفسه وأهله إلى الأندلس. وكان للملك فيها يومئذ يضطرب بالخلاف بين المضرية والبينية ؛ والبلاذ تنتظر من يلثها من شتات ، ويحييها من مَوَات ، ويجمعها من فرقة ؛ فكان عبدالرحمن الداخل هو الرجل الموعود والإمام المنتظر . فاستولى عليها سنة ١٣٨ هـ بمعونة البينية. ونشر علم بني أمية في قرطبة بعد ما طوته للسودة في دمشق . وتعاقب على عرشها من أولاده وحفدته تسعة عشر خليفة في أربعة وعشرين ومائتي عام ، حتى أصابهم داء الأسم ففرقوا وتمزقوا ، وانحل ملكهم إلى دويلات صغيرة عرف أصحابها بملوك الطوائف ، كبنى جهور في قرطبة ، وابن عباد في لشبيلية ، وابن الأفلح في بطليوس .

وكانت سياسة الأمويين في الغرب غير سياستهم في الشرق ، فقد كانوا في دولتهم الأولى يترفعون عن خلاط الموالى ، ويمنزون بمصيبة الجنس ، فأصبحوا في هذه الدولة مدنيين ، يمدون إلى القوط أسباب الاتصال بهم ، ويمهدون لهم سبل الاندماج فيهم ، صنع بنى العباس في أبناء الفرس . فكان من نتيجة هذا الارتباط وأثر هذا الاختلاط أن حدث في الأندلس ما حدث في العراق من امتزاج الجنسية السامية بالجنسية الآرية ، ونضج العقلية العربية ، واستعار النهضة الأدبية ، وازدهار الأندلس بحضارة إسلامية مادتها من الشرق وبنائها<sup>(١)</sup> من العرب ، لأن أوروبا يومئذ كانت تخبط في دياجير الجهالة ، وترسف في أغلال الأمية ، فاقبس الأسبان ثقافة العرب فاعتقدوا دينهم ، وتكلموا الفهم ، وتعلموا أدبهم ، وهجروا اللاتينية

---

(١) أما حضارة الإسلام في بغداد فكانت من صنع الفرس والسرمان والهنود ، لأن العرب كانوا يومئذ وراث يدارة وحياة ، وهؤلاء كانوا وراث ملكة وحضارة وفلسفة وعلم ، فانتقل كل أولئك إلى الإسلام بانفعالهم إليه .



وآدابها حتى أنسوها ، وحتى جأر بالشكوى من هذه الحال كاهن<sup>(١)</sup> قرطبة .  
ولكن القسيسين أنفسهم لم يستطيعوا الوقوف بنبوة من هذا السيل فجرهم  
جرفاً حتى اضطرم إلى قفل كتب الدين إلى اللغة العربية .

وكان الأمويون وعرب الأندلس لا يتفكرون ملتفتين إلى الشرق موطن  
الجنس والدين واللغة والأدب والحضارة فيسيرون على ضيائه ، ويستمدون من  
زعمائه وعلمائه ، ويحذون في سياستهم وإدارتهم حذو العباسيين ؛ فشيدوا المدارس  
الجامعة ، وأنشأوا المكتبات العامة ، ونشطوا حركة التأليف ، وأذكوا نهضة الأدب ،  
ورفعوا مجد الفنون ، وعقدوا مجالس المناظرة وللسامرة والغناء . بلغت الأندلس  
من ذلك كله الحظ الوفور في عهد عبد الرحمن الثاني ( ٢٠٦ - ٢٣٨ هـ ) وبلغت  
أوج سلطانها وغاية عمارتها وتمازج بنيانها في عصر أمير المؤمنين عبد الرحمن الثالث  
( ٣٠٠ - ٣٥٠ ) وابنه الحكم ، وهو عصرها الذهبي الذي بلغت فيه من السطوة  
والقوة والثروة والوحدة والحضارة والعمارة والفن والأدب ما كادت تضارع به بغداد ،  
وما أدهشت به للؤرخ دوزي حتى قال : « إن عبد الرحمن الناصر أولى أن يكون  
من ملوك العصر الحديث لا من ملوك القرون الوسطى » . وهكذا كانت حضارة  
الإسلام تشع في بغداد وقرطبة في وقت واحد فتبدد دياجير الشرق وتكشف  
مجاهيل الغرب ، ولكن تمام الشيء مبدأ نقصانه : فلم تكد خلافة الحكم  
ابن الناصر تنتهي حتى دب في خلافة بني مروان ديبس البلى والمهرم ، وآل سلطانها  
إلى ملوك الطوائف فاضطلموا به قليلاً ثم أوهن كواهلهم داء الانقسام وفساد النظام .  
وغاداهم المرابطون من البربر فقوضوا أركانهم ، ونازعوهم سلطانهم ؛ وراوحهم

(١) قال هذا الكاهن ما ملخصه من كتاب تاريخ العرب في إسبانيا لدوزي ج ٢ ص ١٠٣ .  
إنما نحب أن نقرأ القصر والقصص وندرس الدين والفلسفة في اللغة العربية فتعلم لغة هذبة الألفاظ  
بلغة الأداء جميلة الإلقاء ، ولا تكاد نجد فينا من يقرأ الكتب المقدسة باللغة اللاتينية ،  
وعشاقنا الأذكاء جيئاً لا يعرفون غير لغة العرب وآدابهم . وكلما قرأوا كتبها ودرسوا آدابها  
أعجبوا بها ، فإذا حدثهم عن كتاب من الكتب اللاتينية سخرُوا منه وقالوا إن الفائدة منه  
لأنساوي الكتب في قرايته . وهكذا نسي السحيون لغتهم ، وجعلوا كتابتها وبلافتها . وحذقوا  
اللسان العربي حتى يكتبونه ثراً وطلاً بأحلوب أليق ، وتصوير دقيق ، يفوقون فيه العرب أحياناً

القرنيج متسكانيين فاستلبوا الملك من أيديهم مدينة بعد مدينة ، حتى تمت الهزيمة وعم الجلاء بقرار أبي عبد الله محمد بن طلي من غرناطة سنة ٨٩٨ هـ وكان ذلك آخر عهد العرب والعربية بالجزيرة .

ذلك مجمل من القول في حال العرب بالأندلس سقناه إليك تمهيداً لما سنلج به للملأ من وصف شعرهم وذكر نفر من شعرائهم .

وليس من غرضنا أن نعرض هنا لدراسة الشعر الأندلسي فنفضله ونحلله ، وإنما هي لمعة وجيزة تكشف عن مناهجه ومناحيه ، وتبين تأثير البيئة والطبيعة فيه . فقد وجد الشعراء العرب في أوروبا ما لم يجدوه في آسيا من الحياة المتنوعة ، والجواء المتغيرة ، والمناظر المختلفة ، والأمطار المتصلة ، والسمائل الجميلة ، والأدواح الظليلة ، والأنهار الروية ، والسهول الفنية ، والجبال المؤزرة بعيم النبات ، والمروج المطرزة بألوان زهر ؛ فصفت أذهانهم ، وسما وجدانهم ، وعذب بياضهم ، ووسعوا دائرة الأدب ، وهذبوا الشعر فتأنقوا في ألفاظه ، وتنوَّقوا في معانيه ، ونوعوا في قوافيه ، وتفننوا في خياله ، ودبحوه تدييج الزهر ، وسلسلوه سلسلة النهر ، وأكثروا من نظمه في البحور الخفيفة القصيرة ، حتى ضاقت أوزان العروض بما تقتضيه رقة الحضارة ورقى الغناء . فاستحدثوا الموشح باللغة الفصحى ، ثم تطور عند انحطاط الأدب واضمحلال أمر العرب إلى الزجل باللغة العامية .

وصرفوا الشعر في أغراض شتى كالمدح والفرل والرثاء والثناء والذم والزهة والتصوف والفلسفة والمراح والمجون وعالجوا سياسة الاجتماع ، ونظموا حوادث التاريخ ، وأبدعوا ما شاء الإبداع في الوصف : فوصفوا الأبنية والتمائيل والقصور والبرك والنواقر والنواعير والحسائث والمروج والأودية والأديرة والأنهار والأشجار والرياح ومجالس الطرب ؛ وكل ذلك في حلاوة لفظ ورقة أسلوب ودقة صنعة . إلا أن شعرهم على الجملة جار مجرى الشعر الشرقي ، فلم يتعد حدوده ولم يكسر قيوده إلا بمقدار ما ذكرناه لك من ابتداء الموشح وتنويع القافية ؛ وذلك لا اعتقادهم أنه هو الأصل الذي يرجع إليه ، والقالب الذي يضرب عليه . ولئن صح من بعض الوجوه ما يقول به أدباء القرنيج من أن الشعر العربي

تصنع في اللفظ ، وتعمل في الشكل ، وليس فيه خيال رائع ، ولا شعور صادق<sup>(١)</sup> فلن يصح هذا القول بحال في شعراء الأندلس . فإنهم عبروا عن عواطفهم ، وترجموا عن مشاعرهم ، بلفظ جيد وأسلوب أنيق ، فطافوا<sup>(٢)</sup> على قرائهم بأكواب من ذهب فيها ما تشبه الأنفس . وإنك لترى في وصفهم مناظر الطبيعة وتصويرهم وجوه الأرض مشابهة لأشعار الفريج . ولقد أخذ الفرنسيون والأسبان عن عرب الأندلس غير العلم والموسيقى وفن العمارة ، ضرورياً شق من الشعر ، كالمدهح والمجاء والغزل ، كما أخذوا عنهم القافية ، وكانوا من قبل يكتفون باتحاد الحروف الصوتية الأخيرة ( assonance ) غير ناظرين إلى ما بعدها<sup>(٣)</sup> . ولو طال على الأندلسيين الأمد في الحضارة ، وتعاقت أطوار الرق على اللغة وآدابها لأتوا بأبلغ مما جاء به روسو وهوجو ولامرتين وأصراهم . ولكن فاجأهم الانقسام ، وداهمهم الخصاص ، فانشقت عصاهم ، وانقسمت عراهم ، ونضبت قرائنهم وأمحلت عقولهم ، وذهبوا كأس الدائر ، سنة الله في خلقه . ولن نجد لسنة الله تبديلاً .

(١) على أن من منصف كتاب الفريج من نقض هذا الحكم كالاستاذ جول لومتر (Jules Lemaitre) ( ١٨٥٣ — ١٩١٤ ) إذ يقول في مقدمته لكتاب حديقة الزهور لرواصف باشا « على أن الشعر العربي على جملة أنقى شعر عرفه العالم بما حوى من العواطف الرقيقة وهو أقرب الأعمار إلى معاني الرجولة والصرف والحياة الصحيح والإيمان القوي » .  
(٢) إشارة إلى من شبه معاني الشعر العربي في وحدتها وتنوع ألفاظها بغيراب من نوع واحد - في بآنية مختلفة ، فمنها الذهب والفضة والبلور والخزف .  
(٣) كان التروبادور ( les troubadours ) وهم شعراء جنوب فرنسا في القرون الوسطى ، ينتقلون من قصر إلى قصر منتجين الأمراء والوجهاء بالمدح ، وكانت أعمارهم خلواً من القافية فانتبسوها من عرب الأندلس بطبيعة الجوار والخللاط ، كما انتبسوا في النظم أنواع الغزل والمدح والمجاء ، وفي النثر القصص والأمثال وللح . وإنما خفي ذلك الأثر العربي في الأدب الفرنسي الحديث لأن القلية كانت لأهل العمل ولقنتهم أويل ( Oil ) ولشعراتهم التروبير ( les trouveres ) .

وقال لويس فياردو ( Louis Viardot ) في الجزء الثاني من كتاب تاريخ العرب والبر في اسبانيا : « كان الشعر الفرنسي على مثال الشعر الأسباني للأخود عن الشعر العربي لا عن اليوناني ولا عن الروماني ، لأنهم لم يتقروا على هذا ولا ذلك قبل القرن الرابع عشر حتى يلدوه ... واقد أخذوا صناعة الشعر والقوافي من العرب . وهذه الصناعة جاءت من الأندلس عن طريق مرسيلىا وطولون مع التجار الأسبان الذين كانوا يقدون إليهما . . . »

## نماذج من الشعر الأندلسي

قال أبو الفضل بن شرف القيرواني :

مطلّ الليل بوعدِ الفلق	وتشكى النجم طول الأرق
ضربت ريح الصبا مسك الدجى	فاستفاد الروض طيب العبق
وألح الفجرُ خدّاً خجلاً	جال من رشح الندى في عرق
جاوز الليل إلى أنجمه	فتساقطن سقوط الورق
واستفاض الصبح فيها فيضة	أيقن النجم لها بالفرق
فأنجلى ذاك السنّا عن حلك	وأنمى ذاك الدجى عن شفق
يأبى بعد الكرى طيفٌ سرى	طارقاً عن سمكن لم يطرق
زارني والليل ناع سدّقه	وهو مطلوب بيباق الرمق
ودموع العلل تمرّ بها الصبا	وجفون الروض غرقى الحدق
فتأبى في إزار ثابت	وتتنى في وشاح قلق
وتجلى وجهه عن شعره	فتجلى فاقّ عن غسق
نهب الصبح دجى ليلته	فحبا الخلد ييمض الشفق
سلبت عيناه حدّى سيفه	وتجلى خدّه بالروتق

وقال ابن حديس الصقل يصف ديراً وراهبة تبغ الخمر .

وراهبة أغلقت دبرها	فكنا مع الليل زوارها
هدانا إليها شذى قهوة	تذيع لأنفك أسرارها
طرحت بميزانها درهمي	فأجرت من اللّذّن دينارها
تقرس في شمسها طيبها	محيدّ الفراسة فاختارها
فتى دارم الخمر حتى درى	عصير الخمر وأعصارها
بعدّ لما شئت من قهوة	سنيها ويعرف خوارها
وعدنا إلى هالك أطلعت	على قضب البارت أقارها
يرى ملك اللهوف فيها المهوم	تثور فيقتل ثوارها

وقد سكنت حركات الأسي قيانُ نَحْرُك أوتارها  
فهذي تعانق لي عودها وتلك تقبل مزمارها  
وراقصة لعلت رجلها حبابَ يد هزت طارها  
وقُضِبَ من الشمع مصفرة تريك من النار نوارها  
كان لها عمداً صفقت وقد وزن العسل أقطارها  
إلى أن قال :

ذهكرت صقليةً والأسي بهيج للنفس تذكّارها  
ومنزلة للتصابي خلت وكان بنو الظرف عمارها  
فإن كنت أخرجت من جنة فإني أحدث أخبارها  
ولولا ملوحة ماء البكا ، حسبت دموعي أنهارها  
وقال ابن هانيء يصف أكولاً :

بالت شمرى ، إذا أوى إلى فيه أحلقه كموات أم ميادين ؟  
كانها — وخبيث الزاد بضررها — جهنم ، قذفت فيها الشياطين  
تبارك الله ما أمضى أسنّته كأنما كل فك منه طاحون  
كان بيت سلاح فيه مختزنٌ مما أعدته للرسل الفراعين  
أين الأسنة أم أين الصوارم أم أين الخناجر أم أين السكاكين  
كانما الحمل للشوى في يده ذو النون في الماء لما عضه النون  
لف الجداء بأيديها وأرجلها كأنما افترستن السراحين  
وغادر البط من متى وواحدة كأنما اختطفن الشواهين  
يمتص الرز من قرن إلى قدم وللبلاعيم تطرب وتلحين  
كانما كل ركن من طبائسه نار ، وفي كل عضو منه كانون !  
كانما في الحشا من حمل معدته قرقل وجراديش وكون  
قوموا بنا فلقد ريمت خواطرننا وجاذبتنا أعتها البراذين  
نصحتكم ، نخنوا من شدقه وزراً أولاً ، فأنتم سويق فيه مطحون

وقال العتد بن عباد صاحب أشبيلية وقد دخل عليه في سجنه بناته يوم عيد في أطمار بالية بعد أن سلمه ابن تاشفين ملكه وسجنه بأغصان :

فما مضى كنت بالأعياد مسرورا	فساءك العيد في أغصان مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جاثمة	ينزلن للناس ما يملكن قطعيرا
بطآن في الطين والأقدام حافية	كأنها لم تطلأ مسكا وكافورا
أفطرت في العيد لا عادت إساءته	فكان فطرك للأكباد تفتيرا
قد كان دهرك إن تأمره ممثلا	فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك في ملك يسر به	فإنما بات بالأحلام مغرورا

وقال ابن دراج القسطلی من قصيدة يصف وداعه لزوجته وولده الصغير :

ولما تدانت للوداع وقد هنا	بصبري منه أنه وزفير
تناشدني عهد للودة والهوى	وفي للهد مبغوم النداء صغير
عني بمرجوع الجواب، ولفظه	بموقع أهواء النفوس خبير
تبوا ممنوع القلوب ومهدت	له أذرع محفوفة ونحور
وطار جناح البين بي وهفت بها	جوانح من دعر الفراق تغير
ولو شاهدتني والهواجر تلتظي	على ورقراق الشراب يثور
أسلط حر المهاجرات إذا سطا	على حروجهي والأصيل هجير
وأستنشق النكباء وهي لوافح	وأستوطي الرضاء وهي تفور
وللموت في عين الجبان تلون	وللذعر في سمع الجريء صغير
لبان لها أنى من البين جازع	وأنى على مضى الخطوب صبور

وقال الوزير ابن زيدون وهو سجين :

ما على ظني بأس	يبحر الدهر وبأسو
ربما أشرف بالمر	على الآمال ياس
ولقد ينجيك إغنا	ل ويردك احتراس
والمحاذير سهام	والقادير قياس

وَلَكُمْ أَجْسَدِي قَعُودٌ      وَلَكُمْ أَكْدَى التَّمَّاسِ !  
 وَكُنَّا الْحَكَمَ : إِذَا مَا      عَزَّ نَاسٌ ذُلُّ نَاسٍ  
 رَبُّنَا الْأَيَّامَ أَخِيًّا      فَبُ سَرَّاهُ وَخِيسَانِ  
 غَلِبَسِ الدُّنْيَا ، وَلَكِنْ      مَتْعَةُ ذَاكَ الْيَبَّاسِ  
 يَا أَبَا حَفْصٍ وَمَا سَا      وَآكَ فِي فَهْمٍ إِيَّاسِ  
 مِنْ سَنَا رَأَيْكَ لِي فِي (م)      غَقَّو الْخَطْبُ الْقَتَبَاسِ  
 لَا يَكُنْ عَهْدُكَ وَرَدًا      إِنْ عَهْدِي لَكَ آمَسِ  
 وَأَدِرْ ذِكْرِي كَأَسَا      مَا امْتَعْتَ كَفَّكَ كَاسِ  
 وَانْقَضِ صَفَرُ اللَّيَالِ      إِنَّمَا الْعَيْشُ اخْتِلَاسِ  
 مَا تَرَى فِي مَشْرِحَا      لَوَاعِنِ الْعَهْدِ وَخَاسُوا ؟  
 أَذْؤُوبٌ هَامَتْ بِلَحَى      قَانْتَهَابٌ وَانْتَهَاسِ  
 كُلُّهُمْ يَسْأَلُ عَنْ حَا      لِي ، وَلِلذُّبِ اعْتِنَاسِ  
 إِنْ قَسَا الدَّمْرُ فَلَمَّا      مِنَ الصَّغْرِ انْبِعَاسِ  
 وَلَنْ أَمْسَيْتَ مَحْبُورًا      مَا فَلَنْتِ احْتِبَاسِ  
 وَبَقِيَ السَّكُّ فِي التَّرْبِ      بَ فَيَسُوطًا وَيُدَاسِ

وَمِنْ أَجُودِ مَوْشَعَاتِهِمْ قَوْلُ ابْنِ بَقِي :

خَذْ حَدِيثَ الشُّوقِ عَنْ نَفْسِي      وَمِنْ الْهَمِّ الَّذِي هَمَّاسَا

مَا تَرَى شَوْقِي قَدْ وَقَدَا

وَمَا دَمْعِي وَاطْرَدَا

وَاجْتَدَى قَلْبِي عَلَيْكَ سَدَى !

آه مِنْ مَاءٍ وَمِنْ قَبَسٍ      بَيْنَ طَرَفِي وَالْحَشَا جُمَا !

\*\*\*

بِأَبِي رَيْمٍ إِذَا صَفَرَا

أَطْلَمْتُ أَزْرَلَرُهُ قَمَرَا

فاحذروه كلما نظرا

فبالحافظ الجفون قسي أنا منها بعض من صريحا

وقال بعضهم

ما للمـوَلِّه من سكره لا يفيق

يا له سكرانا !

من غير خمر . ما للكثير المشوق

يندب الأوطانا

هل تستعاد ، أيامنا بالخليج

وليالينا

أو يستفاد ، من النسيم الأريج

ملك دارينا

وادي يصبكاد ، حسن للمكان البهيج

أن يحيدا

ونهر أظلة دوح عليه أنيق

مورق فيدمان

والسواء بحري وعائم وفريق

من جنى الرياحان

ومن موشع ابن سهل الإسرائيلي :

هل درى ظبي الحلي أن قد حى قلب صبا حله عن مكنس

فهو في حر وخفق مثل ما لعبت ريح الصبا بالقبس

\*\*\*

يابدورا أطلعت يوم النوى غرراً تسلك في نهج الفرد

ما قلبي في الهوى ذنب سوى منكم الحسن ومن عيني النظر



أجتنى اللذات مكلومَ الجوى      والتذاذى من حبيبي بالفكر  
كلما أشكوه وجدأ بسما      كالرأي بالعارض المنبجس  
إذ يقيم القطرُ فيه مأتما      وهى من بهجتها فى عرسُ

\*\*\*

غالبٌ لى غالبٌ بالتؤده      بأبى أفديه من حاف رقيق  
ما رأينا مثل ثمر نضده      أضروانا عُصرت منه رحيق  
أخذت عيناه منه العريده      وفؤادى سكره ما إن يُفريق  
فاحم الجمة معسول اللهى      أكل اللعظ شهى اللبس  
وجهه يتلو النعى مبتسما      وهو من إعراضه فى عبس

### شعراء الأندلس

أبن عبد ربه

٢٤٦ — ٣٢٨ هـ

#### نشأته وحياته

هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأموى بالولاء ، لأن جده كان مولى  
لمشام بن عبد الرحمن الداخل ثانى خلفاء الأمويين بالأندلس . ولد هذا الكاتب  
الشاعر بقرطبة ونشأ بها ، ثم تخرج على علماء الأندلس وأدبائها وامتاز بسعة الاطلاع  
فى العلم والرواية ، وطول الباع فى الشعر والكتابة . قال ياقوت فى معجمه : « وكان  
لأبى عمر بالعلم جلالة وبالأدب رياسة وشهرة مع ديانة وصيانة ، وانفقت له أيام  
وولايات للعلم فيها نفاق ، فساد بعد الخول ، وأثرى بعد الفقر ، وأشير إليه بالفضل ،  
إلا أنه غلب عليه الشعر » ثم أصيب فى أعقاب عمره بالفالج . وتوفى سنة ٣٢٨ هجرية

### شعره

أكثر شعر ابن عبد ربه وأجمله في الوصف والفزل . وهو أشبه بشعر ابن زيدون في الجمع بين روعة الشرقيين وجزالتهم ، ورقة الفريين وسلاستهم . وهو أكثر ترديداً لأخبار المشارقة وأصح تقليداً لأشعارهم . وقد اتصلت شهرته بهؤلاء فرووا شعره ، ورددوا ذكره ، وشهدوا له بالتقدم والإجادة . روى ابن الخطيب أن الوليد الأندلسي لما حج عرج في منصرفه على مصر ، فلقى بها أبا الطيب المتنبي في جامع عمرو بن العاص ، فأفاض في الحديث ملياً ، ثم قال المتنبي : ألا تنشدني لمليح الأندلس ؟ يعني ابن عبد ربه . فأنشده الوليد شيئاً من شعره ، فصفق له واستمده ثم قال : « يا ابن عبد ربه لقد تأتيتك العراق حبوا ! » وكفى بشهادة المتنبي دليلاً على فضل الرجل وعلو كعبه . وابن عبد ربه من الشعراء للكثيرين . فقد رأى الحميدى من شعره عشرين جزءاً ونيفاً من جملة ما جمع للحكم بن عبد الرحمن الناصر أكثرها بخطه . وقد زين كتابه العقد الفريد بكثير منه في كل معنى . وقال في مقدمته : « وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في معانيها ، وتوافقها في مذاهبها وقرنت منها غرائب من شعري ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن لمربنا على قاصيته ، وبلدنا على انقطاعه ، حفظاً من المنظوم والنثور » .

وهو من السابقين إلى اختراع الموشعات ، وله طبع في الشعر القصصي وهو قليل في العربية . من ذلك أرجوزته في تاريخ عبد الرحمن الناصر صاحب الأندلس في عصره ، ولكنها إلى الشعر التعليمي (Didactique) أقرب منها إلى الشعر القصصي (Epique) لبقائها ووضف خيالها وبعدها عن قواعد الملحمة ، وهي منشورة في الجزء الثاني من العقد الفريد .

ولما تناهت به السن وأرعشه الكبر ، أقلع عن صبوته ، وأخلص قلبه في توبته ، ونظم أشعاراً كثيرة سماها بالمعصيات لأنه تفض كل قطعة قالها في الفزل

واللهو ، بقطعة من بحرها ورويتها في الموعظة والزهد ولم يكتب ابن عبد ربه  
بنبوغه في الشعر وتفوقه في النثر ، فأراد أن يدل على براعته في التأليف أيضاً ،  
فصنف كتاباً في الأدب سماه العقد الفريد .

#### العقد الفريد

وهو كتاب من أمهات كتب الأدب ، جامع لشتيت الفوائد ومنثور للسائل  
في الأخبار والأنساب والأمثال والشعر والعروض حتى الطب والموسيقى . وقد  
استوعب خلاصة ما دُوِّن من كتب الأئمة وأبي عبيدة والجاحظ وابن قتيبة  
وغیرهم . ولم يقتصر على المأثور عن العرب بل وشئ كتابه بما ترجم عن اليونان  
والفرس والهنود من ضروب الحكمة واللوعة والملح . وقد تألق في تبويبه وتفنن  
في ترتيبه ، فقسمه إلى خمسة وعشرين كتاباً في موضوعات شتى بدأ كلامها بمقدمة  
بليغة من إنشائه تبين الغرض منه ؛ وسمى كل كتاب بجمهرة من جواهر العقد  
كالؤلؤة والفريدة والزبرجدة والجمانة والمرجانة والياقوتة والجمهرة الخ .  
ومن الغريب أن المؤلف وهو أندلسي لم يشر إلى الأندلس ولا إلى أهلها  
بكلمة ، اللهم إلا إلى نفسه ! حتى إن صاحب بن عباد لما سمع بهذا الكتاب حرص  
حتى حصل عليه . فلما تصفحه قال : « هذه بضاعتنا ردت إلينا . ظننت أن هذا  
الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم ، فإذا به يشتمل على أخبار بلادنا .  
لا حاجة لنا به ، ثم رده » . والكتاب في ثلاثة مجلدات تزيد صفحاتها على ألف  
صفحة وقد طبع بالقاهرة أخيراً في خمسة مجلدات .

#### غرضه

قال في الغزل :

لؤلؤا يسي القول أنيقاً      ورشاً يقطع القلوب رقيقاً  
ما إن رأيت ولا سمعت بختك      درأ يهود من الحياء عقيقاً

وإذا نظرت إلى محاسن وجهه  
يا من تقطع خصره من رقة  
أبصرت وجهك في مناه غريفا  
وقال في موقف الوداع :

ودعنى بزورة واعتساق  
وبدت لى فأشرق الصبح منها  
ثم نادى متى يكون التلاقى !  
يا سقيم الجفون من غير سقم  
بين تلك الجيوب والأطواق  
إن يوم الفراق أظلم يوم  
بين عينيك مصرعُ العشاق  
وقال في وصف رمح وسيف :

بكل ردّينى مكان مناه  
تقاصرت الأجال فى طول منته  
شهاب بدافى ظلمة الليل ساطع  
وذى شطب تقضى المنايا لحكه  
وعادت به الآمال وهى فجائع  
يسل أرواح الكماة انسلاله  
وليس لما تقضى المنية دافع  
وآخر شعر قاله قوله :

بليت وأبلى الليالى بكرها  
ومالى لا أبلى لسبعين حجة  
ومصرقان للأيام معتوران  
ولست أبالى من تباريح على  
وعشر أنت من بعدها سنتان  
إذا كان على باقياً ولسانى

ابن هانىء الأندلسى

٢٢٦ — ٢٢٦

نشأته ومبائر

ولد أبو القاسم محمد بن هانىء الأزدي الأندلسى بأشبيلية فى زهرة العهد الأموى .  
وفى أوج عصره الذهبى ، وفى حكم الملك الناصر . وكانت أشبيلية إذ ذاك أخصب  
بلاد الأندلس علماً وأدباً ، فنشأ بها ودرس الأدب العربى على النمط المألوف .

يومئذ من السماع والحفظ والإنشاد والمحاكاة ، وأبوه هانيء يعضده ويرشده لأنه هو نفسه أديب يعيش على الأدب ويتكسب بالشعر . واستهوى شاعرنا ما عليه طائفة الشعراء من النعمة والثراء فسلك سبيلهم وتبع دليلهم ، حتى اتصل بصاحب أشبيلية فقال حظوته وكسب محبته . وكانت ثمار الحضارة الأندلسية من السرف والترف والاهو قد بدت في ذلك الحين ، فقطف ابن هانيء منها باليدين ولم يجد له رادعاً من خلق ولا وازعاً من دين . وأخذ بشيء من مذاهب الفلاسفة ، والأندلسيون على تقيض الشرقيين يفتنون البدعة وينصرون السنة وينكرون الفلسفة ويصدون عن البحث في الدين ، فتألب أهل أشبيلية عليه ، وكادوا يصلون بالأذى إليه . واتهموا الملك بمشايسته على رأيه ، فأشار عليه أن يغيب ريثماً تهدأ ثائرة القوم وينسونه . فرحل إلى عدوة المغرب وعمره ست وعشرون سنة ، فلقى القائد جوهرأ فأنح مصر للمز فمدحه . وأخصب زرع آماله فوصله الجند الميمون بالمعز لدين الله العبيدي فاصطفاه إليه وأغدى إحسانه عليه . ولما خرج المز يريد مصر بعد أن فتحها جوهر وراض له الأمر فيها شيعه ابن هانيء وتخلف عنه ليأخذ عياله وماله ثم يلحق به إلى مصر . فلما كان في طريقه إليها عرج على برقة ونزل في ضيافة رجل من أهلها ، فأقام عنده يقصف ويلهو ، حتى أمعن ذات يوم في الشراب فسكر سكرة أفضت به إلى سكرة الموت . فقيل إن نداماء من أهل ضيافته عريدوا عليه وقتلوه ، أو إنه خرج من الدار وهو سكران طافح فصرخته الخمر في الطريق فمات ، وعمره ست وثلاثون سنة . فلما بلغ المعز وفاته أسف عليه وقال : « هذا الرجل كنا نرجو أن نقاخر به شعراء الشرق فلم يُقدِّر لنا ذلك » .

#### أخبر

كان ابن هانيء ماجناً خليع العذار صاحب لهو وخمر . وكان ذكياً بالفؤاد فسكه الأخلاق جيم الأديب صريح القول والفعل لا يبالي أين يقع ذلك من الناس

ومصدق تلك الصفات فيه مجاهرته بآراء تنكرها بيئته ، وترفضها طبقته ،  
ومبالغته في شعره إلى حد الكفر ، والشاعر دون الفيلسوف أحرم من الناس على  
رضا الناس . ناهيك بميخته الداعرة التي قل أن ماتها رجل .

### شعره

ابن هانيء على رأى الجمهور أمير شعراء الأندلس غير مدافع . وفي هذا الرأى  
على إطلاقه إجحاف بأمثال ابن زيدون . على أن شعره من الطبقة العالية التي  
تجمع بين سلاسة التفكير ، وسلامة التعبير ، ومعالجة كثير من مسائل الحياة  
وأحوال الاجتماع وخوارج النفس . وقد اطلع<sup>(١)</sup> على شعر المتنبي وهو معاصره فأعجب  
بأسلوبه ومذهبه وسار على منهاجه واتم بهديه : فهو مثله يذهب في الشعر مذهب  
الفلاسفة ، وينثر في ثنايا مدحه الحكم والأمثال ، ويتخذ من حياته الخاصة مورداً  
لشعره ، ويكثر من ذكر الحرب والقوة والغلب ، ويحيد وصف ما يراه ويسمعه  
إجادة نادرة ، ولذلك سموه متنبى الغرب على عادة المغاربة من حب التشبه  
بفحول المشاركة . ولكن بين الرجلين من التفاوت والبعد ما بين الوجه والهدر ،  
والعزيمة والهدر ، والكرم والبصر ، في هذه التشابيه المعروفة . فشتان بين ما يصدر  
عن طبع وبين ما يصدر عن تقليد . وكأن هذه الموازنة أثارت سخط أبي العلاء ،  
وعصبية المتنبي شديدة كما تعرف ، فقال في ابن هانيء : « ما أشبهه إلا برحاً  
تطحن قروناً لأجل القمصة التي في ألقاظه ! ومن يدري ؟ فلو أن الله نسا في أجل  
ابن هانيء فلم تأخذه المنون حَبْطَةً لأحكته السن وصقلت شعره التجارب وكان  
للتاريخ فيه رأى آخر .

(١) يؤيد ذلك قصيدته الرائية التي كتبها إلى رجل زعم أنه لقي المتنبي وقرأ عليه شعراء  
فاستمره ابن هانيء الديوان فأطرد إياه ثم أساء مملكته و تقاضيه :  
ومطلبها : تنبيه المتنبي فيكم شعراً ولو أرادكم في شعره كغراً  
ومنها : نهم عليه بمرآة وخلعكم لم تنكروا منه لاميناً ولا أثراً  
ومنها : أرحمون مثلاً من روائعكم كاعبى أن لا ينصح الخيرا  
ومنها : فلو رأى ما دعاه في كتابكم وما دعى شعره فيكم لا شعراً  
ومنها : أمرتوني قديماً في آدم فن لسم أن تماروا البعث والنظرا

أما الأغراض التي قال فيها فالمدح وهو معظم شعره ، والنزل ولا يقوله إلا ابتداء قصيدة أو ابتداء لتقليد ؛ والرثاء والوصف وهو فيهما مقل مجيد . وقد شغله ما شغل المتنبي عن الطبيعة وأسرارها ومناظرها فلم يكن لها في شعره غير حظ ضئيل .

### نموذج من شعره

قال من قصيدة في الرثاء وهي من أجود شعره :

إنا وفي آمال أنفسنا	طول وفي أعمارنا قصرُـ
لنرى بأعيننا مصارعنا	لو كانت الأبواب تعتبر
مما دهانا أن حاضرتنا	أجفاننا والغائب الفكر
وإذا تدبرنا جوارحنا	فأكلهنَّ العينُ والنظر
لو كان للأبواب تمتحن	ما عُدَّ منها السمعُ والبصر
أيُّ الحياة ألدَّ عيشتها	من بعد علمي أنني بشر
خرست لسر الله السننا	لما تكلم فوقنا القدر

ومنها :

وإذا صحبت الميثأوله	صفوا ، فهين بعده الكدرُ
وإذا انتهيت إلى مدى أمل	دركا ، فيومٌ واحدٌ عمرُ
وتحيرُ عيش أنت لابه	عيشٌ جنى ثمراته الكبر
ولكل حلبة سابق أمدٌ	ولكل مهلةٍ واردٌ صدرُ
وحلود تعمير للمعرات	يسمو صعوداً ثم ينحدر
والسيف يبلى وهو صاعقة	وتنال منه الهام والقمر
والرء كالظل المديد ضحى	والنقى يحسره فينحصر

ويقول في ختامها :

غرض تراعى في الخطوب ، فذا قوس ، وذاسهم ، وذاتر  
فجزعت حتى ليس بى جزع وحذرت ، حتى ليس بى حذر

وقال في النزول :

امسحوا عن ناظري كحل السهاد  
أو خذوا منى ما أعطيت  
هل تجيرون محباً من هووى ؟  
أسلوا منكم من هجركم  
إنما كانت خطوب قيضت  
فعل الأيام من بعدكم  
لا مزار منكم يدنو سوى  
قل تنوبل خيال منكم  
لم يزدنا القرب إلا هجرة  
وإذا شاء زمان رابنا  
وانفضوا عن مضجعى شوك القتاد  
لا أحب الجسم مسلوب القواد  
أو تفكون أسيراً من صفاد ؟  
قلما يسو عن الماء الصوادى !  
فمدتنا عنكم إحدى المواد  
ما على الظلماء من لبس الحداد  
أن أرى أعلام هضب أو نجاد  
بطي بين جنوت ومهاد  
فرضينا بالتناى والبهاد  
برقيب أو حسود أو معادى

ومن قصيدة له يمدح جوهرأ ويصف جيشه وهو ذاهب إلى فتح مصر .  
رأيت بعينى فوق ما كنت اسمعُ  
غداة كأن الأفق سدً بمثله  
فلم أدر إذا سلمت كيف أشيعُ  
وكيف أخوض الجيش والجيش لجة  
فلا عسكر من قبل عسكر جوهر  
وقد راعنى يوم من الحشر أروعُ  
فأدغروب الشمس من حيث تطلع  
ولم أدر إذ شيعت كيف أودعُ  
وإنى بمن قاد الجيوش لمولعُ  
تخب للطايا فيه عشراً وتوضعُ

وقال في اللدح :

أبى العوالى السهرية والسيو  
ف المشرفية والعديد الأكثر



مَنْ مِنْكُمْ لِلَّهِ الْمَطَامُ كَأَنَّهُ  
القائد الخليلَ لا متاقَ شسوازيًا  
شمت النواصي حشرة آذاتها  
تنبو سنايكن عن عفر الثرى  
جيش تقدّمه الليث وفوقه  
ويقوده الليث المفضفر معلّمًا  
في فتية صدا الدروع عيبرم  
لا يأكل السرحان شلّ طعينهم  
قوم يبيت على الحشايا غيرم  
وتظل تسبح في الدماء قبايهم  
لخياضهم من كل مهجة خالغ  
حتى من الأعراب إلا أنهم  
وقوله في وصف الخليل :

وصواهل ، لا المضب يوم مغارها  
عرفت بساعة سبقها ، لا أنها  
وأجل علم البرق عنها أنها  
هضب ، ولا اليد الحزون حزون  
علقت بها يوم الرهان عيون  
مرت بجاحتيه وهي ظنون

## ابن زيدون

٣٩٤ — ٤٦٢ هـ

تأثر وميات

ولد أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون بقرطبة سنة ٣٩٤ . وكان أبوه  
من وجوه الفقهاء وعيون الأدباء ، فدرس عليه وعلى غيره الأدب والعلوم . ورزق

في الإنشاء قريحة طيبة وطبعاً سليماً . وسمت به كفايته ومكانته إلى أن وُزِّرَ لأبي  
الحزم بن جهور أحد ملوك الطوائف بالأندلس ، فاشتهر أمره وارتفع قدره . وألقى  
إليه مقاليد الأمور فديرها وساسها بحقق وكياسة : وكثيراً ما سافر بين مولاة  
وملوك الأندلس فأحسن حقارة وفضل المشكل . ثم دبت بينهما عقارب السعاية ،  
فنفق عليه ابن جهور وسجنه ، ولم يشفع له سالف خدمته ولا سابق حرمة .  
فكتب إليه رسالة فريدة يستمطر بها رحمة ، ويستدفع ثمنه ، فلم يكن لها ذلك  
القلب الجماد . فمر من سجنه واختفى بقرطبة حتى استشفع بأبي الوليد ابن جهور  
إلى أبيه فشفعه . وظل في حامية هذا الأمير حتى آل الملك إليه بعداً به فاستصعبه  
وقرَّبه . ولكن صلاته السياسية بصاحب مألقة أحفظت عليه ابن جهور فنفاه .  
فلجأ إلى المعتضد عباد صاحب أشبيلية سنة ٤٤١ هـ فاستخلصه إليه ، وعول في أموره  
عليه . ثم وُزِّرَ لابنه للمتمد وقضى في أشبيلية بقية عمره .

فأنت ترى من هذا الجمل أن حياة ابن زيدون العامة كانت مضطربة شاقة ،  
ولم تكن حياته الخاصة بأقل منها اضطراباً ولا مشقة . فقد ابتلى وهو في قرطبة  
بحب ولادة بنت المستكفي أحد خلفاء بني أمية ، وكانت شهيرة بالجمال والأدب  
شاعرة ، سافرة ، تساجل الشعراء وتجادل العلماء . وكانت دارها نادياً من أندية  
قرطبة ينشأه الأمراء والوزراء والأدباء والقادة ، وفي هؤلاء ابن زيدون ، وكانت  
فيه خفة روح وحسن دعابة وبراعة أدب ، فسبق المتنافسين إلى قلب ولادة فاحتله .  
وباداته هي هذا الحب ، فاذكي هذا الفوز نار الحسد في قلوب متنافسيه ومزاحميه ،  
فسعوا في إفساد ذات بينهما . واشتهر منهم الوزير أبو عامر بن عبدوس وهو عظيم  
الحول والطول ، قترلف إلى ولادة في ساعة من ساعات ملها من ابن زيدون فظفر  
برضاها : ثم عاد الحب إلى مجراه الأول فرجعت إلى ابن زيدون ، فكتب  
إلى ابن عبدوس رسالة هزلية ضافية الفيل عن لسان ولادة أشبعه فيها تقريباً  
وسخرية ، وضمنها كثيراً من الملمح في الأدب والتاريخ .

### شعره

شعر ابن زيدون هو الصورة الصحيحة لشعر الأندلس ، لا نبجاسه من أعماق فؤاده ، وانبعثاته من طبيعة بلاده . فلم يحجر جريان ابن هانيء وراء شعراء المشرق بما كبرهم ومحتفهم . لأنه لم يتخذ الشعر وسيلة من وسائل الرزق ، ولا سبيلاً من سبل الشهرة ، وإنما كان يشعر لنفسه ، ويعبر عن نزوات حسه . وهو آخر شعراء بني مخزوم وأول معاصريه رقة ودقة . تقرأ في شعره أجود ما خصت به الطبيعة الأندلسيين من وصف المناظر ، وشرح العواطف ، وسمو الخيال ، وصفاء الديباجة . وقد تظهر أحياناً على نغره ومدحه علامة الضعف ، إلا أنك لا تجد ذلك إذا تنزل أو تشوق أو استعطف ، فإن طبيعته في هذه الأغراض فياض ، وقلعه لشرحها مجيد . وسبب ذلك ما قاساه من ظلم ابن جهور له . وما عاناه من نفور ولادة منه وبمدها عنه .

وقد تضلع ابن زيدون من أشعار العرب وأسايلهم في الكتابة والخطاب حتى قيل إنه أصيب في بعض حرمة قعده للعزاء عنها ، وأقبل الناس على اختلاف طبقاتهم يمزونه ، فما أجاب أحداً بما أجاب به غيره لسمة ميدانه وحضور جنانه . وإنك لتجد أثر هذا الاطلاع بادياً فيما يضمه نثره وشعره من الأمثال والتشبيه والمليح .

### نثره

لابن زيدون نثر أنيق الوشى ، دقيق النسيج ، قليل التكلف والسجع ، كثير الازدواج والإطناب ، شديد الشبه بطريقة الجاحظ ولا سيما في التنويع بحروف الجر . وله من طريقة ابن العميد قضيين الأمثال والمليح ، والتمثل بالشعر في غضون النثر . ومن أجود آثاره رسالتان جدية وهزلية ، يثبث الأولى إلى ابن جهور يستعطفه بها وهو سجين ، وبالأخرى إلى ابن عبدوس عن لسان ولادة ، وهي التي سبق ذكرها . وقد حرص الأدباء على حفظها وعنق العلماء بشرحها .

## نموذج من كلام

قال مخاطباً بني جهور :

بني جهور أحرقتُم بِجفائكم فؤادي فما بال اللدائح تعبق  
نعدونني كالغدير الورد إنما تقوح لكم أنفاسه وهو يحرق  
وقال يشوق إلى ولادة وهي قرطبة وهو بأشبيلية  
أضفى التثاني بدلاً من تدانينا وناب عن طيب لُقيانا تجافينا  
يَنفم وبناً فما ابتلت جوانحننا شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا  
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسي لولا تأسينا  
حالت لبعدكم أيامنا فندت سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا  
ليستق عهدكم عهد السرور فما كنتم لأرواحنا إلا رياحينا  
من مبلغ اللبسينا بانتراحهم حزناً مع الدهر لا يبلى وبيلينا  
أن الزمان الذي ما زال يضحكنا أنسا بقربكم قد عاد يبكينا  
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا بأن نفصّ قال الدهر آمينا  
فانحل ما كان مقوداً بأنفسنا وانبت ما كان موصولاً بأيدينا  
وقد نكون وما نخشى تفرقنا فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا  
لا تحسبوا نأيتكم عنا يغيرنا إن طال ما غير النأي المحبينا  
والله ما طلبت أهواؤنا بدلاً منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا  
ياسارى البرق غاد القصر فاسق به من كان صرف الهوى والود يستقينا  
ويا نسيم الصبا بلغ نحيبتنا من لو على البعد حياً كان يحبينا  
يا روضة طالما أجت لواحظنا ورداً جناء الصبا غصاً ونسرينا  
ويا حياة تمليسا بزهرتها متى ضروباً ولذات أفانينا  
لسنا نسميك إجلالاً وتكرمة قدرك للعتلى عن ذاك يفتينا

كأننا لم نبث والوصل ثالثنا  
سرّان في خاطر الظلماء يكتننا  
يا جنة انخلو أبد لنا بسلسلها  
إنا قرأنا الأسى يوم التوى سوراً  
والسعد قطغضر من أجفان واشينا  
حتى يكاد لسان الصبح يقشينا  
والسكوتر العذب زقوماً وغثلينا  
مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا  
وقال يودعها :

ودع الصبر محب ودعك  
يقرع السن على أن لم يكن  
يا أخا البئر سنه وسى  
إن يطل بمدك ليل فلكم  
ذائع من سره ما استودعك  
زاد في تلك الخلط إذ شيعك  
رحم الله زماناً أطلعتك  
بت أشكو قصر الليل معك  
وقال أيضاً :

أما رجا قلبى فأت جميعه  
يدنو بوصلك حين شط مزاره  
بالبقي أصبحت بعض رجاك  
وهم أكاد به أقبل فاك

### نموذج منه شعره

قال من رسالته الجديدة :

يامولاي وسيدى الذى ودادى له ، واعتمادى عليه ، واعتدادى به ،  
وامتدأى منه ، ومن أبقاه الله ماضى حذ العزم ، وارى زند الأمل ، ثابت عهد  
النعمة سلبتنى أعزك الله لباس نعمائك ، وعطلتنى من حل إيتاسك ، وأظلماتنى  
إلى ورد إسعافك ، ونقضت بى كيف حياطتك ، وغضضت عنى طرف حمايتك ،  
بعد أن نظر الأهمى إلى تأملى لك ، وسمع الأهم ثنائى عليك ، وأحس الجواد  
باستعدادى لك . فلا غرو قد ينص للاء شاربى ، ويقتل البواء للمستشفى به ، ويؤتى  
الحذر من مأمته ، وتسكون منية التمنى فى أميته . والحين قد يسبق جهد الحريص :  
كل المصائب قد تمر على الفتى قهون غير شماتة الحساد  
وإنى لا تجلد ، وأرى الشامتين أى ريب المحر لا أتضعف . فأقول : هل أنا

لا بد أدمها سوارها ، وجبين عض به إكليله ، ومشرقى الصقعه بالأرض صاقله ،  
وسمهرى عرضه على النار مُتَّقَّه ، وعبد ذهب به سيده مذهب الذى يقول :  
فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم  
ومنها : ... وأعود فأقول . ما هذا الذنب لم يسعه عفوكم ؟ والجهل الذى  
لم يأت من ورائه حلك ؟ والتطاول الذى لم يستغرقه تطولك ، والتجامل الذى  
لم يف به احتمالك . ولا أخلو أن أكون بريئاً فأبين المدل ؟ أو مسيئاً فأبين  
الفضل ؟

إن لا يكن ذنب فعلك واسع أو كان لى ذنب ففضلك أوسع  
وكلها على هذا الأسلوب الرائق ، والديباجة المشرقة والتضمين المحكم ،  
والافتنان الرائع .

وقال فى رسالته الهزلية :

أما بعد أيها المصاب بعقله ، والمورط بجهله ، البين سقطه ، الفاحش غلظه ،  
العائر فى ذيل اغتراره ، الأعمى عن شمس نهاره ، الساقط سقوط الدباب على  
الشراب ، التهافت تهافت الفراش على الشهاب ، فإن العجب أكذب ، ومعرفة  
المرء نفسه أصوب . وأنت راسلتنى مستهدياً من صلتى ما صغرت منه أيدي أمثالك ،  
متصدياً من خلقى لما قرعت دونه أنوف أشكالك ، مرسلًا خليلتك مرتادة ،  
مستعملاً ممشيتك قواده ، كاذباً نفسك أنك ستنزل عنها إلى ، وتخاف بعدها على :  
ولست بأول ذى رهمة دعتة لى بالنائل  
ومنها :

هجين القذال ، أرعن السبال ، طويل العنق والعلالة ، مقرط الحق  
والنباوة . بنيفض الهيئة ، سخييف القهاب والجيفة ، ظاهر الوسواس ، مدتن  
الأنفاس ، كلامك نمنه ، وحديثك غنمة ، وبيانك فقهه ، ونحكك قهقهة ،  
ومشيتك هرولة ، وغناك مسألة ، ودينك زندقة ، وعلمك غخرة .

مساو لو قُسمَ على الفواني لما أُمهِن إلا بالطلاق  
وكلها على هذا النحو من الاقذاع والنحش والتهكم .

### ابن حمد يس الصقلي

٤٧٧ — ٥٢٧ هـ

#### نشأته وحياته

ولد عبد الجبار بن حمد يس بجزيرة صقلية وعرف في بيئته منذ حداثة بمعالجة  
القرىض ؛ ولكنه ظل مجهول الذكر في أسواق الأدب فلا يسير شعره ولا يُعرف  
قدره . حتى استولى النرمنديون على وطنه وهو في ميعة الشباب ، فرأى بعينه  
وسمع بأذنه كيف سام الناصب قومه سوء العذاب ، وكيف جر على بلده شر الخراب ،  
فهاجر إلى أسبانيا عام ٢٧١ هـ ، ونزل بأشبيلية يحتاج فضل المعتد بن عباد ، فحجبه  
مدة لا يلتفت إليه ولا يعاب به ، حتى قال ابن حمد يس : « قنطت خليتي مع فرط  
تعي ، وهممت بالنكوص على عقبي . فإني لبكذلك لبة من الليالي في منزلي إذ  
بفلام معه شمعة ومركب ، فقال لي . أجب السلطان ! فركبت من فوري ودخلت  
عليه فأجلسني على مرتبة من فرو الفئك ، وقال لي افتح الطاق التي تليك ،  
فتفتحتها وإذا بكور من الزجاج على بعد والنار تلوح من بابيه ، وواقده ينتعها  
تارة ويسدها أخرى ، ثم أدام سد أحدهما وفتح الآخر ، فحين تأملتُها قال لي :  
أجز : انظرهما في الظلام قد نجيا      قلت : كما رفا في الدُّجينة الأسد  
فقال : يفتح عينيه ثم يطبقها      قلت : فعل امرى في جفونه رمد  
فقال : قابظه الدهر نور واحدة      قلت : وهل نجما من صروفه أحد ؟  
فاستحسن ذلك وأمر لي بجائزة سفية وأزمنى خدمته .

وغل الشاعر يثقل في نعم الملك حقبة من الدهر حتى أنزله ابن تاشفين عن  
دسته ، ونفاه من ملكه ، فقبه ابن حمد يس إلى منقاه فمات الملك بعد أربع

سنين من نكبته ، وأقام الشاعر في المهديّة قاعدة أفريقية ، ثم انتقل إلى ميورقة  
فتوفى بها معوجّ القناة مكفوف البصر .

### أخلاقه

كان ابن حمد يس صحيح العقيدة ، وقور النفس ، رقيق الشعور ، قوى الملاحظة  
ظاهر الجلد ، كثير الانقباض ، شديد التشاؤم ؛ ولكنه كان سمح الأخلاق ، حلو  
المعاشرة ، يحضر مجالس الطرب ، ويخالط أصحاب اللهو ، في عفة نفس وكرم خلق  
وسلامة عرض ، ويبلغ من وصف ذلك مبلغ الإجادة والإبداع . وهو القائل :  
أصف الراح ولا أشربها      وهى بالشّدو على الشّرب تدور  
كالذى يأمر بالعكر      ولا      بسطلى نار الوغى حيث تفور

وهذه الصفات التى ذكرناها إنما استنتجناها من شعره ، ولا ندرى أهى  
فيه من طبيعة ميلاده . أم هى أثر من آثار نكبته فى بلاده .

### شعره

شعره مرآة صافية تجلت فيها أخلاقه : فهو عفيف اللفظ ، نبيل  
الفكرة ، لا يسف إلى المجون ، ولا يتورط فى النى . وقد دعا ظلم الزمان ولؤم  
الإنسان وعلا السن إلى التبرم بالحياة ، والشكوى من الناس ، والثورة على النفس ،  
وسلك مذهب أبى العتاهية فى الوعظ والتزهيد والتصوف بلغته الواضحة وأسلوبه  
المشرق . ثم تأتلق نفسه وينشرح صدره أحياناً فتفتح مشاعره لجمال الطبيعة ،  
ولذات الحياة ، وعجائب الكون ، فيصف النهر والزهر والصيد والخيل والليل  
وقصور الترف ، ومجالس الطرب ؛ يرسم كل أولئك بلفظ أنيق ، وتصوير دقيق  
وعبارة بيّنة . ولعلك تلمس ذلك فيما نختاره لك من شعره ، وكله مجموع مطبوع  
فى بلرم سنة ١٨٧٣ وفى رومية سنة ١٨٩٧ م .



## نموذج من شعره

قال في وصف نهر :

ومُطَرَّد الأجزاء يصقل منته  
صباً أعلنت العين ما في ضميره  
جريح بأطراف الحصا كلما جرى  
عليها شكا أوجاعه بخبره  
وقال يصف بركة في قصر ابتناه المنصور بن أعلى الفاس ببجاية ،  
عليها أشجار من الذهب والفضة وأسود من المرمر ، والماء يخرج من أطراف  
تلك وأفواه هذه :

وضراغم سكنت حرين رآسة	تركت خير المساء فيه زئيراً
فكأنما غشي النضار جسمها	وأذاب في أفواها الباورا
أسدٌ كأن سكونها متحركٌ	في النفس لو وجدت هناك مثيراً
وتذكرت فكاتها فكأنما	أقت على أدهارها لتثورا
وتخالها والشمس تجلو لونها	ناراً والسنا الواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول	ذابت بلا نار فعدن غديراً
وكأنما نسج النسيم لمائه	دِرحاً قدّر سردها قديراً
وبهية الثمرات تسبر نحوها	عيناي بحر عجائب مسحوراً
شجرية ذهبية نزعته إلى	سحر يؤثر في النعي تأثيراً
قد سُرّجت أغصانها فكأنما	قبضت بهن من القضاء طيوراً
وكأنما تابى لوقع طيرها	أن تستقل بنهضها وتطيرا
من كل واقعة نرى مقارها	ماء كلسال اللجين عميراً
خرس تعدّ من القاصح فإن شئت	جعلت تُقرّد بالياه صفها
وكأنما في كل غصن فضة	لانت فأرسل خيطها مجروراً
وتريك في الصهريج موقع قطرها	فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا

ضَحَكْتَ محاسنه إليك كأنما جُعِلَتْ لها زُهر النجوم ثُغُورا

وقال يكي ذنوبه ويستغفر ربه :

يا ذنوبي تَمَلَّتِ والله ظهري  
كلما تبت ساعة عدت أخرى  
تقلت خطوتي وفودي تعرّى  
دبّ موت السكون في حرّكاتي  
وأنا حيث سرت آكل رزقي  
كلما مرّ منه وقتُ بريح  
يا رفيقاً بعبده ومحيطاً  
مِلْ بقلبي إلى صلاح فسادى  
وأجرنى بما جناه لسانى

وقال من قصيدة يندب الزمن ويشكو الإخوان :

أتمسّنى أنسى وما زلت ذاكرا  
تغذى بأخلاقى صغيراً ولم تكن  
ويا ربّ تبت تعذّيه مرارة  
علمت بتجربى أموراً جهلتها  
ومن ظن أمواه الخضارم عذبة  
ركبت النوى في رحل كل بحبيبه  
ولما رأيت الناس يرهب شرم

وقال في النزل :

عذبت رقة قلبي  
وتمتّ جسمى سقما  
من لى بصير جميل  
ظلماً بقسوة قلبك  
وما شفيت بطلبك  
على رياضة صعبك ؟

فيا تشوقَ بـعدى ا      إلى تنسّم قربك ا  
 ووجنت غمتها      في الورد صفة ربك  
 لقد جنحت لى      كما جنحت لمربك  
 فباللال الذى زا      دفى ملاحه عجبك  
 فكى من الأسر قلباً      عليه طابع حبك  
 ونعمىنى يبتى      فقد شقت بعثك  
 ابن خفاجة الأندلسى

٤٥٠ — ٥٣٣

### نشأته وحياته

أبو إسحق إبراهيم بن خفاجة الأندلسى وُلد بمدينة شقرا أو جزيرة شقر كما  
 يسميها العرب . والظاهر من شعره أنه عاش معيشة الفنانين خليع العذار طليق  
 الإسار فلم يَسْم إلى معالى الأمور ، ولم يتول عملا من الأعمال العامة ، ولم يتعرض  
 لاستباحة ملوك الطوائف مع تهاقهم الشديد على أمثاله . وإنما أخلى ذرعه من  
 مشاغل الحياة ووهب نفسه للجمال وفكره للخيال وبحسه للذة ، وكله للطبيعة .  
 فهو يتنقل بين رباهما وخاتلها ، ويمجول بين مروجها وجداولها ، فيقف عند كل  
 رائحة ، ويصف كل واقعة ، ثم يمود إلى كأس روبة فيحتسبها ، أو صورة فاتنة  
 فيجتليها ، أو ثمرة محرمة فيجتنبها . وتنفس به العمر على تلك الحال حتى أتاه  
 اليقين في مسقط رأسه سنة ٥٣٣ .

### شعره

ابن خفاجة شاعر الطبيعة ومصورها . قد امتلأت نفسه وعينه من جمال  
 الحياة وجمال الطبيعة ، فراح يبرز هذا الجمال للمعنى في صور مختلفة من الجمال  
 اللفظى ؛ فانتقى الأساليب الصافية ، والألوان الزاهية ، ودبجها بزخرف البديع ،

ووشاها بكثير من الجواز والتشبيه ، واستطاع بافتتانه أن يقيك الملل من كثرة تكراره ، ووقوفه عند الناظر الحسية في استيعاء أشعاره . أما طلاب الآراء اللضيعة وللغاني المبقة ، والأفكار الفلسفية ، فما أغلهم يرجعون من قراءته بظائل : ولهذا الشاعر نثر<sup>(١)</sup> متكلف سخيف . يؤكد لك مرة أخرى أن إجادته الصناعتين قلما تتفق لأحد .

### نموذج من شعره

قال يصف زهرة :

ومائة تزهى وقد خلع الحيا      عليها حتى حراً وأردية خضرا  
ينوب لها ريق الغائم فضة      ويجمد في أعطافها ذهباً نضرا  
وقال يصف نهراً ينساب في أحد المروج قد تمرّج مجراه وتعددت مناظره :  
لله نهر سأل في بطحاء ا      أشهى وروداً من كلى الحساء  
مصطف مثل السوار كأنه      والزهر يكفنه ، مجرّ سماء  
قد رق حتى ظن قرصاً مفرغاً      من فضة في بردة خضراء  
وغلت تحف به النصوص كأنها      هدب يحف بمقلة زرقاء  
والماء أسرع جريه متعدياً      متلوياً كالحية الرقطاء  
والريح تعبت بالنصون وقد جرى      ذهب الأصيل على لجين الماء  
وقال يصف بلاد الأندلس :  
يا أهل أندلس الله دركم      ماء وظل وأنهار وأشجار ا

(١) قال من رسالة إلى بعض إخوانه يصل وده به وقد قلعه ، وهي غاية في التكلف والفتنة : أطل الله بقاء سيدي النبية أوسانه التريفة عن الاستثناء ، للرومة املوته الكريمة بالأجداء ؟ ما حلفت يا يرى لجزم ، وامطت وفترو لموضع الصم . كتبت عن وده قديم هو الحال لم يخطها اقبال ، وعهد كرم هو الفصل لم يخطه اعتلال ، والله يجهل هايك من الأحوال الناجية اللازمة . ويصم هذا بعضاً من الحروف الجازمة ، وأما استقصاء طوله إلى تجديد عهدك بمطالعه ألف الوصل ، وتصديه فعل للتل . إلى آخر هذا الهراء .

ما جنة الخلد إلا في دياركم ولو تخوت هذى كنت أختار  
وقال أيضاً :

إن للجنة بالأندلس مجلى عين وريا نفس  
فسنا صبحتها من شنب ودجا ليلتها من لس  
فإذا ما هبت الريح صبا صحت : واشوق إلى الأندلس  
وقال يصف طيفاً ألم به في ليلة طوية :

ورداء ليل مات فيه مُعاني طيف ألم لظية الوعاء  
لجمعت بين رُضابه وشرابه وشربت من ريق ومن صهباء  
ولمّت في ظلماء ليلة وفرة شفقاً هناك لوجنة حمراء  
والليل مُشَمَطُ الذوائب كبيرة خرف يلب على عصا الجوزاء  
ثم انثنى والكر يسحب فرعه ويحمر من طرب فضول رداء  
تندى بفيه أفعوانة أجرج قد غارتها الشمس غب سماء  
وتبس في أنوابه ريحانة كرمحت على ظمأ يمدول ماء  
نفّاحة الأنفاس إلا أنها حذر النوى خفاقة الأفياء  
فلويت معطفها اعتناقاً، حسبها فيه بقطر الدمع من أنواء  
والفجر ينظر من وراء حمامة عن مقلة كحلت بها ذرّاء  
فرغبت عن نور الصباح لنوره أغرى بها يبتسج الظلماء  
وقال يصف موقداً هبت عليه ريح فألمته :

لاعب تلك الريح ذاك اللمب فساد حين الجدة ذاك اللعب  
وبات في مسرى العبا يتبعه فهو لما مضطرم مضطرب  
ساهرته أحسبه مُنْقَشِياً يهز عطفيه هناك الطرب  
لو جاءه منتقد لما درى ألبب متقد أم ذهب  
نلم منه الريح خذاً خجلاً حيث الشرار أعين ترتقب

في موقد قد رقرق الصبح به ماء عليه من نجوم حبيب  
 منقسم بين رماد أزرق وبين جسر خلفه ملتهب  
 كأنما خرت سماء فوقه وانكدرت ليلا عليه شهب  
 وقال يصف شاباً جميلاً يسبح :  
 وصقيل إفرند الشهاب ، بطرفه سقم ، وللمضب الحسام ذباب  
 يمشى المويقي نخوة ولربما أطرته طوراً نشوة وشهاب  
 شق الحاسن ، للوضاء رجلة أبدأ عايه ، وللعياء نقاب  
 وبمعطفه للشبية منهل قد شف عنه من القبيص سراب  
 عبر الخليج سباحة فكأنما أهوى فشق به السماء شهاب  
 تظفر لفرته هناك حبابه ويموج من ردف ألف هباب

### لسان الدين بن الخطيب

٧١٣ — ٧٧٦ هـ

#### نشأته وميانه

هو ذو الوزارتين أبو عبد الله لسان الدين للعروف بابن الخطيب : ولد  
 بقرطبة سنة ٧١٣ في عهد السؤدد والعلم والرياسة ، وتخرج على علمائها في علوم اللسان  
 والشريعة والفلسفة والطب والرياضة والتاريخ ، وبذق كل ذلك معاصريه ومناظريه  
 من أدباء الأندلس . ثم وصلته مائة الشعر والأدب بأبي الحجاج يوسف سلطان  
 غرناطة (٧٣٣ — ٧٥٥) فاستكتبه ، ثم استوزره وأطلق يده في شئون ملكه  
 فاقسع نفوذه وضمخم أمره . وما زال في هذا المنصب وتلك الخطوة حتى توفي  
 أبو الحجاج وخلفه ابنه محمد الخامس فأقر لسان الدين في الوزارة . ولكن عقارب  
 الوشاية دبّت بين الرجلين فتسكر له السلطان ، فقر منه إلى إفريقية فأكرمه  
 ملوكها . ثم توالى عليه مكاره وخطوب انتهت بتسليمه إلى أعدائه ، فاعتقلوه

بغاس وأغروا جماعة من النقباء فأقروا بإلحاده لاشتغاله بالفلسفة . فتسور عليه  
السجن بمض الأوشاب فقتلوه خنقاً .

### سُزَلَتْهُ فِي السُّكَّانَةِ

لسان الدين كاتب مطبوع على السجع ، سائر في صناعته مع الطبع ،  
يذهب إلى الإطناب في رسائله شأن كتاب الأندلس . وربما ساق الرسالة  
الضافية كلها على روى واحد . والفتر في الأندلس مبني على الخيال والصناعة  
لغلبة الشعر على أهله . وقل أن تجد فيه السائغ للقبول لتكلفتهم السجع ،  
وتعملهم التعميق ، وتوخيهم الإطالة . فهم شعراء بالطبع ، وكتاب بالصنعة ،  
على غير ما نرى في أهل الشرق .

وله شعر رقيق اللفظ رائق المعنى مقبول الصنعة . وقد انتهت إليه زمامة العلم  
والأدب في الأندلس ، كما انتهت إلى ابن خلدون معاصره في إفريقية . ولا ابن  
الخطيب القدم الراسخة في التاريخ ، ومؤلفاته فيه تبلغ ستين كتاباً ، أشهرها كتاب  
الإحاطة في تاريخ غرناطة ، وهو معجم تاريخي لرجال غرناطة في ثلاثة مجلدات .

### نموذج منه كلامه

قال في موشعه المشهور الذي عارض به موشع ابن سهل :

جاءك الغيثُ إذا الغيثُ همي يا زمان الوصل بالأندلس  
لم يكن وصلك إلا حُلماً في الكرى أو خلسة المختلس

\*\*\*

إذ بقود الدهر أشتات التي تنقل الخطو على ما ترسم  
زُمرأ بين فرادى وُثنى مثلاً يدعو الوفودَ الموسم  
والحيا قد جلل الروض منا فتغور الزهر منه تبسم  
وروى النعمان عن ماء السما كيف يروى مالك عن أنس

فكساه الحسن ثوباً مُعلماً يزدهى منه بأبهى ملبس

\*\*\*

في ليالٍ سكنت سر الهوى	بالدجى لولا شمس القدر
مال نجم الكأس فيها وهوى	مستقيم السير سعد الأثر
وطر ما فيه من عيب سوى	أنه سر كلح البصر
حين لا النوم منا ، أو كما	هاجم الصبح نجوم الحرم
غارث الشهب بنا ، أو ربما	أثرت فينا عيون الغرجس

\*\*\*

أى شيء لأمريء قد خلاصا	فيكون الروض قد سكن فيه
نهب الأزهار فيه الفرصا	أمنت من معسكره ما تنقيه
فإذا الماء تناسى والحصا	وخلا كل خليل بأخيه
نهر الورد غيورا برما	يكفى من غيظه ما يكفى
وترى الآس لييبا فيها	يسرق السم بأذن فرس

\*\*\*

يا أهيل الحى من وادى الفضا	وبلقى سكن أنتم به
ضاق من وجدى بكم رحب الفضا	لا أبالى شرقه من غربه
فعيدوا عهد أنس قد مضى	تعتقوا عانيكم من كربه
واتقوا الله وأحيوا مفرما	جلاشى نفسا فى نفس
حبس القلب عليكم حكرا	أفترضون عفاء الحبس ؟

\*\*\*

وبلقى منعكم مقرب	بأحاديث للى ، وهو بعيد
فر أطلع منه الغرب	شقة الغرى به وهو سعيد
قد تساوى محن أو مذنب	فى هوا بين وعد ووعد



ساحر القصة معسول اللى جال في النفس مجال النفس  
سدد السهم وسمى ورمى فقوادي نية النفس ترمى  
إن يكن جار وخاب الأمل وقوادي العيب بالشوق يذوب  
غمر للنفس حبيب أول ليس في الحب المحبوب ذنوب  
حكم الانظ نها فاحكما لم يراقب في ضفاف الأنف  
منصف الظلوم ممن ظلما ومجازي البر منها والمسي  
ما لقلبي كلما هبت صبا عاده عيد من الشوق جديد  
كان في اللوح له مكتبا قوله : إن عذابي لشديد  
جلب ألم له والوصبا فهو للأشجان في جهد جهيد  
لا عج في أضلعي قد أضرمنا فهي نار في هشيم اليبس  
لم يدع في مهجتي إلا ذما كبقاء الصبح بعد الناس

ومن قصار رسائله في الشوق إلى ابن خلدون وهي تمثل طريقته في الكتابة :  
أما الشوق فحدث عن البحر ولا حرج . وأما الصبر فسل به أية درج ،  
بعد أن تجاوز اللوى والمنرج ، لكن الشدة تمشق الفرج ، والمؤمن ينشق من  
روح الله الأرج . وأنى بالصبر ، على إبر الدبر ، بل الضرب المبر ، ومطاولة اليوم  
الشهر ، حتى حكم القهر . وهل للمعين أن تسوسوا المقصر ، عن إنسانها البصر ،  
أو تذهل ذهول الزاهد ، عن سرها الرائي وللشاهد ، وفي الجسد مضغة يصلح  
إذا صلحت ، فكيف حاله إن رحلت عنه ونزحت ؟ وإذا كان الفراق هو  
الحمام الأول ، فلام المول ؟ أميت مراوضة الفراق على الراق ، وكادت لوعة  
الاشتياق ، أن تنفض إلى السياق .

تركتوني بعد تشييعكم أوسع أمر الصبر عصيانا  
أفرع سنى قدما تارة واستريح الجمع أحيانا

## الشعر والكتابة والعلوم والفنون في مصر على عهد الفاطميين

ذهبت ربح العباسيين بعد التوكل على الله لقساد الحكم وسوء النظام واستبداد الوزراء وتنافس الزعماء ؛ وانتقص الولاة دولتهم من أطرافها ، وغلب الثوار على كثير من أملاكها . وكان العلويون الفاطميون ممن شارك في هذا النهب المقسم ، فاقطعوا منها شمالي إفريقيا ثم مصر والشام والحجاز .

قام خليفتهم الأول عبيد الله بن محمد بالقيروان سنة ٢٤٦ هـ ثم أرسل خليفتهم الرابع للمزدين الله قائده وكتبه جوهر الصقلي إلى مصر في جيش عرمرم ففتحها بالسيف وملكها بالذهب ، وحفر حيث نزل سنة ٣٥٧ أساس القصر الكبير لمولاه ، وأساس الجامع الأزهر لله . وأنزل طوائف الجيش حولها في نحو العشر بن خطة ضرب عليها سوراً من اللبن فكان من ذلك مدينة القاهرة التي اتخذها القواطم منذ يومئذ قاعدة لخلافتهم تعاقب على عرشها منهم أربعة عشر خليفة من سنة ٣٥٧ إلى ٤٦٧ هـ حتى غلبهم عليه صلاح الدين .

ظفرت مصر يوم دخول الممزي بالاستقلال والخلافة والأزهر ، وخفق العلم الأبيض على القاهرة منافساً للعلم الأسود في بغداد ، ولعلم الأخضر في قرطبة ؛ ووجدت الآداب العربية والحضارة الإسلامية في ظلال هذه الأعلام الثلاثة سبيلاً إلى الانتشار ، ومساعداً على الأزدهار ، ومعيناً على النمو . وكان الفاطميون في مصر والأمويون في الأندلس إنما ينشبهون بالعباسيين في العراق ، يأتمنون بهديهم ، ويسترشدون بوجيههم ، في السياسة والحضارة والأدب والعلم والفن ، فلم يحدثوا في شيء من ذلك حدثاً يصح أن ينسب إليهم أو يعتمد فيه عليهم ، إلا ما اقتضته طبيعة الإقليم وسياسة التعليم ونظام الاجتماع . ولكن للطاولة بين هذه الخلافات

الثلاث كانت تستلزم المناقصة في تقريب الشعراء ، وتعفيد العلماء ، وتشبيد المدارس ، وإنشاء المكاتب . فكما اشتهر الرشيد وابنه المأمون في آسية ، اشتهر الناصر وابنه الحكم في أوربة ، والعزیز بالله وابنه الحاكم في إفريقية . فقد شغف العزیز بجمع الكتب واقتنائها وإقراءها حتى بلغ ما في « خزنة الكتب » التي ابقناها في قصره زهاء ألف ألف مجلد في الفقه والنحو والحديث والتاريخ والعلوم . وكان لوزيره يعقوب بن كلس اليد البيضاء والقدم السابقة في إنهاض الأدب والعلم في مصر ، فقد كان يندو في دارم رجال الأدب والشعر والفقه والصناعة ، فيقدم ويرشدهم . وكان يجلس للناس في كل جمعة فيدرسهم ويقبسمهم ما يؤلف في القراءات والفقه . وأنشأ الحاكم بأمر الله مكتبة على نسق بيت الحكمة الذي أنشاه المأمون في بغداد سماها « دار الحكمة » ، واستقدم إليها الأدباء والعلماء والفقهاء والأطباء ، وأجرى عليهم الأرزاق ، وأباح دخولها الناس ، فكثر فيها المناظرات وألقيت بها المحاضرات ، والحاكم نفسه يحضرها وينصرها ، ويعنى بها كما كان يصنع المأمون . وقد بلغ من عناية الفاطميين باللغة العربية وأدبها أن راقبوها في الدواوين وجعلوا لها في ديوان الإنشاء أستاذا يصصح أخطاء الكتاتين بها ، ويرشد العاجزين إلى طريق أدبها . كابن بابشاذ المتوفى سنة ٥٤٦٩ هـ وابن يري المتوفى سنة ٥٥٨٢ هـ . وأخذ الأزهر يشع نوره في خلافة العزیز بالله ، إذ أمر وزيره يعقوب أن يستقدم إليه ما استطاع من فقهاء العالم الإسلامي لينصروا مذهب الشيعة ، ويؤيدوا دعوى الخلافة ؛ وأن يجري عليهم الوظائف ويشيد لهم المساكن ، فانتقل هؤلاء الفقهاء من القراءة إلى الإقراء ، ومن المدارس إلى الجدل والمراء ، حتى انتهى الأمر بالأزهر إلى أن صار المدرسة الإسلامية الكبرى .

وبلغت القاهرة المعزية في أواسط القرن الخامس أوج حضارتها ، وغاية عمارتها ، فنصت برجال الأدب والفنون ، وزخرت بمخلفات الأمم والقرون . وزهت بما اقبل فيه الخلفاء والأمراء والوزراء من تشييد المناظر ، وإقامة الدور ،

وتفخيم القصور ، وعقد القباب المعجبية ، وصنع المقرنصات البديعة ، وتزيين ذلك كله بما عرف عن اليد المصرية الصناعات من روائع النقش وبدائع الزخرف وجمال الألوان ، وتوشيته بالزجاج الملون ، وتبليطه بالرخام للعقول والسكاشاني الجليل ، ورصفه بالفسيفساء المفققة « بما طاولت به القاهرة بغداد وقرطبة ، وكان نموذجا صادقا لارتقاء فن العمارة والزخرفة أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن .

وقلما سمع في تاريخ دولة إسلامية ما سمع عن الخلفاء الفاطميين في مرفهم وامتلاء خزائهم بالذخائر والجواهر والأعلاق والأسلحة والسكتب . ولم يقيم في مملكة من الاحتفال ما كان يقوم به خلفاء القاهرة في اللباس والأعياد . وكان للشعر في تلك الحفلات رواج ونفاق ، ولشعراء في ميدانه استئنان واستباق ، فنبغ في آخر هذه الدولة طائفة من الشعراء المصريين جروا على أساليب البغداديين في عصورهم الأخيرة من الليل إلى الصناعة البديعية والحلية اللفظية . وكذلك من نبغ فيها من الكتاب نهجوا هذه السبيل في شيء من التوفيق والإجادة . وحسبك أن تعلم أن القاضي الفاضل إمام الطريقة الرابعة في الأدب العربي إنما تعلم الكتابة في ديوان القاضي ابن حديد في الإسكندرية ، وكتب في ديوان الظاهر بالقاهرة . ووزر لصلاح الدين بن أيوب بعد ذلك . فطريقته من غير شك كانت هي الطريقة الناشئة في مصر على عهد . وقد فصلنا القول فيها أثناء كلامنا عن الكتابة وعن هذا الكاتب من ٢٢٨ ص ٣١٨ فارجع إليه .

### الشعراء في مصر

نبغ من الشعراء في ربوع النيل أبو علي تميم بن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي المتوفى سنة ٢٧٥ ، وقد اشتهر بشعره الغزلي ، وحواره العمري ، وأسلوبه القوي ، ونسجه الدقيق . روى عنه صاحب القيمة نخبة صالحة في الجزء الأول من ٢٤٧ وله ديوان مطبوع .

وابن وكيع الملقب بالمطس ، ولد في قرية قريبة من دمياط وتوفي بها

سنة ٥٥٩٤ هـ وقد عرف بابتكار معانيه وحسن تصرفه .

وأبو الفتح نصر الله بن قلاؤس الاسكندري الملقب بالقاضي الأعز ، رحل في أعقاب عمره إلى اليمن ومدح بعض حكامها فأغتهوه ، ولكن السفينة التي كانت تحمله وهو عائداً إلى مصر غرقت على مقربة من دهلك فعاد إلى اليمن صفر البدين ، ثم سافر إلى صقلية ورجع منها فمات في عيذاب سنة سنة ٥٦٧ هـ .

وهبة الله بن سناء الملك الملقب بالقاضي السعيد ، كان من الشعراء المجدودين والرؤساء المعدودين . اتصلت أسبابه بالقاضي الفاضل والعماد الكاتب ، وسميت به كفايته إلى مكان رفيع من الخطوة والثروة . وكان في مصر على عهد جماعة من الشعراء الذين ألف بينهم الأدب فكانوا يجتمعون ويتناشدون ويتسامرون ، وكان هو واسطة فلادتهم ومحل رياستهم . وهو أول من سبق إلى الموشحات وأجادها من شعراء الشرق . وله الموشحة المشهورة التي مطلعها .

كلّى ياسعب تيجان الربى بالحلى واجلى سوارك منعطف الجندول  
ثم جمال الدين بن مطروح وله بأسبوط ونشأ في قوص واتصل بخدمة الملك الصالح الأيوبي حتى جعله ناظراً على الخزانة ثم وزيراً للنائب دمشق ، ثم تقلبت به الحال من سفر وحضر ورمحاً وسخط حتى توفي بالقاهرة سنة ٦٤٩ هـ .  
ثم الشاعر النزلي الرقيق كال الدين بن النبيه ، وإليك ترجمته .

### كمال الدين بن النبيه

التوفي سنة ٦٩٩ هـ

#### نشأته ومبانيه

نشأ هذا الشاعر القدير مجهولة ، وحياته مروت عادية هادئة ، كالجدول السلسال في الروض الأفيع ، لا تسمع غير أنغامه وخريره . قلم يلق بنفسه في غمار السياسة وهو يهيج بين يديه ومن خلفه ، واكتفى بمدح بني أيوب في مصر حتى

اتصل بالملك الأشرف موسى صاحب الجزيرة وخلاط ، فكتب له في ديوان  
الإنشاء وأقام بنصيبين في خدمته حتى توفي بها سنة ٦١٩ هـ .

### شعره

ابن النبيه شاعر غمر البديهة مليح الفادرة ، منسجم الأسلوب ، حسن الوشى  
مطبوع على البديع ؛ فهو يتوخى الحلية اللفظية ويشتد في طلبها ، ولكن يخيل  
إليك أنه لا يتلقفها ولا يتكلفها لجمال صياغته وقوة صناعته . وما رأيت شاعراً  
قبل هذا الشاعر يتكلف بالبديع هذا الكلف ، ويسرف فيه هذا السرف ، ثم  
يضطرك وأنت تقرأه إلى الرضا عنه والإعجاب به . ذلك لأن أسلوبه قوى الحياة ،  
شديد الحركة ، كثير التنوع ، مزدهر الألوان ، يسر بقوة طبعه ما يبدو من  
ضعف صناعته ، كقوله في المدح مثلاً :

فحريق حمرة سيفه للمعتدى      ورحيق خمرة سيبه للمعتنى  
يا بدر ! تزعم أن تقاس بوجهه      وعلى جبينك كلفة المتكلف ؟  
يا غيم ! نطمع أن تكون ككفه      كلا وأنت من الجهام الخفاف

ولم يكد شعره يخرج عن أغراض ثلاثة أجادها كلها إجادته قل أن تظفر  
بمثلي في عصره . وهى المدح ، وكله في بنى أيوب إلا قصيدة أو قصيدتين مدح  
بهما الخليفة للناصر العباسي ؛ والنزل والوصف ، ولا يجيء بهما مستقلين ، وإنما  
يسوقهما مقدمة لمدحه . فأما مدحه فقد سلك فيه الطريقة المألوفة من ذكر الفتح  
ولنصر والبأس والجود . وأما غرله فمن النوع الحسى الشهوانى الذى لا يتعدى  
جمال الشكل ، من ليل الشعر ، وصبح الوجه ، وصغر الجفون ، وسهام العيون ،  
ولؤلؤ الثغر ، وياقوت الشفة الخ . أما الإحساس القلبى بالحُب والإدراك النفسى  
للجمال فشئ لا تظفر به فيه . والراجح في الظن أنه كان يقول على أنه باب من  
أبواب الشعر ، لا على أنه فيض من الشعور ، ونور من الإلهام . أما وصفه فأكثره  
في الخمر ومجالسها ، وأقله في الطبيعة ومناظرها .

وعلى الجملة فابن النبية شاعر عذب الروح ، كثير الافتتان ؛ مفرق في الحجاز  
والنشيبه والبديع . مجيد للمطالع ، محسن للتخلص . وله ديوان مطبع في بيروت  
وفي مصر .

### نموذج من شعره

قال في أول قصيدة يمدح بها الملك الناصر لدين الله العباسي :

باكر صبحك ، أهني العيش باكره	قد ترنم فوق الأبك طائرة
والليل تجري الدارارى في مجرته	كالروض تطفو على نهر أزهرة
وكوكب الصبح نجاب ، على يده	تخلق تملأ الدنيا بشأره
فاتهب إلى ذوب ياقوت لها حجب	فهل جناها مع العنقود عاصره
ساق تكوّن من صبح ومن غسق	فابيض خداه واسودت غدائره
مهتف القد يندى جسمه ترفاً	مخمر الخمر عبل الردف وافرّه
سودّ سوائفه ، لفس مراشفه ،	نفس نواظره ، خرّس أساوره
تعلمت بانه الوادى شمائه	وزوت سحر عينيّه جآذره
خذ من زمانك ما أعطاك مفتما	وانت ناه لهذا الدهر آمره
فالمر كالكام تستحل أوائله	لكنه ربما تجت أواخره

وقال في مطلع قصيدته يمدح بها الملك الأشرف :

أفديه إن حفظ الهوى أوضيما	ملك القوادفما حتى أن أصمعا ؟
من لم يذق ظلم الحبيب كظنه	سلوا قد جهل المحبة وادعى
يا أيها الوجه الجميل تدارك الص	بر الجميل قد عني وتضمضعا
هل في قوادك رحمة لحنيم	ضمت جوانحه قواداً موجماً ؟

ومن غزله أيضاً في بعض قصائده :

أجنانه شرك القلوب كأنما	هاروت أودعها فنون فنونه
-------------------------	-------------------------

يا قسوته متبسم من لؤلؤ  
ساق صحيفة خده ماسودت  
جعد الذى يمينه فى خده  
طالب الريح كأنما عجن الصبا  
خجلت عقود الدر من مكنونه  
عبثا بلام عذاره وبتونه  
وحرى الذى فى خده يمينه  
كأنور مزنته بعنبر طيبه  
وتفانضت أزهاره وتذهبت  
فكأنها طاووس فى تلويحه  
ومن غزله أيضا :

أمانا أيها القمر المثل  
يزيد جمال وجهك كل يوم  
وما عرف السقام طريق جسمي  
يميل بطرفه للتركي عني  
إذا نشرت ذوائبه عليه  
أيا ملك القلوب فحكى فيها  
قليل الوصل ينفعها فإن لم  
أدر كأس المدام على الندامى  
بمنظرك البسديع تدل تبها  
فمن جفنيك أسياف تُسل  
ولى جسد يذوب ويضمحل  
ولكن دل من أهوى يدل  
صدقم . إن ضيق العين يحل  
تري ماء يرف عليه ظل  
وتحكك فى الرمية لا يحل  
يُصّبها وابل منـه فطل  
فمن خديك لى راح وتقل  
ولى ملك بدولته أدل

وله قصيدة الرثاء المشهور التى رثى بها ولد الناصر بالله ومطلعها :

الناس للموت كخييل الطراد  
والله لا يدعو إلى داره  
والموت نقاد ، على كفه  
لا تصلح الأرواح إلا إذا  
فالسابق السابق منها الجواد .  
إلا من استصلح من ذى العباد  
جواهر يختار منها الجياد  
سرى إلى الأجسام هذا الفساد



## ابن الفارض

٥٧٩ — ٦٣٢ هـ

نشأته ومبانيه

هو أبو حفص عمر بن علي المعروف بابن الفارض . أصل آباءه من حمة وولده هو بالقاهرة سنة ٥٧٩ هـ ، وتفقّه في الدين ، وتوسع في اللغة والأدب ، حتى أحرز منهما قسطاً وافراً . ثم وقع في نفسه أن ينهج منهج الصوفية ، فالتقى آثارهم وعرف أسرارهم . وذهب إلى مكة فزار البقاع المقدسة ومكث بها زمناً ثم رجع إلى مصر فقصى بها بقية عمره بين الإعظام والإكرام حتى توفي بالقاهرة ودفن بسفح المقطم سنة ٦٣٢ هـ .

### صفاته

كان ابن الفارض على تقشفه وتصوفه جميل الهيئة ، حسن البزة ، ظريف المحضر ، محمود المشيرة ، وقوراً ، كثير الورع ، إذا مشى في المدينة ازدحم الناس عليه يلتمسون منه البركة والاداء . وإذا حضر مجلساً عقدت حبيته ألسنة أهله فلا يتكلمون . فإذا أراد النظم أخذته غيبوبة بطول أمدها أحياناً إلى عشرة أيام كما قيل ، لا يأكل أثناءها ولا يشرب ولا يتحرك ، فإذا أفاق أمل شعره .

### شعره

نشأ ابن الفارض في عصر الأيوبيين وهو عصر تنازع النفوس فيه عاملان مختلفان : عامل التصوف والتقوى ، لنوام الحروب وتوالي الكروب من الجماعات والموتان ؛ وعامل الفسوق والمجون ، لانحلال الأخلاق وتحكم الشهوات ، وانتشار المخدرات . واتجه الشعر في مصر وفي غير مصر إلى هاتين الوجهتين . فهو إما أن يراد به الله وإما أن يراد به الشيطان . وابن الفارض قد نشأ نشأة دينية ، وربى

تربية صوفية ، فلم يكن له بد من سلوك طريقة القوم في شعره ، ينظم إشاراتهم ، ويصف مقاماتهم ، ويكثر من نعت الخمر وذكر الغزل ، مريداً بذلك الذات الإلهية على اصطلاحهم . فكان بذلك مُوجد الطريقة <sup>(١)</sup> الرمزية في الشعر العربي ( Sympolisma ) وهو أكثر الشعراء تعميلاً للكلام وتكلفاً للبديع ، وولوعاً بالجناس والطباق ، وأسبغ معاصريه شعراً ، لرقته واشتماله على ما يرضى المتصوف الزاهد ، والعاشق الماجن : ذاك يباطنه وهذا بظاهره . فالتصوفون ينشدونه في مجالس الذكر ، والخلعاء يغنونه في مجالس الخمر . وقد شرح ديوانه جماعة من العلماء واختلفوا في أغراضه ، فمنهم من شرحه على ظاهر اللفظ ولم يتأول شيئاً كالهوريني ( ١٠٢٤ ) ومنهم من شرحه وأوله على طريقة الصوفية كالنابلسي ( ١١٤٣ ) .

ومن أشهر شعره تأنيته الكبرى والصغرى ، تبلغ الأولى نحو ٦٠٠ بيت والأخرى نحو ١٠٣ بيت . وقد استوعبت أغراض الصوفيين وأسرارهم ، ولا يقرأها إلا من رزق الصبر والجلد على حل هذه الرموز ، يقول في مطلع الكبرى :  
 نم بالعصا قلبي صبا لأحبنى      فيأخذنا ذاك الشذا حين هبت  
 تذكرني العهد القديم لأنها      حديثة عهد من أهيل مودني  
 أما سائر شعره فجلى واضح يغلب فيه الخفيف إلى الحجاز وأهله ، والإكثار من ذكر جباله وقراءه .

### نموذج من شعره

قال في الغزل :

لم أخل من حسد عليك فلا تضع      سهري بتشجيع الخيال المرجف  
 وأسأل نجوم الليل هل زار الكرى      جفني ؟ وكيف يزور من لم يعرف

(١) ظهرت الطريقة الرمزية في فرنسا في منتصف القرن التاسع عشر نتيجة لطريقة البرناسية ( Ecole Parnassienne ) وقد بلغ أربابها بالكعابة والشعر حد التعمية والتعجيز . اقرأ ما كتب عنها في كتابنا « دفاع عن البلاغة » .

وقال :

أعِدْ ذكر من أهوى ولو بلام فإن أحاديث الحبيب مدامى  
 كأن عذولي بالوصال مبشرى وإن كنت لم أطمع برد سلامى  
 طريح جوى صب جريح جوارح قنيل جفون بالادوام دوامى  
 صحيح عليل فاطلبونى من الضنى ففيا كما شاء النحول مقامى  
 وقال فى الحر وفيها كثير من رموز الصوفية :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يُخلق الكرم  
 لها البدر كأمس وهى شمس ، يديرها هلال ، وكم يبدو إذا طلعت نجم  
 ولولا شذاها ما اهتديت لحايتها ولولا سناها ما تصورنا الوهم  
 يقولون لى : صفها فانت بوصفها خير ، أجل عندي بأوصافها علم  
 صفاء ولا ماء ، ولطف ولا هوا ، ونور ولا نار ، وروح ولا جسم  
 تقدم كل الكائنات حديثها قديماً ولا شكل هناك ولا رسم  
 وقالوا شربت الإثم ، كلا وإنما شربت التى فى تركها عندي الإثم  
 فلا عيش فى الدنيا لمن عاش صاحباً ومن لم يمت سُكراً بها فاته الحزم  
 على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم

بهاء الدين زهير

٥٨١ - ٦٥٦ هـ

نشأته ومياله

أبو الفضل زهير بن محمد المهلبى ولد بوادى نخلة على مقربة من مكة ونقل إلى مصر فنشأ بها وتأدب فلما بلغ أشده واستوى فى العلم والجسم ، وبرع فى النظم والنثر والخط ، انصل بالملك الصالح بن الملك الكامل الأيوبى ورافقه إلى الشام والجزيرة . فلما غلبه ابن عمه الملك الناصر صاحب الكرك واحتقله على أثر موقعة

بينما خذله فيها قواده ، وتألبت عليه أجناده ، وانضوا تحت لواء ابن عمه لم يقض البهاء عهد ملكه ، ودعاه الوفاء ألا يخدم غيره . فأقام ببابلس حتى عاد الماء إلى مجراه ، ونهض الجند بمولاه ، فاسترد الصالح ملك الديار المصرية فأعاد بهاء الدين إلى خدمته . وعرف له ولاءه ووفاءه ، فأخذ وزيره وموضع سره ، يصدر عن رأيه ويمضي على مشورته . وقد نفع كثيراً من الناس بوساطته وشفاعته . وظل على تلك الحال حتى مات الملك الصالح فلم يزل داره إلى أن حدث بالقاهرة وباء فمات به سنة سقوط بغداد في أيدي التتار .

### شعره

كان بهاء الدين دمث الأخلاق ، رقيق الطباع ، لين الجانب ، حلو الكلام فأثرت تلك الصفات في شعره ، فجاء عذباً رقيقاً بطمع السامع أن يأتي بمثله لسهولة ورقته ، فإذا حاول عجز . فشعره فيض قريحته ، ووحى طبيعته ، وصورة بيئته لم يقلد فيه أحداً ، ولم يطلب من ير شعوره مدداً ، ولم يعبر عنه إلا بلغة المصريين وأساليبهم . فلا نجد كلمة غريبة ، ولا جملة معقدة ، وإنما تدرك فيه عذوبة النبل وتدقيقه ، وتلح عليه جمال جوده وتأنقه وقد أحسن وأجاد في الغزل والعتاب ، وقصر فيما عداها . وليس في معاني البهاء ابتداع ولا تخيل ؛ وإنما هي معان عادية كساها الفاظاً سهلة ، وبث فيها من روحه الفياض قوة التأثير فسمت إلى أحرار المعاني . وشعره بمجموع مطبوع متداول . وقد ترجمه المستشرق الإنجليزى بلنر إلى الإنجليزية نظماً وطبعه في كبرج سنة ١٨٧٦ في مجلدين وعلق عليه .

### نموذج من شعره

قال مخاطب المتزمت من صروف الدهر :

لا تعجب الدهر في خطب رماك به      إن استرد قديماً طاملاً وهماً  
حاسب زمانك في حالٍ تصرفه      تجده أعطاك أضعاف الذي سلماً

والله قد جمل الأيام دائرة      فلا ترى راحة تبقى ولا تعباً  
ورأس مالك وهي الروح قد سلت      لا تأسفن شيئاً بعدها ذهباً  
ما كنت أول مقدوح بمحادثة      كذا مضى الدهر لا بدعاً ولا عجباً  
فرب مال نما من بعد مرزاة      أما ترى الشمع بعد القطف ملتهباً ؟

وله في الغزل :

خليلي أما هذه فديارهم      وأما غرامي فهو ما ترون  
خليلي هذا موقف بيعت البكا      فإذا الذي بالدمع تنتظرون ؟  
فإن كنتما لا تسعداني على الأسي      قفا ودعاني ساعة ودعاني  
فياوبح قلبي بالغرام أطمعه      فإلى أراه في السو عصا ؟  
وإني وإياه كما قال قائل :      رفيقك قيسي وأنت يماي ؟

ومن قوله في الغزل أيضاً :

إن شكا القلب هجرم      مهّد الحب عنركم  
لو رأيستم محلكم      من فؤادي لسركم  
قصروا حدة الجفا      طول الله عمركم

ومن قوله في المزاح :

لك يا صديقي بطة      ليست تساوي خردله  
تمشي فتحسبها العيون      ن على الطريق مشكله  
وتخال مدبرة إذا      ما أقبلت مستعجله  
مقدار خطواتها الطويلة      حين تسرع أنمله  
تهتز وهي مكانها      فكأنما هي زلّة  
أشبهتها بل أشبهتك      كأن يمشي صله  
تحكي صفاتك في الثقا      والمهانة والبله

## الفصل السادس

### العلوم

#### الترجمة والتأليف

لم يكن ما وُضع في عهد بني أمية من العلوم إلا بذراً نماً وأثمر في هذا العصر الذي ثابت فيه العقول من غفلتها، وهبت النطن من غفوتها. فلقد عني خلفاؤه وعلماءه بتدوين العلوم وترجمتها ونشرها. وكان أسبقهم إلى ذلك الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور، فإنه أنشأ المدارس للطب والشريعة، واستقدم جرجيس بن بختيشوع رأس أطباء جنديسابور ونقرأ من السريان والفرس والهنود، فترجموا له كتباً في النجوم والطب. وكان من ذلك كتاب السند هند في الفلك، وكتاب أقليدس في الرياض. ونقل له ابن المقفع بعض كتب الأدب والمنطق. ثم فترت هذه النهضة أيام الهادي والمهدي حتى قوتها الرشيد بروح البرامكة، ونشرها في مملكته المتسعة، وضم إيوانه نوابغ العلماء، وأخذ على نفسه بأن يلحق بكل جامع للصلاة جامعة للعلم، وأن يستصعب مائة من العلماء كلما سافر. وكان يحمل العلماء على تباين نحلهم، فسكان أطباءه وتراجته من السريان المسيحيين كآل بختيشوع وآل ماسويه. وقد ترجم في زمنه ما وجد من كتب الطب والكيمياء والنجوم والحيل<sup>(١)</sup> والجبر والنبات والحيوان.

ولما أفضت الخلافة إلى المأمون - وهو في العرب كبريكلس في اليونان، وأغسطس في الرومان - استمر أوار هذه النهضة العلمية. فأنتم ما بدأ به آباؤه، واتخذ له بطانة من علماء اليونان والسريان والعجم. وتوافد إليه الحكماء والأدباء

---

(١) علم الحيل فرع من الفلسفة الرياضية يبحث عن نواويس الحركة والموازنة وتطبيقها وهو ما يسميه الفرنج ميكانيك (Mécanique).

من كل حدب ونحلة . وأمر سفراءه وعماله في أرمينية وسورية ومصر أن يبعثوا إليه بما يجدون من كتب في تلك الأصقاع ؛ فكانت الإبل ترى من آن إلى آن داخله بتداد موقرة ظهورها بجلائل الأسفار العبرانية واليونانية والفارسية . وداخل ملوك الروم وسألم صلته بما لديهم من الكتب الفلسفية فبعثوا بها إليه . وجعل من شرائط صلته مع ميخائيل الثالث ملك القسطنطينية أن يرسل إليه بمجموعة من الكتب النادرة . فلما حصل كل ذلك عنده استخار له خير التراجم فترجم على خير ما يمكن . فلم يبق من كتب الصناعة والعلوم والفنون شيء إلا نقله إلى العربية وأقبل الخلفاء والناس على تلك العلوم درسا وفهما حتى حلوا رموزها وفتحوا كنوزها ، ورقوها بالتفصيل والتكميل وأصلحوا خطأ المتقدمين من العرب حتى اليونان أنفسهم . ثم بسطوا غير ذلك علوم الشريعة ، وضبطوا قواعد اللسان ، ووضعوا علوم البيان ، ووضعوا على العروض والقافية ، وحذا الملوك في الشرق والغرب حذو العباسيين فسادوا المدارس ، وأقاموا المراصد ، وشجعوا العلماء ، حتى أثمرت تلك النهضة وكشف العرب واختراعوا ما لا يحمله العالم ولا ينكره الخارج<sup>(١)</sup> ولم تزل سوق العلم نافقة حتى ضعف أمر العرب بتغلب التت وتسلط الترك فسقطت رغبة الملوك فيه ، وانقطعت أسباب الطلب ، ودرست المصنفات ، وكسدت بضاعة العلم ، وظن الناس أن تحصيله سعى باطل ، فاقنعوا على شرح الكتب واختصارها ولم يعمدوا إلا بالتأليف .

فلما رأت العلوم أن الشرق قد تجهم لها ، وأن الزمان قد أضعف أهلها ، لبست ثياب الحداد وسارت قاصدة أوربا عن طريق المغرب والشام ، ففتح لها الغرب صدره ، وفعل ملوكه بالعلوم العربية ما فعله العرب بالعلوم اليونانية . وأخذ ظل العلوم يتقلص من الشرق ويمتد في الغرب حتى آل الأمر إلى ما نحن عليه الآن !

(١) من ذلك كشفهم قوانين لنقل الأجسام مائتها وجامعها ، واختراعهم الساعة الدقاقة كالتي أهداها الرشيد إلى شارلمان ملك فرنسا في عهده . والبندول وبيت الأبرة وهم الذين وضعوا الكيمياء الحقيقية ورقوا علم الجبر وزادوا عليه . وألقوا الأرساد والأزياج وحسبوا الكسوف والخسوف ، ورصدوا الاعتدالين الربيعي والخريفي ، ونصروا الأرقام الهندسية وسبقوا إلى صناعة الكاغد ؛ وغير ذلك مما أطال القول فيه مؤرخو الفرنج لا مؤرخو العرب ( انظر تاريخ العرب وحضارتهم لسيو ( Sodillot ) وكتاب ( في أصول الأدب ) لزيات طبع القاهرة سنة ١٩٥٢ .

## العلوم الأدبية

### علم الأدب

كان للأدب في عهد بني أمية ما للعلم في عهد بني العباس من سمو المكانة وفرد العناية لحدائث عهد القوم بالبداوة ، وتمدح رجالاتهم باللسن ، وحاجتهم إلى فصيح اللغة وطرف الشعر في استجلاء<sup>(١)</sup> غامض الكتاب ، واستيضاح غريب السنة ، والاستشهاد على ضوابط النحو ، واكتساب ملكة اللسان . وكان الأدب إذ ذاك إنما يؤخذ من الأقواء يُحفظ في الصدور وتُضرب إلى مظانّه أكباد الإبل . فلما بزغ هلال العصر المباسي وخامر العرب داء العجمة واستشرى فساد اللحن ، اختص بالرحلة إليه والتلّس له طائفة من العلماء شهروا بالرواة ، كحماد الراوية (١٥٦) والخليل بن أحمد (١٧٥) ، وخلف الأحر (١٨٠) ، وأبي عبيدة (٢٠٩) ، وأبي زيد الأنصاري (٢١٥) ، والأصمعي (٢١٦) . كانوا يرؤدون البادية ويدخلون الأعراب ابتغاء ظهير مستلح ، أو شمر مستطرف ، أو كلمة غريبة .

وغل الشأن في رواية الأدب للسمع والحفظ ، حتى مست الحاجة إلى التدوين لاستعجام العرب واتساع دولتهم . فأخذ العلماء يدونون ما يسمعون . بدأ بذلك أبو عبيدة والأصمعي ؛ ولكن الجاحظ هو أول من ضم شتيت الأدب ، واستوعب أطرافه بكتايبه البيان والتبيين والحيوان . ثم تتابع العلماء بعده على التصنيف فيه كالبرد صاحب الكامل ، وابن قتيبة صاحب أدب الكاتب ، وابن عبد ربه صاحب العقد الفريد ، وأبي علي القالي صاحب الأمالي ، وأبي الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني . هؤلاء هم رجال الأدب ومراجعهم ، وكتبهم هي موارد ومشارعهم

(١) كان ابن عباس يقول : إذا قرأت شيئا من كتاب الله ولم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب . وقال الشافعي : طلبت اللغة والأدب عشرين سنة لأريد بذلك إلا الاستمالة على اللغة .



## الادباء

### الأصمعي

١٢٣ — ٢١٦ هـ

#### مبانيه وعلمه

وُلد أبو سعيد عبد الملك بن قُريب الأصمعي (نسبة إلى جده أصمع) سنة ١٢٣ هـ في بيت عربي عريق في الكتابة، ونشأ بالبصرة، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمتها. وقيل عن فصحاء الأعراب الذين كانوا يقدون إلى البصرة، وأكثر الخروج إلى البادية، وشافه الأعراب وسأكنهم. وربما استفرقت بعض رحلاته سنوات يحج في أثنائها ويلتقي بالفصحاء في اللوامس حتى اجتمع له من الأخبار والنوادر والغريب ما لم يجتمع لغيره. وكان معاصراً لأبي عبيدة منافساً له في اللغة والرواية. وقد فاضل أبو نواس بينهما فقال «إن أبا عبيدة لو أمكنوه لقرأ عليهم أخبار الأوائل والآخرين. وأما الأصمعي فلبيل بطربهم بنفاته». وحدث الأصمعي عن نفسه قال: «حضرت أنا وأبو عبيدة عند الفضل بن الربيع فقال لي: كم كتابك في الخليل؟ قلت: مجلد واحد. فسأل أبا عبيدة عن كتابه فيها فقال خمسون مجلداً؛ فقال له قم إلى هذا القوس ولمسك كل عضو منه وسمه، فقال: لست بيطاراً، وإنما هذا شيء أخذته عن العرب. فقال لي قم يا أصمعي وافعل أنت ذلك. فحمت وأمسكت ناصيته وجعلت أسميه عضواً عضواً، وأنشد ما قالت العرب فيه إلى أن فرغت منه؛ فقال خذ فأخذته. وكنت إذا أردت أن أغيظ أبا عبيدة ركبته إليه، وهذه الحكاية مع دلالتها على فرق ما بين الرجلين تدل على قوة ذاكرة الأصمعي وشدة حافظته. فلا بدع إذا قال إنه يحفظ اثني عشر ألف أرجوزة. وكان الأصمعي مع اشتغاره بالثقفة في الرواية والتضلع

من اللغة مشهوراً بنقد الشعر أيضاً ، أخذ ذلك عن خلف الأحمر . وله في الشعر والشعراء آراء عالية . وهو على طرفه شديد الورع كثير الاحتراز في تفسير الكتاب والسنة . فإذا سئل عن شيء منهما كان يقول : العرب تقول معنى هذا كذا ولا أعلم المراد منه في الكتاب والسنة . وما زال نديماً للخليفة الرشيد حتى توفي . فلما ولي المأمون وقامت الفتنة بخلق القرآن خاف على دينه وقبع في كسر بيته ، وحرص المأمون على أن يصير إليه ، فاحضج بكبر سنه وضعفه ، فكان المأمون يجمع الشك من المسائل ويسيرها إليه ليجيب عنها . ورئى بعد ذلك راكباً حاراً دميماً ، فقيل له : « أبعد براذين الخلفاء تركب هذا ؟ » فقال هذا وأملك ديني أحب إلي من ذاك مع فقدته . وهكذا رضى من العيش بالكفاف حتى توفي سنة ٢١٦ ، وله من العمر تسعون سنة .

#### مؤلفاته

ترك الأصبهني من المصنفات ما ينيف على اثنين وأربعين مصنفاً أكثرها في اللغة ، ككتاب خلق الإنسان ، وكتاب الأجناس ، وكتاب الخيل ، وكتاب النبات ، وكتاب النواذر ، وكتاب معاني الشعر ، وكتاب الأراجيز ، وأغلبها غير مطبوع .

### أبو الفرج الاصبهاني

٢٨٤ - ٢٥٦ هـ

#### نسأته وحياته

أبو الفرج علي بن الحسين المرواني ولد بأصبهان ونشأ ببغداد . واختلف إلى العلماء والرواة ، فسمع الحديث والأخبار ، وروى الأنساب والأشعار ، وتوسع في النجوم والسير والبيطرة والطب فنبه ذكره وظهر فضله ، والشرق

تتنازعه دول مختلفة ، فاستطاع أن يتقلب بين هؤلاء الخصوم يفيدهم بأدبه ، ويحتسبهم بكتبه ، ويستفيد من مالهم ، ويتقوى بنفوذهم . وما كان عطاء ملوك الشرق ليكفيه ، فكان يؤلف الكتب للأمويين بالأندلس سرّاً فينعمون عاياه . وكان يجاهر بالتشيع وهو أموي نقيّة للشيعة ومداراة ؛ لأنه في بلادهم نشأ وبفضلهم ظهر .

وكان أكثر الناس حذراً عليه وإيثاراً له ، الوزير المهلبى وزير معز الدولة ابن بويه . فانقطع إليه ومدحه وناداه حتى مات ببغداد سنة ٣٥٦ هـ وقد خوطب قبل موته .

### أخبره وعلمه

كان هذا الرجل على ظرفه وأدبه ، سليط اللسان ، مخشى البادرة ، تقية الملوك والأمراء لعلمه بالأنساب ومثالب البيونات . وكان قدر الهيئة رث الثوب لا يفسله ولا يبدله . والوزير المهلبى على تنطسه وترفه كان يحتل كل هذا منه لعلمه وحسن حديثه . فقد كان كما قدمنا ملماً بأشتات الملو، راوياً مختاراً للشور والمنظوم ، ثقة فيما يحدث ، ناقداً لما يسمع . ولم يكن أبو الفرج شاعراً مطبوعاً وإنما كان كاتباً معدوداً ، ومؤلفاً قديراً ، ومصنفاً مجيداً ، وراويّة أميناً . وحسبه ميرة وشرفاً كتابه المسمى بالأغانى .

### كتاب الأغاني

أجمع المؤرخون على أنه لم يصنف في بابيه مثله ، وأن كل كتاب في الأدب كل عليه ، ولولا لضاع كثير من أخبار الجاهلية وصدر الإسلام وأيام بني أمية ؛ ألفه في خمسين سنة ، وبناء على مائة الصوت التي اختيرت لارشيد وزيدت للوائق ، وعلى ما تخيره هو من عيون الأغاني ، فترجم بقائلها ومغنيها ، وذكر ما يدخل فيها من حرب وحب وشعر وفكاهة ؛ وحمله إلى سيف الدولة بن حمدان

فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه . وكان صاحب بن عباد إذا سافر حل كتيبه على ثلاثين جملاً . فلما اقتناه استغنى به عنها وهو أجزاء كثيرة طبع منها عشرون جزءاً في سنة ١٢٨٥ هـ ، ثم عثر أحد المستشرقين على جزء آخر في إحدى مكاتب أوربا فكلت الأجزاء واحداً وعشرين ، وضع لها الأستاذ جويدي الإيطالي فهرساً أجبدياً مطولاً بالفرنسية طبعه في لندن سنة ١٩٠٠ م ثم نقل هذا الفهرس إلى العربية في مصر وطبع بها هو والكتاب سنة ١٣٢٢ هـ . وتقوم دار الكتب المصرية الآن بطبعه طبعة متقنة منقحة بمعونة سري من سراة المصريين ولم يتم وقد اختصره أبو الفرج في مجلد واحد فقد مع سائر كتبه .

### نموذج من شعره

قال يمدح الوزير المهلبى :

ولما انتجنا لائذين بظله      أعان وما عفى ومن وما منّا  
ورَدُّنا عليه مُفْتَرَيْنَ فَرَّاشنا      ورَدُّنا حماءُ مجدِّين فأخصبنا

وقال يخاطبه من قصيدة :

فداؤك نفسى ، هذا الشتاء      علينا بسلطانه قد هجم  
ولم يبق من نشيِّ حرم      ولا من ثيابى إلا رم  
يؤثر فيها نسيم المسواء      وتخرقها خافيات الوهم  
فأنت الماد ونحن العفاة      وأنت الرئيس ونحن الندم

### علم النحو

جاء هذا العصر والنحو علم يدرس في المساجد ويدون في الكتب ، وقد أحكمت روابطه ، وحقت ضوابطه ، وأشبع الكلام فيه علماء للمصريين : البصرة والكوفة . وإلى الأولين يرجع الفضل في تكويته وتدوينه . فمنهم أبو الأسود الدؤلى واضعه ، وابن إسحق الحضرمي مُعلِّله ، وهرون بن موسى ضابطه ، وعيسى

ابن عمر أول من ألف فيه ، وسيبويه واضح كتابه ومهذب أبوابه . ولم يشتغل به الكوفيون إلا بعد ذبوعه بالبصرة وما جاورها : أخذوه عن البصريين وجاروهم في تلقينه وتدوينه ، وناقصوه في تحصيله وتفصيله . واشتد الحجاج واللجاج بين الفريقين حتى كان لكل منهما مذهب يؤيده وبعضه . ومنشأ الخلاف بينهما أن البصريين يقدمون السماع : فلا يرون القياس إلا في حال تضطرم ، ويتشددون في الرواية ، فلا يأخذون إلا عن الفصحاء الخلفاء من صميم العرب لكثرة هؤلاء بالبصرة ، وقرىها من عامر البادية . أما الكوفيون فلحلالطهم أهل السواد والنبط يعتمدون في أكثر المسائل على القياس ، ولا يتخرجون في الأخذ عن أعراب لا يؤمن البصريون بفصاحة لغتهم . فأهل البصرة أوسع دراية ، وأوثق رواية ؛ ولكن العباسيين آثروا الكوفيين عليهم لالتجاءهم إليهم ، ولقرب الكوفة من بغداد وتشيعهم لبني هاشم . فانتشر مذهبهم في حاضرة الخلافة . ولولا الفرض السياسي ما كان لهم شأن يذكر ولا قول يؤثر . وظل الجدل بين الفريقين على أشده حتى تخرب المصراع ، فجلا علماءهم إلى بغداد ، ونشأ مذهب البغداديين خليطاً من المذهبين ، كما نشأ مذهب الأندلسيين حينما عبر النحوي إلى الأندلس . وما ابتداء القرن الرابع حتى انقرضت فرسان المذهبين ، وضعفت أنصار الفئتين ، فانقطع النزاع ، وانحسم الجدل ، وجرى انؤافون على المذهب البصري فبسطوه وشرحوه واقتصروا من المذهب الكوفي على ذكر الخلاف .

ثم طال الكلام بعدئذ في هذا العلم فتباعدت حدوده ، وتشعبت أطرافه ، حتى جاء المتأخرون فقصروا ذلك الطول واقتصروا على المبادئ . كما فعل ابن مالك في التسهيل ، والزغشري في المفصل . على أن هذا العلم ملى بطائفة من فلاسفة النجاة وسعوا الجدل فيه ، قلبوا وجوه الألفاظ ، وأحيوا أموات اللغات ، وخلطوا الشاذ بالمصحيح ، وجاءوا بالتحليلات الباردة والتعديرات الفاسدة والأقوال للتضاربة ، حتى وصلوا بالنحو إلى حال لا يعجز فيها الخطي . عن قول يبرر به وهمه ، وحجة يؤيد بها زعمه .

وها نحن أولاء نترجم بأربعة من نابهي النحلة عدا من تُرجم به منهم في غير هذا الباب ، واقفين عند ذلك جرياً على ما نهجناه لأنفسنا في هذا الكتاب .

## النحلة

سيبويه

المتوفى سنة ١٧٧

نشأته ومبانيه

وُلد إمام البصريين أبو بشر عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه (رائحة التفاح) ببلاد فارس ونشأ بالبصرة . وكان في بدء أمره يطلب الحديث والفقه ، حتى كان ذات يوم يستملي على حماد بن سلمة ، فأملى عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس من أصحابي أحدٌ إلا من لو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء » ، فقال سيبويه : « ليس أبو الدرداء » فصاح به حماد : لحنت يا سيبويه ؛ إنما هذا استثناء » فقال : « لا جرم لأطلبين علماً لا يلحنني معه أحد » فطلب النحو ولازم الخليل ، وأخذ عن يونس وعيسى بن عمر ، حتى حذق هذه الصناعة وأحاط بأصولها وفروعها ، ووقف على شاذها ومقيسها . ثم وضع كتابه المشهور سرده فيه ما أخذه عن الخليل وأضاف إليه ما نقله عن نخلة المصريين ناسباً إلى كل منهم قوله . فجاء كتابه فريداً في فنه ، سديداً في منهجه ، ليس وراءه مذهب لطالب ولا مآخ لمستفيد . وقد بلغ من إجلال القوم لهذا المؤلف أن اقتصرُوا في تسميته على « الكتاب » فإذا أطلق هذا اللفظ عند النحاة لا يتصرف إلا إليه . وكان المبرد إذا أراد مرید أن يقرأ عليه يقول له : « هل ركبْتَ البحر ؟ » تعظيماً له واستصعاباً لما فيه . وقال أبو عثمان اللزني : « من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد سيبويه فليستح » ولولا هذا الكتاب لخل ذكر صاحبه .

ولما آتس سيبويه من نفسه التفوق في النحو وفد إلى بغداد وقصد البرامكة ؛  
والكسائي يومئذ بها يعلم الأمين بن الرشيد . فجمع بين الرجلين يحيى بن خالد .  
فتناظرا في مجلس أعد لذلك . فكان من أسئلة الكسائي لسيبويه قوله .  
ما تقول في قول العرب « كنت أظن أن القرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو  
إياها » فقال سيبويه « فإذا هو هي ، ولا يجوز النصب » فقال الكسائي « بل  
العرب ترفع ذلك وتنصبه » فلما اشتد الخلاف بينهما تحكما إلى أعرابي خالص  
اللهجة ، فسوّب كلام سيبويه ولكن الأمين تعصب للكسائي لأنه معلمه ولأنه  
كوني وضيع الخلقاء كما علمت مع هؤلاء — فأراد الأعرابي أن يقول  
بمقالة الكسائي . فلما أحس سيبويه تحامل الأمراء عليه وقصدهم بالسوء إليه ظفر  
بغداد وارتد مغموماً إلى قرية من قرى شيراز تعرف بالبيضاء حيث توفي بالغا  
من العمر أربعين سنة ونيفاً .

## الكسائي .

للتوفي سنة ١٨٩ هـ

شأنه ومبائر

هو إمام الكوفيين أبو الحسن علي بن حمزة الملقب بالكسائي . نشأ بالكوفة  
وأخذ القراءة عن حمزة الزيات ، وتميز بقراءة خاصة فمدّ من القراء السبعة . ولم  
يكن له يد في الشعر ، حتى قيل « ليس في علماء العربية أجمل من الكسائي بالشعر »  
وبلغه الكبر وهو لا يدري من النحو شيئاً ؛ فأقبل ذات يوم على بعض إخوانه  
من طلاب العربية وقال متأوها من مشي طويل : « لقد عبيت ! » فقالوا له : نجالسنا  
وأنت تلعن ! » فقال كيف لحنت ؟ فقالوا له : « إن كنت أردت من التعب  
قل أعبيت . وإن كنت أردت من اقطاع الحيلة قل عبيت » فأنف من ذلك  
التعجيبه ولازم معاذاً الهراء والرؤاسي من نحاء الكوفة حتى حصل ما عندهما .

وزار الخليل بالبصرة فأعجب به وسأله : أنى لك هذا العلم ؟ فقال الخليل : من  
بوادى الحجاز ونجد تهامة . فخرج الكسائي إلى البادية فطاف أحياءها ، وسمع  
فصحاءها ، حتى استكمل حفظه من الرواية ، واستوفى قسطه من اللغة . ولما رجع  
من البادية استقدمه للهدى واستخلصه لنفسه . ثم أقامه الرشيد مؤد بالولده الأمين .  
وعظمت مكانته عنده حتى كان يجلسه هو والقاضي محمد بن الحسن على كرسيين  
متميزين بحضرتيه وبأمرهما ألا ينزعجا بقيامه ومجيئه . ومكثا معه على هذه المنزلة  
حتى خرج إلى الري وها بصحبته ، فماتا في يوم واحد برنّبويه على مقربة من  
الري فهكاهما وقال : دفنت الفقه والعريية بالري .

#### مؤلفاته

انتهت إلى الكسائي الزعامة في العربية والقراءة بالكوفة وبغداد وألف  
فيها نحواً من عشرين كتاباً . منها كتاب معاني القرآن . وكتاب النحو .  
وكتاب النوادر ، وكتاب المهجاء ، ورسالة في لحن العامة

#### الفراء

١٤٤ — ٢٠٧ هـ

#### نشأته وحياته

ولد أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء بالكوفة . ولزم الكسائي حتى استمد  
منه وتخرج عليه . وشافه الأعراب وأخذ عنهم . ثم نظر في علوم كثيرة من  
الطبيعة والنجوم وأخبار العرب وأشعارها ، فامتاز بذلك من أمتاده الكسائي .  
وكان ميالاً إلى مذهب المعتزلة . ويحب النظر في علم الكلام عن غير أن يكون  
له طبع فيه ، فاكتمسب بذلك ملكة النظام والترتيب ، بقوة الاستنباط والتعليل ،  
ولا يترّف في الكوفيين من خدم اللغة العربية غيره .



قال أبو العباس ثعلب : ( لولا الفراء لما كانت اللغة العربية . لأنه حصلها وضبطها ولولاها لسقطت ) وقال أبو بكر الأنباري : ( لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية إلا الكسائي والفراء لكان لهم بهذا الافتخار على جميع الناس ) . ولما عظم أمره خرج إلى بغداد فهداه الكسائي الإقامة بها وخلفه على درسه بعد موته . فلما ولي المأمون اتصل به ونفق عنده وعهد إليه بتعليم ولديه الأدب . واقترح عليه أن يؤلف ما يجمع أصول النحو وما سمع من العربية . وأمر أن تفرد له حجرة من الدار ووكل به جوارى وخداماً ، وسير إليه الوراقين يكتبون ما يملئ حتى صنف كتاب الحدود في سنتين . ثم خرج للناس فأملى كتاب المعاني فحزنه الوراقون عن الناس ليكتسبوا بنسخه كل خمس أوراق بدرهم . فشكا الناس إليه . فلما أبوا إخراج كتابه أخذ يملئ كتاباً آخر في المعاني أطول وأوسع تخاف الوراقون ورضوا أن ينسخوا كل عشر أوراق بدرهم . وعظم قدر الفراء في الدولة حتى تسابق ولدا المأمون إلى تقديم نعليه إليه حينما يهيم بالخروج ، ثم اصطلحا على أن يقدم كل منهما فرداً . وبلغ للمأمون ذلك فاستدعاه وقال له : « من أعز الناس ؟ » فقال « ما أعرف أعز من أمير المؤمنين » قال : « بلى ، من إذا نهض تقابل على تقديم نعليه وإيا عهد المسلمين » فقال : « يا أمير المؤمنين لقد أردت منهما عن ذلك ، ولكني خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها ، أو أكرس نفسيهما عن شريفة حرصا عليها » ؛ فقال له المأمون : « لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوماً . وما وضع ما فعلاه من شرفهما ، بل رفع من قدرهما وبين من حوهرهما . وليس يكبر الرجل وإن كان كبيراً عن ثلاث : عن تواضعه لسلطانه ووالديه ومعلمه » . وللفراء مؤلفات كثيرة كان يملئها على تلاميذه دون كتاب تقوى حافظته . وكان أكثر مقامه في بغداد ، فإذا كان آخر السنة خرج إلى الكوفة فأقام بها أربعين يوماً بين أهله يفرق عليهم ما جمع حتى توفي سنة ٢٠٧ هجرية .

## ابن الحاجب

المتوفى سنة ٦٤٦ هـ

نشأته وحياته

ولد أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب بإسنا من صعيد مصر .  
وكان أبوه كردبياً يتولى الحجابة الأمير عز الدين موسىك الصلاحى فقدم القاهرة  
صغيراً واشتغل بالقرآن حتى حفظه ، وتقدم في الدين على مذهب الإمام مالك .  
وتلقى القراءات وشارك في سائر العلوم ، وغلب عليه علم العربية . ورحل إلى  
دمشق فقرأ بجامعها أمالي في النحو على مواضع من المفصل والكافية . ثم عاد إلى  
الاسكندرية فمضى بها نحبه سنة ٦٤٦ هـ .

### مؤلفاته

له من المؤلفات كتابا الكافية والشافية في النحو ، وكتاب المقصد الجليل  
في علم التحليل في العروض ، والأمالي النحوية ، ومنتهى السؤل والأمل ، في علم  
الأصول والجدل ، وهو مطول على مذهب الإمام مالك اختصره في كتاب  
يعرف بمختصر ابن الحاجب ، وكتاب جامع الأمهات في الفقه .

### علم الفقه

فسدت ملكة اللسان في الحركات فاستنبت العلماء قوانين لضبطها فما أغنت  
عن اللغة وما بطأت باللحن . بل تطرق ذلك الفساد إلى مدلولات الألفاظ  
واستعمالها ، ففرغوا في حفظها إلى الكتابة والتلويح ضناً بكتاب الله ولسان  
العرب على الجهالة والعموس . بدأ بذلك بعض أثمة العربية فأملوا كتباً صغيرة  
في الألفاظ الخاصة بخلق الانسان أو الجمل أو الخيل أو الدواب . فلما جاء التحليل

ابن أحمد مهد الطريق إلى ضبط اللغة وتدوينها بوضعه كتاب (العين) ، فإنه أحصى ما يتركب من حروف المعجم من الثنائي والثلاثي والرابعي والخماسي بمئة وأربعة وخمسة وأربعين ألفاً ، وأبانته عدد الهمز والستعمل ، ورتبه على مخارج الحروف من الحلق واللسان والاسنان والشفتين ، وبدأه بحروف العلة . وقد اختصره أبو بكر الزبيدي المتوفى سنة ٢٧٩ هـ هشام المؤيد بالأندلس ، وشاع هذا المختصر حتى فضل على أصله ومضى على معجم الخليل أكثر من قرن لم يدون في اللغة غيره ، حتى جاء أبو بكر ابن حريز فاستمد منه ومن غيره كتاب الجهرة ورتبه على حروف المعجم ، وتلاه الأزهرى فصنف كتاب التهذيب على ترتيب الخليل . ثم وضع الجوهري من المشرقيين كتاب الصحاح ، وابن سيده من الأندلسيين كتاب المحكم ، وابن فارس كتاب المعجم . وتلك هي أصول المعجمات وأسسها . أما غيرها من العباب والشكلة والنهاية ولسان العرب والقاموس فهي جمع لما أو اختصار منها .

ومما يحمل التنبيه إليه والثناء عليه كتاب فقه اللغة للإمام المتوفى سنة ٤٢٩ هـ فقد فرق فيه بين الوضع والاستعمال ، وجمع به للعاني للترادف والمقاربة في باب واحد ، مبيناً ما بينها من فروق وما نالها من تدرج أو تفرع ؛ وكتاب أساس البلاغة للزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ ، فإنه بين فيه ما تجاوزت به العرب من الألفاظ والمذلولات . وإنك لتجد في هذين الكتابين من الكشف عن خصائص اللغة ، والفحص عن أسرار العربية ، ما لا غنى عنه لكاتب ، ولا غاية بمدد لطالب .

## اللغويون

### الخليل بن أحمد

١٠٠ - ١٧٤ هـ

#### نشأته ومياله

ولد أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي بالبصرة ونشأ بها ؛ وأخذ

النحو والقراءات والحديث عن أئمة العربية وعلية الرواة كآبي عمرو بن العلاء وعيسى ابن عمر . ثم أبدى فسمع القصيح وجمع الغريب حتى نبع في اللغة نبوغاً لا يعرفه التاريخ لغيره . وأخذ من سيبويه وعن نفر من الأئمة كالنضر بن شمير ومؤرج السدوسي . وبقى بالبصرة مقياً طول حياته على فاقة وتكشف ، نُزوعاً بنفسه عن مواقف الضراعة ، وتجاوفاً بها عن مطارخ الموان ؛ حتى قيل إن سليمان بن علي وجه إليه من الأهواز لحاديب ولده ، فأخرج الخليل إلى رسول سليمان خبزاً قفاراً وقال له : « كل » ، فما عندي غيره ، ومادمت أبجده فلا حاجة بي إلى سليمان » وانكب ذلك الرجل العظيم على العلم يستنبط ويؤلف ويعلم حتى ذهبت نفسه في سبيله . فقد روى أنه قال : أريد أن أحمل نوعاً من الحساب تمضي به الجارية إلى البقال فلا يظلمها ، فدخل للسجد وهو يعمل فكره ، فاصطدم في سارية صدمة شديدة ارتج منها عنقه رجة أودت بحياته .

### علم و عمر

كان الخليل غاية في تصحيح القياس وتعليل النحو واستنباط مسائله ؛ وأكثر كتاب سيبويه منقول عنه أو مستمد منه . وكان على معرفة بالموسيقى : وضع أول كتاب فيها على غير إمام بلغة أجنبية ولا علم بآلة موسيقية . وساعده بصره بالنغم على اختراع علم العروض لما بين الإيقاع في الأنغام والتقطيع في الأجزاء من الشبه ؛ فضبط أوزان الشعر الخمسة عشر ، وحصرها في دوائرها الخمس ووقعها على المقاطع والحركات . وشغل بذلك نفسه ووقته حتى كان يقضي الساعات في حجرته يوقع بأصابعه ويحركها . فاتفق أن رآه ولده على تلك الحال فظن به مساً من خيال ، فقال له الخليل :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني      أو كنت تعلم ما تقول عذبتك  
أكن جهلت مقاتلي فعذتني      وعلمت أنك جاهل فعذرتك

والخليل أول من ضبط اللغة ، واجتكر المعجمات ، ووضع للنخط هذا الشكل المستعمل .

### مؤلفاته

ألف كتاب للمعين في خراسان وسماه بأول لفظ منه كمادة السلف ووافته المنية دون إتمامه ، فقصده إلى ذلك بعض تلاميذه فقصر عنه ، فجاء الكتاب مضطرباً مختلاً وله غيره كتاب النغم ، وكتاب العروض ، وكتاب الشواهد ، وكتاب النقط والشكل ، وكتاب الإيقاع .

### ابن دريد

٢٢٣ — ٢٢١

### نسأته ومبانه

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ولد بالبصرة ونشأ بها وأخذ العلم عن علماءها كالرياض والسجستاني ، ثم غادرها في فتنة الزنج إلى عمان ، فأقام بها اثني عشرة سنة يأخذ اللغة والشعر عن الأعراب . ثم عاد إلى البصرة ومنها شخص إلى بلاد فارس متبعاً الشاه ابن ميكال وولده ، وها يومئذ على عمالة فارس ، وألف لها كتاب الجمهرة في اللغة ، وامتدحهما بالمقصورة ، فقلدها الديوان فكانت تصدر كتب فارس عن أبيه ، ولا ينفذ أمر إلا بتوقيعه . ولما عزل ربنا ميكال عن عمالة فارس وانتقل إلى خراسان قدم ابن دريد إلى بغداد عام ٣٨٠ فاحتفى به الوزير علي بن القرات وأفضل عليه . وعلم الخليفة المقتدر به وبمكانه من العلم فأجرى عليه خمسين ديناراً في كل شهر كفته مؤونة السمي . فانقطع إلى العلم والأدب ، وعكف على التأليف ، حتى أصيب بالفالج فمات سنة ٣٢١ .

### أشهره وعلمه

كان ابن دريد مولماً بآلات الطرب . مدمناً للخمر ، مفيداً للعال ، مبيداً له ، في اللهو والهبات ، حتى أن سائلاً سأله شيئاً فلم يجد ما يعطيه إياه إلا دَنَ نبيذ . فأنكر عليه غلامه أن يتصدق به فقال : ليس عندي سواه . وقرأ قوله تعالى : ( لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا بِمَا تُحِبُّونَ ) ثم اتفق أن أهدي إليه بعد ذلك عشرة دنان ، فقال لغلامه : الحسنة بعشر أمثالها . أخرجنا دنا فجاءنا عشرة .

وقد نبغ ابن دريد في اللغة والأدب والأنساب وقام في ذلك مقام الخليل ابن أحمد . وبرز في الشعر حتى قيل فيه : إنه أقطه الشعراء وأشعر الفقهاء . وقد وضع على العرب أربعمائة حديث سلك فيها مسلك الرواية والحكاية ، وتوخى فيها جمال الإنشاء ، فدل بها على قوة طبعه في الكتابة . وهي منشورة في خلال كتب الأدب لا تكاد تميزها عما يروى عنه من الأخبار والنوادر . ويظن أنها كانت الملهم الأول لابتداع فن المقامات ، وله نظم جزل رقيق يدل على ملكة قوية وقريحة سخية ، خير . مقصوده ، وهي تسعة وعشرون ومائتا بيت ، جمعت كثيراً من أخبار العرب وأمثالهم وحكمهم : وقد شرحها كثير من العلماء ، وعارضها غير واحد من الشعراء : يقول في مطلعها :

أما ترى رأسي حاكى لونه طرقة صبح تحت أذيال الدجى  
واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جزل النضا  
ومنها :

والناس كالكبت منه رائق غصن نضير عوده رثر البجى  
ومنه ما تقتنع العين ، فإن ذقت جناح انساغ عذبا في اللها  
والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر عفى  
ولفتى من ماله ما قلعت يداه قبل موته لا ما اتفق  
ولما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

واللوم للحر مقيم رادع      والعبد لا يردعه إلا العصا  
وآفة العقل الهوى ، فن علا      على هواه عقله فقد نجا  
كم من أخ مسخوطة أخلاقه      أصفيته الود ليخلق مرتضى  
إذا بلوت السيف محموداً فلا      تدمعه يوماً أن تراه قد نبا

### مؤلفاته

له غير المقصورة كتاب الجهرقة في اللغة ، وكتاب الاشتقاق في أسماء القبائل  
والمأثور شعرائها وفرسانها ، وكتاب السحاب والغيث ، وأخبار الرواة وغير ذلك .

### علوم البيان

الغالب في الفن أن أول من تكلم في علم البيان أبو عبيدة في كتابه مجاز  
القرآن عقب أن سئل عن معنى قوله تعالى : « علمها كأنه رموس الشياطين »  
فأجاب بأنه كقول امرئ القيس :

أيقظني والشرقي مضاجعي      ومسنونة زرق كأنياب أهوال

واقضى العصر العباسي الأول ولم يدون في علم اللغاني إلا ما أثر من فحول  
الكتاب في حد البلاغة جواباً لسؤال أو عرضاً في مقال ، حتى جاء الجاحظ  
فألم ببعض أغراضه في كتابه البيان والتبيين . وهذا حذوه قدامة الكاتب  
وأبو بكر بن دريد وأبو هلال العسكري ؛ إلا أن هؤلاء وإن تسكلموا فيه  
فليسوا واضعيه لقصور كتابتهم وعموم عبارتهم . وإنما يعرف الفضل في وضع  
هذا الفن للإمام عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ ، وللإمام أبي يعقوب  
السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ : ذلك اختراع مباحثه وقعد قواعده ، وهذا مخض  
زبدته وماز اللغاني من البيان فجعلها علمين مستقلين .

أما علم البديع فأول من ألف فيه عبد الله بن المعتز . جمع منه سبعة عشر نوعاً  
ووقع معاصره قدامة بن جعفر على عشرين توارده على سبعة منها . ثم اقتضاها

الناس بالاستخراج حتى بلغت الأنواع في خزانة الأدب لابن حجة الحوى المتوفى سنة ٨٣٧ اثنين وأربعين ومائة نوع ١ .

ولا تزال هذه الفنون بعيدة عن الكمال لنشوتها عند استضعاف العرب واستعجام اللغة . والمشاركة أقوم عليها من المغاربة ، لعناية المعجم بها وبعد نظرم فيها . ولم يكن المغاربة إلا بالبديع لسهولة مأخذه فألقوه بفدون الشعر وفرعوا ألقابه وعددوا أبوابه .

### التاريخ

بدأ تدوين التاريخ عند العرب في مستهل هذا العصر . وكان يومئذ مقصوراً على ما يقتضيه الدين من فروعه « طالعازى » للوقوف على الأزمنة والأمكنة التى نزلت بها الآيات وقيلت فيها الأحاديث « والفروع » لعلم ما فتح من البلاد صلحاً أو عنوة ، فينتظم أمر الخراج والجزية . « والطبقات » للتعريف برواة الشريعة ووعاة الأدب من الصحابة والتابعين . والعرب أسبق الأمم كافة إلى هذا النوع من التاريخ . « والأوساب » لتمييز أشراف القرشيين وسادات القبائل ، فتعلم مراتبهم ، وتقدر رواتبهم . « وأيام العرب » لفهم أغراض الشعر بمعرفة أسبابه . وأشهر الكتّابين فى هذه الأنواع على الترتيب ابن إسحق المتوفى سنة ١٥٩ ، والواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ ، وابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ ، والسكرى للمتوفى سنة ٢٠٦ ، والأصمى المتوفى سنة ٢١٦ .

فلما رقت العرب على ما ترجم من توارىخ الأمم ، وانقضت الحاجة إلى التاريخ الخاص بانقضاء أسبابه ، خطوا فى التاريخ خطوة واسعة ، واختطوا فيه خطة جامعة . فكتب عمدة المؤرخين محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ تاريخه العام مرتبة حداثته على السنين فتهج المؤرخون طريقته فى التصنيف . وفضلوه



بما أدخلوه في كتبهم بعد من انباحت عليه والأدبية كابي زيد البلخي<sup>(١)</sup> .  
صاحب كتاب البدء والتاريخ المتوفى سنة ٣٧٢، والمسعودي صاحب مروج الذهب  
المتوفى سنة ٣٤٦، وابن النديم صاحب الفهرست المتوفى سنة ٣٨٥ وابن مسكويه  
صاحب تجارب الأمم المتوفى سنة ٤٢٩ . ثم عني المؤرخون بتذييل كتب التاريخ  
المدونة عن التأليف فيه . فتعاقب جماعة منهم على الطبرى بالتذيل والتكميل حتى  
مدوه إلى سنة ٦٩٦ . وجاء خاتمة مؤرخي هذا العصر أبو الحسن علي بن الأثير<sup>(٢)</sup>  
ففصل كتابه الكامل من الطبرى وذيله وأضفاه إلى سنة ٦٣٧ هـ .

### مذهب العرب في التاريخ

للعرب في كتابة التاريخ طريقتان : إما أن يسردوا السنين وما وقع فيها من  
الحوادث في أى مكان مُستدة من غير اتصال ولا رابطة ، كما فعل ابن جرير  
الطبرى وابن الأثير الجزرى وأبو الفداء . وتلك الطريقة على إضجارها القارىء  
هى الأصيلة عندهم كما يؤخذ من تسميتهم هذا الفن بالتاريخ : أى التوقيت .  
خلافًا لتسميه اليونان إياه بالحكاية أو القصة لروايتهم الوقائع بأسلوب شائق ونمط  
بديع . وإما أن يسوقوا الحوادث باعتبار الأمم والوقول كما فعل المسعودي  
وابن الطقطقى وابن خلدون وابن المعبرى .

على أن أرباب الطريقتين على كثرة ما كتبوا لم يهتدوا إلى طريق الفن ،

(١) كان المروفي أن أبا زيد البلخي هو صاحب هذا الكتاب ، ولكن الأستاذ  
كلبان حيار المستعمرى الفرنسى اتى طبعه من نسخة مخطوطة فنة جلبها من مكتبة بالاستانة وترجمه  
إلى اللغة الفرنسية أنهت بعد طبعه الجزء الأول منه أنه للطهر بن طاهر اللقى الميم يمت من  
أعمال سبستان ، لقراءت وجيهة وأدلة قوية ، ذكرها في مقدمة الجزء الثانى والثالث من  
الكتاب .

(٢) ابن الأثير هو عز الدين أبو الحسن على بن محمد الفهائى ولد سنة ٥٥٥ هـ بجزيرة ابن  
هر بالجزيرة . ورحل هو وأخوه صاحب النهاية في غريب الحديث ، وضياء الفتن صاحب  
المثل السائر مع أبيهم إلى اللوصل فتخرجوا على علمها : وطاف هو في بعض بلاد العراق طلباً  
لجاء وتحصيل العلم . ثم انقطع في اللوصل إلى الفرس والتأليف فوضع كتابه في التاريخ وكتاب  
( أسد الغابة في معرفة الصحابة ) وتوفى سنة ٦٣٠ هـ .

ولم يوفقوا إلى إتقانه ، لقلة الوسائل عندهم ، وتأثير الحاكين فيهم ، فجانبوا سبيل النقد محاباة للخلفاء ومهاواة للسلوك ، وكالوا الحوادث جزافاً دون تحقق من صوابها ، ولا نظر في أسبابها وأغلبها ، وأمسكوا عن الخوض في أحوال الأمة الاقتصادية والاجتماعية والأدبية ، قانعين بأخبار الحرب والفتح والولاية والعزل والولادة والوفاة ، وفاتهم أن تطوّر الأحوال وتغير الميول في طبقات الأمة له أثر عظيم في سياستها . وأعجب الأشياء أن ابن خلدون وهو أسبق علماء الأمم إلى فلسفة التاريخ لم يبرأ من أكثر هذه العيوب .

على أن مؤرخينا المذر في هذا القصور ، فإن فن التاريخ لا يتسنى إتقانه إلا بتوفير وسائله واستكمال علومه : كعلم المسكوكات ، وعلم السجلات ، وعلم العاديات وعلم الاقتصاد ، وعلم الإحصاء ، وعلم النقد ، وجهل العرب بهذه العلوم كلها أو جلها ساقهم إلى الأخذ بظواهر الحوادث ، وعاقهم عن وضع التاريخ بمعناه الحديث .

## العلوم الشرعية

### علم الحديث

كان أبو جعفر المنصور بعد عمر بن عبد العزيز أول من عنى بتدوين الحديث مخافة ذهابه بموت أصحابه . فأمر مالك بن أنس بوضع الموطأ فوضعه جامعاً بين الحديث والفقه . ثم تبارى العلماء في تحصيل الحديث توسعاً في الفقه ، وتفرعاً إلى الفضل ، فراجت بضاعته ، وانتشرت روايته . وقضى الله أن يندس بين رجاله كثير من أتباع الضلالة وأشياع الفرق فتقوّلوا على الرسول وأدخلوا زور الحديث على أغفال الرواة فكثرت المفتريات ونمّى على الناس الحق . فشر الأئمة للحديث بالنقد والتحصيل ، والرواة بالجرح والتعديل . وكان أسبقهم إلى ذلك إسحاق ابن راهويه المحوف سنة ٢٣٨ فآثر الحديث من الفقه . وتلاه شيخ الحديث البخاري ، وإمام السنة مسلم ، فجما سماح الأحاديث في كتابيهما . ثم ظهر بعدهما أربعة كتب في

عصر واحد تمت بها الستة الصحاح . وهي كتاب أبي عيسى الترمذى ٢٧٩ ،  
وكتاب أبي داود السجستاني ٢٧٥ ، وكتاب أبي عبد الرحمن النسائي ٢٧٥ ،  
وكتاب أبي عبد الله بن ماجه ٢٧٣ .  
وقد أطبق الناس على صحة هذه الكتب فشفلوا بها ما بين جمع وشرح  
وتلخيص . وكل كتاب بعدها كمل عليها وراجع إليها .

## المحدثون

### البخارى

١٩٤ — ٢٥٦ هـ

#### شأنه وحياته

ولد أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ببخارى ونشأ بها يتيمًا . حفظ القرآن  
وثقف العربية وطلب الحديث فى التاسعة من عمره . ولم يكديباغ الحلم حتى حفظ  
منه عشرات الألوف . وفى سنة ٢١١ هـ خرج إلى مكة حاجًا مع أمه وأخيه . فعاد هذان  
وتخلف هو للتوسع فى الحديث فرحل إلى معظم الممالك الشرقية وروى عن علمائها  
وأخذ عن فقهاءها حتى أرجعه الجدة العاثر إلى بلاده فابتلى فيها بفننة القول بخلق  
القرآن ، فأنقضى بآنه قديم غير مخلوق ، فأخرج من بخارى مطرووداً ، فلاقته المنية  
بقرية على ثلاثة فراسخ من سمرقند .

جمع كتابه « الجامع الصحيح » فى ست عشرة سنة وضمنه تسعة آلاف  
حديث تنخلها من ستائة ألف . وفيها ثلاثة آلاف مكررة بذكر وجوها . وقد  
أجمع العلماء على أنه أصح كتاب فى الحديث حتى من « صحيح مسلم » :

### مسلم بن الحجاج

٢٠٦ — ٢٦١ هـ

هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى . ولد سنة ٢٠٦ هـ ورحل فى طلب

الحديث إلى الحجاز والعراق والشام ومصر . وقدم بغداد غير مرة ، وأخذ عن البخاري وصاحبه ودافع عنه . وروى عن ابن حنبل وابن راهويه ، وجمع صحيحه من ثلثمائة ألف حديث . وهو ثاني صحيح البخاري في الصحة والمكانة ... ثم ألقى عصا الرحيل بتيسابور ، وعاش بها وادعاه في ظل ثروته وريح تجارته حتى لقي ربه .

### علم الفقه

في صدر الإسلام كانت نشأة هذا العلم وفي عصر بني العباس كان تحريره وتدوينه ونضجه . وكانت المدينة حينئذ عس الفقهاء ومقر الحديث وكعبة طلاب الفقه ورواة الحديث . فلما استقر ملك العباسيين في العراق انتشر الفقه بين أهله ، ونبغ فيه جماعة منهم نهجوا غير سبيل الحجازيين في التشريع . فقهاء الحجاز لمكانتهم من الرواية وتوسعهم في الحديث بنوا أحكامهم على النصوص ، فلا يرجعون إلى القياس الجلي أو الخفي ما وجدوا خيراً أو أثراً . وهم أهل الحديث وزعيمهم مالك بن أنس . وقهاء العراق لتشدهم في الرواية ، وقلة بضاعتهم من السنة ، وتأثير الجنسية الآرية فيهم ، عمدوا إلى القياس في استنباط الفقه . وهم أصحاب الرأي وزعيمهم أبو حنيفة النعمان . واقتضت سياسة المنصور أن يظهر العراق على الحجاز ، وبغداد على المدينة ، والفرس على العرب ، فاستقدم أبا حنيفة إلى بغداد وأكرمه وعزز مذهبه ، فانتشر بالعراق وفارس وخراسان والهند والصين والترك . واقتصر مذهب مالك على الحجاز والمغرب الأقصى والأندلس . ثم جاء محمد بن إدريس الشافعي وهو أحد أتباع مالك ، فرحل إلى العراق وأخذ عن أصحاب أبي حنيفة مسائل القياس وانفرد بمذهب بين المذهبيين . وساعدته الرحلة إلى مصر على تنقيح مذهبه ، فوضعه وضماً جديداً ونشره بها . ثم نبغ من بعده أحمد بن حنبل فقبس الحديث منه والقياس من بعض الحنفية ، واختص بمذهب آخر انتشر في بلاد نجد والبحرين تعيد فيه بالسنة وتشدد في الفروع .

وهذه هي للذاهب الأربعة التي قامت على عماد الكتاب والسنة الصحيحة  
ووقف عندها الاجتهاد وانتهى إليها التقليد في سائر الأقطار .

### الفقهاء

#### أبو حنيفة النعمان

٨٠ - ١٥٠

#### نسأته ومبانيه

هو النعمان بن ثابت مولى تيم الله من أهل الكوفة ، وأصل أبيه من فارس  
كابل . كان أول أمره خزاناً ، ثم أقبل على علوم الدين فأخذها عن شافه  
الصعابة ونقل عنهم . واشتهر بالنبوغ فيها حتى أراد المنصور على أن يلي القضاء  
فأبى وقال : « اتق الله ولا ترع في أمانتك إلا من يخاف الله . والله ما أنا مأمون  
الرضا فكيف أكون مأمون المنصب ؟ » فقال له المنصور : كذبت ! أنت  
تصلح . فقال له : قد حكمت لي على نفسك . كيف يحل لك أن تولى قاضياً على  
أمانتك وهو كذاب ؟ .

فلم يقتنع المنصور وألقاه في السجن فلبث فيه حتى قبضه الله إليه . والراجع  
أن هذا سبب مقتله ، وما سجنه المنصور إلا لميله إلى العلويين .

#### صفته وأخلاقه

كان أبو حنيفة ربة في الرجال تلوه سمرة ، وكان من أحلى الناس لثمة  
وأجهرهم صوتاً وأطلقهم لساناً . وكان كثير الخشوع ، طويل الصمت ، قليل  
الهمز ، بعيداً عن الغيبة ، لا يذكر أحداً بسوء ولو كان له عدواً .

#### علمه وأدبه

كان راسخ القدم في علوم عصره إلا العربية ، فقد كان يرتضخ لكتبة

أعجمية ولا يقيم لسانه لحنًا . وكان قوى الحجة حتى قال عنه الإمام مالك : « إله رجل لو كلمته في هذه السارية أن يحطما ذهبًا لقام بحجته » وهو أول من يوتّب الفقه وحرر فصوله ورتّب قياسه وقال فيه بالرأى لكثرة الوضعين من زنادقة العراق ، وحرصه على ألا يأخذ بالشك في دينه . فلم يصح عنده إلا سبعة عشر حديثًا . تخرج عليه من فقهاء العراق والكوفة القاضي أبو يوسف ( ١٨٢ ) ومحمد بن الحسن ( ١٨٩ ) وزفر بن الهذيل ( ١٥٨ ) وغيرهم . وقد ينسب إليه كتاب الفقه الأكبر في أصول الدين ، وكتاب الخارج في الحيل ، ووصيته لأصحابه في الأصول .

## مالك بن أنس

٩٥ — ١٧٩

### نسأته ومبائه

ولد أبو عبدالله مالك بن أنس الأصبحي بالمدينة ونشأ بها ، وأخذ العلم عن ربيعة الرأي ( ١٢٦ ) وتعمق في علوم الدين حتى صار حجة في الحديث وإمامًا في الفقه . قيل إنه أفتى بخلق المنصور ومباينة محمد بن عبدالله من آل علي ، فأحفظ ذلك جعفر بن سليمان عم الخليفة وأمير المدينة فجرّد موضريه سبعين سوطًا فما ازداد إلا علاء وشرقا . وما عثم المنصور أن اعتذر إليه وترضاه وقال له . « لم يبق في الناس أفتق مني ومنك . وقد شغلتنى الخلافة ، فضع للناس كتابا ينتفعون به وتجنب رخص ابن عباس وشدائد ابن عمرو وشواذ ابن مسعود ووطئه للناس توطئة » فصنف الموطأ . سمعه عليه للهدى ثم الرشيد سنة ١٧٤ وظاهرا عليه ثوب النعمة . وبقى مشرقا لنور العلم ، وقبلة لرواة الحديث ، وعمدة للفتوى حتى أتاه اليقين بالمدينة .

### صفته وأخلاقه

كان مالك أشقر شديد للبياض ، أصم ك كبير الرأس ، حسن البزة وقوراً مهيباً عفيفاً لا يحدث إلا على وضوء ، ولا يركب دابة في دار الهجرة على ضغفه . وكان أميناً على العلم فلا يترفع أن يقول في الشيء لا يعلمه : ( لا أدري ) .

### علمه وفضله

كان مالك من حجج الله على خلقه . لا يحدث إلا عن صحة ، ولا يروى إلا عن ثقة . قد توفر حفظه من السنة فبقى مذهبه عليها وانفسح ذرعه في الفقه فأنهت إليه الفتوى . وهو القائل عن نفسه : « قل رجل كنت أعلم منه مامات حتى يجيئني ويستفتيني » وبذلك سار المثل . « لا يفتي ومالك في المدينة » . له كتاب الموطأ في الحديث وهو أساس المذهب المالكي ، ورسالة في موعظة الرشيد .

### محمد الشافعي

١٥٠ — ٢٠٤ هـ

### نشأته وحياته

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس القرشي الشافعي نسبة إلى جد جده . ولد بغزة في فلسطين على مهاد الفقر ، ونقل بعد عامين إلى مكة ، فنشأ في بني هذيل ودرج بينهم ، وكانت أمه الأيتيم تموله مستعينة بيرذوى قراجته من قریش . وما كاد يناهز الإدراك حتى أندر في الذكاء والحفظ . قرأ القرآن ودرس العربية وراى الهادية في طلب اللغة والأدب ، وحفظ الموطأ وما أربى عمره على خمس عشرة سنة . ثم رحل في هذه السن إلى مالك قرأ عليه الموطأ حفظاً . فقال مالك : « إن أحد بفلح فهذا الغلام » ، وفي سنة ١٩٥ وفد إلى بغداد فالتف حوله علماءها

يأخذون عنه ، وفيهم أحمد بن حنبل ، ولقي محمد بن الحسن فيبصره بالقياس . ثم دخل مصر عام ١٩٩ فانتخبها دار إقامته ، وسكن القسطنطين وأملى بجامع عمرو مذهب الجديده : وعكف على العبادة والإقراء والتأليف حتى اصطفاه الله لجوارده فدفن بالقاهرة .

### صفته وأخلاقه

كان رضى الله عنه طويلاً نحيلاً ، خفيف العارضين ، حسن الصوت ، والسمت ، فصيح المنطق ، راجع العقل قوى الحجّة ، ثقة فى دينه كريماً فى خلقه .

### علمه وفكره

كان أفتى الناس فى كتاب الله وسنة رسوله ، وأبصرم بأصول العلم والفقه ، وحجة فى اللغة ، وآية فى الأنساب والأخبار . وقد بلغ من المسكنة فى الأدب والدرابة فى اللغة أن قرأ عليه الأصمى أشعار الهذليين . وقال أحمد بن حنبل : « ما أحد يحمل محبرة إلا وللشافعى عليه منة » .

توسط فى مذهبه بين أهل رأى وأهل السنة . وكثر أشياعه فى الأمصار فقاموا الحنفية مناصب التدريس والفتوى . وشجر الخلاف بين أتباع المذهبين ، وتعددت المناظرات ، حتى نشأ من ذلك علم الخلاف والجدل . والراجح أن الشافعى أول من تكلم فى أصول الفقه وصنف فيه . وقد ذكره صاحب الفهرست ما يربى على مائة مؤلف ليس فى أيدي الناس منها إلا كتاب الأم فى الفقه فى سبعة مجلدات ، والرسالة فى أصول الفقه ، ومسند الشافعى فى الحديث .



## أحمد بن حنبل

١٦٤ - ٢٤١ هـ

### نسأته ومبائر

أبو عبد الله بن حنبل الشيباني ولد ببغداد ، ونشأ بها يتيمًا . وطلب الحديث لست عشرة سنة ، وقد كثرت رواياته ، وعرفت ثقافته ، وتميز صحيحه ، فحباب الأقطار الإسلامية في سبيل تلقيه وجمعه ، حتى حفظ ألف ألف حديث تدخل منها أربعين ألفاً ونيفاً قدونها في كتابه المسند . وهو من أصحاب الشافعي وصفوة تلاميذه ، وقد قال فيه وهو راحل إلى مصر : « خرجت من بغداد وما خلقت بها أتقى ولا أفتى من ابن حنبل » .

استنبط مذهب من الكتاب والسنة وشابه بشيء من القياس ، فقل أتباعه لبعده عن الاجتهاد وتمسكه بالرواية . وتصدى هو وشيعته لمجادلة المتكلمين ومناخلة الفلاسفة في عصر الرشيد والمأمون . ودعى إلى القول بخلق القرآن زمن المعتصم فأبى ، فضرب تسعة وعشرين سوطاً حتى تقطر دمه وغاب رشده واعتل جسمه . ولم ينعم بالله إلا في عهد التوكل نصير السنة . وعاش ما عاش حتى نقله الله إلى دار كرامته فشيعة ثمانمائة ألف رجل وستون ألف امرأة . وكفى بذلك شهيداً على رفعة شأنه وعظم خطره .

## العلوم العقلية

### الفلسفة

كانت حرية الفكر في الإسلام سبباً في تعدد الفرق وظهور المعتزلة . وم يذهبون إلى تطبيق النصوص الدينية على الأحكام العقلية . وبنو المباس كما علمت

أميل إلى القياس والرأى . فاستفاض فيهم هذا للذهب . وانضوى المؤمن إلى أهله وصدع بما لم يصدقوا به فقال بخلق القرآن . وضرتم نار الجدل بين السنة والاعتزال ، وزين له أن يتذرع بمنطق اليونان لقهر خصومه ، فهب ترجمة الفلسفة وأنقى الركائب في طلبها ، وحدا الناس على النظر فيها والجدل بها ؛ فنشأ من ذلك علم الكلام وكان مبدأ لظهور الفلسفة العربية .

أجل إن الفلسفة العربية طور من أطوار الفكر الإسلامى ، وحادث من تاريخ التمدن العربى ، فكان عدد الفلاسفة قليلاً ، وأثرهم فى الشرق ضئيلاً ، ولكنهم كانوا حلقة اتصال بين الفلسفة القديمة والفلسفة الحديثة ومناراً لأوروبا العامة يومئذ فى ضباب الجهالة ، النائية فى مجاهل القرون الوسطى ، هداها إلى هذه الحضارة العظيمة وتلك الحياة الراقية .

اتخذ المعتزلة من الفلسفة سلاحاً يقارعون به أهل السنة ، وأنجى هؤلاء بالظعن عليهم وعليها ، وحذروا الناس منهم ومنها ، حتى أصبحت الفلسفة مرادفة للزندقة والقياسوف غرضاً للمقت والسخرية . كان ذلك سرأى فى عهد للمؤمن والمعتصم والواثق نصراء الفلسفة وظهروا الحكمة ، وجهرأى عهد المتوكل وأخلاقه عجيبة السنة ومبميتى البدعة فإنهم خفّضوا من إشراف الفلاسفة وشدو من شكائهم ، وألجأهم إلى التستر وعقد الجامع خفية : فكان من ذلك جماعة (إخوان الصفا وخلان الوفا) وهى أشبه بجماعة « الماسون » فى رسومها ورموزها . تألفت بالبصرة فى أواسط القرن الرابع للبحث فى ضروب الفلسفة ، والعمل على نشرها ، فكتبوا خمسين رسالة غفلاً ضمنوها جملة الفلسفة العربية ، وزبدة الحكمة اليونانية . وقد بعثت فى الفلسفة روح الحياة ومهدت لها طريق الشيوع . ووافق ذلك تغلب البوهميين على بغداد (٣٤٣) ومم شيعيون ، ونصرتهم فى خذلان السنيين ، فأخذت الفلسفة تنفق وتذبح ، حتى أصابها ما أصاب سائر العلوم من الضعف والدور

أما تاريخ الفلسفة في الأندلس فهو أشبه بتاريخها في الشرق . انتقلت إليها زمن عبد الرحمن الأوسط ( ٢٣٨ ) وتشيع لها اقتداء بالمأمون لقرب عهده منه . فنشط لدرسها الأندلسيون وازداد إقبالهم عليها وانصرفهم إليها بوصول رسائل إخوان الصفا إليهم على يد أبي الحكم عمرو الكرمانى سنة ٤٥٨ فنبغ منهم الفلاسفة وكثرفيهم الحكماء . ولكن اضطهاد العامة لهم كان أكثر، ووزرايتهم عليهم كانت أشد ؛ فاستبد للوك بهم مسaire للشعب ، ونحبياً إلى الدهاء، وقيدوا عليهم أنفاسهم ، فإذا زل أحدهم في كلمة رجوه أو أحرقوه . وناهيك بما فعله أبو يوسف المنصور للوحدى بهم في أواخر القرن السادس من تمزيق شملهم وتمزيق كتبهم .

وهكذا ظل ولاية الأندلس يسوقهم الجهل والاستبداد إلى مطاردة الفلسفة ومحاربتها حتى فرت من وجوههم لائذة بجيرانهم الفرنجة . ولا بدع فللملوم وأهلها دول تدول وسلطان يزول .

### الفلاسفة

أول فيلسوف نعرفه من العرب يعقوب بن إسحق الكندى المتوفى سنة ( ٢٤٦ ) وكان معاصراً للمأمون بارعاً في الطب والفلسفة والحساب والنطق والهندسة والنجوم والألحان . وألف في تلك العلوم واحداً وثلاثين ومائتي كتاب حذا فيها حذو أرسطو . وكان أبرع الناس في الترجمة عن اليونانية ، ويليهِ أبو نصر القارابي المتوفى سنة ( ٢٣٩ ) لللقب بللم الثاني صاحب كتاب السياسة للدنية ، ومخترع القانون في الموسيقى . ثم أبو علي بن سينا وأبو حامد الغزالي . وأما في الأندلس فقد نبغ فيها أبو بكر بن باجه المتوفى سنة ( ٥٣٢ ) وتلميذه ابن رشد، وابن طفيل المتوفى سنة ( ٥٨١ ) صاحب رسالة يحيى بن قحطان . وبحسبنا أن نترجم بثلاثة من أعلامهم

## ابن سينا

٢٧٠ — ٤٢٨ هـ

### نشأته ومبائه

هو الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن سينا ويسميه الفرنج (avicenne) ولد بقرية من قرى بخارى كان أبوه طاملا عليها لنوح بن منصور الساماني. ثم انتقل في طفولته إلى بخارى لحفظ القرآن والآداب وشيئا من مبادئ العلوم. وورد بخارى إذ ذاك أبو عبد الله الناطلي فقرأه كتاب إيساغوجي، وخرجه في المنطق فبرز عليه فيه، وبصره بمواضع منه. ثم رغب في علم الطب فتلقى أصوله على أبي سهل المسبعي، ودرس فروع وحده حتى انتهت إليه الزمامة فيه. فقصده الأطباء من كل صوب يسبشرونه ويقتبسون منه. كل ذلك وسنه على ما قيل لم يتجاوز ست عشرة سنة. ثم أبرأ الأمير نوح بن منصور الساماني من مرض برّح به، فقربه إليه وأذن له في الدخول إلى دار كتبه، فقرأ فيها أثمن الكتب وأجلها. ثم اتفق أن أحرق تلك المكتبة فتفرد أبو علي بما فيها. ويقال إنه أحرقها لذلك عمداً.

وفي الثانية والعشرين من عمره توفي أبوه فخرج إلى قصبة خوارزم وأخذ يضرب في الأرض، فوفد على جرجان وزاول التعليم وصنف كتاب القانون في الطب. ثم انقلب إلى همدان فتقلد الوزارة لشمس الدولة بن بويه، فمالبت غير قليل حتى ثار عليه الجند ونهبوا ماله وسألوا الأمير قتله فاكتمى بغيه. ولم تهادنه المصائب بعد ذلك فاتهم عند تاج الدولة بخيانة منكرة فسجنه في إحدى القلاع أربعة أشهر ولم ينجه إلا فراره متنكراً إلى علاء الدولة بأصبهان، فأقام في حماه

وادع للنفس أحياناً ؛ ولكن تعاقب الحوادث عليه أوهن عزمه ، واستبداد الشهوة به أنهك جسمه ، فأصيب بداء عياء نكل عنه تدبيره وطبه ، وتوفى بهمذان .

### علم ومصفاته

لابن سينا القلم الراسخ في الغلب والمكانة السامية في الفلسفة . أخذ بمبادئ أرسطو ولم يفتن عن دينه ، ولم يشك بعد يقينه . إلا أنه كان أبيقورياً مستهتراً . وقد قل القرنج عنه أ كثر ما عديم من كتب جالينوس وأبقراط وترجموا أكثر تأليفه إلى اللاتينية واعتمدوا عليها في بناء الفلسفة الحديثة وهي تبلغ مائة مؤلف ، وأشهرها كتاب القانون في الطب ، وكتاب الشفاء في الحكمة ، يقع الأول في أربعة عشر مجلداً ، والثاني في ثمانية عشر .

### حجة الإسلام الغزالي

٤٥٠ — ٥٥٥

### نسأه وحياته

ولد أبو حامد محمد بن حامد الغزالي بطوس ، وتلقى دروسه الأولية بها ثم قدم نيسابور فتخرج في أمد يسير على إمام الحرمين أبي المعالي ، ولازمه حتى توفى . فوجد على الوزير نظام الملك بالمسكر فاحتق بقدمه وأعجب بعلمه . وناظر بحضرته جماعة من الأفاضل فظهر عليهم ظهوراً أطار ذكره . فنقض إليه التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد وأخذ نفسه بدرس الفلسفة فاشتغل بها وهو يعلم . ثم انقطع عن التدريس سنة ٤٨٨ ليتخصص لها ويتعمق فيها . فحين له بعد طول البحث أن الفلسفة والذين ضدان : فناصر الفلاسفة العداء وحل عليهم بأسلحتهم ، وقارعهم بحججهم . فلقب تلك حجة الإسلام . ثم سلك

طريق التزهد ، ونهج سبيل التصوف ، فوطده على أساس الحكمة ، وأيده بحقائق العلم . ثم غادر بغداد فورد الشام وأورشليم والحجاز والإسكندرية ؛ وعزم الرحلة إلى مراکش ليلقى الأمير يوسف بن تاشفين ، فجاءه نعيه قبل سفره فعاد إلى طوس واشتغل بالتعليم والتأليف . ثم اضطر أن يمارس التدريس ثانية بالمدرسة النظامية ، ولكنه ما هم أن رجع إلى وطنه فابتنى خاقانة للصوفية ومدرسة للعلوم الدينية ، وعكف على العبادة والإفادة حتى مضى لسبيله .

### مؤلفاته

ألف الفزالي كتاب البسيط والوسيط والوجيز في فقه الشافعي ، وكتاب إحياء علوم الدين في التصوف ، وهو مرتب على أربعة أقسام : العبادات والعادات والمهلكات والمندجات . وقد قيل في فضله : « لو ذهبت كتب الإسلام وبقى ( الإحياء ) لأغنى عما ذهب » وله كتاب تهافت الفلاسفة في الرد على فلاسفة اليونان وأتباعهم ، وقد طبع أخيراً بمصر ، وكتاب مقاصد الفلاسفة في الموضوع نفسه .

### ابن رشد

٥٥١ — ٥٩٥ هـ

### نسبه ومباته

هو الوليد محمد بن أحمد بن رشد ، ويسميه القرني ( averroës ) ولد بقرطبة من بيت عريق في الجداصيل في القضاء ، وتخرج على علماء عصره في الفقه والطب والفلسفة ، وانقطع إلى النظر في الحكمة حتى توسط باحثها وشارف غايتها . وفي سنة ٥٤٨ هـ قدمه ابن طفيل إلى أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وكان محباً للفلسفة ، فأنصه له كتب أرسطو . ثم تولى قضاء أشبيلية سنة ٥١٥ هـ ورجع إلى موطنه بعد عامين ، وشخص منه إلى مراکش بدعوة من أمير المؤمنين ليتخذ طيبكاه ، ولكنه ما لبث أن عاد إلى قرطبة قاضياً . ولما مات أبو يعقوب وخلفه والده

يعقوب المنصور أقر ابن رشد في مقامه ، وبالحق في إكرامه ، ولكن الدهر أبى أن ينعم بال الحكميم قسماً به أعداؤه إلى الأمير ورموه عنده بالزندقة والمروق ، فنفاه هو وسائر الفلاسفة من أرضه . ثم عاد الأمير إلى نفسه فاستدعاه إلى مراکش واعتذر إليه ، وظاهر نعمته عليه . ولكن ما لبث أن لقيه حمامه بمراكش .

### فلسفته وكتبه

لو صح التناسخ لقلنا إن روح أرسطو تقمصت جسم ابن رشد لتجدد عهود الحكمة ، وتفسر غموض الفلسفة . فإن حكيم العرب تعصب لحكيم اليونان ، وزعم أنه وصل بالعلم إلى أبعد غاياته . فوقف نفسه على شرح فلسفته وتلخيص كتبه . واهتم الأوربيون بما كتب فترجموه وتعلموه ، فكان أساساً لحكمتهم ونهراسا لهمضتهم وقد قال عنه الفيلسوف الفرنسي (إرنست رينان) في كتابه ابن رشد ومذهبه : « إنه أعظم فلاسفة القرون الوسطى ممن تبع أرسطو ، ونهج سبيل الحرية في الفكر والقول » . ومذهب ابن رشد وأشياعه من تلاميذ أرسطو أقرب إلى مذهب الماديين والقائلين بالحلول : فيزعمون أن المادة أزلية ، وأن الخلق حركة اضطرارية في هذه المادة ، والخالق هو تلك الحركة أو المحرك . ويرون أن المخلوقات تشارك المادة في أزليتها لكونها منها . فإذا تجرد الإنسان للعقل تمحصيل العلم توصل بالتدرج إلى الاستغراق في الله ؛ وأن العقول واحدة في البشر ترجع جميعها إلى العقل الأول الذي يسمونه (العقل الفاعل) ، وهذا العقل العام هو وحده متصل بالله دون العقول الفردية ، فيترتب على هذه الفلسفة أن النفوس تموت مع أجسادها وأن لا خلود إلا للمادة فلا ثواب ولا عقاب ، وأن الخالق لا يعلم إلا كليات الحوادث دون جزئياتها . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . وقد فند هذا المذهب حجة الإسلام الغزالي وكثير من علماء أوروبا . على أن ابن رشد كان يحرص الحزم كله على التوفيق بين الفلسفة والدين . فكتب

في ذلك كتابه « فصل للقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال »، وكتاب « مناهج الأدلة في عقائد اللة » ، وعُنى بآرد على « تهافت الفلاسفة » للغزالي بكتاب سماه « تهافت التهافت » يقول في آخره . « لا شك أن هذا الرجل أخطأ على الشريعة كما أخطأ على الحكمة ، ولولا ضرورة طلب الحق مع أهله ما تكلمت في ذلك » وله غير ذلك مؤلفات كثيرة ككتاب الكليات في الطب ، وفلسفة أرسطو ، وقد قدمت أصول كتبه فلم تبق إلا ترجمتها اللاتينية أو العبرية .



## الفصل السابع

### القصص والمقامات في الأدب العربي<sup>(١)</sup>

القصصُ فن من فنون الأدب الجلية ، يقصد به ترويح النفس باللهو ، وتثقيف العقل بالحكمة . وله عند القرّيج مكانة مرفوعة ، وقواعد موضوعة . أما عند العرب فلا خطر له ولا عناية به ، لانصرافهم عما لا رجع للدين منه ، ولا غناء للملك فيه ؛ وللأسباب التي دعت إلى قصورهم في الشعر القصصي ؛ ولأنه نوع من أنواع النثر ، والفن الكتابي أو النثر الفني ظل في حكم العدم أزمان الجاهلية وصدر الإسلام حتى آخر الدولة الأموية ، حين وضع ابن المقفع الفارسي مناهج النثر وفكر في تدوين شيء من القصص . فكان ما ترجمه هو وأمثاله من نحو كلية ودمنة ، وهزار أفسانه ( ألف خرافة ) ودارا والصنم الذهب ، حدياً العرب ونموذجاً لهم في وضع ما وضعوه منها .

ولما أترف العرب وحمل الأعاجم عن الخلفاء أعباء الخلافة قطعوا ليايهم بالمنادمة والمسامرة . فتنافس الندماء في حفظ الأقاصيص والأخبار ، وتسابق أدباء القرنين الثالث والرابع إلى وضعها يسامرون بها الخاصة شفاها . واحتاج العامة من أهل الترف والبطالة إلى من يسامرهم كذلك في ديارهم وأملأهم وأعراسهم . واشتدت هذه الحاجة عندما توالى للصائب والمحن على العالم الإسلامي في أواخر العصر العباسي وبعده من عسف المصلطين من السلاجقة ، وعنف للتغليين من الغول ، وإخلاد الشعب في مصر إلى التبطل والمجون ، وتماطيه المخدرات من الحشيش والأفيون ؛ فتقدم إليهم القصص والمحدثون ، وهم للسوقة أشبه بالندمان

---

(١) راجع في هذا للوضع كتابنا : ( في أصول الأدب ) .

والمهرحين للملوك فحدثهم بما جمعوا من أفايص الشجمان ، وأخبار الجان ، وأعمال السحرة ، مما تناقلته الأفواه من وراء الأجيال والأزمان ، وشاهده التجار والرحالون في أطراف البلدان . ثم حملت في هذه الأحاديث المبالغة وأعمالها الاختلاق حتى قيص الله لهذه السير من دونها على أسلوب الحديث من غير قاعدة ولا خطة . ثم تنوسيت أسماؤهم لطول العهد كما تنوسيت أسماء مؤلفي القصص الأفرنجية القديمة ، فكان من ذلك قصص عنزة<sup>(١)</sup> ، وبنى هلال ، وسيف بن ذى وزن ، والأميرة ذات الهمة ، والظاهر بيبرس ، وعلى الزبيق للمصرى ، وفيه وز شاء . وفي رأي أن هذه القصص كتبت كلها بمصر في القرون الخامس والسادس والسابع للهجرة ، فبعضها حين نشوب الحروب الصليبية ، وبعضها بعد سقوط بغداد . أما أنها كتبت بمصر فهذا واضح من مواضع وقائعها ، وموضوعات حوادثها ، وأسماء أشخاصها . وأما أنها كتبت في هذه العهود فذلك بين من لغتها المشوبة ، وأساليبها المبتذلة ، وخيالها الغريب القوي من أثر الخدراوات . وحال الاجتماع يومئذ ، ونشوب الحروب الصليبية ، اقتضيا تدوين هذه القصص في وصف الوغى ، ومدح البطولة ، وتمجيد القادة ، إثارة للنفوس ومحيسا للحنند ، كما كان المسلمون يفعلون في القرن الأول للهجرة<sup>(٢)</sup> .

(١) قصة عنزة هي قصة حماسية غرامية تمثل حياة العرب في الجاهلية تمثيلا صادقا ، ونصف أخلاقهم وحروبهم وصفا تاما ، ونبت في النفس الحية والتجدة والوفاء والسفاء ، فهي أفضل القصص العربية وأولها أن تسمى ( البياضة العرب ) . أسلوبها شائق منسق ، وقد تفرقة الركافة أحيانا . وترما مسجوع متكلف مطرز بقصائد بعضها مصنوع ، وبعضها مصنوع . والراجع في الرأي أنها نصحت بما سار على السنة الرواة والسير طوال السنين من أخبار العرب وقائعها ، وتمت بالمناقلة والمبالغة ، حتى انتهت إلى رجل حافظ يدعى يوسف بن اسماعيل في عهد العزيز بالله الفاطمي ( ٣٦٥ — ٣٧٦ ) فألفها بأمره الماء للشعب عن الصلح يرية حدث في بيته . ثم أصدرها بياحا في اثنين وسبعين جزءا ، ونسبها إلى الأسمعي إجلالا لقصدها ، واحتيالاً لقصدها ،

(٢) ذكر ابن الأثير سنة ٧٧ هـ أن عتاب بن ورقاء سار في أصحابه قبل الموقعة يمرضهم على القتال ويقص عليهم . ثم قال أين القصص ؟ فلم يجبه أحد فقال : أين من يروي عن عنزة فلم يجبه أحد الخ .

ذلك كان مولد القصة في الأدب العربي وهو شبيه بمولدها في الأدب الغربي ؛ فكلتاها ولد على إثر الملاحم ، وكلتاها ابتداء بأخبار الشجعان ومخاطر البطولة . إلا أن القصة الغربية لاحظتها عناية الأدباء ، ورعاية النقد ، واتساع الحضارة ، وتقدم العلم ، فنمت وتقدمت . أما القصة العربية ؛ منها الفنى المعروف فظلت في حجر الطفولة وسهد التحول يلهو بها العامة ، ويأنف منها الخاصة ، ويصد عنها الأدباء والكتاب حتى قبروها مُدْرَجَةً في لقائف الليلاذ . وإعما برع العرب في الحكايات والأمثال والمقامات .

## الحكايات

### ألف ليلة وليلة<sup>(١)</sup>

فأما الحكايات فأخذوها عن الفرس . وأبدع ما أثر عن هؤلاء منها : كلستان السعدى ، وأصل ألف ليلة وليلة . وهذان الكتابان لا يزالان نموذج هذا الفن في الشرق والغرب . على أن العرب حينما اقتبسوا هذا الفن من الفرس توافروا عليه وتمكنوا منه حتى جاروه فيه وحتى شاطروهم الشهرة وجاذبهم الأولية . ولقد طغى ما أدخلوه في ألف ليلة وليلة على ما نقلوه عن الفرس منه فأخفاه . وأصبح الكتاب عنواناً عريضاً من عناوين الأدب العربي وأثراً خالداً من آثار بنييه .

وأصله على الأرجح كتاب صغير للفرس دعوه ( هزار أفسانه ) وبنيوه على حكاية الملك والوزير وابنته شهر زاد وجاريتهما دنيا زاد . وقد ترجمه العرب من الفهلوية إلى العربية آخر القرن الثالث للهجرة ، ثم دعاهم الإعجاب به إلى توسيعه وتقريره فأضافوا إليه ما شاكله من أساطير العرب والهنود واليهود وأخبار الخلفاء والأمراء والفرسان والأجواد في الجاهلية والإسلام . وبقي بابه مفتوحاً للزيادة عليه حتى القرن العاشر للهجرة ، فهكامل قصصاته واستقم بنياته ، وتضاد ما فيه من

---

(١) اقرأ من هذا الكتاب بحثاً طلياً منفصلاً في تاريخه وتعليقه في كتابنا : ( في أصول الأدب ) .

وضع الفرس حتى فنى فيما وضع العرب من أقاصيص الجان ومخاطر الشجرمان  
ونجوى الهوائف وأعمال السحرة ، التى تستهوى القلب ، وتشغذ الخاطر ،  
وتغصب الخيلة .

ومزية الكتاب تمثيله لأخلاق العرب والمسلمين وعاداتهم وأنظمتهم  
فى العصر الإسلامى الوسطى بالعراق ومصر والشام مما يقيد الكاتب الاجتماعى  
والفيلسوف للتورخ . ومن ثمّ عنى به الفرنج عناية خاصة فترجموه إلى لغاتهم ،  
وأفردوه بأبحاثهم . أما إنشأؤه فمختلف باختلاف الأعصر والأقاليم : فأخبار العرب  
ونوادر الخلفاء وما ترجم فى الصدر الأول تغلب فيه الصحة والفصاحة . وأما ما وضعه  
القصاصون للآخرين من عامة مصر والشام فركيك العبارة ، عامى الألفاظ ،  
مبتذل التراكيب ، إلا أن مساق الأحاديث جيد ، ورباط الحوادث متين .

## الأمثال

### كليلة ودمنة

أما الأمثال فمنشأها الشرق ؛ لأنه كان موطن الحكم للطاق والاستبداد  
العنيف . انبعث فى صدور الضعفاء للستمبدين صدى خافتا لاحتجاج مكظوم  
صامت لم يجدوا له متنفسا ولا طريقا إلى آذان الطغاة إلا هذه الكنايات والرموز  
يسترون وراءها ما يريدون من نصيح وعظة . وقد بدأ ظهور هذا النوع فى الهند  
ثم انتقل منها إلى الصين ثم إلى فارس فبلاد العرب فبلاد الإغريق . وأقدم  
ما عرف منه أمثال لقمان الحكيم ، وإيزوب الرومى ، ويديبا الهندى . وأشهر من  
كتب فيه من أدباء العربية ابن القفج مترجم كليلة ودمنة . وهذا الكتاب من  
خيرة الكتب فى تقويم الأخلاق بالعظة ورياضة العقول بالحكمة : وضعه باللغة  
المنسكرينية يديبا الهندى لبشليم للثلاث منذ عشرين قرنا ونيفاً على ألسنة البهائم  
والظيور ، وعقده على اثنى عشر باباً ثم ترجم إلى الفهلوية ، ونقله عنها إلى

العربية عبد الله بن المقفع ، وصدره بمقدمة بليغة في التعريف بالكتاب والتعريض على مطالعته ، ثم فقد أصله وترجماته إلا العربية ، فإنها بقيت أصلاً تفرعت عنه الترجمات القديمة والحديثة . وزاد الكتاب يتوالى الزمن بما دخله من الأبواب الفارسية والعربية ، حتى بلغت أبوابه واحداً وعشرين باباً .

وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية ( وهي موسوعة كبيرة يقول تأليفها طائفة من المستشرقين وينشرونها تباعاً بالفرنسية والألمانية والإنجليزية ) أن مؤلف هذا الكتاب برهمي لا يعرف اسمه . ألفه في كشمير حوالي القرن الثالث قبل الميلاد في مقدمة وخمسة أبواب وسماه ( تنقرة ) على ما رواه هيرتال Hertal ، وهيرتال هذا هو الذي نقله عن السنسكريتية ووضع له مقدمة وعلق عليه حواشي وطبعه في ليبسك وبرلين في مجلدين سنة ١٩٠٩ م .

ولهذا الكتاب نسخة أخرى عنوانها ( بنجة تنقرة ) ترجمها إلى الفهلوية برزويه طبيب أنوشروان بأمره . وأضاف إليها أبواباً من القصص الهندية ، وعن هذه الترجمة نقل ابن المقفع ترجمته العربية وصدرها بمقدمة من وضعه . والراجع أنه أضاف إلى مقدمة برزويه ما يدل على الشك في الأديان ، وأضاف إلى الكتاب باب القصص عن أمر دمنة وباب الناسك وضيغه . وفي بعض النسخ زيد على الكتاب بابان لا يعرف مصدرهما ، وهما باب مالك الحزين والبطلة ، وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين . انتهى .

ومن الناس من يميل به الظن إلى أنه من وضع عبد الله بن المقفع ، وما نسبته إلى علماء الهند إلا أملاً في رواجه وانتشاره ؛ ولكنه في اعتقادنا ظن بعيد الاحتمال لأن حفظ النقل والاحتذاء في كل ما كتب ابن المقفع أبلغ من حفظ الإنشاء والابتكار . وقد نظم كثير من شعراء العرب كأبان اللاحق وابن الهبارية ، وعأوضه سهل بن هرون بكتاب سماه ( ثعلبة وعفرة ) .

ثم اشتهر بالكتابة في الأمثال أيضاً ابن الهبارية المتوفى سنة ٥٠٢ هـ ناظم

كتاب الصادح والباغم ، وهو منظومة في ألقي بيت على أسلوب كلية ودمنة .  
ثم ابن عرب شاه الممشق للتوفى سنة ٨٥٤ صاحب كتاب فاكهة الخلفاء  
ومفاكهة الظرفاء ، وهو مجموعة من الأمثال والحكايات نهج فيها منهج كلية  
ودمنة وجعلها في عشرة أبواب ، إلا أن أمثالها يعيبها التطويل والحشو ،  
وإنشاءها بضعفه التعميل والتكلف .

### المقامات وكتابتها

المقامة حكاية قصيرة أنيقة الأسلوب تشتمل على عظة أو ملحمة . ومعنى المقامة  
في الأصل المقام أى موضع القيام ، ثم توسعوا فيها فاستعملوها استعمال المجلس  
والمكان ، ثم كثرت حتى سموا الجالسين في المقام مقامة كما سموهم مجلساً ، إلى  
أن قيل لما يقام فيها من خطبة أو عظة وما أشبهها مقامة أو مجلس ، فيقال :  
مقامات الخطباء ، ومقامات القصاص ، ومقامات الزهاد : وقد نشأ هذا النوع من  
القصص في أواسط الدولة العباسية وهو عهد الترف الأدبي والإنشاء الصناعي  
الأنيق . وقد أجاده بديع الزمان إجازة أحلته منه محل الزعيم .

وليس الفرض من المقامة جمال القصص ولا حسن الوعظ ولا إفادة العلم ،  
وإنما هي قطعة أدبية فنية يقصد بها « الفن للفن » وتجمع شوارد اللغة ونوادر التركيب  
في أسلوب مسجوع أنيق الوشى يعجب أكثر مما يؤثر ، ويلذ أكثر مما يفيد .  
ولم تراعى قواعد الفن القصصى فيما كتب من هذا النوع ؛ فلم يمن كاتبو المقامات  
بتصوير الحكايات وتحليل الأشخاص ، وإنما صرفوا همهم إلى تحسين اللفظ وتزيينه .  
وتدور المقامة على حادث عادي يستند إلى شخص معين هو ما يسمى في اصطلاح  
الفن القصصى بالبطل ، كأبي زيد السروجي في مقامات الحريري ، وأبي الفتح  
الإسكندري في مقامات البديع ؛ وبين هذا البطل وبين رجل آخر صلة وثيقة  
ومعرفة قديمة ، فهو يراه في كل حادثة ، ويسمعه في كل مجلس ، ويفجأه في كل

سر ، ثم يروى للناس ما عليه من خير أو شر . ذلك هو الراوى ، كعبى  
ابن هشام فى مقامات البديع ، والحارث بن حم فى مقامات الحريرى .

أما كتابها فقد علمت أن ابن دريد اخترع أربعين حديثاً عرضها عرضاً  
تصويرياً دقيقاً كانت الطور الأول لنشوء المقامة . ثم جاء بديع الزمان الهمداني  
المتوفى سنة ٣٩٨ هـ فأملى أربعاً مائة مقامة فى الكدية وغيرها نحلها أبا الفتح  
الإسكندرى على لسان عيسى بن هشام ولم يعثروا منها إلا على ثلاث وخمسين  
مقامة . وقد مضى الكلام عنها فى ترجمته . ثم جاء بعده الحريرى المتوفى سنة ٥١٦ هـ  
فكتب خمسين مقامة نسبها إلى أنى زيد السروجى على لسان الحارث بن حم ،  
ونسجها على منوال البديع وقد تقدم القول فيها أيضاً . ثم عالج المقامات بعد  
هذين النابغين طائفة من الكتاب لم يدركوا شأوها كالمقامات الشراكسية لابن  
الأشتر كوفى المتوفى سنة ٣٥٨ هـ وهى خمسون مقامة أنشأها بقرطبة عند وفده على  
ما أنشأ الحريرى بالبصرة ، وقد أنصب فيها خاطره وأسهر ناظره ولزم فى نثرها لزوم  
ما لا يلزم . حدث فيها المنذر بن حم عن السائب بن تمام ومقامات الزمخشري  
المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وهى مشهورة والمقامات للسيبى لآبى العباس يحيى بن سعيد  
ابن مارى النصرانى البصرى الطيب المتوفى سنة ٥٨٦ هـ نسجها على منوال  
الحريرى . ثم مقامات أحمد بن الأعظم الرازى وهى اثنتا عشرة مقامة كتبها  
سنة ٦٣٠ هـ وجعل الراوى فيها التقاع بن زنياع وغيره والمقامات الزينية  
لزين الدين بن صيقل الجزرى المتوفى سنة ٧٠٩ هـ وهى خمسون مقامة عارض بها  
للمقامات الحريرية . نسبها إلى أبى نصر المصرى وعزا روايتها إلى القاسم بن جريان  
الدمشقى . ثم مقامات السيوطى وهى بالرسائل أشبه منها بالمقامات .

# الباب الرابع

بعد سقوط بغداد

كيف غلفت القاهرة بغداد وفرطية؟

انتسكت قتل العباسيين كما علمت في بغداد بعد عهد المتوكل لتنافس الفرس والترك ، وتحارب الشيعة والسنة ، وذهب جلال الخلافة من النفوس ، فاعتورتها الأرزاء واصطلحت عليها الأعداء ، حتى قوض عرشها هلاكاً سنة ٦٥٦ هـ . وتضعف أمر الأمويين في الأندلس بتغلب البربر والموالي على ملكهم ، وتقسيمه بينهم إلى دويلات صغيرة سهل على الفرنج ازديادها قطعة قطعة ، حتى ابتلعوها لقمة سائغة سنة ٨٩٨ هـ . ودالت دولة الفاطميين في مصر والشام فوقعتا في أيدي الأيوبيين ، ثم صارتا إلى المماليك ، وظلتا تحت سلطانهم حتى دخلتا في حكم الأتراك العثمانيين ٩٢٣ هـ . فانت ترى أن العالم الإسلامي أتى عليه ستون وخمسمائة عام لم يكن للعرب فيها لواء معقود ولا ظل عمود ، بل أصبحت ديارهم وآثارهم نهبا مقسما بين للغول والترك والفرس والجر كس ثم الأسبان بعد قليل . وضع هؤلاء العجم وهم وحشيون أمثيون أيديهم على ثروات العرب ، فغربوا الدور وهدكروا الخلدور ، ونجسوا اللغة وآدابها وعلومها بحريق السكاتب ، وتعطيل المدارس وتقويض المراسد ، وقتل العلماء . وتاهيك بما فعله التتار ببخارى وبغداد ، والصليبيون بالشام ، والفرنج بالأندلس ! فلو أن الزمان عفى على اللغة العربية وألحقها بأخواتها السامية لما كان ذلك بدعاً من القول ولا حدثاً في التاريخ . ولكنها بقيت على مرغمة الحوادث لساناً للدين والعلم ، ولغة للحكومة والأمة ،



في بلاد المغرب ومصر والشام وبلاد العرب والجزيرة . ولولا نعمة الترك وعصبية  
الفرس لكانت لغة المسلمين كافة .

والفضل في بقائها على فناء أهلها إنما كان للذكر الحكيم ، وللازهر الشريف ،  
ولسلاطين مصر والشام من الأيوبيين والمماليك ؛ فقد كانوا لها ردها ، ولأبنائها  
حرزاً ، ولعلمائها وزراً ، من غارة للغول حينما اكتسحوا خراسان وفارس والعراق ؛  
لأن الأيوبيين وإن كانوا أكراداً قد تسلموا بلغة العرب وتأدبوا بأدب العرب  
ونبع فيهم الشاعر والعالم واللؤرخ ، كالمملك الأفضل<sup>(١)</sup> على بن صلاح الدين المتوفى  
سنة ٦٠١ هـ وبهرام شاه صاحب بعلبك المتوفى سنة ٦٢٨ هـ ، والمملك المؤيد  
حماد الدين أبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ . وكذلك قل في المماليك فقد نبغ فيهم  
أحد السلاطين في الشعر وهو قانصوه الغوري المتوفى سنة ٩٣٢ هـ ، لأنهم اتخذوا  
مصر وطناً ، والإسلام ديناً ، والعربية لغة ، وعضدوا العلماء وقربوا الأدباء ، وشدوا  
أزر المعلمين والمؤلفين حتى نبغ في ظلهم أولئك الأعلام الذين جمعوا شتات اللغة  
والعلوم في المجموعات والموسوعات ، وأقبلوا على علوم الأولين بالشرح والتلخيص ،  
وهذبوا التاريخ وروضوا فلسفته ، وأقاموا للشعر وزناً على قلة العارفين بفضله ،  
والمستمعين إلى أهله ، كابن منظور صاحب لسان العرب ، والفيروز آبادي صاحب  
القاموس ، وابن خلدون منشىء المقدمة ، والقلقشندي جامع صبح الأعشى .

(١) كان الملك الأفضل ضعيف الرأي كثير الغفلة فقلبه همه العادل أبو بكر وأخوه العزيز  
ثمان بن ملك الشام ومصر ، فسكتب إلى الخليفة الناصر العباسي كتاباً يشكو إليه ذلك فيه  
وقد بدأه ببيتين من الشعر أجاد في نظمهما كل الإجابة وحما :

مولاي إن أبا بكر وصاحبه      ثمان قد أخنا باليف حق على  
فاتنر إلى حرف هذا الاسم كيف لقي      من الأولخر مسالاق من الأوله  
يربه بأبي بكر همه ، ويثمان أخاه . فاجابه الخليفة الناصر بقوله :

وان كتابك يا ابن يوسف مطناً      بالصدق يخبر أن اصلك طاهر  
محبوا علياً حق إذ لم يكن      بعد النسي له يثرب ناصر  
ناصر فان قددا عليه حابهم      وابهر فناسرك الإمام الناصر

والشباب الطريف وصفى الدين الحلى ، وابن الوردى ، وابن معنوق ،  
والصفدى ، ولكن هؤلاء أفراد تقسمتهم الأعصر فلم يستطيعوا إنهاض اللغة  
الشكلية وقد كبت بينها الجدود العوارى ، فأعنت من الهند وخراسان وفارس والعراق  
وببلاد الروم والأندلس ، وبقيت في مصر والشام وبلاد العرب بقاء المريض قد  
رثت عليه المنية ولم يبق فيه إلا الدماء .

ولقد كان أسلوبهم في النثر والشعر كأسلوب من تقدمهم من متأخري العصر  
العباسى ، ولكنهم في الغالب لم يحسنوا التقليد ، ولم يصيبوا الغرض ؛ فتبدلوا  
في اللفظ ، وتوغلوا في الصنعة ، واستجازوا الخروج عن الإعراب والعبث بالمعنى  
إذا حال ذلك دون تورية أو سجمة أو جناس .

فلما أدال الله بنى عثمان من الممالك أصبحت الخلافة عثمانية لا عباسية ،  
وصارت عاصمة الإسلام القسطنطينية لا القاهرة ، واللغة الرسمية التركية لا العربية<sup>(١)</sup>  
ففسا في اللغة الدخيل ، وزاحتها العامية والتركية في اللواوين ، وذهبت أساليبها  
من النظم والنثر ، وتمكن القل من النفوس فخدمت القرائح ، ونضب معين العلم ،  
واطمأنت السكتب في الخزائن فلم يزعبها إلا استعمال الأرضة في صناعاتها ،  
وضرب الجمل على أبصار الشرقيين فعموا ، وفدحتهم أعباء النمل فزرخوا ، وطلل

(١) هل أن الأتراك في هدم الأول كانوا يحلمون باللغة العربية ويحلمون بها ويضعون  
لللغات القبية فيها كالنم وزابادى ، والبركوى المتولى سنة ٨٩٨١هـ وابن السمود . والقارى  
وملاخسرو ، والجامى ، والخيال ، وخوجه زاده ، وحاجى خليفة ، وطاعكبرى ، وابن كمال  
باشا صاحب كتاب المنية على غلط الجاهل والتميه .

وكان ملوك العثمانيين أنفسهم يدرسون العربية وآدابها كما يدرسون التركية وآدابها ،  
ومنهم من قرئ الشعر العربى ورواه كالسلطان أحمد الأول ، فقد روى له قصيدة سطلما :

طى يصول ولا يصول إليه      جرح الفؤاد بشارى خطبه  
ومنها : يا شعرى بصرى ولا فى خده      أن أغار من التميم عليه

ولم تفت عناية علماء الترك باللغة العربية إلا في عهد السلطان محمود الثانى وابنه السلطان  
عبد الحميد الأول حين أحبوا اللغة التركية ولربوا مواردها ووسطوا قواعدها وسموها اللغة  
العثمانية ( أنظر مجلة المجمع اللغوى العربى جلد ٦ - جزء ٧ ص ٢١ ) .

عليهم الأمد ففسّاهم النعاس ، وخيم عليهم الغلام ، فلم يستيقظوا إلا بمدافع  
نابليون على أبواب القاهرة !

### أعلام هذه المفازة

أغطشت سماء الأدب العربي في عصر المنحول فعميت البصائر وضلت القرائح ،  
ومشى الناس في دياجير الجهل حيارى لا يرون مظاهر الحياة حتى يضيئهم شارق  
في سماء مصر ، أو بارق في جو الشام . وذلك لأنهما للبلدان اللذان حفظا وجود  
اللغة ، ورفعوا سقوط الأدب ، وجعلا شمل العلم ، ولولاهما لا قطع ما بين الأديين :  
القديم والحديث . وما كان أرواح للنفس لو اتسع صدر هذا الكتاب لتراجم  
مواطني وجيرتي ! ولكن البحث محدود والقلم موجز . ومهما يكن من شيء  
فلن يفوتنا ذكر أسمائهم مُعَقَّبَةً بأسماء معاصريهم في العراق والمغرب ،  
اهترافاً لهذه النفوس الكبيرة المطمئنة بالإحسان والفضل .

فن النابغين في الشعر والأدب التلمذرى ، وكه بالموصل سنة ٥٩٣ واتصل  
بالمالك الأشرف موسى ، ثم هلك سنة ٦٧٥ هـ فريسة للتمار . والشاب الظريف ،  
ولد بمصر وتوفي بها غرض الإهابة سنة ٦٨٨ هـ والبوصيري صاحب البردة  
في مدح الرسول ، وكه وتوفي بمصر سنة ٦٩٥ هـ ، وابن نباتة المصري المتوفى  
سنة ٧٦٨ هـ وابن حنبله الحموي زعيم الأدباء في عصره وصاحب خزانة الأدب ،  
توفي سنة ٨٢٧ هـ ، والقلقشندي المصري جامع صبح الأعشى المتوفى سنة ٨٨٢ هـ ،  
ثم صفي الدين الحلبي المتوفى سنة ٧٥٠ هـ ، وابن معنوق المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ .  
وشعرهم مثقل بقيود الصنعة ، محصور في دائرة التقليد ، تغلب فيه مظاهر  
الضعف الخلق كالجن والملق والشكوى والإغراق والقبح . إلا أن في بعضه  
أثارة من الحسن وبهية من البيان . والنابغون في اللغة وعلومها ابن مالك صاحب  
الألفية المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ، وجمال الدين بن منظور صاحب لسان العرب المتوفى  
سنة ٧١١ هـ وجمال الدين بن هشام صاحب المعنى في النحو المتوفى سنة ٧٦١ هـ

والفيروز آبادي صاحب القاموس المتوفى سنة ٨١٧ هـ . وهؤلاء قد بسطوا قواعد اللغة واستوعبوا موارد هاني الكتب والمعجمات . ونوايع التاريخ والجغرافية ، ابن أبي أصيبعة صاحب عيون الأنباء في طبقات الأطباء المتوفى سنة ٦٦٨ هـ ، وابن خلكان صاحب وفيات الأعيان المتوفى سنة ٦٨١ هـ ، وأبو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ ، وشمس الدين الذهبي صاحب تاريخ الإسلام المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ، والمقريزي صاحب كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، المتوفى سنة ٨٤٥ هـ ، ثم ابن الطقطقي صاحب الفخري المتوفى سنة ٧٠١ هـ ، وابن خلدون منشيء المقدمة المتوفى سنة ٨٠٨ هـ ، واسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٩ هـ ، والمقري صاحب تنقيح الطيب المتوفى سنة ١٠٤١ هـ ، وطريقهم في التاريخ أميل إلى استيعاب الحوادث ، واستنباط المعبر ، والحكم بشيء من النقد ، والخوض في بعض مسائل العلم والاجتماع . فكانوا بذلك خيراً من أسلافهم وأدنى منهم إلى منهج التاريخ القويم .

ونبغ من العلماء أصحاب الأسفار العامة : النويري صاحب نهاية الأرب في فنون الأدب المتوفى سنة ٧٣٣ هـ ، وابن فضل الله العمري صاحب مسالك الألبصار المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ، وجلال الدين السيوطي صاحب المؤلفات الجليلة المتوفى سنة ٩١١ هـ ، وكال الدين الدميري صاحب حياة الحيوان المتوفى سنة ٨٠٨ هـ . وهم أصحاب الفضل جميعاً في ضم شئيت العلم والأدب في أسفار أشبه بدوائر المعارف الحديثة . فانت ترى أن الله جل شأنه لم يشأ أن يصيب لغة كتابه بالعقم حين ألحت عليها أرزاء الدهر ، ونحوثها أعراض الهرم ، حفظاً لكتابته وصوناً لدينه ، فكانت تنجب حيناً بعد حين علماً من أولئك الأعلام يحدد منها ما اندرس ، ويرأب فيها ما انصدع ، وينقذها من يد البلى والعفاء .

نجوم مماء كلما انقض كوكب      بدا كوكب تأوى إليه كواكبه  
وها نحن أولاء تترجم بذوى الأثر البارز منهم واقفين الآن عند ذلك

## صفي الدين الحلبي

٦٧٧ - ٧٥٠ هـ

### نشأته وحياته

ولد صفي الدين أبو البركات عبد العزيز بن سرايا بالحلة في العراق وبها نشأ وتأدب . ثم دعاه اضطراب السلم واختلال الأمن إلى الهجرة إلى ماردين بالجزيرة ليلوذ بحمي الملك من آل أرتق ( ٦٦٣ - ٧١٢ ) ؛ فخلو اعتدة الخوف عن قلبه ، ونزل منهم في جناب مَرَبَع . فمدحهم بقسم وعشرين قصيدة كل منها تسعة وعشرون بيتاً ، يبدأ كل بيت بحرف من حروف الهجاء ويختم به ؛ وسماها ( درر البعور في مدائح الملك المنصور ) وهي المعروفة بالأرتقيات .

وفي سنة ٧١٧ هـ ورد مصر فثقل بين يدي الملك الناصر بن قلاوون ومدحه فحلاً يديه بجوائزه . وانقلب إلى ماردين ثم ذهب إلى بغداد فتوفي بها .

### شعره

لا خلاف في أن صفي الدين زعيم الشعراء في عصره . ولا تزال في شعره بَلَّةٌ من فصاحة اللفظ وبقية من رشاقة الأسلوب . افتنَّ في الصنعة ما شاء ، وأجاد في القصائد الطوال والمقطوعات والموشحات والأزجال ، وغالى في المجون والأحماض ، ودخل في أحد عشر باباً من أبواب الشعر وعقد عليها ديوانه . واخترع في النظم أنواعاً ، منها الموشح المضمن كقوله في تضمين بائية أبي نواس :

وحق الهوى ما حُلت يوماعن الهوى      ولكن نجى في المحبة قد هوى  
ومن كنت أرجو وصله قتل نوى      وأضنى فؤادي بالقطيعة والنوى

ليس في الهوى عجب إن أصابني نصب  
( حامل الهوى تعب يستحقه الطرب )  
نمؤذج من شعره

قال في الحماسة :

سل الرماح العوالي عن معاليها	وسائل العرب والأتراك ما فعلت
لما سعيننا فما رقت عزائمنا	يا يومَ وقعةِ زوراء العراق وقد
بضمير ما ربطناها مسومة	وفتية إن نكل أصفوا مسامعهم
قوم إذا استخصموا كانوا فراعنة	تدرعوا العقل جلباباً فإن حيت
إذا ادعوا جاءت الدنيا مصدقة	إنا لقومٌ أبت أخلاقنا شرقاً
بيضٌ صنائعنا ، سود وقائمتنا ،	لا يظهر العجز منا دون نيل منى
وسائل البيض هل خاب الرجافينا؟	في أرض قبر عبيد الله أيدينا
عما نروم ولا خابت مساعينا	دنياً الأعادي كما كانوا يدينونا
إلا لنفزو بها من بات يفرزونا	لقولنا أو دعونا هم أجابونا
يوماً وإن حكموا كانوا موازينا	نارُ الوفي خلتهم فيها مجانينا
وإن دعوا قالت الأيام آمينا	أن نبثدي بالأذى من ليس يؤذينا
خضر سرايمنا ، حمر مواضينا	ولو رأينا المنايا في أمانينا

ابن منظور

٦٣٠ - ٧١٤ هـ

شأته ومباته

ولد جمال الدين محمد بن المكرم بالقاهرة في يوم الإثنين الثاني والعشرين من شهر  
الحرم سنة ٦٣٠ هـ في بيت من بيوت العلم ، ودرس على شيوخ عصره كعبد الرحمن

أبي الطيف ومرتضى بن حاتم وابن المقبر حتى نال من العلوم والآداب قسطاً موفوراً جعله أهلاً للعمل في ديوان الإنشاء . والعمل في هذا الديوان يؤمّن مقتضى مشاركة في علوم وفنون كثيرة فصلها صاحب صبح الأعشى . ثم ولي قضاء طرابلس الغرب حيناً من الدهر وهو في أثناء ذلك لا يفتقر عن الدرس والتأليف حتى انتقل إلى جوار ربه وله خمسمائة مجلد من تأليفه .

وكان ابن منظور صاحب جدو خلق وإرادة . وقد كان ينشعب في غير رفض كما يظهر من أسلوبه في لسان العرب كلما عرض ما يتصل بذلك . وقد توفي بالقاهرة .

#### مؤلفاته

لم يكن ابن منظور من أولى الاقتدار على الابتكار ، وإنما كان كجثة العلماء في عصره أميل إلى الجمع أو الاختصار . وقد قال الصفدى صلاح الدين : « ما أعرف من كتب الأدب شيئاً إلا وقد اختصره جمال الدين بن المكرم » . فمن مؤلفاته :

#### لسان العرب

وهو ذلك المعجم الجامع الذي حوى بين دفتيه تهذيب الأزهري ومحكم ابن سيده ومصاح الجوهري وجمهرة ابن دريد ونهاية ابن الأثير . وقد رتبته المؤلف على أواخر الكلمات ونسقه تنسيقاً بديعاً لتسهيل الاستفادة منه . وتحرى صحة النقل في مادة اللغة بالمحافظة على نصوص الرواة الأولين وتأييدها بالشواهد الصحيحة من القرآن والحديث والأمثال والشعر .

وقد ذكر مترجموه ومنهم الصفدى أن النسخة الأولى التي كتبها بخطه الجيمل من لسان العرب كانت في ملك المقر الأشرف الكمال ناظر ديوان الإنشاء بمصر ، وهي مجزأة إلى سبعة وعشرين جزءاً . ولكنها طبعت في مصر في عشرين مجلداً سنة ١٣٠٠ هـ .

ومنها ( كتاب سرور النفس بدارك الخواص الخمس ) وموضوعه كل ما يقع عليه الحس كالليل والنهار وأوصافهما ، والاصطباح ومدحه ، والهلل وظهوره ، وانبلاج الفجر ، ورقة النسيم وقت السحر ، وتفريد الطيور على الشجر ، والشمس والكواكب وآراء المفجسين وأهل القللك الخ . . . وله غير ذلك طائفة من الكتب بين تهذيب واختصار كاختصار الأغاني في الأخبار والتهاني . وهو يطبع اليوم في الدار المصرية للتأليف والترجمة بتحقيق بعض الأدباء ، ومختصر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، ومختصر مفردات الحيوان للجاحظ ، ومختصر اليتيمة للشعالبي ، ولطائف الذخيرة لابن بسام .

وقد كان يعاطى الشعر وبجده ، ومن ذلك قوله :  
 ضع كتابي إذا أتاك على الأر ض وقلبه في بديك لـما  
 فعل ختمه وفي جانبيه قبل قد وضعتن تـؤاما  
 كان قصدي بها مباشرة الأر ض وكفيك بالثنائي إذا ما .  
 وقوله :

يا لله إن جزت بوادي الأراك وقبلت أغصانه الخضر فاك  
 طابت إلى الملوك من بعضه فإني والله مالى ( سواك )  
 أبو الفداء .

٦٧٢ — ٥٧٢٢

تأثير وميات

هو الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن علي الأيوبي صاحب حماة .  
 ولد بدمشق على عهد السراوة والفضل ورعي في حجر الرخاء والنعمة ، واستكمل  
 حظه من العلوم وتفوق في التاريخ والهيئة . وكان بطلامقداً . خدم الملك الناصر  
 ابن قلاوون وهو بالسكر وساعده على محاربة الخترو فوعده بحماة ووفى بوعده ،



فأقامه عليها سلطاناً مطلق الإرادة حرّ التصرف ، ولقبه بالملك المؤيد وأقدمه إلى مصر وأركبه بشعار السلطنة ، فحشي الأمراء والكبراء في خدمته . وكان أبو الفداء يحمل إليه في كل عام أنفخ الهدايا من الخيل والرقيق والجواهر . وعاش ما عاش نصيراً للضعفاء ، ظهيراً للعلماء ، ولوعا بالتأليف ، حتى استغار له الله ما عنده .

### مؤلفاته

لأبي الفداء كتابان في التاريخ وتقويم البلدان هما مرجع العرب والفرنج في تحقيق هذين العلمين . فالأول كتاب ( المختصر في أخبار البشر ) وهو تاريخ عام للأمة العربية يبلغ بها إلى سنة ٧٢٩ ، وقد نلصه من عشرين كتاباً ونيفاً ، وحذا فيه حذو ابن الأثير في ترتيبه على السنين . ونحوى في نقل الحوادث الصدق والنقد ، والآخر كتاب ( تقويم البلدان ) ، جمع فيه خلاصة ما كتب الأقدمون في الجغرافية والفلك ، وضبط الأسماء ، وحقق الأطوال والأعراض ، وعنى على الخصوص بوصف مصر وسورية وبلاد العرب وفارس . وقد اهتم به الفرنج فترجموه واعتمدوا عليه في الوقوف على الجغرافية العربية .

## أبو خلدون

٧٣٢ - ٨٠٨ هـ

### نشأته ومبانيه

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد المشهور بابن خلدون ؛ ينتهي نسبه إلى وائل من أقبال كندة . هاجر جده التاسع خلدون إلى الأندلس في أواخر القرن الثالث للهجرة وأقامت عشيرته في أشبيلية . ثم انتقلت إلى تونس حين الجلاء حيث ولد هذا العالم الكبير سنة ٧٣٢ هـ . ودرج في مهذبة السراوة والعلم ، وتأدب على أبيه ثم على غيره ؛ فأتقن القرآن وضرب في كل العلوم بسهم ، وبرع في الفقه والعربية

وتبحر في التاريخ فاستجلى غوامضه واستقصى مباحثه ، حتى أصبح فيه قريح دهره ونسيج وحده . وطلمحت نفسه في طقوله إلى خدمة السلاطين فاتصل بكثير من ملوك الأندلس وللعرب ، وتقلد الكتابة والحجابة والقضاء ، إلا أنه كان قليل المكث في كل منصب تقلده لعمرة نفسه وصراحة قوله وكثرة حساده .  
فلما كانت سنة ٧٦٤ هـ وفد على الأندلس فاهتز له الفنى بالله صاحب غرناطة وبعث بخاصته لاستقباله وإكرام وقادته ، وألزمه مجلسه وانفرد به دون وزيره .  
فقد عليه هذا حقداً عرفه ابن خلدون ، فغادر الملك والوزير وشأنهما وعاد إلى وطنه . ثم أخذ يحول في الأرض ويلطوف في البلاد حتى بلغ مصر سنة ٧٨٤ هـ فقام بالتدريس في الجامع الأزهر ، واتصل بالسلطان برقوق فعرف حقه وولاه على منع منه قضاء المالكية ، فأقام للمدة ، وحكم للنصفة ، وضرب على أيدي القضاء .  
فثار به ثائرهم واختلفوا عليه الأكاذيب ورفعوا شكواهم إلى السلطان فلم يقم لسكلامهم وزناً . ولكن ابن خلدون سم هذه الحياة المرة ، وضجر من تلك المكائد المستمرة . ووافق ذلك غرق أسرته وهي قادمة إليه من تونس ، فنالت منه هذه الحنة ، فاستعفى من القضاء وأدى فريضة الحج واعتزل في ضيعة له بالقيوم أقطعه السلطان إياها ، وانصرف إلى التدريس والتأليف . ثم عاد ثانية إلى القضاء ومعالجة المخطوط ، فإزائ يولى ويمزل ، وينصر ويخذل ، حتى وافاه أجله بمصر سنة ٨٠٨ هـ .

### أخبره

قال فيه لسان الدين بن الخطيب : كان رجلاً فاضلاً ، حسن الخلق ، جم الفضائل ، ظاهر الحياء ، وقور المجلس ، خاص الزى ، عزوفاً عن الضيم ، صعب المقادة ، خاطباً للعظ ، متقدماً في فنون عقلية وتقلية ، شديد البحث ، كثير الحفظ ، بارع الخط ، مُفرّج بالتجفة ، حسن العشرة ، إلى غير ذلك من الأوصاف التي تصدقها آراؤه وآثاره .

### نثره ونثره

ظهر ابن خلدون في عصر كسدت فيه العلوم ودرست الآداب وأزهقت الصناعة روح الكتابة ، فهداه طبعه إلى الرجوع بالإنشاء إلى عهده والوقوف به عند حدته . فرغب عن السجع وزهد في البديع وصار باللفظ وراء المعنى . وقد صرح بذلك في كلامه عن كتابته لأبي سالم أحد ملوك الأندلس إديقول : « وكان أكثرها يصدر عنى بالكلام المرسل بدون أن يشاركنى أحد ممن ينتحل الكتابة في الأسجاع لضعف انتعالمها ، وخفاء المعانى فيها على أكثر الناس بخلاف المرسل ، فانفردت به يومئذ ، وكان مستغرباً عند من هم من أهل هذه الصناعة . ثم أخذت نفسى بالشعر فاثالت على منه محور ، توسلت بين الإجادة والقصور . وحسبته على نفسه من الحق والصراحة بحيث لا يحتاج إلى تعليق ولا تعقيب .

### كتابه في التاريخ

نظر ابن خلدون في التاريخ فخرر مباحثه ، وعلل حوادثه ، ووضع كتابه المشهور ( بالعبر وديوان المبتدأ والخبر ) وهو ثلاثة كتب في سبعة مجلدات . يمتاز بما تضمنه من المقدمات الفلسفية في صدور الفصول عند الانتقال من دولة إلى دولة ، والصراحة في القول ، والسداد في الرأي ، والإنصاف في الحكم .

على أن فضل الرجل وشهرته إنما هما بالكتاب الأول من هذا التاريخ وهو المعروف بالمقدمة ، لاشتماله على أبحاث مبتدعة متنوعة في الاجتماع والاقتصاد وفلسفة التاريخ ، واستنباط الأسباب والعلل مما طالعه أو شاهده في حياته العظيمة ورحلاته العديدة . وتنقسم هذه المقدمة إلى ستة فصول : الأول في النشوء والارتقاء ، والثاني في الاجتماع ، والثالث في السياسة العملية ، والرابع في الهندسة الحربية ، والخامس في الاقتصاد السياسى ، والسادس في تاريخ آداب اللغة العربية ، فهى خزانة علم وأدب فضلاً عن أسلوبها الرشيق المتسق .

والراجح أن ابن خلدون أول إنسان استنبط فلسفة التاريخ وسماها طبيعة العمران في الخليفة . وقد فصلها في مقدمته واستشهد على كل ما كتب بالحوادث التاريخية الصحيحة ، مما دل على سداد رأيه وصدق نظره وانفساح ذرعه في الاستنباط والتعليل . على أن العلماء أخذوا عليه إخلاله بالقواعد التي وضعها لكتابة التاريخ ، ولم يسل من المآخذ التي أخذها على سابقه . وسبحان من تفرد بالكمال !

## السيدة عائشة الباعونية

المتوفاة سنة ٩٢٢ هـ

### شأنها وعملها

هي السيدة الفاضلة الناسكة عائشة بنت يوسف بن أحمد الباعوني ، ولدت بالصالحية بدمشق في بيت عريق في العلم والورع ، فقد كان أبوها وعمها وولدها وأخوها من نوابغ العلماء في الفقه والحديث والتصوف والتاريخ والأدب، فهلت من حياضهم ، وجنت من رياضهم . ثم تلقت الفقه والنحو والعروض على طائفة من شيوخ عصرها كجمال الحق والدين اسماعيل الحوراني ، ومحبي الدين الأرموي ووردت بعد ذلك مصر فتميزت للعلامة أبي العباس القسطلاني شارح البخاري . ثم عكفت على التدريس والتأليف فانتفع بعلمها وفضلها خلق كثير . ثم انتقلت إلى الدار الباقية بعد ما خلفت من الآثار كتاب الفتح المبين ، في مدح الأمين ، وهو شرح لقصيدتها التي نظمها في علم البديع على منوال ابن حجة ، وكتاب فيض الفضل ، وهو ديوان شعر في المدائح النبوية ، والمورد الأهنى في المولد الأسنى ، وهو مولد النبي صلى الله عليه وسلم اشتمل على رقائق الدر والنظم .

### منزلها في الشعر والكتابة

يثير عاطفة الإعجاب في المرء أن يرى في هذا المصنف للظلم امرأة كالباعونية تبذل الرجال في العلم والأدب ، ولا يعيها أن تكلف بالسجع ، وتكلف البديع ، وتفرى باللفظ ، وتقصر إلهامها على المدائح النبوية فإن المرء صنيع بيته . والشعر الحق مرآة صاحبه وصورة قلبه . وقد علمنا كيف تشبث الشعراء في هذه المصنوع بالصناعة اللفظية ، وانصرفوا إلى المعاني الدنيوية ، فلا بدع إذا تخلقت هي بأخلاق عصرها ، ونهجت سبيلها في نثرها وشعرها .

### نموذج من كلامها

قالت في مقدمة شرح البديعية :

وبعد فهذه قصيدة صادرة عن ذات قناع ، شاهدة بسلامة الطباع ، منقحة بحسن الهيئان ، مبنية على أساس تقوى من الله ورضوان ، سافرة عن وجوه البديع ، سامية بمدح الحبيب الشفيق ، مطلقة من قيود تسمية الأنواع ، مشرقة الطوالع في أفق الإبداع ، موسومة بين القصائد النبويات ، بمقتضى الإلهام الذي هو عمدة أهل الإشارات ، بالفتح المبين ، في مدح الأمين .

ومطلع هذه القصيدة :

في حسن مطلع أقمار بذى سلم	أصبحت في زُمره المشاق كالعلم
أقول والدمع جارٍ جارحٌ مقل	والجارُّ جارٍ بطل فيه منهم

ومنها في الجناس :

ياسعدُ إن أبصرت عيناك كاخلة	وجئت سَلماً فسل عن أهلها القدم
قَمِّمَ أقمار تهم طالعين على	سويلح حبيهم وانزل بحبيهم

ومنها في الاستخدام .

واستوطنوا السرمى فهو موضعهم	ولا أبوج به يوماً لغيرهم
-----------------------------	--------------------------

ومنها في التفريق :

قالوا هو الفيث، قلت الفيث آوثة يهي ونغيث نداه لا يزال هي

ومنها في حسن الختام :

مدحت مجدك والإخلاص ملتزى فيه وحسن امتداحي فيك مختمى

وقالت في جسر الشريعة لما بناه الظاهر برقوق :

بني سلطاننا برقوق جسراً بأمر والأنام له مطيعه

عجاز في الحقيقة للبرايا وأمر بالمرور على الشريعة

ومن نظمها في وصف دمشق :

نزه الطرف في دمشق قفيها كل ما تشتهي وما تختار

هي في الأرض جنة فتأمل كيف تجري من تحتها الأنهار

كم سما في ربوعها كل قصر أشرقت من وجوهه الأقمار

وتناغيك بينها صادمات خرس عند نطقها الأوتار

كلها روضة وماء زلال وقصور مشيدة وديار

# الباب الخامس

## العصر الحديث

### الفصل الأول

#### نظرة عامة

ما زال الزمن الجائر ينقص من أطراف الرقعة العربية حتى قصرها في أواخر القرن الثامن عشر على المراق العربي والشام وبلاد العرب ومصر والسودان وللغرب : وفي تلك البلاد بقي النفس الأخير من أنفاس اللغة العربية يتردد في وناء وضعف ، حتى أذن الله لشمس الحضارة أن تشرق ثانية على ربوع النيل ، فأرفض عنها الوهن وسرت فيها الحياة . ففي مصر كان ملاذها وغيائها ، وفي مصر كان بقاؤها وانبعاثها !

كانت مصر في ذلك العهد تحت سلطان العثمانيين حكماً ، وتحت سيطرة المماليك فعلاً . وكانت الأهواء المختلفة ، والقوى المتضاربة ، والأجناس المتباينة ، تنخر في هيكل هذه الأمة البائسة ، فكان عددها لا يبلغ ثلاثة ملايين فشت فيهم الأمية . واستولى عليهم الجهل وألعت عليهم الأوباء والسلون . واستغلهم الظلم واستعبدهم الحكام . ووقفوا عن السير بأنفسهم ، وتحرك القلك ، فغزاهم على هذه الحال الألمية نابليون .

غزا نابليون مصر سنة ١٧٩٨ ، وليس من شأننا أن نعرض لهذه الغزوة إلا من جهة الأدبية . فإن الجماعة العلمية التي سمحت هذا القائد العظيم لتصدها القلاقل

والحرب عن غرس بذور الحضارة في مصر ، فأنشأوا مدرستين وجريدتين<sup>(١)</sup> ومسرحاً للتمثيل، ومجمعاً علمياً<sup>(٢)</sup> ، ومكتبة ، ومطبعة، ومعامل كيميائية ومراصد فلكية ، وسهلوا للناس النظر إليها ، والوقوف عليها . فكان صنيع هذه الجماعة أشبه بالقبس الوضاء سطع في ذلك الغيب الذي احلوك في سماء مصر فبدده ، واستطاع الناس أن ينظروا ؛ ولكن ماذا رأوا ؟ رأوا أنهم في القرن التاسع عشر ، وأن الغرب واقف منهم موقف الإنسان العاقل من الحيوان الأعجم يرميهم بنظرات السخرية وهو دائب في سبيل الحياة الصحيحة ، مجدّ في تذليل المادة ، فبهتوا ودهشوا .

ولكن عمد على رأس الأسرة الخديوية لم يدهش ، بل علم أن ما في الغرب من حضارة وعمارة إنما أسسه العلم . وأكبر ما تركه الفرنسيون بمصر من الآثار الصالحة والأبحاث النافعة على اضطراب حالهم وقصر احتلالهم ، وكان في نفسه الطموح إلى الملك ، والاستبداد بحكم مصر والاستعداد له . فأخذ في تعليم المصريين وقد عزّ فيهم القارىء ، فأنشأ المدارس المختلفة الدرجات والغايات في المدائن والقرى وساق الناس إليها قسراً . واستقدم طائفة من علماء فرنسا للتدريس والتأليف . كالفكتور كلوت بك مؤسس المدرسة الطبية، وجوما ريك مدير البعثة المصرية . وبمّث بمن أنجبت تلك المدارس إلى فرنسا سنة ١٨٢٦ ليستفيدوا ويستزيدوا . فلما عاد أولئك الطلبة وكانوا أربعة وأربعين أخذوا

(١) الجريدتان هما ( الأهرام المصرية ) La Décade Egyptienne وسميت بذلك لأنها كانت تصدر كل أسبوع ، والاسبوع في اصطلاح التقويم الجمهورى الفرنسى كان عشرة أيام . ثم يريد مصر Le courrier d'Egypte وقد كانوا يلغون بالعربية ( التلغية ) لإذاعة لهم مما يجرى في ديوان القضاء .

(٢) أنشأ بوناپرت « المجمع العلمى المصرى » في السنة التى دخل فيها مصر بمقره بطنطا . وجعل في الدرب الجديد مبنى للناصرة ؛ وألّفه من ثمانية وأربعين عضواً . ربهم لرياضيات وربهم الثانى لطبيبات . والريح الثالث للاقتصاد السياسى ، والريح الرابع للأدب . وجعل رياسته للاستاذ منح ووكاله لناپليون نفسه . وقد قام هذا المجمع بأبحاث قيمة كان يلغونها كل ثلاثة أشهر ، ثم أغلق هذا بفرج الجيش الفرنسى من مصر : وفي سنة ١٨٥٩ لسكر جماعة من جالية الفرنسيين ان يبيدوه فأعادوه ، ولا يزال قائماً بمبنى للنيرة بالقاهرة .



في الترجمة والتعليم . ثم توالى البعث بعد هؤلاء إلى أوروبا وكلهم من الأزهر الشريف . وتلك يد أخرى لهذا العهد الجليل على اللغة ساعدتها اليوم على النهوض كما حماها من قبل دون السقوط . وفتحت في القاهرة مدرسة الألسن ودار الترجمة ، وأقيمت المطبعة المصرية على أنقاض المطبعة الأهلية التي جاء بها الفرنسيون إلى مصر وذهبت بنهبهم . وأنشئت الوقائع المصرية وهي أول صحيفة عربية في الشرق ، فكان ذلك كله وقوداً جزلاً للقبس الذي ألقاه نابليون بمصر ونفخ فيه محمد علي فذكا واشتعل وامتد لهيبه إلى الشام وإلى سائر بلاد العرب فأيقظ النيام وبدد الظلام . وحذا الأمير بشير الشهابي في لبنان حذو محمد علي في مصر ، وأعانته على ذلك دعاة النصرانية من الأمريكان والفرنسيين بإنشائهم المدارس والمطابع وتأليفهم الكتب ، وإصدارهم المجلات وتعليمهم التمثيل ، واعتمادهم في كل أولئك على اللغة العربية ، حتى تخرج في معاهدهم صفوة الكتاب والشعراء والمترجمين والصحفيين من أهل لبنان ، فسكاتف القطران على إحياء اللغة والعلوم ، فترجمت الكتب العلمية ، ونشرت المؤلفات العربية ، ودب في اللغة ديب الحياة ؛ إلا أن آدابها وعلومها لم تزل في يد العفاء ؛ لأن محمداً علياً كان مصر وفاهم إلى ما يُعزّزه ، كالعلوم الحربية والطبية والصناعية والرياضية ، فأنعاه من كتابه وعمله باللسان العامي ، والأسلوب الاصطلاحي . فكانت لغة الدواوين في عهده وعهد أخلافه خليطاً منهما معجماً من التركية والعربية .

على أن اللغة المضربة لم تعدم في ذلك العصر أنصاراً . فقد كان لها من أمثال الشيخ حسن المطار ، ويطرس كرامة ، السيد علي الفرويش ، ورفاعة بك العظمطاوي ، من حفظوا أكيانها وجددوا بيانها .

وأخذت هذه النهضة المباركة تنمو رويداً حتى ولى الأمر عباس ثم سعيد ، نجبا أوارها ، ووقف تيارها ، لرغبة هذين الأميرين عن العلم والتعليم .

فلما جلس إسماعيل على أريكة الخديوية سنة ١٨٦٣ م فتح ما أغلق من  
الماهد وزاد عليها . فأنشأ المدارس للعلوم والهندسة والطب والحرب ، وعاد إلى  
إرسال البعث إلى أوروبا ، وأسس نظارة المعارف وعهد إليها أمر التعليم ، وأنشأ  
المكتبة الخديوية ، وبنى مدرسة للمعلمين ، وبسط يده للمؤلفين ، ونشر ألية  
المدنية والسكينة على ربوع البلاد ، فزح إليها الأجانب للكسب والتجارة ، وفيهم  
العلماء والأدباء ؛ فكان اختلاط هؤلاء بالمصريين ، وكثرة المطابع ، ووفرة  
المدارس ، وانتشار الصحافة ، واقتباس التمثيل ، وترجمة العلوم ، والأندية الأدبية ،  
والجامع العلمية ، وتعلم اللغات الأجنبية ؛ ونقل الحضارة الأوروبية ، والحرية  
الشخصية ، كان كل أولئك سبباً في خصب القرائح ، وسعة المدارك ، ونهوض  
اللغة ، وحياة الأدب .

ثم دهانا الاحتلال الإنجليزي سنة ١٨٨٢ م وكل شيء . بتحفز للنهوض .  
وبتوثب إلى الرقي ، فكأنما أقيت ماء على نار ، أو أقيت سداً في تيار كانت  
الحركة العلمية في أواخر عهد إسماعيل واسعة النطاق ، والمدارس وافرة العدد ،  
واللغة العربية لسان التعليم ولغة التأليف ، فأخذ الإنجليز منذ اغتصبوا السلطان  
يقطعون أسباب النهضة ، ويسرون بالتعليم إلى وجهة أخرى . فأغفلوا البعث ،  
وأغلقوا مدرسة الألسن ، وأبطلوا المجانية ، وأهملوا اللغة العربية ، وجعلوا التعليم  
كله بالإنجليزية ، وقصروه على تخريج عمال للحكومة لا إعداد رجال للشعب .

ولكن الأمة المصرية قد استطاعت أن تقف على رجلها ، وأن تسمح عينها  
بيديها ، فلم ترض النكوص والعالم يتقدم . فحب رجالها يطلبون سيادة لغتهم  
في بلادهم . ويقومون هم بتعليم أولادهم ، فعادت اللغة إلى المدارس ، ورجعت  
البعوث إلى أوروبا ، وكثرت المدارس الأهلية والأميرية . وشبت ثورة الاستقلال  
في وجه الاحتلال سنة ١٩١٩ م وردد العالم العربي صداها ، فأيقظت ما بقي من  
شعور خامد ، ودفعت النفوس الخائفة إلى طلب الحرية في الحكم ، والرأي ،

والقول ، والعقيدة . حتى ظفرت مصر من ذلك بقسط موفور في دستورها الذي نالته سنة ١٩٢٣ م .

ثم تابعت الجهاد في سبيل حريتها واستقلالها حتى نالت قسطاً آخر بمعاهدة سنة ١٩٣٦ . ولما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها في عام ١٩٤٥ طلبت مصر من إنجلترا تغيير هذه المعاهدة فجرت بين الحكومتين المصرية والإنجليزية أحاديث طويلة لم تؤد إلى اتفاق ، لأن مصر أرادت أن تبني المعاهدة الجديدة على أساسين من وحدة مصر والسودان تحت التاج المصري ، وجلاء الجيش الإنجليزي عن وادي النيل . وعارضت إنجلترا في الأساس الأول فالتجأت مصر إلى هيئة الأمم المتحدة وظاهرتها دول الجامعة العربية . فلما عرضت قضيتها على مجلس الأمن بأمريكا ، وتولى عرضها رئيس حكومتها ، وكان يومئذ المنفور له محمود فهمي النقراشي ، قطع لسان الباطل بالحق ، وفند دعاوى الإنجليز بالحجج الدامغة ؛ ولكن مصانعة الدول لشيخة الاستعمار علق القضية فلم يفصل فيها حتى شبت ثورة الجيش المصري بقيادة الضباط الأحرار في ٢٣ يوليو من سنة ١٩٥٢ فصرفت بالفساد والاستبداد ، وطهرت البلاد من فجور الملك وشورور الحكم وطفيان الفنى فطردت فاروقاً ثم أعلنت الجمهورية وحددت الملكية واضطرت الإنجليز إلى الجلاء عن القناة بعد أن اتفقت الدولتان على أن يقرر السودان مصيره بنفسه . فإما أن يستقل بأمره وإما أن يتحد مع مصر . وقد اختار الاستقلال وأعلن الجمهورية .

وفي شهر فبراير من عام ١٩٥٨ اندمجت مصر وسورية في وحدة تامة باسم الجمهورية العربية المتحدة . وكذلك استقل لبنان وطبق على شعبه النظام الجمهوري وفي الرابع عشر من يوليو من سنة ١٩٥٨ ثار العراق على الملكية وأعان الجمهورية ، ولا تزال فلسطين والجزائر وجنوب الجزيرة العربية يتطلعون الفاية من هذه السبيل ، ويتربون الإصباح بعد هذا الليل المظلم الطويل .

## الفصل الثاني

### وسائل النهضة الحديثة

كان من آثار الاحتلال الفرنسي ، ونزعة الاستقلال عند محمد علي ، أن أشرقت من جانب الغرب ومضات من نور المعرفة في آفاق مصر ولبنان فهبت البلاد تسير على ضوئها وتعمل على هداها — تلك الومضات هي الوسائل التي تدرج بها رأس الأسرة العلوية وورثته على عرش مصر إلى ترقية الجيش وتنشئة الحكومة وتربية الشعب من طريق غير مباشر ، وأهم تلك الوسائل :

#### ١ - المدارس

لم يجد محمد علي فيما يُعلم يومئذ بالأزهر من علوم الدين واللسان بغيته من علوم الحرب والطب والرياضة ، فأنشأ المدارس العلمية المختلفة وقسمها إلى ابتدائية وتجهيزية وخاصة ، ووصل بينها وبين أوروبا بجلب العلماء منها وبعث البعث إليها . فلما تعددت درجاتها وتنوعت أغراضها أنشأ لها إدارة خاصة في سنة ١٨٣٩ سميت ديوان المدارس كانت رياسته الأولى لمصطفى مختار بك من رجال البعثة العلمية الأولى . ومن أقوى المدارس الخاصة أثر أفي النهضة العلمية والأدبية مدرسة الطب ومدرسة الألسن ومدرسة دار العلوم . فاما مدرسة الطب فقد أنشئت لخدمة الجيش سنة ١٨٣٦ في أبي زعبل وأقيم بجانبها مستشفى لتدريب الطلاب ومعالجة المرضى . واستقدم أساتذتها من فرنسا برئاسة الدكتور كلوت بك ، واختير طلبتها من المصريين وغيرهم . ثم نقلت في سنة ١٨٣٨ إلى قصر ابن العيني بالقاهرة وإلى هذه المدرسة يرجع أكثر الفضل في إحياء اللغة العربية ووصلها بالثقافة الحديثة ؛ لأن الأساتذة كانوا يلقون دروسهم باللغة الفرنسية ثم تؤدي في الوقت نفسه إلى الطلاب باللغة

العربية ، وكان ذلك يضطر المترجمين من اللغاربة والبنانيين والأرمن إلى البحث عن المصطلحات في المعجمات اللغوية والكتب الفنية القديمة .

وأما مدرسة الألسن فقد أنشأها محمد علي لتفريج المترجمين حين اشتدت الحاجة إليهم في ترجمة الدروس إلى الطلاب ، ونقل الكتب الطبية والعسكرية إلى العربية . وجعل إدارتها إلى المرحوم رفاعة بك العاطاوى حتى إذا خرجت طائفة من أفاضل المترجمين تألف منهم قلم للترجمة سنة ١٨٤٢ برئاسة رفاعة بك اضطلع بترجمة كثير من الكتب العلمية الأجنبية في مختلف العلوم الحديثة .

وأما دار العلوم فقد أسسها المرحوم علي مبارك باشا في سنة ١٨٧٩ م بأمر الخديو اسماعيل ليخصص طلابها في العلوم العربية ، وبشاركوا في بعض العلوم الدينية والعقلية ، يأخذوا بقسط من الثقافة الحديثة ، ولعلوا بعد تخرجهم فيها اللغة والدين في مدارس الحكومة . وكان أسانذتها من نابض شيوخ الأزهر ، وتلاميذها من متقدمى طلابه . ولهذا المدرسة الفضل العظيم والأثر البالغ في ترقية اللغة وإنهاض الأدب وإشاعة الفصحى على ألسنة خريجيها وأقلامهم في التعليم والتأليف والكتابة والشعر والخطابة . وقد ظلت مستقلة منذ إنشائها تحمل أمانتها وتؤدي رسالتها حتى ألحقت بجامعة القاهرة سنة ١٩٥٦ وسميت كلية دار العلوم .

## ٢ — الجامعة الأزهرية

الأزهر أول جامع في القاهرة ، وأقدم مدرسة في مصر ، ومن أعرق الجامعات الكبرى في العالم . بناه جوهر الصقلي بعدما خط القاهرة ، لإقامة الشعائر الدينية وتأييد الشيعة المالوية من طريق الدين . وحشد إليه أساطين الفقه ونوابغ العلم من أقطار الأرض ، وأدر عليهم أخلاف الرزق ، ورفع عنهم كلاف الحياة ، دون حساب ولا تقرير ، حتى جاء يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله ، وهو يهودى قد أسلم وتفق ، فرتب لهم الوظائف وابتقى لهم المساكن على مقربة من الجامع . ثم أخذ هؤلاء الفقهاء يقرأون بعد كل صلاة فقه الشيعة ، ويأخذون

في سبيل الوعظ ، ويميلون إلى شيء من البحث ، ويتكلمون في مسائل اللغة والنحو ، ويعقدون فيه مجلس المناظرة ، حتى دالت دولة الفاطميين ، وغلب على مصر زعيم الأيوبيين صلاح الدين سنة ٥٨٧ هـ وهو من أهل السنة فبايع العباسيين ، وأحل الفقه الشافعي محل الفقه الشيعي في الأزهر . وقرر فيه كذلك فقه أبي حنيفة لأنه مذهب الخلفاء في بغداد . ورأى صلاح الدين أن يؤلف قلوب المسلمين كافة فأجاز تدريس المذاهب الأربعة فيه . وجبر ذلك إلى بسط العلوم اللغوية والأدبية ، والإلمام بالعلوم الرياضية والطبيعية . وزها الأزهر في عهد الماليك بعد سقوط بغداد وانتقال الخلافة والثقافة إلى مصر ، فحفظ اللغة من الزوال ، وعلومها من الانحلال . وظل وحده يرسل أشعة العلم والدين إلى أنحاء العالم الإسلامي ، لا يخرج عالم إلا منه ، ولا ينبغ كاتب ولا شاعر إلا فيه وحتى أدركته النفوس الشرقية العامة في عهد بني عثمان فتجدد العالم وتقدم العلم وارتقى التعليم وهو جامد على حاله القديم ، باق على مذهبه الموروث . ومع ذلك فقد كان رجاله في صدر العصر الحديث عدة نابليون في تنظيم عمله ، وساعد محمد علي في تحقيق أممه ، وموئل اللغة والدين والآداب من مصنف الحن وطغيان الجبهة وتغلب الأمية . ولكن مصر هبت من رقادها ، ولم تجد الأزهر كما كان كفواً لقيادتها وإرشادها ، فوات وجهها شطر الغرب تكرع من حياضه . وتقطعت من رياضته ، حتى اتسعت مسافة الخلف بين التعليم الجديد والتعليم القديم ، وانتشرت في مصر ثقافتان مختلفتان تناهض إحداهما الأخرى . ثقافة قائمة على السكتب القديمة والطرق العقيمة ، وثقافة مبنية على العلم الغربي والتعليم الحديث ؛ فلم يكن بد من إصلاح الأزهر ليشارك في النهضة العامة . بدأت الحكومة الخديوية ذلك في عهد شيخه الشيخ الانبأى سنة ١٣٠٥ هـ فأدخلت فيه بعض العلوم الحديثة بعد لأى ومشقة وفتوى شرعية . ثم تصدى الإمام الكبير محمد عبده لإصلاحه ، فوضع الأساس ، وحال الأزهر يوت بينه وبين البناء . ولكن السيل جارف والتيار قوى فلم يستطع أهل الوقوف في سبيله ؛ فالتقوا

السلاح ، وقبلوا الإصلاح ، ولكن إصلاحه استعصى على للصالحين لعوامل سياسية وأخرى ديوية . فآثروا العافية وفوضوا أمره إلى الزمن .

ثم قسم الأزهر الآن إلى معاهد للتعليم الابتدائي ، وأخرى للتعليم الثانوي ، وجعل التعليم العالي فيه فروعاً ، فكلية للشريعة ، وكلية للغة العربية ، وكلية لأصول الدين : وقد أنشئت لهذه الكليات دور خاصة منفصلة من الأزهر . ونمت موارده حتى بلغت في العام مئات الألوف من الجنيحات ، وزاد طلابه حتى نيفوا على عشرين ألف طالب يساعدهم بالمال والسكن ومن بينهم العربي والتركي والسوداني والمغربي والإيراني والسعودي والعراقي والمهندي والباكستاني والإندونيسي والشركسي والأفغاني وكلهم يتعلمون باللغة العربية ويتفخون بالثقافة الإسلامية ، ول هؤلاء أقيمت مدينة على القرب من الأزهر يمد فيها الطلاب الأغراب الغذاء والمأوى .

### ٣ — الجامعة المصرية

كان من أثر سوء النية الذي بدا من المحتلين في سياسة التعليم بمصر وحصره في دائرة ضيقة من نواحي الثقافة ، وقصره على تخرج الموظفين للحكومة ، أن صحت عزيمة المصريين الأحرار على أن يقوموا بتعليم أولادهم ، وأن يقيموا للعلم الصحيح وزناً في بلادهم ، فاجتمعت طائفة منهم سنة ١٩٠٦ على إنشاء جامعة أهلية تقضي حاجة البلاد من التعليم . وأهابوا بأبناء مصر أن يعاونوا ببذل المال على إنجاح هذا المسمى الخطير ، فابى المحسنون النداء وفي طليعتهم الأميرة فاطمة بنت اسماعيل . وفي سنة ١٩٠٨ افتتحت الجامعة المصرية وأسندت رئاسة الشرف فيها إلى الأمير أحمد فؤاد قبل أن يستوى على عرش مصر . فاستقدم إليها طائفة من علماء أوروبا ، واختار لها صفوة من أدياء مصر ، فألقوا على طلبتها من الأزهريين والموظفين محاضرات قيمة في الآداب والفلسفة : وكان من بين العلماء الأوربيين المستشرقون جويدي وتلينو ولتمان فهجوا لدراسة الأدب العربي وتاريخه المنهج القويم الواضح .

وفي سنة ١٩٢٥ تولتها وزارة المعارف فشادت لها الابنية العظيمة ، واقتبست لها الأنظمة الأوربية الحديثة ، وضمت إليها كليات الحقوق والطب والهندسة والزراعة والتجارة والصيدلة وطب الاسنان ، وكانت من قبل ذلك إنما تتألف من كلية العلوم وكلية الآداب ، ثم سميت بجامعة القاهرة . ولما اشتدت الرغبة في التعليم وازداد عدد الطلاب أنشئت في الاسكندرية جامعة ثانية سميت بجامعة الاسكندرية . وأقيمت في القاهرة جامعة ثانية سميت بجامعة عين شمس : وفي أسيوط جامعة رابعة سميت بجامعة أسيوط . وبما لا ريب فيه أن هذه الجامعات الأربع جامعة الازهر وجامعة دمشق قد آتين ثمار العلم ، ونشرن أضواء الثقافة ، ووصلن الماضي بالحاضر ، وربطن الشرق بالغرب ، وقرن العلم بالعمل ، ووجهن الحضارة العربية الوجهة الصحيحة .

#### ٤ — الطباعة

اخترع الطباعة بالحروف « حنا جوتنبرج » الألماني سنة ١٤٤٠ ، فكان لاختراعه من الأثر في الأدب والحضارة ما كان . وما كادت تشهر الطباعة بالحروف في أوروبا حتى صيغت منها قوالب للغات الشرقية . وطبع أول كتاب باللغة العربية سنة ١٥٩٤ م وأخذت المطبوعات الشرقية ولا سيما العربية تزداد شيئاً فشيئاً حتى صدرت عن أكثر العواصم الأوربية . وكان منها المؤلفات الجليلة كالمهدين القديم والجديد ، ونزهة المشتاق للأدريسي . وقانون ابن سينا ، وتحرير أصول إقليدس . وما زالت تطبع فيها نقائس الكتب المخطوطة إلى الآن . ثم دخلت الطباعة الشرق عن طريق الآستانة ١٤٩٠ م على يد عالم يهودي طبع بها مؤلفات دينية وعلمية ؛ ولكن الحروف العربية لم تظهر فيها إلا سنة ١٧٠٨ م . ومن أشهر المطابع العربية في الآستانة « مطبعة الجوائب » لأحمد فارس الشدياق ؛ طبع فيها طائفة كبيرة من عيون الكتب الأدبية . أما في البلاد العربية فكان السبق للبنان في استعمال المطبعة بفضل دعاة المسيحية ؛ فقد أسس الرهبان اللبنانيون أول مطبعة ببيروت في أوائل



القرن السابع عشر . ثم أسست بها المطبعة الكاثوليكية سنة ١٨٤٨ م ، ولها الأثر الجليل والفضل الجزيل في نشر المخطوطات العربية القديمة ، وطبع الكتب الأدبية والعلمية ، وإتقان فن الطباعة العربية ، ثم تلت مصر لبنان فدخلتها الطباعة على يد نابليون سنة ١٧٩٨ م ، إذ جاء بمطبعة لطبع المنشورات والأوامر بالعربية وسمّاها « المطبعة الأهلية » ثم ذهبت معه . وأقام محمد علي على أنقاضها المطبعة الأهلية ( مطبعة بولاق ) سنة ١٨٢١ . وعهد بإدارتها إلى نقولا مسابكي السوري ، وصبت حروفها على أجل قاعدة نسخية من حجوم مختلفة . ثم صبت ثانية على قاعدة المرحوم جعفر بك كبير الخطاطين في مصر ، وهي المستعملة الآن . وقد طبعت وثلثمائة كتاب في الرياضيات والطب والجراحة مما ترجم عن اللغات الأجنبية ، وطبعت أمهات الكتب الأدبية بفضل ( القسم الأدبي ) الذي فصل عنها ووصل بدار الكتب المصرية . ومنذ يومئذ إقتصرت مطبعة بولاق على طبع ( الوقائع المصرية ) والكتب المدرسية والأعمال الحكومية ، وهي الآن أكبر مطبعة عربية في العالم . ثم إنتشرت بعد ذلك المطابع في مصر فسهلت سبل الأدب وأدنت قطوف العلم ، وساعدت على انتشار القراءة

### ٥ - الصحافة

الصحف مدارس متجولة في البلدان ، ليست محصورة بين جدران ، ولا يختص بها مكان دون مكان . وهي أوسع دائرة للإرشاد من كل دوائر التعليم : تهذب عقول العامة ، وترتب أفكار الخاصة ، وتنهض الهمم القاعدة ، وتصلح الألسنة الفاسدة ، وتقرب الأمم المتباعدة . وهي سجل الأخبار ووعاء التاريخ وتهويم الزمن . وأول جريدة عربية بالمعنى التقني المعروف هي الوقائع المصرية ، أنشأها الأمير محمد علي سنة ١٨٢٨ م بمعونة الأستاذ رفاعة بك الطمطاوي ، وكانت تصدر أولاً بالتركية والعربية ، ثم حررت بالعربية وتولى تحريرها نخبة من أفاضل الكتاب كالشيخ حسن المطار ، والشيخ شهاب صاحب سفينة الملك ، والإمام محمد عبده ،

والشيخ عبد الكريم سلمان ، وسعد زغلول . ولا تزال تصدر عن القاهرة ثلاث مرات في الأسبوع . ثم ظهر بعد ذلك في الشام جريدة مرآة الأحوال سنة ١٨٥٥ م وهي سياسية محررها رزق الله حسون الحلبي ؛ وحديقة الأخبار سنة ١٨٥٨ م لصاحبها خليل الخوري ؛ والجوائب في الآستانة سنة ١٨٦٠ لأحمد فارس الشدياق ؛ وجريدة الرائد التونسي في تونس سنة ١٨٦١ م .

وفي زمن إسماعيل أصدر محمد علي باشا البقلي ( اليصوب ) وهي مجلة طبية شهرية بمعونة الشيخ محمد الدسوقي وهي أول مجلة عربية ظهرت في العالم . وفي سنة ١٨٦٦ ظهرت بمصر جريدة سياسية أدبية علمية وهي وادي النيل لأبي السعود افندي ، كانت تصدر مرتين في الأسبوع بالقاهرة . وفي سنة ١٨٦٩ أصدر إبراهيم بك المويلحي ومحمد بك عثمان جلال جريدة ( نزهة الأفكار ) وكانت أسبوعية شديدة الهمجة فألفاها الخديو إسماعيل . وفي سنة ١٨٧٠ م صدرت مجلة روضة المدارس المصرية وهي مجلة علمية أدبية محررها نخبة من ذوى المسكنة في العلم والأدب . ثم صدرت الأهرام سنة ١٨٧٦ م وسياستها عثمانية فرنسية ، ثم أصبحت بعد الحرب العالمية الأولى مصرية ، والوطن سنة ١٨٧٧ م وهي جريدة طائفية احتلالية . وعلى مناهجها سارت جريدة مصر ؛ والمحررة لصاحبها أديب إسحق سنة ١٨٨٠ . وبعد الاحتلال ظهرت القلم سنة ١٨٨٨ م وهي احتلالية . والمؤيد وهي إسلامية خديوية . والواء وهي إسلامية وطنية . والجريدة والشعب والسياسة والبلاغ والجهاد وكوكب الشرق والمصري والكتلة والزمان والجريدة المسائية . وتلك هي كبرى الصحف اليومية والسياسية وكلها تصدر عن القاهرة . وأكثرها انقطع عن الظهور فلم يبق منها إلا الأهرام والأخبار والجمهورية والمساء . وهناك صحف أسبوعية مختلفة كالرسالة والثقافة وأخبار اليوم والمصور وآخر ساعة والتحرير ، وشهرية كالمقتطف والحلال والكتاب ومجلة الأزهر في مصر ، والأديب والآداب في بيروت ، ومجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ومجلة المجمع العلمي العربي

في دمشق. وأكثر المجلات الأدبية الأسبوعية والشهرية قد احتجبت لقلة العون من الحكومة وضعف الرغبة من القراء .

والبحث في سياسة هذه الصحف وتحريرها وتأثيرها يخرج بنا إلى التطويل .  
وبما لا بد من ذكره أن الفضل في تقدم الصحافة ورقى التحرير والترجمة إنما كان للبنانيين ، لسببهم إلى معرفة اللغات الأوروبية ، وخلاطهم للأمم الغربية .

## ٦ - التمثيل

التمثيل بمعناه الحديث لم تعرفه اللغة العربية إلا في أواسط القرن الماضي . وكان اللبنانيون أسبق الشرقيين إلى اقتباسه ؛ لتخرجهم في المدارس الأجنبية ، ودراستهم للآداب الإفرنجية . وأول من فعل ذلك منهم مارون النقاش المتوفى سنة ١٨٥٥ قد مثل أول رواية عربية سنة ١٨٤٠ م . ولما تبوأ إسماعيل عرش الخديوية شجع الأدباء ، وعضد العلماء ، وساعد الفنانين . وتم حفر قناة السويس في عهده فاحتفل بافتتاحها ذلك الاحتفال المشهور . ورأى من كرم الضيافة ألا يحرم ضيوفه الأوروبيين مشاهدة التمثيل أثناء إقامتهم بمصر ، فابتنى دار الأوبرا الخديوية واستقدم لها فرقة أجنبية مثلت رواية ( عابدة ) بالفرنسية . وورد مصر في أثر ذلك جماعة من أدباء لبنان وفيهم سليم النقاش وأديب إسحق ، فمثلوا في الاسكندرية بضع روايات على مسرح زيزنيا سنة ١٨٧١ م ففشلوا ، وتخلوا عن الفرقة لأحدم يوسف خياط ، قدم القاهرة واتصل بإسماعيل ففتح له الأوبرا وشهد أولى رواياته ، وكانت روايته ( الظلوم ) ، فظن أنهم يعرضون به فنهم إلى وطنهم . وأقفلت الأوبرا في وجه التمثيل العربي فلم تفتح بعد ذلك إلا لفرقة سليمان الفرداحي وزميله الشيخ سلامة حجازي .

لم يكن التمثيل في تلك الفترة الماضية شعبياً ، وإنما كان حكومياً أرستقراطياً لا يحضره إلا الأمراء والحكام ، فلما بنى إسكندر فرح مسرحه في شارع

عبد العزيز بالقاهرة وضم إليه الشيخ سلامة حجازي أصبح للجمهور، وكان التمثيل حينئذ بعيداً عن الكمال والفن لا يرجع إلى فن ولا يعتمد على قاعدة، وإنما كان أساسه الفناء والمجون استمالة للعامة وإرضاء للدهماء، ولغة الروايات كانت سقيمة ملحونة مسجوعة. وأول خطوة خطاها هذا الفن في سبيل الكمال كانت بفضل الفرقة التي ألقاها جورج أبيض بعون الخديو عباس حلمي، وضم إليها صفوة الممثلين الذين خرجهم الزمن وأرشدتهم التجارب. إلا أن هذه الفرقة انحلت بعد قليل لسوء الإدارة وفلة المال وزهادة الجمهور في التمثيل الفني. وظل التمثيل بعد ذلك يرسب ويطفو تبعاً للحوادث والظروف. على أن حالته الآن وإن لم ترض الباحث من كل وجه لا تدعو إلى اليأس، فقد أنشأت وزارة الثقافة والإرشاد معهداً للتمثيل وألفت فرقة حكومية وفرقا أخرى مختلفة تنفق عليها نرجو أن يكون لها أثر قوى في إنهاض المسرح بعد أن اعتدت عليه السينما وخذله الجمهور

## ٧ - المجمع الأدبية

### المجمع العلمي العربي بدمشق

كان اخواننا في الجمهورية العربية السورية أسبق الأمم العربية إلى إنشاء للمجمع العلمية على ضيق مواردكم وغل سواعدهم، كما كان اللبنانيون أسبها إلى الترجمة والمصاحفة والتمثيل فقد أنشأ المجمع العلمي العربي بدمشق في اليوم الثامن من شهر يونيو سنة ١٩٠٦م بعد دخول الأمة السورية في وصاية الدولة الفرنسية إجابة لمقترح الأستاذ محمد كرد علي وزير المعارف السورية يومئذ لا غراض كانت إذ ذاك « تدور حول مسائل تعود بأسرها على إنعاش الآداب العربية، وتلقين أصول البحث والدرس لنبيه الدارسين. وقد عني هذا المجمع بوضع ما عرض عليه وضعه من الالفاظ في المصطلحات العلمية الحديثة، وأصلح بعض الأوضاع الإدارية، وقوم ما أمكن لغة الدواوين، وصحح بعض أغلاط الكتاب والشعراء والخطباء، وعاون عدة

من المؤلفين والمترجمين على ما هم بسبيله<sup>(١)</sup> » وضم هذا المجموع صفوف العلماء والأدباء في الشام والعراق ومصر وطلائقة من علماء للشرقيات في أوروبا. وأصدر مجلة شهرية لنشر دراساته ومحاضراته ومقالاته . وبعد أن اتحدت مصر وسورية في الجمهورية العربية للتحدة حينما من الدهر أصبح مجمع دمشق ومجمع القاهرة مجعاً واحداً ومؤتمر سنوي واحد .

### مجمع اللغة العربية بالقاهرة

وفي ١٤ من شعبان سنة ١٣١٥ ٣٥ ديسمبر ١٩٣٣ م صدر مرسوم ملكي بإنشاء مجمع ملكي للغة العربية يكون تابعاً لوزارة التربية والتعليم في القاهرة والفرض منه :

١ — « أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وأن يعطيها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة على العصور لحاجات الحياة في العصر الحاضر ، وذلك بأن يحدد في معاجم أو تفاسير خاصة ، أو يغير ذلك من الطرق ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتركيب .

٢ — أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، وأن ينشر أبحاثاً دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها .

٣ — أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية .

٤ — أن يبحث كل ماله شأن في تقدم اللغة العربية مما يهد إليه فيه بقرار من وزير المعارف العمومية » وهو مؤلف من « أربعين عضواً عاملاً يختارون من غير تقييد بالجنسية من بين العلماء المعروفين بتبحرهم في اللغة العربية ، أو بأبحاثهم

---

(١) ما بين القوسين منقول عن التقرير الرابع للمجمع .

في فقه هذه الامة أو لمجالاتها « وخمسة وعشر من عضواً مراسلاً في مختلف البلدان الشرقية والغربية. ومن بين أعضائه العاملين اليوم ثلاثون عضواً مصرياً ، وعضوان أوروبيان فرنسي وإنجليزي، وعضو عن المغرب، وعضو عن تونس، وعضو عن المملكة العربية السعودية، وعضو عن العراق . يرأسهم الأستاذ أحمد لطفى السيد. والجمع يتألف من هئتين : مؤتمر الجمع ويتكون من أعضائه جميعاً ويجتمع أربعة أسابيع متوالية في كل سنة . ومجلس الجمع ويتكون من الأعضاء المصريين ويجتمع مرة في كل أسبوع . وللجمع مجلة تنشر ما يقره من البحوث اللغوية والمصطلحات العلمية صدر منها ستة عشر جزءاً ، والجمع يبذل جهوده اليوم في وضع المعجم اللغوي الكبير ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ومصطلحات العلوم الحديثة . بعد أن وضع المعجم الوسيط في نحو ألف صفحة ونشره على الناس فقابلوه بالثناء وحسن التقدير .

### الجمع العلمي العراقي :

تألف في بغداد على غرار الجمع العلمي العربي بدمشق .. ونشاطه مقصور على البحوث والمحاضرات ، ونشر بعض المخطوطات .

## الفصل الثالث

### النشأة والكتابة

كان الدافق في صدر هذا العصر من كتب السلف كتابان يمثلان مذهبين مختلفين في الكتابة : أحدهما مقامات الحريري، والآخر مقدمة ابن خلدون . فالأول يمثل الأسلوب الصناعي الأجوف الموه ، والثاني يمثل الأسلوب الطبيعي العامر المحكم . وكانت القلوب لا تزال مأخوذة بسحر المقامات لدقة صداقتها، وذبوع طريقها ، وقصور العقول عن البعث، ومجز القرائح عن التوليد ولكن الدافقين من خرمجي المدارس المدنية الحديثة الذين وقفوا على آداب الفرنجة أثروا الطريقة الخلدونية على الطريقة الفاضلية، لجربانها مع الطبع، وملاءمتها الروح العصر، ومشايتها لأساليب الفرنجة ، فظهرت مذبذبة فيما كتب قاسم أمين ، وفتحى زغلول، ولطفى السيد ، ومن جرى مجراهم . وانفرد بالأسلوب البديعي رجال دار العلوم ومن يمت بسبب إلى الأزهر من أمثال الشيوخ حمزة فتح الله ، وتوفيق البكرى ، وحفنى ناصف ، ومن هذا حذوهم وبدت على أساليب هؤلاء مظاهر التكلف فأسرفوا في الحاكاة، وأوغلوا في الصنعة. وتشددوا في القياس، وتصبخوا في استعمال اللغة، كما بدت على أساليب أولئك مظاهر انتطرف فتجاوزوا في القواعد وتسامحوا في اللغة ، واستغفوا بحال الصياغة ، وهبطوا إلى مستوى العامة . وفي ذلك العهد نشأت على أقلام عرب لبنان النازحين إلى الأمريكتين طريقة ثالثة فيها الفكرة والطراقة والحركة والتنوع ، ولكن فيها الركاكة والتساهل والدخيل والمعجمة ؛ فكان من رد الفعل الذي لا بد منه هؤلاء الطرائق الثلاث أن تنشأ طريقة رابعة تأخذ من محاسنها وتخلو من مساوئها فترتضيها الأقواق جميعاً

تلك كانت طريقة إحياء الأسلوب العربي الخالص مكل النقص . عما فاته من صور البيان لا تقطاع أهله عن مسيرة التمدن الفكري . الحديث . استبانته معالم هذه الطريقة في نثر المنفلوطي ، كما استبانته في شعر البارودي ، ثم نهجها الكتاب للوهوبون والشعراء المطبوعون فميزت بالرفقة والدقة والسلامة والرصانة والقصد . ثم نبغت طائفة من الكتاب جمعوا بين ثقافة الشرق القديم وثقافة الغرب الجديد فبلغوا بالنثر الفني منزلة لم يبلغها في عصر من عصوره . فالأسلوب الذي كتب به المنفلوطي والبشرى والرافعي والمازني ، ويكتب به العقاد وطه حسين هو ثمرة التطور الحديث في الأدب والعلم والفن والحضارة . وهو وإن اختلف بين الكتاب في القوة والضعف ، والعمق والضحل ، والدقة والتجوز ، والتركيز والانتشار ، يشترك في الصفات الجوهرية للغة وهي الصحة والنقاء والمرونة ، وفي الخصائص الأصلية للبلاغة وهي الأصالة والوجازة والتلاؤم <sup>(١)</sup> .

وقد تعددت الأساليب في هذا العصر ، فكان لكل طبقة أسلوب ، كالأدباء والفقهاء والمحامين والصحفيين . وتنوعت الأغراض ، فكتبوا في القانون والسياسة والاجتماع ، ونسجوا على منوال ما ترجموه من القصص والروايات الأوربية . وعلى الجمل فالمنهج الكتابي المعاصر يجمع كما قلت صفات اللغة الجوهرية وخصائص البلاغة الأصلية ، إلى تأثره بالمذاهب الأوربية والعوامل الاجتماعية والمفاحى الثقافية والمعاني الحضارية . والكتاب الذين يتزعمونه اليوم أو يتبعونه نفر من الأدباء الكهول ، وطائفة من الأدباء الشباب ، توفر حظهم جميعاً من علوم اللسان ومفردات اللغة ، واستنزفوا الشباب في تحصيل الأدب ومعاناته ، حتى وقفوا على أطواره وكشفوا عن غيباته . ويمتاز زعماء هذا المنهج بقسط عظيم من الثقافة الحديثة والاطلاع الواسع والبراعة المعجبية في التوفيق بين القديم المبدع والحديث المتولد ، والتأليف بين الشرق المتخلف والغرب المتطرف ، حتى ليقرأهم القارئ البصير بمذاهب الكلام فلا يرجع أساليبهم إلى مذهب من مذاهب العرب

(١) انظر تفصيل ذلك في كتابنا ( مدخل من البلاغة ) .



ولا إلى مذهب من مذاهب الفرنجة ؛ إنما هي أساليب مستقلة تنقسم بالشخصية وتمتاز بالأصالة وتتفرد بمكان ظاهر بين أسلوب السلفين الذي جدد ، وأسلوب المتطرفين الذي ماع<sup>(١)</sup> .

ولا بأس أن نشير هنا إلى أن هناك طائفة من ضعة الكتاب قديمهم وهي السليقة وقلة الاطلاع عن مجازاة البلاء ، فأخذوا يدعون إلى انعامية باسم للذهب الجديد . ليس هؤلاء « المتسكاتيين » رأى موافق نجله ، ولا مذهب ، وبدا انما قشه ، وإنما هم يفكرون ويكتبون بأسلوب أعجى في لفظ عربي يتعثر بين اللحن والركاكة . فحسبنا أن نسجل هذه الظاهرة دون تعليق عليها ولا بيان لها .

### الفن القصصي والروائي

سبق القول في حظ العرب من هذا الفن ، وقائنا إن قصورهم فيه كقصورهم في الشعر القصصي لأسباب واحدة ودواع متفقة . فلما أثمرت بواكير النهضة الحديثة اقتبس أدباؤنا فيما اقتبسوا من أدب الغرب القصة الأفرنجية بقواعدها ومناهجها وموضوعاتها . وكان أول من فعل ذلك اللبنانيون لسبقهم إلى مخالطة الأوروبيين والأخذ عنهم ، كفرنسيس مراث الحلبي المتوفى سنة ١٨٧٤ ، وسليم البستاني المتوفى سنة ١٨٨٤ م وجرجي زيدان المتوفى سنة ١٩١٤ . ثم عالجها الكتاب المصريون بعد ذلك علاج الحكاكة لما قرأوا من تلك القصص . وكان أول ما ظهر طائفة من القصص والآقاصيص للترجمة . بعضها كان أشبه بالاقباس لبعده عن أصله بالحذف أو بالزيادة أو بالتغيير كقصص البان لتجيب الحداد ، والنضيلة لمصطفى النفلوطي . والبؤساء لحافظ إبراهيم ، وبعضها دقيق الترجمة شديد المطابقة كمرعيت للدكتور أحمد زكي ، وابن الطبيعة لإبراهيم عبد القادر المازني ، وآلام فرتر ورقائيل وأقاصيص من الأدب الفرنسي لصاحب هذا الكتاب . وقد كانت هذه القصص المنقولة على علاقتها أساساً للنهضة القصصية الحديثة في الشرق العربي احتذاها الشباب واستوحاها الكتاب ، لأن المدرسة العربية في مصر وفي غير مصر

(١) أظن كتابنا ( دمع من البلاء ) .

خللت على أساليب البلاغة القديمة فلم يدخل في برامجها الأدبية تسليم الفن القصصى والروائي على الطريقة المرسومة في المدرسة الأوربية. فلما ارتقى الفن الكتابي في الأسلوب الذي علمته في الفصل السابق، وأخذت القصة العربية تتميز بطابعها وتستقل بموضوعها ظهرت طائفة من القصص الفنية القوية كزينب لمحمد حسين هيكل، والأيام لطفه حسين، وإبراهيم السكاتب للمازني، وسارة لاحتقاد، وأهل الكهف لتوفيق الحكيم، وبداية ونهاية لتنجيب محفوظ.

أما المقامات فقد انقضى أمرها وذهب عصرها بذهاب الصناعة اللفظية من الأدب الحديث. وكان آخر من قلده الحريري فيها الشيخ ناصيف اليازجي، ويقولون للترك من الكتاب اللبنانيين. أما المصريون فقد اقتبسوا الطريقة، ولكنهم وسعوا الجوانب ونوعوا الموضوع، كما فعل محمد الموليحي في حديث عيسى بن هشام، وحافظ إبراهيم في ليالي سطيج، فقد احتفظا بالمنهج والأسلوب، وأسبها في الموضوع بالاستنباع والاستطراد حتى أصبح عملهما وسطاً بين المقامة والقصة.

تلك حال الفن القصصى. وأما الفن الروائي أو المسرحي، فظل غريباً عن الأدب العربي لا يأنفه ولا يعرفه حتى عله من الأدب الغربي عن طريق المشاهدة والنقل. فهبت طائفة من الذين درسوا الآداب الغربية أوزاروا البلاد الأجنبية يزاولونه بالمحاكاة والاحتذاء دون أن يحجمزوا له بمهازه، ويستعينوا عليه بأداته، فالتزم عليهم وأعضل حتى كاد يسهم بالعجز عنه. اللهم إلا ما كان من أمر شوقي فقد حاول أن يسد اللقص الموروث في الشعر العربي فاستحدث الشعر التمثيلي وخطابه في طريق السكال خطوة موفقة بنظمه روايات: على بك الكبير، وكاهن بطرة، ومجنون ليل، وقبير، وعنقرة. واستهدى. ثم توفاه الله قبل أن يبلغ به الناية. وعلى نهجه المهندس الشاعر عزيزاً باظه في رواياته قيس ولبنى والعباسة، والناصر وشجرة الدر. وقد أخذت الجمهورية العربية المتحدة تهىء للفن القصصى والروائي أسباب الوجود بمكافأة الكتاب ومساعدة الممثلين فمضى أن ينفر أملاء عن وجه النجاش فتم بداءة الخديو إسماعيل، في إيجاد هذا الفن الأدبي الجميل.

## الفصل الرابع

### أساطين النهضة الحديثة

#### في مصر والشام والعراق والمغرب

من نبغ من المصريين في هذا المصروعوى هذه النهضة بروحه وروحه ،  
الشيخ عبد الرحمن الجبرتي صاحب التاريخ المعروف باسمه ، درس في الأزهر  
دراسة كاملة ، ثم اتصل بالفرنسيين أيام احتلالهم مصر فاستكتبوه في الديوان .  
ثم انقطع للتأليف فصنف كتابه عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ثم توفي  
سنة ١٨٢٥ م . ثم الشيخ محمد المهدي شيخ الجامع الأزهر وأحد أعضاء الديوان  
الخصوصى لنابوليون ، وله قبطياً ثم أسلم ودرس في الأزهر حتى رأسه . ألف  
كتاب تحفة المستيقظ الآنس ، في نزعة المستقيم الناعس ، وهو أشبه ألف ليلة  
وليلة ، وكانت وفاته سنة ١٨١٥ م . ثم الشيخ حسن العطار وهو ناظم غار ، وله  
بالقاهرة ثم تعلم بالأزهر واتصل بالفرنسيين ورحل إلى الشام فأخذ ذلك من فهمه  
وزاد في علمه . ثم تولى التدريس في الأزهر ورقى إلى أن صار شيخاً له ، وتوفي  
سنة ١٨٣٢ م . ثم السيد على الدرويش شاعر الأمير عباس الأول ، نشأ في القاهرة  
وعاش موفور السكرامة بشعره . وقد جمع شعره أحد تلاميذه في ديوان سماه :  
الإشمار بحميد الأشعار . وكانت سنة ١٨٥٣ م . ثم الشيخ شهاب الدين  
صاحب سفينة الملك ، ولد بمكة ثم وفد إلى مصر ليتعلم في الأزهر فنبغ في الأدب  
والم بالحساب والهندسة والموسيقى ، ثم اشتغل بالتحرير في الوقائع والتصحيح  
في مطبعة بولاق حتى توفي سنة ١٨٥٧ م . ثم رفاعة بك الطهطاوى أحد أركان  
النهضة العلمية ، ومدير المدرسة التجهيزية ، ومنشئ الوقائع المصرية ، ولد بطهطا وتعلم  
في الأزهر ، وأرسله محمد علي فيمن أرسل إلى فرنسا فأتته دراسته ثم عاد فمكف  
على التحرير والترجمة والتأليف والتعليم حتى وافاه حمله سنة ١٨٧٢ م . ثم

الشاعر محمود صقوت الساعاتى نشأ فى القاهرة وتوفى بها سنة ١٨٨٠ م . ثم الشيخ عبد الهادى نجا الإييارى الشاعر المطبوع واللغوى الحجة والمؤلف النابه ، ولد فى أيار من أعمال الغربية ثم تقف العلم بالأزهر واتصل بإسماعيل فجله إمامه ومفتيه . ثم أتاه اليقين سنة ١٨٨٨ م . ثم العلامة الشيخ حسين المرصفى شيخ المعلمين وعمدة المؤلفين وصاحب الوسيلة الأدبية فى العلوم العربية . تخرج فى الأزهر وعلم به . ورزق ما يرزقه مكفوف بالبصر من لطف الحسن وذكاء الفؤاد . توفى سنة ١٨٨٩ . ثم الأديب الشاعر عبد الله باشا فكري ناظر المعارف فى عهد إسماعيل ، ومؤلف القوائد الفكرية للمكاتب المصرية . توفى سنة ١٨٨٩ م . ثم المصلح الكبير على مبارك باشا منظم المدارس المصرية ، ومنشئ المكتبة الخديوية ( دار الكتب ) ، ومؤلف الخطط التوفيقية ، وقصة علم الدين . شارك فى علوم كثيرة ، وتقلب فى مناصب خطيرة ، منذ ولاية محمد على إلى عهد توفيق . ثم توفى سنة ١٨٩٣ م . ثم الأديب القدير السيد عبد الله نديم خطيب الثورة العرابية ، وله ترجمة خاصة . ثم المترجم البارع محمد عثمان بك جلال ناقل أمثال لافونتين فى كتابه الميون اليواقظ ، ومترجم ترنوف وبول وفرجينى إلى العامية ، ومؤلف السياحة الخديوية فى الأقاليم المصرية ، توفى سنة ١٨٩٨ م . ثم السيدة الفاضلة عائشة التيسورية ، نبغت فى الشعر العربى والتركى وخلفت فى كل منهما ديواناً . ولها غيرهما كتاب نتائج الأحوال فى الأتوب . ولدت بمصر سنة ١٨٤٠ م ، وتوفيت بها سنة ١٩٠٢ . ثم الاجتماعى الأسمى والكاتب المفكر قاسم بك أمين محرر المرأة المصرية ، وأحد رسل الإصلاح الاجتماعى ، ومؤلف كتابى تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة ، وأثرهما فى النهضة النسائية معروف . توفى سنة ١٩٠٨ . ثم الخطيب المصدع ، والسياسى المجرب ، والوطنى الصادق ، والمصحافى البارع ، مصطفى باشا كامل ، وله ترجمة خاصة . ثم الفقيه المحقق ، والمترجم البارع ، فتحى باشا زغلول ، شارح القانون المدنى ، ومؤلف كتاب الحمام ، ومترجم

كتب جوستاف لوبون، ومحرر القوانين المصرية، توفي سنة ١٩١٤ م. ثم الكاتب  
الرشيق السيد مصطفى المنفلوطي، وله ترجمة خاصة. ثم العبقري الفذ والمحامي  
المدّرع والآصولي البارع، والطبيب المصقع، والكاتب النابغ والسياسي المخفك،  
سعد باشا زغلول وله ترجمة خاصة. ثم اللغوي للورخ المحقق أحمد باشا تيمور صاحب  
الخزانة التيمورية. ومعجم اللغة العامية، والمؤلفات القيمة، وللغات المتعة في اللغة  
والتاريخ. توفي سنة ١٩٣٠ م. ثم الكاتب الناقد الرقيق محمد بك الموبلي  
صاحب حديث عيسى بن هشام، توفي سنة ١٩٣٠ م. وله ترجمة خاصة. ثم أمير  
الشعراء وخليفة المتنبي أحمد بك شوقي وله ترجمة خاصة. ثم شاعر النيل،  
وأديب الشعب، محمد حافظ بك إبراهيم وله ترجمة خاصة. ثم الأديب المطلع  
والمتقن النابغ أحمد زكي باشا صاحب الخزانة الزكية، وعربي المؤلفات العربية،  
وناصر الثقافة الإسلامية، توفي سنة ١٩٢٤.

ومن نبغ من اللبنانيين والسوريين الملم الشاعر بطرس كرامه المحصي مادح الأمير  
بشير الشهابي ومعلم ولده وموضع ثقته. جمع شعره في ثلاثة دواوين ولم يطبع إلا واحد  
منها. توفي سنة ١٨٥١. ثم القليوب الشاعر فرنسيس مرائش الحلبي أقدم دعاة  
الحديث، وأول رسل التجديد، ومؤلف طائفة من الكتب المفيدة. توفي ضرراً  
سنة ١٧٨٣ م. ثم الصحفي المنشئ أديب اسحق، رئيس قلم الإنشاء في نظارة  
المعارف المصرية على عهد توفيق، ولد بدمشق ودرس فيها ثم رحل إلى مصر  
فلقى جمال الدين، وكان له أثر ظاهر في النهضة الأدبية الحديثة، توفي سنة ١٨٨٥ م.  
ثم المصلح الاجتماعي والكاتب السياسي الشيخ عبد الرحمن الكواكبي صاحب  
كتايب (طبائع الاستبداد) (وأم القرى)، جاب أكثر الممالك الإسلامية،  
ثم ألقى عصاه بمصر سنة ١٩٠٢ م. ثم الكاتب الأديب جميل المدور صاحب  
حضارة الإسلام في دار السلام، ولد ببيروت وتوفي فيها سنة ١٩٠٧ م. ثم الأديب  
الكبير، والصحفي البارع، والمترجم القدير، الشيخ نجيب الحداد، امتاز  
بكثرة ما نقل وروى من الروايات التمثيلية، ثم توفي في ريعان شبابه سنة ١٨٩٩ م.

ثم العلامة المؤرخ الحجة والاعزى الثبت الشيخ طاهر الجزائري عالم دمشق وأديبها  
توفي سنة ١٦٢٥ م . ثم للمؤرخ النابه ، والصعفى النابغ ، والقصصى المبدع ،  
جرجى بكت زيدان ، منشىء الهلال ، ومؤلف طائفة من الكتب القيمة  
في التاريخ والأدب ، واللغة والاجتماع ، ورائد الفن القصصى للتاريخى فى الشرق . توفي  
سنة ١٦٩٥ م . ثم الفيلسوف المحقق ، والصعفى المجدد ، الدكتور يعقوب معروف  
منشىء المقتطف وأحد رسل العلم الحديث ، توفي سنة ١٩١٧ م .

ومن نبغ فى العراق آل الألويسى ، وأشهرهم العلامة الفقيه شهاب الدين  
الألويسى صاحب التفسير الشهير الموسوم بروح المعانى فى تسعة مجلدات . توفي  
ببغداد سنة ١٨٥٤ م . ثم حفيده السيد محمود شمسكبرى الألويسى أديب العراق  
ومؤلف كتاب بلوغ الأرب فى أحوال العرب فى ثلاثة مجلدات ، توفي سنة ١٩٢٣ م .  
ثم الشاعر الرقيق عبدالغفار الأخرس المتوفى سنة ١٨٧٢ م . ثم الشاعر الفيلسوف  
جميل صدق الزهاوى المتوفى سنة ١٩٣٧ م ، وله ترجمة خاصة . ثم الشاعر الاجتماعى  
معروف الرصافى المتوفى سنة ١٩٤٥ م وله ترجمة خاصة . ثم العلامة الأعزى الأب  
أنستاس مارى الكرملى عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة المتوفى سنة ١٩٤٧ م .  
ومن نبغ فى المغرب الكاتب السياسى المصلح محمد يبرم مؤلف الرحلة  
الموسومة بصفوة الاعتبار بمستودع الأمصار ، فى خمسة أجزاء . وفد إلى مصر  
فأنشأ بها جريدة « الأعلام » واتخذها مقامه حتى توفي سنة ١٨٨٦ . ثم الوزير  
العالم خير الدين باشا صاحب كتاب أقوم المسالك فى معرفة أحوال الممالك ، وهو  
من خير ما كتب فى بابيه . سمى به كفايته إلى أن قتلته الوزارة فى تونس ،  
والصدارة العظمى فى الآستانة ، وتوفى سنة ١٨٩٠ م . ثم الفقيه السياسى المصلح  
السيد عبدالحيد باديس الجزائرى المتوفى سنة ١٩٤٠ م . ثم الشاعر الشاب النادر  
الحر أبو القاسم الشاذلى التونسي المتوفى سنة ١٩٣٢

ثم بقيت طائفة من نابغى الكتاب والشعراء والأدباء والخطباء ، آثرنا  
أن نخصهم بشىء من التفصيل والتحليل .

## الكتاب

### جمال الدين الأفغانى

#### مبائر وأعماله

ولد السيد محمد جمال الدين بن السيد صفير بقرية أسد آباد من أعمال كابل ببلاد الأفغان فى بيت كريم الأصل يجمع إلى جلالة النسب إلى الحسين مؤدود الإمارة على بعض الأقاليم الأفغانية . ثم درج فى بيئة تمتاز بطباع البداوة من حرية وحمية وأريحية وأنفة . ثم تحول أبوه إلى كابل وهو فى الثامنة من عمره فتلقى فيها مبادئ العلوم العربية والأدبية والشرعية والعقلية على مناهج محيط شامل . ثم حذق فى مراحل حياته ومواطن رحلاته اللغات العربية والأردية والفارسية والتركية والفرنسية ، وألم بالإنجليزية والروسية ، فاتصل منها بثقافة الشرق والغرب فى القديم والحديث . ثم أخذ بطووف ما شاء الله أن يطووف فى أفطار الهند وإيران والحجاز ومصر وتركيا وإنجلترا وفرنسا وروسيا فازداد بعراً بأحوال الدول وأخلاق الشعوب . ثم كان رضى الله عنه متواضع النفس لأنه عظيم ، جرىء الصدر لأنه حر ، ندى الراحة لأنه زاهد ، ذوب اللسان لأنه قرشى ، أنى الضيم لأنه أمير ، حاد الطبع لأنه مرهف ، صريح القول لأنه رجل . ولم يتغ من وراء هذه الصفات — كما قال — إلا مكينة القلب . وكان يحمداً لله على أن آتاه من الشجاعة ما يعينه على أن يقول ما يعتق ويضع ما يقول<sup>(١)</sup> . ومن امتزاج هذه السمائل وتلك الوسائل فيه اتسعت حوله الأرض ، وامتد أمامه الأفق ، وانصرف همه البعيد عن الدار والزوجة والعشيرة إلى الوطن الإسلامى كله ، والشرق الإنسانى

---

(١) خاطرات جمال الدين ص ٢٩ .

كله ، فجعل قصده ووكده أن يدعو إلى إنهاضهما بالوحدة الإسلامية لتدفع غائلة  
للاستعمار ، وبالحكومة الدستورية لتقمع شريرة للتبديد .  
وقد آمن بهذه الدعوة إيمانه بالله حتى رأى في سبيلها السجن رياضة والنفي  
سياحة والقتل شهادة <sup>(١)</sup> .

وكان الدين يقفون من سيرة الأتقاني على الهامش يظنون أنه قصر جهده  
في تحقيق هذه الدعوة على الكتابة والخطابة . والواقع الذي لاشك فيه أنه فكر  
ثم قدر ثم دبر ، ولكن الوحدة كانت من الشتات بحيث لا تلتئم ، والاستبداد  
كان من الثبات بحيث لا ينهزم .

تولى الوزارة وهو في ريق شبابه لأُمير الأفغان محمد أعظم ، فجمع نفسه على  
الاستقلال ، ودار أمره على الشورى ، فأوجس الإنجليز خيفة من هذه النزعة ،  
فأرسلوا ذهبهم إلى منافسه فأضرم الثورة وفرق الكلمة وطرد الأمير . وخرج  
السيد إلى الهند يبتغي السكنى عند تاجر صديق ، فاستقبله الإنجليز على الحدود ،  
وأنزلوه بالإكراه ضيقاً على الحكومة . فسألمهم الإقامة شهرين ، ولكنهم حين  
رأوا إقبال الناس عليه ، وإصنافهم الشديد إليه ، قصروا هذه المدة وأمروه بالخروج .  
وكادت الأعصاب الهندية المخدرة تنور حين قال لزعماء الهنود وهو راحل :

« وعزة الحق وسر العدل ، لو أن ملايينكم مسخت ذباباً لا خرجت الإنجليز  
بطينها من الهند . ولو انقلبت سلاحف وخاضت البحر إلى الجزر البريطانية  
لجذبتها إلى القاع » !

وفي الآستانة استقبله الصدر الأعظم استقبال التجلة ، وأحله أعيان الدولة  
محل الكرامة . ثم عين عضواً في مجلس المعارف ، فرأى في التعليم رأياً وخطب  
في الصناعة خطبة ، أحفظاً عليه أعوان الجهل من رجال العلم وإخوان الضلال من  
شيوخ الدين . وتولى قيادة الإرجاف شيخ الإسلام لحاجة في نفسه ، فافتدى على  
الرجل الأباطيل ، ويس حوالياً التمام ، فلم يجد الأتقاني بداً من النزوح إلى القاهرة



وهنا وجد الصدر الأرحب في رياض باشا ، فتجلت عبقريته في التعليم والتفنيه والتوجيه . وأوقد بالزيت المقدس شعلته الوهاجة في البيت وفي القهوة . فعشا على ضوءها الهادي طلاب المعرفة وعشاق الحكمة من علماء وأدباء وساسة وقادة . ثم اتخذ من المحفل الماسوني الذي أنشأ مفارقة لهذه الشعلة ، قسم الإخوان العاملين فيه شعباً لكل وزارة من وزارات الدولة شعبية . فشعبة الحرية تنظر في ظلامه الضباط المصريين ، وتنذر ( ناظر الجهادية ) أن ينصفهم من الضباط الجراكسة . وشعب الحقانية والمالية والأشغال تنذر وزراءها أن يساؤوا المصريين بغيرهم في العمل والمرتب . وراع أولى الأمر ما قرأوا في تقارير الشعب ، وما سمعوا من لفظ المولفين ، وما رأوا من قلق المثقفين ، فاستدعاهم الخديو توفيق وفأوضه في ذلك فقال له فيما قال : « إن سبيل الإصلاح أن يشترك الشعب في حكم البلاد عن طريق الشورى » . ثم ازداد جمال الدين إمعاناً في حملته ، واقلب الأدب كله أصداء لأحاديثه وأبواقاً لدعوته ، حتى انتهى الأمر — بعد جهاد ثمانى سنوات إلى أن ضاق الانجائز بسعة نفوذه ، فزينوا للخديو أن يخرج من مصر فأخرجه . وانتقلت الشعلة إلى باريس ، وسطعت في ( العروة الوثقى ) ، وظلت ألسنتها ثمانية عشر شهراً تومض في جنبات الشرق كما تومض المنارة في ظلمات المحيط ، حتى دلت على أوكار الطغيان وعت بأسرار القمصنة ، فاستقدمه شاه المعجم واستوزره ، فلما أشار عليه بالشورى أشاح بوجهه عنه . واستزاره قيصر الروس واستخبره ، فلما نبأه بحدث الشورى نفر منه . واستدعاه خاقان الترك واستشاره ، فلما نصح له بالشورى وتقسيم الإمبراطورية إلى عشر خديويات يتولاها أسراء عثمانيون زوى عبد الحميد ما بين عينيه ؛ ولكنه ألطف الجواب للحكيم الشجاع ، وظل على إكراه واحترامه أربع سنين حاول فيها أن يكبله بقيود المنصب والزواج فلم يستطع ، ولكن الموت استطاع أن يكبل الناثر الحر ليبلغ الاستبداد أجله المقدر فرض بالسرطان في الأسقانة وتوفي به في اليوم التاسع من شهر مارس سنة ١٨٩٧م

### مخبرج من شره

كتب إلى عبد الله باشا فكرى يحتب عليه وقد بلغه أن رجلاً ذمه أمام الخديو على مسمع منه ، فسكت ولم يدافع عنه :

مولاي ! إن نسبتك إلى هراة فى الحق وأنت — تقدست جبيلتك — فطرت عليه وتخوض الفمرات إليه ، فقد بعث يقينى بالشك . وإن توهمت فيك حيداً على الرشد ، وجوراً عن القصد وأنا موقن أنك ما زلت على السداد غير مفترط ولا مفترط فقد استبدلت على بالجهل . ولو قلت : إنك من الذين تأخذهم فى الحق لومة لائم ، وتصدم عن الصدق خشية ظالم ، وأنت تصدع به غير وإن ولا ضجر ، ولو ألب الباطل الكوارث الردية ، وأجرى عليك الخطوب الموبقة لكذبت نفسى وكذبت من يسمع مقالتي ، لأن العالم والجاهل والظن والنفس كلهم قد أجمعوا على طهارة سجينتك ، ونفاوة سريرتك ، وانفقوا على أن الفضائل حيث أنت ، ولحق معك أينما كنت ، لا تفارق السكابم ولو اضطرت وأنت مجبول على الخير لا يحوم حولك شر أبداً ؛ ولا تصدر عنك قبيصة قصداً ، ولا تن فى قضاء حق ، ولا تنى عن شهادة صدق — ومع ذا وهذا وذاك إنك مع عدك بواقع أمرى ، وعرفانك بسيرتى وسرى ، أراك ما ذدت عن حق كان واجباً عليك حمايته ، ولا صنت عهداً كانت عليك رعايته ، وكتمت الشهادة وأنت تعلم أنى ما أضمرت للخديو ولا للمصريين شراً ، ولا أسررت لأحد فى خفيات ضميرى ضراً . وتركنتى وأنياب النذل اللئيم ( فلان ) حق نهشنى نهش السبع الهرم المظلم ، ضغينة منه على السيد إبراهيم القانى وإغراء من أعدائى أحزاب ( فلان ) ! ما هكذا الظن بك ، ولا للعروف من رشك وسدادك ؛ ولا يطاوعنى لسانى — وإن كان قلبي مذعناً بعظم منزلتك فى الفضائل ، يقرأ بشرف مقامك فى الكلمات — أن أقول : عفا الله عما سلف ، إلا أن تصدع فالحق ، وتقيم الصدق ، وتظهر الشهادة إزاحة للشبهة ، وإدخالاً للباطل ،

وإخزاء للشر وأهله . وأظنك قد فلتت أداء لقريضة الحق والعدل . ثم إنى  
يا مولاي أذهب الآن إلى لندن ومنها إلى باريس مسلماً عليكم ، وداعياً لكم —  
والسلام عليكم وعلى أخى الفاضل البيا . أمين بك .

## الاستاذ الإمام محمد عبده

١٢٦٦ — ١٣٢٣ هـ ( ١٩٠٥ م )

### نشأته وحياته .

ولد محمد عبده بن عبده بن حسن خير الله بمحلة نصر من إقليم البحيرة بمصر  
ونشأ نشأة الأوساط من القرويين ، فاستظهر القرآن في كتاب القرية ، وأرسل  
في طلب العلم إلى الجامع الأحمدي فالأزهر الشريف ، ولكنه مئى في أول دراسته  
بمعلمين غير أكفاء لقنوه المسائل من غير تفهيم فسندها وفر . فلما ذاق حلاوة العلم  
صبر على صرامة التعلم ، واستغرق وسعه في الدرس حتى نال في قليل من الزمن  
كثيراً من العلم . ولم يكن منهاج التعليم الأزهرى في ذلك العهد كفيلاً بتخريج  
الطالب كما كان الإمام صحيح الحكم ، وثيق الحجة ، ساهر البيان ، عزيز العلم ،  
كريم الخلق ، ثابت البصيرة ؛ ولكن السيد جمال الدين الأفغانى حكيم الشرق  
وفيلسوف الإسلام هو الذى جمعه بهذه الصفات وكله بتلك العلوم . ورد ذلك  
الحكيم مصر في عهد إسماعيل فورد شريحته أذكىاء الطلاب ، فكانوا دعاة النهضة  
الحديثة وهداتها . وكان الإمام آثرهم عنده وأوفرهم حظاً منه ، حتى قال فيه وهو  
مفارق مصر : « إنى خلقت في مصر خيراً كثيراً في علم الشيخ محمد عبده » .  
فلما رحل عن مصر جمال الدين استأنف الاستاذ النظر في العلوم واستقى الدين  
من مشارعه الصافية حتى أصبح إماماً في العلوم العقلية والنقلية والاسانية ، فنال  
درجة العالمية سنة ١٢٩٤ هـ . ثم اختير مدرساً للأدب والتاريخ بدار العلوم

ومدرسة الألسن ، وأسندت إليه بعد ذلك رئاسة تحرير الوقائع الرسمية وإصلاح اللغة العربية .

ثم أخذت مبادئ الأفغانى تزكو فى القلوب وتهفو بالنفوس ، حتى أفضت إلى الثورة المرائية ، وكان الأستاذ من شايخ وبائع وأفقى بخلق الخديو توفيق فحكم عليه بالنفى . قصد سورية ولبت فيها ست سنين شرح فى أثناءها كتابى نهج البلاغة ومقامات البديع . ثم غادرها إلى باريس حيث كان جمال الدين ، فأنشأ معاً جريدة ( العروة الوثقى ) ونشرا بها دعوة الدين والعلم والأدب والإصلاح ، فاهتزت لها القلوب الطيبة فى العالم الإسلامى ، ولكنهما لم تدم طويلاً . واستهوى الأستاذ ما رأى وسمع من حضارة الغرب وعلومه فطمعت نفسه إلى الأخذ منها بنصيب ، فابتغى الوسيلة إلى ذلك بتعلم اللسان الفرنسى فتعلمه فى بضعة أشهر . ثم شمله المنفى الخديوى فماد إلى وطنه نير القلب غزير العلم محنك السن ، وعين مستشاراً فى محكمة الاستئناف ، وعنى بتدريس البيان وتفسير القرآن بالأزهر . فكان درسه مجماً لرجال القانون والأدب والصعافة والتعليم . وتولى منصب الإفتاء فظل فيه حتى توفاه الله بالسرطان فى الإسكندرية ودفن بالقاهرة .

### صفاته وأخلاقه

كان الأستاذ ربع القامة ، أسمر اللون ، قوى البنية ، حاد البصر ، بليغ العبارة ، فصيح اللسان ، ذكى القلب ، شديد المعارضة ، قوى الحافظة . وكان أشبه بابن خلدون فى كبر نفسه ، وصفاء عقله ، وبعد نظره ، وقوة جأشه ، وكرم خلقه ، وصراحة قوله ، حتى فى خصوصية زيه . وقد كابد مثله فى رضا الحق ومحاربة البدع سخط الخاصة وغضب العامة ، شأن زعماء الإصلاح فى كل أمة .

### آثره فى اللغة والأدب

كانت اللغة فى عهده فريسة العجمة رهينة البلى فجاهد فى إنقاذها وإحيائها

حق جهاده : كان وهو محرر الجريدة الرسمية يراقب ما ينشر في الصحف ويكتب في الدواوين ، ويدمج الفصول في نقد الأساليب وخطأ التراكيب ، وينشر نماذج من تلك الكتابات السقيمة المقيمة ويدل على عيوبها ، ويكتب غيرها في موضعها تعليماً للكتاب وتدريباً للناشئة . ثم سلك في التدريس غير سبيل الأزهريين ، قرأ كتابي عبد القاهر في البلاغة بأسلوب يملك الاسماع والقلوب ، وفسر كتاب الله بلسان رسوله . فكان في درسه خطيباً جزل المنطق قوى المعارضة لا تدركه حجة ولا يرهقه حمص . فأفاد الطلاب ببيانته مثل ما أفادهم بتيبته . وهو الذي ساعد على إحياء الكتب العربية ، وسن في الأزهر تدريس الأدب فاعتضد في الأول بالإمام محمد محمود الشنقيطي ، واعتمد في الثاني على أستاذنا سيد بن علي المرصفي .

### أثره في العلم والدين

ظام أفق الدين بسعيب البدع والأضاليل ، فأطاع الأستاذ من فكره وعلمه نهراً بدد غيوم الباطل ، وجدد رسوم الحق . ورأى العلم قد أخذ ينفض إلى الدين رأسه ، فوقف بينهما موقف المؤلف الموفق ، كما فعل ابن سينا وابن رشد من قبل ، وأخذ يفسر القرآن بلسان العلم والعقل ، وكتب رسالته في التوحيد بقلم عبد القاهر فقرب المقائد من الأفهام ، وحسر عنها ظلال الابهام . وسمع السنة المبشرين والمستعمرين تمتد إلى جوهر الإسلام بالإفك ، فقطعها بالأدلة النواهض والحجج الملزمة . وكتب (الإسلام والنصرانية) وردده على هاتو تو الفرنسي من تلك الأسلحة التي أجهزت على تلك الشبه للدفوعة .

وجملة القول أن الإمام محمداً كان من أولئك الأعلام المجتهدين والعلماء المحققين الذين يصطفيهم الله من خلقه لتصرة حقه ، فيجسدون حبل الدين ، ويشيدون أركان العلم ، ويدفعون عن الأرض الفساد .

### أسلوب

الأستاذ في الترسل أسلوب خاص كأنه قطع الرياض ، تقرأه في الردود والمقالات : وقد ينحرف في رسائله نحو ابن العميد في تكلف السجع ويكلف بالصنعة ؛ ويقصد قصد الجاحظ في تأليفه ، فتساقط أغراضه ، وتترافق فقره . فهو متصرف في أنواع الكلام يلبس كل معنى ما يلائمه من الأساليب . أما الشعر فما عمناء يقرضه . ولكن الناس رووا له أحياناً قالها في سياق الموت وهي :  
ولست أبالي أن يقال محمدٌ      أبلّ أو اكتظت عليه المآتم  
ولكن ديناً قد أردت صلاحه      أحاذر أن تقضى عليه العائم  
فيارب إن قدرت رجعتي قريبة      إلى عالم الأرواح وانفض خاتم  
فبارك على الإسلام وارزقه مرشداً      رشيداً يضيء السهج والليل قائم

### نموذج منه نثره

كتب إلى بعض علماء الشام جواباً عن كتاب هناك فيه بمنصب الافتاء ، وقد شكك فيه الإمام ما كابد من عنت الشيوخ في سبيل الإصلاح :  
أنصفني قومك إذ سُرُوا بنيلي الافتاء ، وأمل ذلك لشعورهم بأنني أخير الناس على دين الله ، وأضرام بالدفاع عن حماه ، وأدراهم بوجوه القرص عند منوحها ، وأحذقهم في انتهازها لإبلاغ الحق أمله ، أو يبلغ الكتاب أجله . على أنهم مني بحيث لا يفسد نفوسهم الحسد ، ولا يتقاذف بأهوائهم اللدد ، وكل ذي دين يشتحي أن يرى لدينه مثل ما أحت إليه عزيمتي ، وأخلص له في العمل لتحقيقه نيتي ، خصوصاً إن كفى فيه القتال ، ولم يكلف بشد رجال ولا بذل أموال .  
أما قومي فأبعدهم عني أشد من قرباً مني . وما أبعد الانصاف منهم ! يظنون بي الظنون ، بل يقربصون بي ريب الفنون ، تسرعاً منهم في الأحكام ، وذهاباً مع

الأوهام ، وولماً بكثرة الكلام ، وتلذذاً بلوك اللام . أقول فلا يسمعون ، وأدعوا  
فلا يستجيبون ، وأعمل فلا يهتدون ، وأريهم مصالحهم فلا يبصرون ، وأضع  
أيديهم عليها فلا يحسون ، بل يفرون إلى حيث يهلكون . شأنهم الصياح والمويل ،  
والصخب والتهويل ، حتى إذا جاء حين العمل صدق فيهم قول القائل في مثلهم :  
لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشرفى شئ وإن هانا  
وأقول ولا فى الخير .

وإنما مثل فيهم مثل أخ جهل إخوته ، أو أب عفته ذريته ، أو ابن لم يحسن  
عليه أبواه وعمومته ، مع حاجة الجميع إليه ، وقيام عهدهم عليه . يهدمون منافعهم  
بأيذائه ، ولو شاءوا لا سبقوا باستبقائه ، وهو يسعى ويطلب ، ليطعم من يلهو  
ويلعب . على أنى أحد الله على الصبر ، وسعة الصدر ، إذا ضاق الأمر ، وقوة  
العزم ، وثبات الحلم . وإن كنت فى خوف من حلول الأجل ، قبل بلوغ الأمل ،  
خصوصاً عندما أرى العمل فى أرض ميتة لو ذابت عليها السماء مطراً ، لما أنبتت  
زرعاً ولا أطلعت شجراً . أفزع ذكرى ذلك وأجزع ، ويكاد قلبى يتقطع . ثم  
أرجع إلى الله فأعلم أنه مع الصابرين ، وأنه لا يضيع أجر العاملين ، فيثلج صدرى  
وأمضى فى جهادى الدائم . ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً . . .

وليتنى كنت أشكو إلى الله جهل العالمين وحق المعلمين ، فى مثل هذه  
الجاهلية التى بعث النبى صلى الله عليه وسلم لمحوا أحكامها ، وإزالة أيامها . تلك  
جاهلية كان الضلال فيها بعيداً ، ولكن كان فهم القوم حديداً لذلك عندما لاح  
لهم ضوء الهدى أبصروه ، وعندما قرع أسماعهم صوت الداعى أجابوه . كان  
القرآن يصدع أفئدتهم فيلين من شدتهم . ويقل من شرهم ، ويفجر من صغر  
القسوة ينابيع الحنان والرحمة . وما كان أهل العناد فيهم إلا قليلاً عرفوا الحق  
فأنكروه ، وطائفة كانوا يفرون منه خوف أن يعرفوه . ولو سمعوا لقهوا ، ثم لم  
يجدوا بناً من ينصروه . وإن الجحود مع الفهم كاليقين مع العلم ، كلاهما قليل  
فى بنى آدم . أما اليوم فإنما أشكو من قلة الفهم ، وضعف العقل ، واختلال نظام

الادراك ، وفساد الشعور عند الخاصة ، فلا تجذبهم فصاحة ولا تبلغ منهم بلاغة .  
وغاية ما يطلبون أن يحمّدوا بما لم يفعلوا ، وأن يوصفوا بالعلم وإن لم يفعلوا ،  
وأن تقضى حاجاتهم إذا سألوا ، وأن ترفع مكانتهم وإن نزلوا . وإن استمداد  
السامع لفهم يستدرك المقال ، ويسدد الفكر للنضال في الجدل ، أما عيشك  
فيمن لا يفهم فإنه ينضب منك بنبوع الكلام ، ويطمس عين الفكر ،  
ويزهق روح العقل .

## الشيخ علي يوسف

١٢٨٠ - ١٣٣١ هـ ( ١٩١٣ م )

### سأله ومبانه

ولد هذا السياسي النابه والصحنى النابغ في بلدة بلصفورة من أعمال مديرية  
جرجان من أسرة زكية للفرس رقيقة الحال ، ولم يكد يحول على مولده الحول حتى  
لجعه الموت في أبيه ، فارتحلت به أمه إلى أخواله في بني عدى من أعمال منفلوط  
حيث درج وشب وحفظ القرآن وشدا شيئاً من مبادئ العلوم . وفي عام ١٢٩٩ هـ  
بشوا به إلى الأزهر ، فطلب العلم على طائفة من صفوة الأشراف بضع سنين ألم  
فيها بالفقه والنحو والصرف والبلاغة والمنطق والتوحيد ومبادئ الفلسفة ، إلا أنه  
أحس في نفسه السمو والطموح ، ورأى في الأزهر الجمود والجمود ، فصدف عن  
حياة الأزهرين ووصل أسبابه ببعض أبناء السراة يساهرم ويسامرهم ويقول  
الشعر فيهم ، حتى هبط مصر المرحوم أحمد فارس الشدياق صاحب الجوائب  
وأنتأجريدة ( القاهرة الحرة ) فاتصل به الشيخ على وأعانه على تحريرها فكسبه  
ذلك ملكة الذوق الكتابي ، وأسرار الفن الصحفي ، فأخرج صحيفة سماها  
( الآداب ) ظلت تصدر حتى سنة ١٣٠٧ هـ . ويومئذ أراد الله لهذه النفس الغلبة  
والهمة الوثابة أن تحطم القيود وتتجاوز الحدود وتتجمل القدر ، فصحت عزيمته



الشيخ على أن يصدر هو والشيخ أحمد ماضي أحد رفقائه في الأزهر جريدة يومية سياسية دعواها « المؤيد » .

ظهر العدد الأول من هذه الصحيفة في ربيع الآخر سنة ١٣٠٧ هـ أو في أول ديسمبر سنة ١٨٨٩ م ولا عدة لها من مال ، ولا ناصر لها من حكومة ، ولا عون لها من حزب ، ولا مشجع لها من جمهور . فلقى الرجل في سبيلها برحاً شديداً وجهداً باهراً حتى أسفه الله حينئذ بصحبة المحامي للدره سعد افندي زغلول . والكاتب الألمعي إبراهيم افندي اللقاني وأضرابهما ، فأمدوه بالمال والكتابة ؛ ولكن الخلاف دب دبيبه بين الشريكين فلم يتفقا إلا على أن يكون المؤيد خالصاً للشيخ على إذا أدى لشريكه مائة جنيه عينا . فكاد يصبح الأمر قوت يده لولا أن تلك اليد البيضاء يد سعد زغلول امتدت إليه ثانية في أحلك ساعات اليأس ، فألقت إليه بصرة فيها المال كله . وسار المؤيد بمذلك في طريق النجاح مسدداً الخطى مؤيد العزيمة يمدوه ( رياض ) رئيس الحكومة بنفوذه ، ويمدده أعيان البيان بالمقالات الممتعة ، كسعد بك زغلول . والشيخ محمد عبده ، والشيخ عبد الكريم سلمان ، والسيد توفيق البكري ، وفتحى بك زغلول ، وإبراهيم بك المويلحي ؛ وقاسم بك أمين ، وإسماعيل باشا باظه ، ومصطفى لطفى المنفلوطى . فانتشر في العالم الإسلامى انتشاراً لم تعرفه صحيفة قبله . وبلغ ما يطبع منه في اليوم ، وعهده عهد أمية وجهالة ، ثمانية آلاف نسخة ، وأبلى في الدفاع عن الإسلام والدفاع عن العرش بلاد أرضى عن صاحبه الخليفة والخديو والأمة ، فحملوا اسمه بالألقاب ، وزينوا صدره بالأوسمة ، وعطروا ذكره بالثناء . ولكن تبحر الفساد أرجحوا بينه وبين الأجانب فرموه بالامعصب ، واستعدوا عليه القناصل ، فكان يتغلب على هذه المراقيل والباطيل بصدق عزيمته وقوة حزمه .

ثم أقصم إلى آل السادات من الصوفية فكان لهذا الصهر قضية وشهرة ، ولكنه انتهى على ما عوده الله بالقليج والظفر فاسترد الزوجة ، واختصب السجادة الوفاية

وعُرف الشيخ على بالولاء للقصر والإخلاص في خدمة العرش حتى حل من الخديو عباس محل الناصح الأمين . وآل أمر صحيفته إلى أن أصبحت من القصر سنانه المسلول ولسانه الناطق . وعاش هذا الرجل العصامي النابغ على كثرة حاسديه وقوة منافسيه ولَدَدٍ مخالفيه موفور الكرامة رفوع المسكانة جليل الخطرفي نقوس الجميع حتى اختاره الله إلى جواره في يوم السبت ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩١٢م .

أخلاقه وفننه

كان الشيخ على حظ عظيم من نبل الخلق وفي ذلك سر نجاحه . كان دمث الطبع ، متواضع النفس ، رحب الصدر ، جم للرودة ، شديد الوفاء ، مرهف الدهن ، سريع النقطة ، شديد الانكفاء على نفسه ؛ وكان بعيد الخور ، فرماه خصومه ، بالمكر والدهس ، واسع الأناة في السياسة فرموه بالفلول والخيانة . وكان سباقاً إلى الفضل دعاءً إلى الخير لا ينسى الناس له أثره في إنشاء الجمعية الخيرية الإسلامية ، وجعل التلميم في المدارس باللغة العربية ، ولا يزالون يذكرون في ذلك قوله : « إن تعليم الأمة بلغتها ينقل العلم إليها ، أما تعليمها بلغة أخرى فلإنما ينقل أفراداً منها إلى العلم » .

### أسلوبه وعلومه

لم يجر الشيخ في دراسته الأزهرية إلى الغاية ، فلم يتمق في علم ، ولم يتبسّط في أدب ، ولم يبرز في فن من فنون الحياة ، ولا في لغة من لغات الناس ؛ ومع ذلك كان أكتب الصحفيين جميعاً ! كان له أسلوب خاص لا تميزه صنعة ، ولا نموه صبغة ، ولا يجمله وثى ، وإنما يسحرك بلطف مدخله ، وحسن ترسله ، وسداد بحثه ، ووثيق حجته ، وقوة أسره ، وكان من الكتاب الجذليين ( Polémique ) الذين أوتوا قوة الحجاج وشدة العارضة وصدق النظر ، ولكم وقف من الكتاب موقف جرير من الشعراء يجادلهم وحده حتى يقرعهم بالحق .

وقد عالج الشعر في صدر شبابه فلم نستعرض له قوافيه ، ولم يعد شأو الأزهرين فيه . وقد جمع ما نظمه في ديوان سماه نسمة السحر نشره سنة ١٣٠٣ هـ .

### نموذج من شعره

قال من رده على خطبة اللورد كرومر عميد البوالة البريطانية في مصر على عهده وهي التي ألقاها على مسرح الأبرار في حفلة وداعه :

تقفون والهلك المحرك دأر      وتقدرون فتضحك الأقدار !

وقف الخطباء مساء السبت الماضي موقف المثليين في دار التمثيل الكبرى ( الأوبرة الخلدوية ) يحكمون على الماضي والمستقبل حكم الأقدار في الكائنات ، ويبرمون وينقصون ، ويرفعون ويخفضون ، والناس يسمعون مختارين أو مكرهين لأن فرسان ميدان الخطابة كانوا ثلاثة لا يزيدون ولا ينقصون ، ولو أن الموقف كان حراً لكل قائل لسمعوا ما يكرهون كما قالوا ما يحبون .

قلنا إنهم وقفوا موقف المثليين لأنهم كانوا كذلك في حقيقة الواقع . وقد مثلوا آخر فصل من رواية كثيرة الحوادث عديدة الفصول طويلة الزمان ، بطل وقائسها وقارس معانيها ذلك الذي كان آخر الخطباء في الحفلة كلاماً وأشدهم إبلاماً وأكثرم آلاماً .

وقف ليمثل آخر سلطة له في هذه الديار ولسان حاله يقول :

« ما في وقوفك ساعة من باس »

مثلها في مكان هو أليق ما كان عظة لقاتل ، ومظهراً لسلطان راحل ، ومجد زائل ، وأصدق ما ضرب له الأمثال : « لكل مقام مقال » .

ومرّها : أما الاحتفال نفسه فلم يكن مظهراً سياسية لإكرام الرجل عند رحيله كما أرادوا ، ولكنه انقلاب بما جرى فيه مظهراً عداً من اللورد لم ير الرأويون ولم يرو الرأويون مثله في مقام وداع كهذا المقام ! .

دعنا من كون رئيس الاحتفال خاطئاً في أنه لم يكن التكلم الأول وما عرف حتى الآن أن رئيس احتفال ورئيس وزارة مما يقدم عليه سواء في الكلام . ودعنا من كونه خطب بالفرنساوية ولم يحمل اللغة البلاد نصيباً من كلامه في احتفال كهذا . ودعنا من زعمه أنه يمثل مع الحكومة في موقفه السواد الأعظم من الأمة المصرية ، والسواد الأعظم يخالفه في الرأي والقول . ودعنا من قول السكونت دى سريون إنه يتكلم عن فئة من الأوربيين بما تشعر من حسرات الاحتلال عليها ، أو هو أراد إنجاح السفارة الإنكليزية بباريس في وساطة له لدى حكومة الجمهورية بعد ما حالت هذه الحكومة دون إنعام ملك أسبانيا وكل إنعام تلاه من الدول الأجنبية عليه فهو ينتظر اللجئون دى تور بصبر نافذ .

دعنا من كل هذا وانظر إلى خطبة اللورد السياسية التي جعلها بمثابة وصيته الأخيرة وخاتمة أعماله في مصر .

فبينما كانت الأمة المصرية واقفة موقف الأمل منتظرة من ذلك الراحل العظيم والشيخ الحكيم أن يصلح ما فرط منه نحو الشريعة الإسلامية بما قضى عليها من الجلود الأبدى ، ونحو الأمة للمصرية بما وصفها به من العقم السرمدي ؛ بينما هي ترجو من جنابه أن ينتهز هذه الفرصة السائغة ليأسو الجراح التي جرحها ، ويضمد الكلوم التي فتعها في جسدنا بما تقدم وما أراد أن يحمل وطنيتها أعجوبة بين الوطنيات ، وجامعتها كشكولاً بين الجامعات . وبينما كان سمو أمير البلاد يتطلف ويتلطف ويبالغ في إكرام الراحل عند رحيله متناسياً الحزازات السياسية التي طالما كان اللورد مهاجماً فيها غير عادل ولا متلطف ، وبينما كان كل هذا إذا بيركان « اليرقراطية » التي نشأ عليها اللورد ومارسها كل حياته حتى برز فيها أكثر من كل مبرز في تواريخ الحكومات للطلقة قد انفجر بركانه وقذف بلظاء على الأسياء والأموات .

وقف اللورد خطيباً وهو يدافع كيد السقام ، ويجاذب داعي الخصاص ، فجال في خاطره أنه مفارق قصر أبحرى من تحت الأتهار ، وملك خضع له فيه الليل

والنهار ، وتترك خصوماً قد يتوهمون أنهم نازعوه فملبوه ، أو يتوهم هو أنه  
حالمهم فأغضبوه .

وقف اللورد وله نفسان : نفس نزاعة إلى حب البقاء ، وأخرى تقول كيف  
البقاء بعد الاستغناء ؟

وقد ذكر أصدقاء القليلين كما يعلم ، وأعداءه الكثيرين كما يتوهم ، فسر  
وساء ، وترخص وتثدد ، وعدد وتدد ، ووعد وتوعد ، وأرغى وأزبد ، وحذر  
وأنذر ، وحكم وقدر .

ربما أخرج الحزين جوى الحزن ن إلى غير لائق بالسداد  
مثلاً قات الصلاة سليماً ن فأنهى على رقاب الجياد<sup>(١)</sup>

إبراهيم المويلحي

١٢٦٢ — ١٣١٣ هـ

نسائه ومبائر

ولد هذا الكاتب الكبير في بيت من بيوت التجارة الوطنية من أسرة ناهية  
العيش أو واسعة الثروة موصولة الجاه بالأسرة الخديوية المالكة ، فتدرب منذ إيفاءه  
على شئون التجارة وتمرس في فنونها ، إلا أن طبعه القلق اللجوج ، ونفسه المتوثبة  
بالطموح ، لم يطاوعاه على الرضا بالربح المشروع فقذف بماله في وجوه (المضاربات)  
فما ارتد إليه منه غير صفقة للنبون . فعاش عيشة الكفاف والتعفف حتى هبت  
عليه نفحة من جرد اسماعيل فجعله قاضياً في محكمة الاستئناف . ولكنه اختلف  
هو ورئيسه اختلافاً لم ينته إلا باستقالته . فقلده الخديو عملاً آخر فناله فيه ما ناله  
في التجارة والقضاء . وجاءت وزارة شريف تريد أن تضع الدستور الأول فكان

---

(١) نشرت بالمؤيد في ٧ مايو من سنة ١٩٠٧ عدد ٥١٧٥ .

للويلعى ممن اختيروا لوضع (اللائحة الوطنية) ؛ ولكن آماله كانت تسفر له دائماً عن وجوه القشل فابتغى الوسيلة إلى الرزق فى الكتابة والنشر فأنشأ (جمعية المعارف) لطبع الكتب القيمة وإذاعتها فى مطبعة اشترأها لنفسه . ثم اتفق مع المغفور له محمد بك عثمان جلال مترجم مؤيد وصاحب العيون اليواقظ ، على إنشاء جريدة (نزهة الأفكار) ؛ ولكن الخديو إسماعيل خشى شرها فألغأها . فلما كانت سنة ١٢٩٦ هـ وخرج الخديو مخلوعاً من ملكه إلى إيطاليا أرسل فى طلب إبراهيم ليتغذاه كاتب رسائله ، فقام له بهذا العمل بضع سنين أنشأ فى خلالها وهو فى إيطاليا جريدتى « الاتحاد » و « الأنباء » فلم تمتعا بالحياة غير قليل . ثم رحل إلى الآستانة سنة ١٣٠٤ فأكرم عبد الحميد وقادته وجعله عضواً فى مجلس المعارف فلبث فيه تسع سنين اتصلت فيها أسبابه برجال (المابيين) ورؤساء الحكومة . ثم ارتد إلى مصر وقد خيط الشيب فى رأسه ، ونالت الأيام من جسمه ، فأنشأ (مصباح الشرق) وهى صحيفة أسبوعية كان يدبجها باللفظ الرشيق والأسلوب الأنيق ويرسلها بالسهم النافذة فى الاجتماع والنقد والسياسة . فقضت حاجة فى نفوس الأدباء ، ونهجت لهم الطريق السوى فى الإنشاء ، ووطأت له هوا كفاف الرؤساء والكبراء . واستمر على إصدارها حتى طويت صحيفة حياته .

### أسلوبه

كانت الكتابة فى عهد الويلعى لا تزال ترسف فى أغلال الصنعة ، وتسكابد أعراض الوهن ، فلم يستطع قلعه أن يخرج عن سلطان البديع ، ولا أن يبرأ من تسكلف الحلية الظاهرة . إلا أن تصرفه فى الأمور ، وتقليه فى البلاد ، واختلاطه بألوان الناس ، واتصاله برجال البلاد ، ومغامرته فى السياسة ، وتمرسه فى الصحافة ، فتقت قريحته ، وذلت معانيه ، وسهلت أسلوبه وأمكنته من عنان البلاغة فصرفت فيها حيث شاء ولا سيما فى الرسائل ، فقد تقن فى جميع ضرباتها وأحسن فى سائر مناحيها . وللويلعى على ما به من ضيق المضطرب فى المعانى ، وضعف

السيقة في الابتكار ، أشبه بالبارودي في الشعر : جدد ما درس من أساليب الكتابة ؛ وبين ما طمس من معالم البيان ، وكان ركناً شديداً من أركان هذه النهضة المباركة .

### آثاره

جل ما أثر عنه مقالاته السياسية والاجتماعية التي نشرها فيما أنشأ من الصحف كنزها الأفكار والاتحاد والأنباء ومصباح الشرق ، أو فيما أعان عليه منها كضيء الخافقين في إنجلترا والعروة الوثقى في فرنسا . وله غير ذلك كتاب « الفرج بعد الشدة » في وزارة رياض باشا ، وكتاب « ما هنالك » وصف فيه حال الأستانة ورجال اللابن قبل الدستور العثماني .

### حفي ناصف

١٢٧٢ - ١٣٣٧ هـ

### نشأته وحياته

وُلد محمد حفي ناصف بن الشيخ إسماعيل ناصف عام ١٢٧٢ للهجرة في ضاحية من ضواحي القاهرة تدعى بركة الحج يتيماً فقيراً ، فكفله خاله وجدته لأبيه . ثم دخل كتاب القرية فتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ جزءاً من القرآن . ثم فر إلى الأزهر في الحادية عشرة من عمره فسكث فيه ثلاث عشرة سنة ؛ ثم سلك نفسه في الداخلين ( دار العلوم ) فتقف علومها وعين أستاذاً للغة العربية في المدارس الأميرية . ثم اختير للتدريس في مدرسة الحقوق فوقع في نفسه أن يشرك طلبتها في دروسهم . فدرس القانون وترك التدريس وانتخب كاتب سر للنائب العمومي . ثم عين قاضياً سنة ١٨٩٢ م في المحاكم الأهلية . وبلغ من أمره في القضاء أن صار وكيلاً لمحكمة طنطا الأهلية . وفي غضون ذلك انتدب لتدريس

الأدب العربي في الجامعة المصرية وهي أهلية ، فالتقى فيه محاضرات ممتعة جمعت في كتاب خاص . ولما أقعد الشيخ حمزة فتح الله مفتش اللغة العربية الأكبر في وزارة المعارف خلفه الأستاذ حنفى بك ، فازهرت دولة الأدب واعتز جانب اللغة . وقضى هذه الفترة القصيرة في التقريب والتفحيح حتى شارف الستين فأحيل على المعاش وما عمر بعد ذلك إلا ثلاث سنين . ثم وافاه أجله في أواخر نوفمبر من سنة ١٩١٩ م ودفن في مقبرة الشافى .

### أخبره

كان رحمه الله فكه الحديث ، مليح النادرة ، حاضر البديهة ، سريع الجواب ، كثير الخطابة ، رضى الخلق ، مشاركاً في كل علم وفن ، جاريًا مع القديم والحديث .

### شعره ونثره

حنفى بك ناصف ركن من أركان النهضة الأدبية الحديثة . أحياها بأبحاثه ومؤلفاته ، وقواها بقصائده ومقالاته . وهو ضليع في فنون اللغة ، خبير بقواعد لسان ، بصير بأسرار الكلام ونقله . وأسلوبه في الرسائل يجرى على منهاج لتأخرين من كتاب العصر العباسى في الكلف بالسجع والقصد إلى البديع . وله أسلوب مرسل في المقالات يجرده من زخرف الصناعة فيسيل رقة وسلاسة . ما شعره فنمط من الأسلوب النثرى المنظوم ، تكثر فيه اللُحج والمحسنات اللفظية بظهور الضعف في تراكيبه أحياناً ، إلا أنه على الجملة سلس مطبوع .

### مؤلفاته

له مع غيره سلسلة في قواعد اللغة العربية كانت تدرس في المدارس المصرية ، كتاب (ميزات لغة العرب) قدمه إلى مؤتمر المستشرقين الذى أقيم في فيينا ١٨٨٦ م وقد كان كاتب سر الوفد الذى مثل مصر في هذا المؤتمر ، وكتاب



١ حياة اللغة العربية ) وهو مجموع محاضراته التي ألقاها في الجامعة المصرية ،  
وكتاب القطار السريع في علم البديع ، ورسالة في البحث والمناظرة ، وأخرى  
في المنطق ، وكتاب الأمثال العامة ، وبديع اللغة العامة . وأكثر كتبه  
غير مطبوع .

### نموذج من شعره

قال يخاطب أحد الرؤساء :

أحييت آمالي وكنت أمثها	من طول ملائمت من إخواني
أدلى يا خلاصي لهم وأفود عن	أعراضهم يحوارحي ولساني
مخضتهم ودي فلما أسروا	كانت بداية أسروهم نسياني
حسبي من الدنيا صديق ثابت	فرد فكنته ولا احتياج لثاني

وقال أيضاً :

أنقضى معي إن حان حين تجاري	وما نلتها إلا بطول عناء ؟
ويحزنتي ألا أرى لي حيلة	لإعطائها من يستحق عطائي
إذا ورت الثمرون أبناءهم غنى	وجاهاً ، فما أشقى بني الحكماء

ومن ثمره رسالة عزى بها الشيخ علي يوسف في وفاته :

خفف الله لوعتك ، وأرقاً دمتك ، وجنبك الجزع ، ووقاك الهلع ، وألمك  
الصبر ، وأجزل لك الأجر ، ورزقك من البنين ، في مستقبل السنين ، ماتقربه  
عيناك ، ويقوى به عناك . وأنت والحمد لله في قوة ، وبقية من الفتوة ، تمسكتك  
من الأبوة ، بخير البتوة . على أن لك في عالم السياسة ، وضروب الكياسة ،  
في هذه البلاد ، ألواناً من الأولاد ، وآثاراً كبرى ، تضمن لك الذكرى ، وتجعل  
لك على مدى السنين ، لسان صدق في الآخرين . والسلام عليك ورحمة الله .

## باحثة البادية

١٨٨٣ — ١٩١٨ م

### نشأتها وعيانتها

هي السيدة الفاضلة ملكة ناصف بنت الشاعر الكاتب حفي بك ناصف .  
وُلدت بالقاهرة يوم الاثنين من شهر ديسمبر سنة ١٨٨٦ وتلقت مبادئ العلوم  
في مدارس أولية مختلفة . ثم دخلت للدراسة السنية في أكتوبر من سنة ١٨٩٣ م  
ونالت منها الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٠ م وهي أول سنة تقدمت فيها الفتيات  
المصريات إلى نيل هذه الشهادة . ثم انتقلت إلى قسم المجلات من هذه المدرسة  
فكانت منها إجازة التدريس ومارست بعد ذلك التعليم في مدارس البنات الأميرية .  
وفي سنة ١٩٠٧ م بنى بها عبد الستار الباسل وهو سرى من سراة قبيلة الرماح  
بالفيوم ، فتركت التدريس وعكفت على الكتابة والتأليف ، وعاشت مع زوجها  
عيشة الزوجة المخلصة البرّة حتى توفيت بالحمى الإسبانية في أكتوبر من سنة  
١٩١٨ م وهي في زهرة العمر ونضرة الشيبه .

### منازلها في العلم والأدب

أظهر مائدل عليه كتابة الباحثة من أخلاقها عنوبة الروح وسراوة الخلق  
وذكاء الطبع وصحة الدين والرغبة في الإصلاح . تمهدها والدها الكريم منذ طفولتها  
فغذاها بأدبه ، ونفث فيها من روحه ، فأخذت تعالج القريض وهي في الحادية عشرة  
من عمرها . ثم توافرت على صناعة الإنشاء فبلغت منها مكانة تحسدها عليها  
الرجال . عيّنت يانهاض للراة المصرية بعد قاسم أمين ، فكانت أول مصرية  
مسلمة جاهرت بالدعوة العامة إلى هذا العمل في هيئة لاتزال رجعية . ألفت في هذا  
الموضوع سلسلة من المحاضرات في إدارة الجريدة التي كان يصدرها حزب الأمة

ويرأس تحريرها الأستاذ أحمد لطفي السيد ، وكتبت عنه طائفة من المقالات في هذه الصحيفة بامضاء « باحة البادية » فصار لقباً غلب عليها .

جمعت هذه المقالات في كتاب عنوانه « النسائيات » ونشرت منه جزء الأول . ثم شرعت في آخر حياتها تأليف كتاباً مطولاً سمته « حقوق النساء » أنجزت منه ثلاث مقالات ثم حالت للنية عن إتمامه .

### نموذج من كلامها

من قولها في كتاب النسائيات :

ما أنقى الهواء ، وأعذب الماء ، وأصفى السماء في القرى ! وما أكذب الحياة وأقرب الوفاة في المدن ! القرى جميلة لأنها على الفطرة . أما المدن فلا تعدم أثراً للتكلف والرياء . أين دوى الكهرباء ، من خرير الماء ، والدخان المتعاقد فوق المداخل ، من جولا ترى فيه إلا تخليق الصقور والأرؤوس النخل الباسقات ؟ وأين وحل الشارع وعثيرة ما من أرض كسيت ببساط النبات ؟ وأين الرائحة المبهمة من مقادير المنازل وروث الدواب من شذى أزهار الحقول ؟ بل ما أضل البصر يريد الجولان فيرده من هنا جدار ومن هناك سور ، من نظر تسرحه حيث شئت فلا تجد إلا اللانهاية في الفضاء !

ومن قصائدها في حال المرأة قصيدة مطلعها :

أَعْمَلْتُ أَفْلَامِي وَحِينَا مَنْطَقِي	فِي النَّصْحِ وَالْمَأْمُولِ لَمْ يَحْصُقْ
أَيْسَوْؤُكُمْ أَنْ تَسْمَعُوا لِبَنَاتِكُمْ	صَوْتًا يَهْزِ صَدَاهُ عَطْفَ الْمَشْرِقِ ؟
أَيْسِرْكُمْ أَنْ تَسْتَمِرَّ بَنَاتُكُمْ	رَهْنُ الْأَسَارِ وَرَهْنُ جِوَارِ الْمَطْبَقِ ؟
هَلْ تَطْلُبُونَ مِنَ الْفَتَاةِ سَفُورَهَا ؟	حَسَنٌ ، وَلَكِنْ أَيْنَ بَيْنَكُمْ التَّقَى ؟
لَا تَتَّقِ الْفَتَيَاتُ كَشْفَ وَجُوهِهَا	لَكِنْ فُسَادَ الطَّبْعِ مِنْكُمْ تَتَّقِ
تَخْشَى الْفَتَاةُ حَيَاتَهَا مَنْصُوبَةً	غَشِيَتْموها فِي الْكَلَامِ بَرُوقَ

لا تنفروا بل أصلحوا فتياتكم      وبناتكم وتسايقوا للأليق  
ودعوا النساء وشأنهن فإنما      يدرى الخلاص من الشقاوة من شقى  
ليس السفر مع العفاف بضائر      وبدونه قرط التصعب لا يبق

## مصطفى لطفى المنفلوطى

١٨٧٦ - ١٩٢٤ م

نشأته وحياته



ولد السيد مصطفى لطفى  
بمنفلوط من أعمال مديرية أسيوط  
سنة ١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦ م ونشأ  
في بيت كريم بالدين جليل بالثقافة  
توارث أهل قضاء الشريعة وقراءة  
الصوفية قرابة مائتى سنة . ونهج  
المنفلوطى سبيل آباءه في العناية  
ب حفظ القرآن في المكتب . وتلقى

العلم بالأزهر ، ولكنه كان على السكراء من ورع قلبه ورعاية أبيه لا يلقى باله  
كثيراً لغير علوم اللسان وفنون الأدب . فهو يحفظ الأشعار ويصيد الشوارد  
ويصوغ القريض وينشئ الرسائل ، وتسير له شهرة في الأزهرين بذكاء القريحة  
وروعة الأسلوب فيقر به الأستاذ محمد عبده ، ويرسم له الطريقة المثلى إلى الغاية من  
الأدب والحياة . ثم يستفيد المنفلوطى من قربه إلى الإمام صلته بسعد باشا زغلول ،  
ومن زلفاء لدى هذين العظميين فتوجه لدى صاحب (المؤيد) ، وهؤلاء الثلاثة كانوا

أقوى العناصر في تكوين المنفلوطي الأديب بعد استعداد فطرته وإرشاد الله . وفي أثناء طلبه في الأزهر نسب إليه أنه هجا الخديو عباس حتى الثاني بقصيدة نشرها في إحدى الصحف الأسبوعية فحكم عليه من أجلها بالحبس وقضى في السجن مدة العقوبة . ولما قبض الله الإمام إلى رحمة جزع المنفلوطي فيه على رجائه وسنده ، وارتد مقطوع الرجاء إلى بلده . ثم نعتش الله عاثر أمله بعد فترة من الزمن ، فهب يبتغي في جريدة ( للؤيد ) الوسيلة والتجسس . ثم صارت إلى سعد باشا وزارة المعارف فعيّنه محرراً عريباً لها . ولما تحول إلى وزارة الحقانية ( العدل ) حوّل معه وولاه فيها مثل هذا المنصب . ثم انتقل الحكم إلى غير حزبه فنقل من عمله ، حتى إذا قام البرلمان عينه سعد باشا في وظيفة كتابية بمجلس النواب ظل فيها حتى توفاه الله وهو في العقد الخامس من عمره .

### أخبره

كان المنفلوطي قطعة موسيقية في ظاهره وباطنه ؛ فهو مؤلف الخلق ، مثلاًم اللوح ، متناسق الفكر ، متنسق الأسلوب ، منسجم الزى ، لا تلج في قوله ولا في فعله شذوذ المبقرية ولا نشوز القدامة . كان صحيح الفهم في بطله ، سليم الفكر في جهده ، دقيق الحس في سكونه ، هبوب اللسان في تحفظه . وهذه الخلل تظهر صاحبها للناس في مظهر النبي الجاهل ، فهو لذلك كان يلقى المجالس ويشجب الجدل ويكره الخطابة ؛ ثم هو إلى ذلك رقيق القلب عف الضمير سليم الصدر صحيح العقيدة تفاح اليد موزع العقل والفضل والهموى بين أسرته ووطنه وإنسانيته .

### أسلوبه وأدبه

كان المنفلوطي أديباً موهوباً ، حظ الطبع في أدبه أكثر من حظ الصنعة ؛ لأن الصنعة لا تخلق أديباً مبتكراً ولا أديباً ممتازاً ولا طريقة مستقلة . وكان النثر الفني على عهده لوباً حائلاً من أدب القاضي الفاضل ، أو أثر أمان الله بن خلدون ؛

ولكنك لا تستطيع أن تقول إن أسلوبه كان مضروباً على أحد القالين ، إنما كان أسلوب المنفلوطي في عصره كأسلوب ابن خلدون في عصره ، بديعاً أنشأه الطبع القوي على غير مثال

عالم المنفلوطي الأقصوصة أول الناس وبلغ في إجادتها شأواً ما كان ينتظر من نشأة كنهشاته في جيل كجيله . وسر القديوع في أدب المنفلوطي أنه ظهر على فترة من الأدب اللباب ، وقاجاً الناس بهذا القصص الرائع الذي يصف الألم ويمثل الميوب في أسلوب ظلي وبيان عذب وسياق مطرد ولفظ مختار . أما صفة الغلود فيه فيمنع من تحقيقها أسرار : ضعف الأداة وضيق الثقافة . أما ضعف الأداة فلأن المنفلوطي لم يكن واسع العلم بلفظه ولا قوى البصر بأدبها . لذلك تجد في تعبيره الخطأ والفضول ووضع اللفظ في غير موضعه . وأما ضيق الثقافة فلأنه لم يتوفر على تحصيل علوم الشرق ، ولم يتصل اتصالاً مباشراً بعلوم الغرب . لذلك تلمع في تفكيره السطحية والسذاجة والإحالة . وجملة القول أن المنفلوطي في النثر كان كالبارودي في الشعر : كلاهما أحيا وجدد ، ونهج وعبد ، وتقل الأسلوب من حال إلى حال .

### مؤلفاته ومترجماته

له كتاب ( النظرات ) في ثلاثة أجزاء جمع فيه ما نشره في المؤيد من الفصول في النقد والاجتماع والوصف والقصص . وكتاب ( العبرات ) وهو مجموعة من الأقاصيص المنقولة والموضوعة . ثم ( مختارات المنفلوطي ) من أشعار المتقدمين ومقالاتهم . وقد ترجم له بعض أصدقائه عن الفرنسية : تحت خلال الزيزفون ( مجدولين ) لأنقونس كمار ، وبول وفرجينى ( الفضيلة ) لبرناردى سان بير ، وسيرانو دبرجراك ( الشاعر ) لأدمون رستان ، فصاغها بأسلوبه البليغ الرصين صياغة حرة لم يفتقد فيها بالأصغر ، فأضافت إلى ثراء الأدب العربي ثروة ، وكانت للفن القصصى الحديث قوة وقوة .

### تموذج من تشره

#### الغنى والفقر

مررت ليلة أمس برجل يائس ، فرأيتة واضعاً يده على بطنه كأنما يشكو  
ألماً ، فرثيت لحاله ، وسألته ماله ، فشكا إلى ألم الجوع ، فقمتأته عنه ببعض ما قدرت  
عليه ، ثم تركته وذهبت إلى صديق لي من أرباب الثراء والنعمة فأدهشني أنى  
رأيتة واضعاً يده على بطنه ، وأنه يشكو من الألم ما يشكو ذلك البائس الفقير ،  
فسألته عما به ، فشكا إلى البطنة ، فقلت « يا للعجب ! لو أعطى ذلك الغنى ذلك  
الفقر ما فضل عن حاجته من الطعام ما شكا واحد منهما مقماً ولا ألماً . لقد كان  
جديراً به أن يتناول من الطعام ما يشبع جوعته ويطنى غلته ؛ ولكنه كان محباً  
لنفسه مغالياً بها فضم إلى مائدته ما اختلسه من صدقة الفقير ، فعاقبه الله على  
قسوته بالبطنة ؛ حتى لا يهنى لظالم ظلمه ، ولا يطيب له عيشه ، وهكذا يصدق  
المثل القائل . « بطنة الغنى انتقام لجوع الفقير » .

ماضنت السماء بمائها ، ولا شعت الأرض بنباتها ، ولكن حسد القوى  
الضعيف عليهما فزواهما عنه واحتجتهما دونه ، فأصبح فقيراً معدماً شاكياً مظلماً ،  
فرماؤه المياسير الأغنياء ، لا الأرض والسماء .

ما أظلم الأقوياء من الإنسان ، وما أقسى قلوبهم ! ينام أحدهم ملء جفنيه  
على فراشه الوثير ولا يقلقه في مضجعه أنه يسمع أذن جاره ، وهو يرعد برداً وقرأ ؛  
ويجلس أمام مائدة حافلة بصنوف الطعام ، قديده وشواته ، حلوه وحامضه ،  
ولا ينغص عليه شهواته علمه أن بين أقربائه وذوى رحمه من تتوالب أحشاؤه  
شوقاً إلى قتات تلك المائدة ، ويسيل لعابه تلهفاً على فضلها ؛ بل إن بينهم  
من لا تخالط الرحمة قلبه ، ولا يعقد الحياء لسانه ، فيظل يسرد على مسمع الفقير  
أحاديث نعمته ، وربما استعان به على عدم تشتمل عليه خزائنه من الذهب ،  
وصناديقه من الجواهر ، وغرفته من الأثاث والرياش ، ليكسر قلبه وينغص عليه  
عيشه ، ويبغض إليه حياته ؛ وكأنه يقول في كل كلمة من كلماته وحركة

من حركاته : « أنا سيد لأنى غنى . وأنت شقى لأنك فقير » .

لا أستطيع أن أتصور أن الإنسان إنسان حتى أراه محسناً ، لأنى لا أعتقد فضلاً صحيحاً بين الإنسان والحيوان إلا الإحسان . وإنى أرى الناس ثلاثة : رجل يحسن إلى غيره ليتخذ إحسانه إليه سبيلاً إلى الإحسان إلى نفسه ، وهو المستبد الجبار الذى لا يفهم من الإحسان إلا أنه يستعبد الإنسان . ورجل يحسن إلى نفسه ، ولا يحسن إلى غيره ، وهذا الشرير الذى لو علم أن للدم السائل استحليل إلى ذهب جامد قد يج فى سبيله الناس جميعاً ، ورجل لا يحسن إلى نفسه ولا إلى غيره ، وهذا البخيل الأخرق الذى يبيع بطنه ليشبع صندوقه .

أما الرابع الذى يحسن إلى غيره ويحسن إلى نفسه فلا أعلم له مكاناً ، ولا أجد إليه سبيلاً . وأحسب أنه هو الذى كان يفتش عنه الفيلسوف اليونانى ديوجين السكلى حينما سئل ما يصنع بمصباحه وكان يدور به فى بياض النهار فقال : « أفتش عن إنسان » .

### عبد العزيز شاووش

المتوفى سنة ١٩٢٩ م

#### شأنه ومبائه

ولد عبد العزيز بن خليل شاووش فى الاسكندرية من أسرة مغربية الأصل نشغل بالتجارة . ثم تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن فى أحد الكتاتيب ، ثم طلب علوم الدين والعربية فى جامع الشيخ بالاسكندرية فشدوا شيئاً منها أهله إلى أن وفد إلى القاهرة ويدخل الجامع الأزهر . وكان أذكىاء الأزهرين يومئذ يمدون أنفسهم إلى الدخول فى ( دارالعلوم ) لأنها كانت أقصر الطرق إلى التعليم والحماسة ، وأنجح الوسائل إلى التجدد والرفاهية ، فدخلها الشيخ عبد العزيز ، واشتهر بين لداته بالجد والاجتهاد ، والفيرة على الدين والكرامة .



ولما نال إجازتها تولى التدريس في مدرسة الناصرية ردها من الدهر ، ثم اختير في بعثة إلى إنجلترا ليتخصص في الفرية والآداب ، فعمل اللغة الإنجليزية وأطلع منها على الآداب الأوربية فازداد علمه واكتمل بيانه وتنوعت ثقافته . ثم رجع إلى مصر فعين مفتشاً بوزارة المعارف . وعاد ثانية إلى إنجلترا ليعلم اللغة العربية في جامعة ( أكسفورد ) ثم انتهى أمره إلى أن يعود إلى مصر ويرجع إلى التفتيش وكان بينه وبين زميله المرحوم عاطف بركات منافسة في الطلب وفي الوظيفة ؛ وكان بين عاطف بركات وبين وزير المعارف وهو يومئذ سعد باشا زغلول قرابة واشبة ، فظن الشيخ عبد العزيز أن لهذه القرابة أثراً في تقديم منافسه عليه فاستقال من العمل في وزارة المعارف سنة ١٩٠٨ وانضوى إلى لواء الحزب الوطني . ثم أصبح بعد موت الزعيم مصطفى باشا كامل رئيساً لتحرير ( اللواء ) . ثم جرت عليه صراحته في التحرير وشجاعته في الحق وحماسته في السياسة ، متاعب كثيرة منها الحكم عليه بالحبس ثلاثة أشهر في جريمة من جرائم الرأي . فلما خلا سبيله رحل إلى أروبا . وثبتت الحرب العالمية الأولى فشق عليه الرجوع فظل هناك يقاسى مكاره الفرية من فراق الأهل وإلحاح الفقر وخذلان الصديق ، حتى وقفت رحا الحرب فعاد إلى وطنه مضعف الآمال خائر القوى ، فتجهت له بعض الوجوه ، وانقبضت عنه أكثر الأيدي ، وحاول أن يعود إلى السياسة من طريق البرلمان فلم يفلح ، فانصرف إلى اكتساب الرزق من ناحية الصحافة حتى أدركته رعاية الملك فؤاد فدين مراقباً للتعليم الأولى في وزارة المعارف ؛ فاضطلع بأعباء هذا المنصب المرهق بضع سنين . ثم أصابته علة القلب فتوفاه الله في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر يناير من سنة ١٩٢٩ .

#### أفهمه

كان رحمه الله جميل السمات حسن الشارة متواضع النفس حلوا الحديث لطيف الروح شديد الحياء ندى الراحة ، جريئاً في الدفاع عن دينه ، شجاعاً في الادياد

عن وطنه ، صريحاً في الإبانة عن رأيه . سباقاً إلى كرم الساعى ، فشارك في كثير من الأعمال الخيرية كتأسيس جمعية للواسطة الإسلامية بالإسكندرية ، وإنشاء للمدرسة الإعدادية الثانوية بالقاهرة . وقد كان في طبعه حدة تظهر على قلمه وألسانه إذا أودى في كرامته أو وطنيته أو عقيدته .

### أسلوبه

كان أسلوبه خطابياً يؤثر بال عاطفة أكثر مما يؤثر بالمنطق . وكان يجري فيه مجرى الأسلوب للنسوب إلى الإمام على في نهج البلاغة . وهو من الكتاب القلائل الذين اطلعوا على آدب القرنجة وتأثروا بها . وكانوا وسطاً بين للذهمين القديم والحديث . كان من علماء العربية وفقهاء الدين وأعلام الصحافة فعالج الموضوعات الدينية والسياسية بالأسلوب الجزل والصنع المقبولة ، إلا أنه كان كما كثير معاصريه قليل العناية باختيار اللفظة للناسبة والاقتصار على الجملة الدالة .

### مؤلفاته

من مؤلفاته التي نعرفها كتاب ( غنية المؤمنين ) في التربية العلمية والعملية ؛ وكتاب ( الإسلام دين الفطرة ) في الدفاع عن الدين وبيان بعض أحكامه . وكتاب ( أسرار القرآن ) فسرفيه بعض آى الذكر الحكيم تفسيراً ملائماً لروح العصر .

### نموذج من شعره

قال في فاتحة مقالاته في جريدة اللواء يوم استقال من وزارة المعارف :  
« بونك اللهم قد استدبرت حياة زادها الجبن وخور العزيمة ، ومطيها الدهان والتلبيس . في أسواقها الناقعة تشتري نفيسات الغفوس ، بزوف الفلوس ، وتباع الدمم والسرائر بالابتسام وهز الرؤوس . ويسئلك اللهم أستقبل فاتحة الحياة الجديدة ، حياة الصراحة في القول ، حياة الجهر بالرأى ، حياة الإرشاد

العام ، حياة الاستماتة في سبيل الدفاع عن البلاد العزيزة . أستقبل هذه الحياة بعد أن قضيت في سابقها ثمانى حجج ، بلغت فيها ذلك للنصب الذى كنت فيه ما بين محسود عليه ومرجوف فيه . أستقبل هذه الحياة المحفوفة بالمخاطر ، مذبذباً في ميدانها ، فإما إلى الصدر ، وإما إلى القبر . موقفاً بما أعد الله لعباده العاملين المخلصين ، من الظفر والفتح للبين .

ومن مقاله بعنوان « مدرسو اللغة العربية للصريون في بلاد الإنجليز » :  
« نصبح إلى المسترد نلوب أيام سافرت إلى أكسفورد ، أن أقتدى بما أراه من الأخلاق الفاضلة في تلك الأمة العظيمة ، فإذا جرى ؟ ذهبت إلى تلك الديار فوجدت الناس متمسكين بدينهم فزادوني تمسكا بدينى . رأيتهم شديدي الحرص على لغتهم فزادوني حرصاً على لغتى . أبصرتهم يتفانون في الدفاع عن بلادهم ويحرمون على الأجانب الاستيلاء على بعض شئونهم أو التصرف في أموالهم ورقابهم فأخذت أحاكيمهم في هذه البلاد السيئة الحظ بالاحتلال وأشياعه . رأيتهم يحبون الراحة ، ولا يخشون معتبة ، ولا يتهيبون متعبة ، مادام الحق لهم فأخذت أحاكيمهم في تلك الفضائل التى نصبح بها إلى عيديم بنظارة المعارف العمومية ! أبصرتهم يحبون العمل ويكرهون الكسل ، ويحضون على النضيلة ، فمدت إلى بلادى ، ثم صرت أشتغل بهمة لا تعرف لللل ولا الانقطاع ، فكان حقا على الإنجليز أن يرفعوا عقيرتهم ، ويقوم خطباؤهم وشعراؤهم بالإفاضة والإسهاب في مدح من نجح في تقليدنا ومحاكاةهم في فضائلهم ، ممن يرحلون إلى بلادهم من المصريين ! » .



# الأدباء

## ناصريف اليازجى

١٨٠٠ - ١٨٧١ م

### نشأته وحياته

ولد ناصريف بن عبدالله اليازجى بكفر شيا من قرى لبنان ونشأ فى بيت فضل وعلم وأدب ، وبدأ يتعلم الهجاء على أحد القساوسة ، ومبادئ الطب على أبيه ، وصبت نفسه إلى الآداب فطلق بطلبها ويحصلها ، والكتب يومئذ نادرة وتجارها باثرة ومطلبا بعيد . فكان إذا وقع فى يده مخطوط حفظه أو نسخه أو تلخصه ، حتى غزرت مادته ، وكملت آلته ، وبلغ حظه من المنشور والمنظوم ، فاستكتبه الأمير بشير الشهابى وهو فى أوج عزه فكتب له ولزمه اثنتى عشرة سنة حتى أخرج من بلاده سنة ١٨٤٠ ، فنزل الشيخ بأهله إلى بيروت واقطع إلى المطالعة والتأليف والتدريس ومراسلة الأدباء ومساجلة الشعراء حتى مئى فى أعقاب عمره بفالج نصفى عطل شطره الأيسر . ثم نجح فى بكر أولاده الشيخ حبيب ، فضمضت هذه الفاجعة قواه وهدت ركنه ولم يمش بعده إلا يسيراً .

### نثره وشعره

ترسم الشيخ خطوات الحريرى واتهج نهجه ، فأولع بالبديع ، وافتن فى الصنعة ، وكلف بالغريب . وعالج المقامات فأنشأ منها ستين مقامة أجاد فيها التقليد وأتقن الاحتذاء وبلغ من الخلية اللفظية الثغاية . وأعجب بالمتنبي فى الشعر كما أعجب بالحريرى فى النثر ، ولكن تقليده لأبى الطيب كان أضعف ، وتخلفه

عن مجاراته كان أظهر . فجاء شعره على طول معالجته له وقوة طبعه فيه أشبه بشعر  
الحريرى وأخراجه ، وبخاصة تلك القصائد التى تكلف فيها التاريخ الشعرى ، فقد  
غالى فى ذلك وأسرف حتى كان يضمن البيتين ثمانية وعشرين تاريخاً أو ينظم  
القصيدة فيلتزم فى كل شطرة من شطراتها تاريخاً كقصيدته فى تهنئة إبراهيم باشا  
بفتح عكاه ، أو ينظم القصيدة كلها من الحروف المهمة كقوله :

حول در حل ورد حل له لعر ورد

على أن له قصائد تهب عليك من خلال أبياتها فغعات أبى الطيب فيجزل  
لفظها ويقوى أسلوبها وتفيض بالمعاني المبتكرة والحكم البالغة والأمثال السائرة .

#### علم ومؤلفاته

آثار اليازجى تدل على مادة غزيرة فى اللغة ، وإطلاع واسع فى الأدب ،  
وإتقان عجيب لعلوم اللسان . فله كتاب مجمع البحرين وهو مجموع مقاماته الستين  
التي قلدها الحريري . وله ( الجمان ) ( وجوف الفرا ) وهما أرجوزتان أولاهما  
فى الصرف وأخرهما فى النحو ، و ( فصل الخطاب ) وهو مختصر فى النحو والصرف ،  
( وحقد الجمان ) فى علم البيان ، ( ونقطة الدائرة ) فى العروض والقوافى ، ( وقطب  
الصناعة ) فى المنطق . ثم دواوين شعره وهى ( نعمة الريحانة ) و ( فاكهة الندماء  
فى مراسلة الأدباء ) و ( ثالث القمرين ) . وأكثر كتبه مؤلف على نمط مدرسى  
ولا تزال تدرس فى معظم المدارس اللبنانية للسيحية .

#### نموذج من كلامه

قال من قصيدة يمدح بها أسعد باشا قائد جيش البلاد العربية :

بناء العلى بين القنا والبوارق	على صهوات الخيل تحت البوارق
ولله سرّ فى العباد وإنما	قليل محل السر بين الخلائق
يقلب هذا الدهر أحوالنا كما	تقلب فينا لا حقاً إثر سابق

ولولا اختيار الدولة ابن سريها      لما اعتمدته في المعاني الدقائق  
كريم تولى الأمر يصلح أمره      فكفتق تولته أنامل رائق  
أقام السرايا ينفر للوج خيلها      بكل لواء فوق لبنان خائق  
يحدث أهل الغرب في كل ليلة      مما فعلت غاراته في للشارق  
فيعجب من أفعاله كل عاقل      ويثنى على أفضاله كل ناطق  
تضيئ بحار الشعر عنه وتستحي      يبعثر لها في بحر كفية غارق

### أحمد فارس الشدياق

١٨٠٤ — ١٨٨٧ م

#### نسأته وعباته

ولد هذا الكتاب اللغوي في عشقوت من أعمال لبنان من أسرة مارونية. ثم دخل مدرسة عين ورقة فتلقى مبادئ القراءة، وشدا شيئاً من اللغة والنحو على أخيه أسعد. وبدأ يقرض الشعر وهو في العاشرة من عمره. وصفت نفسه منذ طفولتها إلى حفظ المفردات والمتراقات فحصل منها قسطاً وفيراً ظهر أثره بعد في خطبه وكتبه. وحدث أن أخاه أسعد وهو وليه وصفيه ترك مذهب والديه واعتقد المذهب الإنجيلي فاضطهدته عشيرته وكهنته حتى مات مقهوراً في محبسه. فشق ذلك على فارس فخرج مغاضباً إلى مصر تحت حماية المرسلين الأمريكيين ورعايتهم، ف قضى بها حقبة من الدهر بين تعلم وتعليم. ثم بعث به الأميركان سنة ١٨٣٤ إلى مالطة ليصحح ما تخرجه مطبعتهم فيها. وأرسلت في طلبه وهو هناك جمعية التوراة بلندن ليحرر ترجمتها العربية فرحل إليها وأقام بلندن ما أقام ثم انصرف عنها إلى باريس، وكان يزورها يومئذاً أحمد باشا باي تونس فاتصل به الشدياق ومدحه فنفق لديه، وظاهر الأمير نعمه عليه، حتى قال الشاعرة: «ما كنت

أحسب أن الدهر ترك للشعر سوقاً ينفق فيها « ثم اعتقد الإسلام وهو في تونس  
وسمى نفسه أحمد . وظل يكتب في الرائد التونسي ويتقلب في نعمة الياي ، وفضله  
يظهر وذكره يذيع حتى طلبته الصدارة العظمى فرحل إلى الأستانة وأنشأ جريدة  
« الجوائب » وأودع فيها من فنون النثر وعيون الشعر وضروب السياسة ما رواه  
لسان الحمد ، وتناقلته برز الشرق والغرب . وكان في سياسة الشرق مرجعاً وحجة .  
فسعى إليه المجد والثراء ، وخطب وده الأمراء والعلماء ، وكافأته الدولة العلية  
بالألقاب والأوسمة . ثم تخلى عن إدارة الجوائب لولده سليم وهو في أعقاب عمره ،  
فما زالت تصدر عن براعة ولباقة وقوة حتى عطلت سنة ١٨٨٤ على أثر الحوادث  
السودانية . ثم ورد الشدياق مصر وقد تنفس به العمر وخذد وجهه الكبير ،  
فأحسن المصريون وأميرهم لقاءه ووفادته ، وأكرموا مثواه وإقامته ، ثم ارتد إلى  
الأستانة فوافقه بها منيته .

### نثره وشعره

كان الشدياق متضلماً من فنون الأدب ، متصرفاً في فنون الإنشاء من هزل  
ومجون ووعظ وأدب وسياسة . حافظاً لمفردات اللسان ، بصيراً بمذاهب البيان ،  
يحيد النظم والنثر . وكان أسلوبه منسجم التراكيب ، متساق المعاني ، موفور  
الازدواج ، شديد الإطناب ، كثير الاستطراد ، ظاهر المبالغة . أما شعره فأدنى  
رتبة وأقل جودة وأضف ابتكاراً من نثره . فهو في النثر مجدد وفي النظم مقلد  
وفي كليهما بالنسبة إلى أهل عصره سابق مجيد .

### مؤلفاته

له غير الفصول التي نشرتها الجوائب في ثلاث وعشرين سنة كتب قيمة  
تدل على سعة اطلاعه وطول باعه . وأشهرها :  
كتاب ( سر الليال في القلب والإبدال ) وهو كتاب لغوي تحليلي يشمل

على سرد الأفعال الخدائقة والأسماء المستعجلة واستدراك ما فات صاحب القاموس من لفظ أو مثل أو إيضاح عبارة أو تنسيق مادة . وقد طبع بالآستانة سنة ١٢٨٤ هـ ثم كتاب ( الساق على الساق فيما هو الفارياب ) . والفارياب كلمة نحتها من فارس الشدياق وأطلقها على نفسه . أنشأ هذا الكتاب الضخم أثناء سياحته في أوربا فوصف فيه أسفاره وأخباره وما كابده في صدر حياته ، وندد برجال الكنيسة أخذاً منهم بثأر أخيه . ثم أورد الألفاظ المترادفة في كل موضع على حدة كأصناف المأكول والمشروب والشموم والحلى والجواهر ، وذلك أجل ما في الكتاب . وقد يؤخذ على المؤلف جرأته على الأدب وتطرفه في الهجوم واستعماله من الألفاظ ما لا يصدر عن مثله ، ولا يليق بفضله .

ثم كتاب ( الجاسوس على القاموس ) جمع فيه المأخذ التي أخذها على قاموس الفيروز آبادي . ثم ( كشف الخبايا عن أوربا ) وهو وصف شامل لسياحته في البلاد الأوربية . و ( الواسطة في أحوال مالطة ) وهو وصف لهذه الجزيرة أراضيتها وأهلها وحاضرها وماضيها .

### نموذج منه كدر

من الناس من يبالغ في مدح وطنه ، وعن إليه حنينه إلى سكنه ، فيصف مسروجه ورياضه ، وبروجه وحياضه ، ووهاده وجباله ، وتلاع وتلاله ، وربوعه ودياره ، ونباته وأشجاره ، وبقوله وثماره ، ودوحه وأطياره ، وطيب هوائه ، ولذته مائه ، ويزعم أن فصوله كلها كالربيع حسناً ، وأن جميع أقطاره تتدفق بركة ويمناً ، وأن شهراً فيه خير من ألف عام في غيره ، وأن كل بلد مستمد من خيره ، ومحتاج إلى ميره ، ثم يفر زفير المهائم الحيران ، ويصرخ صراخ الوهان : ألا إن حب الوطن من الإيمان . لقد جبت السهول والحزون ، وركبت الدلول والأمون ، وطوفت في الأمصار ، وجولت في الأقطار ؛ وضربت في مناكب الأرض مستقصياً ، واختبرت أحوال من عليها مستفتياً ؛ فلم أجد عيشاً هنيئاً إلا في بلادى . هي البلاد



التي تفزلت بها الشعراء ، فقال فيها فلان أبيتا ، وقال فيها فلان قصيدة غراء ،  
واسم ما قيل في جداولها ونواعيرها ، وبلايلها وعصافيرها ، وخائلها وأزاهيرها ،  
ومروحها وقصورها ، ومصانعها ودورها ، وغلبياتها ومراحمها ، وزكاتها ومواقعها ،  
وفي أريج آفاقها ، وبهيج أشفاقها ، ونصرة حداثتها ، وبهجة شقائقها ، فإذا  
قلت له : كيف جارك الأدنى ؟ لعله كان لك عونا وخذنا ! قال : ويلي إنه  
شر جار ، وهو على البلاد عار وشار . فكيف جاره الذي يليه ؟ عسى أنه  
من توالفه وتصافيه ! قال ويلي إنه شر من أخيه . فكيف أهل الحارة طرأ ؟  
قال : ويلي إنهم كانوا كلهم على شرأ ، ولم أجد منهم إلا خسرأ . فكيف  
أهل المدن والأمصار ؟ قال : ويلي إنهم أولو غبن وفش وتفرير وإخفار ،  
ما تعامل منهم من أحد إلا ويمنيك بالكد والكسب والخسار . هذه حالة  
سكان البلاد ، الحاضر منهم والباد ، فلان كثر من السؤال ، ولا يخطر  
ببالك غير هذه الحال . فإن شئت قلت له . ولكن كيف اشتعلت بلادكم  
على تلك المحاسن ، وأهلها على هذه المساويء الشوائب ؟ قال : إن أهلها الأولين  
كانوا من الخيرين ، فحرثوها وزرعوها ، وعمروها وأمرعوها ، ثم فسد الزمان  
فجاءت خلفاتهم فاسدة ، لكن بقيت تلك المحاسن فيها فائدة . ولكن  
مامنى الزمان ؟ وهو لم يكن صالحا قط منذ خلق الإنسان ، والتواريخ على ذلك  
شاهدة ، ونصوصها عليه متساندة متعاضدة . ثم فكيف فسدت الناس وأنت  
بقيت من بينهم صالحا ، ترى كل من سواك طالما ، ولو كنت من الصالحين ،  
لما رأيت في غيرك خلقا يشين . فأبما ينظر في عيوب الناس من كان  
أسوأ منهم حالا .

ومن يك ذا فم مرث مريض يجد مرأ به للساء الزلالا .  
كذلك قال الشاعر الحكيم : فأنت في طعنك على جنسك إلا ملهم .  
وإن امرا يحسب جميع أهل بلاده دونه ، لجدير بأن يشيعوا فتوته ويذيعوا جنونه .

## بطرس البستاني

١٨١٦ — ١٨٨٣ م

### نشأته ومبانيه

ولد العالم الضليع والنفوس المحقق بطرس بن بولس البستاني للماروني بقرية من قرى لبنان تسمى الهدية على عهد الأمير بشير . ثم أدخل مدرسة عين ورقة فلبث فيها عشر سنين تعلم في أثنائها العربية والسريانية واللاتينية والإيطالية ، وتفقه في الفلسفة واللاهوت والفقه ، وتبحر في التاريخ والجغرافية والحساب ؛ ووقع في نفسه أن يخدم الكنيسة ، ولكن بدا له فأحجم وانصرف إلى التعليم . ثم وفد إلى بيروت واتصل بدعاة للذهب الإنجيلي من الأمريكان فدرس على بعض أساتذتهم الانجليزية والعبرية واليونانية وبعض العلوم الحديثة ، ثم دخل في محادثتهم ودعا بدعوتهم وساعدهم على ترجمة التوراة . ثم أنشأ في سنة ١٨٦٣ مدرسة عالية سماها ( المدرسة الوطنية ) نالت بحسن إدارته وعظيم عنايته شهرة مستفيضة ، فقاطر إليها الناس من الشام ومصر والأستانة واليونان والعراق . ثم تخلى عن رياستها لابنه سليم البستاني وتفرغ هو للمطالعة والكتابة والتأليف ، ففرغ في عام ١٧٦٩ من تأليف معجمه المحيط . وفي سنة ١٨٨٠ أنشأ مجلة علمية أدبية سياسية دعاها الجنان وعهد بإدارتها وكتابتها إلى ابنه سليم ؛ ثم عززها بعد بصحيفة الجنة وجريدة الجنية . وشرع بعد ذلك في وضع ( دائرة المعارف ) وهو عمل خطير يُعجز الفرد وبنوه بالجماعة في قبيل كقبيله وجيل كجيله . ولكن حذقه لأشهر اللغات ، واعتصامه بالصبر والثبات ، ذللا له العقاب وسهلا عليه الصعاب ، فأصدر منها ستة مجلدات . ونزل به موت النجاة وهو يعمل في السابع فقام به من بعده بنوه وفقد الشرق بموته ركنا من أركان نهضته وعلمًا من أعلام هداه .

### علم وفن

نبغ البستاني في عصر قشت فيه الجهالة وغشى الناس الظلام فحمل المصباح  
وأثار الطريق ، ونصب نفسه للهداية والدعاية فألف الكتب ، وأصدر الصحف ،  
وأشأ المدارس ، وملا حياته النافعة بمجامل الآثار وخطير الأعمال ، وفي ذلك دليل  
على نفس عبقرية وعزيمة فنية وإرادة قوية . فمن تلك الآثار الخالدة : محيط المحيط ،  
وهو معجم لغوي على النمط الحديث استوعب فيه قاموس الفيروز آبادي وصحاح  
الجوهرى ورتبه على حروف المعجم باعتبار الحرف الأول من الثلاثى الجرد ،  
وجمع فيه كثيراً من الكلمات العامية وما يقابلها من اللغة الفصيحة ، وكشف عن  
أصول كثيرة من الكلمات الأعجمية التي لم تعرف من قبل ، ووضع طائفة من  
المصطلحات للعلوم الحديثة . وقد استخرج منه لطلاب المدارس مختصراً سماه قطر  
المحيط . ومنها دائرة المعارف ، وقد أصدر منها كما علمت ستة مجلدات وأتم ابنه  
سليم السابع والثامن وقضى نحبه في التاسع ، فأتمه بنوه الباقون بمعونة ابن عمهم  
سليمان البستاني مترجم الألياذة ، ثم وقف عملهم عند ذلك . فلما وفد إلى القاهرة  
سليمان البستاني أراد أن يتم هذا العمل الجليل فأصدر هو ورجلان من بنى عمومته  
الجزأين العاشر والحادى عشر ، ثم حال نقص الأداة دون التمام .

وللبستاني غير هذين الأثرين العظيمين كشف الحجاب في علم الحساب ،  
ومفتاح المصباح في الصرف والنحو ، وعدد عديد من اللقالات والرسائل .



## إبراهيم اليازجي

١٨٤٧ - ١٩٠٦ هـ

تأليف ومبيات

وُلد العلامة اللغوي الناقد السكاتب الشيخ إبراهيم بن ناصيف اليازجي ببيروت عام ١٨٤٧ م في بيت معصور بالفضل ، مشهور بالأدب ، وتلقى العلم عن أبيه الشيخ ناصيف عميد الأسرة اليازجية . ثم عكف على كتب اللغة والأدب ، فأتقن علوم اللسان ، وعرف مطارح الإساءة والإحسان ، وحفظ كثيراً من جيد المنثور والنظوم . ثم قام بتدريس اللغة العربية في للدرسة البطريركية . حتى إذا قام الآباء اليسوعيون على ترجمة التوراة منافسة للترجمة الأمريكية التي قام بها المرسلون الأمريكيون عهدوا إليه بضبط ألقاظها وتنقيح عباراتها فقتضى في هذا العمل تسع سنين كان في أثناءها يعالج النظم والنثر والبحث والنقد ، وينشر ما يريد من ذلك في المجلات التي شارك في تحريرها كالمصباح والطبيب في بيروت . ثم هاجر إلى القاهرة في عام ١٨٩٤ م ، وأنشأ مجلة البيان سنة ١٨٩٧ مع الدكتور بشارة زلزل . ثم استقل بمجلة أخرى دعاها ( الضياء ) وظل يصدرها إلى أن انتقل إلى دار القراء سنة ١٩٠٦ .

أدبه وعلمه

كان الشيخ إبراهيم علياً بأسرار العربية ، عارفاً بمفرداتها وفرائدها ، حافظاً لنوادرها وشواردها ، واقفاً على صحيحها وقاسدها . فكان يتعقب الكتاب والشعراء في مجلتيه البيان والضياء ، يدلم على الخطأ ويرشدهم إلى الصواب . وكثيراً ما كان يحتدم الجدل بينه في الضياء وبين الشقيطي في مصباح الشرق ، لشعرير لفظه ، أو تصحيح روايته ، أو تنقيح نص : وبفضل هذا التعقب شعر

الأدباء بمراقبة النقد فأخذوا أنفسهم بالتدقيق والتروية والمراجعة . واستفاد المعلوم مما أحصاه من الأخطاء الشائعة في لغة الصحف والكتب ، فأشاعوا تصويبها في مؤلفات الأساتذة وكراسات التلاميذ . ورأى اليازجى محصول المنشئين والمصحفين من اللغة قليلا فاختار لهم طائفة من التعابير البليغة للأثورة في كتاب سماه ( نجمة الرائد في للترادف والمتوارد ) كجامع ما أحصاه من الأغاليط للتداوله على السنة الأدباء في كتبه سماه ( لغة الجرائد ) والشيخ إبراهيم بمد ذلك طوبل الباع في الصناعتين ، له شعر جزل محكم ، ونثر مطبوع رائق .

### نموذج منه كلام

كعب يعزى بعض أصدقائه :

من علم أن القضاء واقع ، وأن الأعمار رهائن للصارع ، فلم يصحب دهره على غرة ، ولم يفتر من الأقدار بفترة ؛ لم تكبر عليه الرزية إذا اختالت ، ولم يطمئن إلى السلامة وإن طالت ، فإن للدهر رقدة وهبة ، وإن الليالي كنة ووثبة . ومثلك من أدرك مبادئ الأمور ومصايرها ، وعرف موارد الحياة ومصادرها ، وإنما الموت طور من أطوار الوجود ، وآخر أعمال الحياة في الوجود . ولا أزيدك علما بالكون وشرائعه ؛ والكائن وطبائعه ، إنما هي ذكرى لمن لجأ الرزء فشغله ، وحل بساحته القضاء فأذهله . وحسبى من التعزية على بما عندك من موارد العلم المتاح ، ومن التأسية ما تعلمه من حال مخاطبك وهو مسائل الجراح . وما أخلقنى بأن أقول : إن رزءك هذا قد زادنى شجنا على أشجائى ، ونكأ ما تماثل من قرحة أحزائى . ولكنى قد صيرنى الدهر إلى حال ، لا تعمل فيها حال ، ولا أبالى معها بسلم ولا قتال ، فكأنما إياى عنى أبو الطيب حيث قال :

رمانى الدهر بالأرزاء حتى      قوادى فى غشاء من نبال  
فصرت إذا أصابتنى سهام      تكسرت النصال على النصال

## حمزة فتح الله

١٨٤٩ - ١٩١٨ م

نشأته وحياته

ولد الأستاذ اللغوي الشيخ حمزة فتح الله بالاسكندرية عام ١٨٤٩ ونشأ بها نشأة الأوساط ، حفظ القرآن ودرس العلوم الشرعية واللسانية ، ثم عزم الرحلة إلى تونس فلبث فيها بضع سنين حرر في أثناءها جريدة الرائد التونسي . ثم عاد إلى الاسكندرية واتصل بالخدوي توفيق ، فأوحى إليه أن يحرر جريدة الاعتدال عام الثورة العرابية ذليلاً عن عرشه وتأييداً لسياسته ، فما حال عليها الحول .

وفي سنة ١٨٨٦ مثل الحكومة المصرية في مؤتمر المشرقين الذي انعقد في فيينا كما مثل مرة أخرى في هذا المؤتمر نفسه حين اجتمع في استكهلم سنة ١٨٨٩ . ثم رأى أن يزاول التعليم بعد الصحافة فممن سنة ١٨٨٨ مدرسا بمدرسة الألسن فدار العلوم . ثم انتقل إلى التفتيش فكث به إلى أن أحيل على المعاش سنة ١٩١٢ م فعكف على البحث والقراءة حتى وافاه أجله في إبريل من سنة ١٩١٨ م وقد كف بصره .

## أخلاقه وعلمه

كان رحمه الله سليم الصدر ، كريم الخلق ، غيوراً على اللغة ، ولوهاً بالأدب متقرباً بالبحث ، فمرت هذه الصفات إلى أكثر تلاميذه ، فرفعوا شأن اللغة ، وأحيوا موات الأدب . ألف كتاب (المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية) أثناء تدريسه بدار العلوم . ثم كانت له اليد الطولى في تنقيح كتب الدراسة بالمعارف . طالع النظم على طريقة المتقدمين ، والنثر على طريقة المتأخرين ، فكان وسطاً في الحالين ، كما يتضح لك ذلك من هذين النموذجين :

### نموزج من كلام

خير ما أثر عنه من الشعر قصيدة أنشدها في مؤتمر للستشرفين يقول  
في مطلعها :

حمد السرى يا أخى العود والنباب      أنساك وعشاء إغباب وإخباب  
ومنها في الحكم :

ومن يرد نيل مجد وهو في دعة      فقد بنى من صفاة درّ أحلاب  
والمرء في موطن كالدر في صدف      والتبر في معدن والنبع في غاب  
والسيف مثل المصا إن كان مقتداً      وزامر الحى لا يحظى بإطراب  
وأزهد الناس في علم وصاحبه      أدنى الأجابة من أهل وأصحاب  
وكتب إلى السيد عبد الحميد البكرى معذراً :

مولاي : أما الشوق إلى رؤيتك فشديد ، وسل فؤادك عن صديق حميم ،  
وود صميم ، وخلة لا يزيد بها تعاقب المآوين ، وتآلق النيرين ، إلا ونوقاف العرا ،  
وإحكاماً في البنا ، ونماء في الفراس ، وتشبيهاً في اللطائف . ولا يظن سيدي أن  
هدم ازديارى ساحته الشريفة ، واجتلاى طلعتة اللينة ، لتقامس أو تقصير ، فإن  
لى في ذلك معذرة اقتضت التأخير . والسيد أطال الله بقاءه أجدر من قبل معذرة  
صديقه ، وأغضى عن ريث استدعته الضرورة . وبعد فرجائى من مقامكم السامى  
ألا تكون معذرتى هذه عائقاً لكم عن زيارتى ، فكم ينة طوقتمونيها ، ولكم  
فيها فلل البداءة وعلى دوام الشكران والسلام .



## الخطابة والخطباء

ظلت الخطابة في أول هذا العصر على ما كانت عليه في آخر العصر العباسي لا تتعدى الجوامع والبيع ، ولا يقوم بها إلا فئة جاهلة ناقلة . فلما دعا داعي الثورة المراتية ظهرت الخطابة السياسية على السقزعمائها ، وأشهرهم السيد عبد الله نديم والشيخ محمد عبده وأديب إسحق والقاني . ثم مرّن عليها كثير من الوعاظ والأدباء وأقاموا الجوامع الأسبوعية للخطابة في الأخلاق والدين والاجتماع والسياسة ولكن الخطابة لم تجل عنها أعقاب العلة الزمنة إلا في عهد الزعيم الوطني الكبير مصطفى باشا كامل المتوفى سنة ١٩٠٨ م ، فقد كانت له أمضى سلاح في جهاده . وأقوى معين في إيقاظ بلاده . ومنذ قيامه بالدعوة الوطنية، ونهوضه بالحركة الاستقلالية، أخذ شبابنا ولا سيما الحاميين يتدربون عليها حتى نبغ منهم الآن طائفة صالحة . ولعل الشرق لم يشهد في عصر من عصوره خطيباً حافل القريحة ، قوى العارضة ، جهورى الصوت ، قبل المنفور له سعد باشا زغول . وإنا للتوقع للخطابة في عهد نظامنا الدستورى رقباً سريباً ؛ فإن الحرية السياسية ، والمنافسات الحزبية ، والمناقشات البرلمانية ، من أبلغ العوامل أثراً في رقى الخطابة . ولولاها ما كان ديمستين في اليونان ، ولا شيشرون في الرومان ، ولا على في العرب .

عبد الله نديم

المتوفى سنة ١٨٩٦ م

تأته ومبارة

ولد السيد عبد الله بن مصباح بن إبراهيم في الاسكندرية ، ونشأ بها نشأة الأوساط فتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن في الكتاب وهو يومئذ



المدرسة الأولى لأبناء الشعب . ولما أيقظ دخل معهد الاسكندرية في جامع الشيخ فأدرك قسطاً موقوراً من علوم الدين واللسان . وطنى ميوله الأدبي على ميوله الأخرى فحفظ الأشعار وروى الأخبار وعالج النظم والنثر . ثم داخل العلماء وطارح الأدباء حتى شغله ذلك عن المكوف على الدرس . وأعجبه طلب الرزق عن متابعة الطلب في المعهد فأنصرف عنه إلى تعلم فن البرق ( التلغراف ) فتعلمه وتكسب من طريقه حيناً من الدهر في ( تلغرافات الحكومة ) ، ثم فصل عن هذا العمل فتعاطى التجارة في مدينة المنصورة فلم ترح تجارته ولم يسلم رأس ماله ، فعاد إلى الاسكندرية وكان أولو الفضل قد أسسوا في ذلك الحين جمعية إسلامية خيرية لإنشاء المدارس للبنين والبنات فشارك النديم في هذا العمل وتولى نظارة المدرسة الأولى لهذه الجمعية . وأمدته الحكومة بالسكان والمال على الاتكون مقصورة على المسلمين ؛ ثم جعلها الخديو توفيق تحت رعايته . وكانت هذه الجمعية من المحارب السياسية والاجتماعية يجتمع فيها الناس ليلاً ليسمعوا الخطب في مختلف الشؤون من أمثال عبدالله نديم ، وأحمد سمير ، وأديب إسحق ، وإبراهيم اللقاني .

ثم ألف السيد عبدالله رواية تمثيلية عنوانها ( مصر وطالع التوفيق ) مثابها طلاب هذه المدرسة ، كان مغزاها الأسمى على تفهقر مصر وتحكم الأجانب بها . ثم أخذت آراء الأفغانى تهفو بالنفوس ونعصف بالرموس ، فشغل النديم عن الجمعية والمدرسة وأنشأ جريدة ( التنسكيت والتبكيك ) وهي أسبوعية كانت تلبس الجلد ثوب المزل . ثم استبدل بها ( الطائف ) فكانت بوقاً من أبواق الثورة العربية ، وميداناً من ميادين الحركة الوطنية . وكان هو خطيب الثورة الصارم اللسان الجريء الجنان القوى الأثر . ولما خبت نارها وقبض مشعلوها اختفى عبدالله نديم عشر سنين قضاها متنكراً في كل زى ، متنقلاً في كل بلد ، حتى قبض عليه فحبس أياً ما وعفا عنه الخديو على أن يخرج من مصر إلى حيث شاء . فأقام في فلسطين حقبة من الزمن طاد بعدها إلى القاهرة مطلق السراح ، فأنشأ بها مجلة أدبية سماها ( الأستاذ ) انتشرت في مختلف البيئات والجهات انتشاراً عجيباً أقض مضاجع

الحكومة فنفته مرة أخرى من البلاد . فرحل إلى الأستانة ونفق عند السلطان  
فدين مفتشاً للمطبوعات في الباب العالي وظل في منصبه إلى أن قبضه الله إليه .

### أخلاقه ومواهبه

كان السيد عبد الله نديماً خطيباً موهوباً ذليق اللسان ، فصيح العبارة ،  
حاضر البديهة ، سريع النكتة ، شديد التهمك ، عاضه الله من قلة العلم وضيق  
الاطلاع سلامة الطبع في الأدب وسماحة القريحة في الكتابة وفزارة البحر  
في الخطابة . ثم تقلبت به الأحوال السياسية والاجتماعية فاتصلت أسبابه برجال  
الحكم ، وطال اختلاطه بقيادة الشعب ، وكثر اضطرابه في مختلف الأرض .  
وتخالط طبقات الناس فبلا أخلاقهم وسبر أهواءهم . وكان لذلك كله أثر بالغ  
في علمه بمخبات الضمائر ، ومقتضيات الأحوال ، وأخذ بأعنة الكلام بصرفه  
في أي معنى شاء ، حتى قال فيه السيد جمال الدين الأفغاني : « مارأيت طول  
حياتي مثل النديم في توقد الذهن وصفاء القريحة وشدة العارضة ووضوح الدليل  
ووضع الألفاظ وضماً محكماً يازاء معانيها إذا خطب أو كتب » .

### تموزج من كلامه

قال من رسالة له عهد فيها أن يقتبس الفاصلة الثانية من القرآن :

لا حول ولا قوة إلا بالله ، ائتنه المراقب بالله ، واستبدل الخلو بالمر ، وقدم  
الريق على الحر ، وبيع الدر بالخزف والخز بالخشف ، وأظهر كل لثيم كبره ، إن  
في ذلك لعبرة . سمعاً سمعاً ، فالوشاء إن سعوا لا يعقلوا ، ويعجبون أن يحمدا بما  
لم يفعلوا ، فكيف تشترون منهم القار في صفة العنبر ، وقد بلغت البغضاء من  
أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر . عجيب لهم وقد دخلوا دارنا وهم عنها  
معرضون . فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون . وأنت يا عزيز العليا ، ووحيد  
الدنيا ، قد بيئت لك قلوبهم ، فيا رحمة من الله لتعلم . ولكنهم ظلموا في عيم  
طولك ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك .

## مصطفى كامل

١٨٧٤ — ١٩٠٨

نشأته وحياته



ولد زعيم النهضة المصرية  
بموقف الروح الوطنية ، مصطفى  
كامل بالقاهرة سنة ١٨٧٤م في  
بيت اشتهر بكرم الأصل وعفة  
النفس وصحة الدين ، ثم تلقى  
دروسه الابتدائية والثانوية في  
المدارس المصرية ، ثم دخل  
مدرسة الحقوق فنال إجازتها  
وسنة لم تتجاوز التاسعة عشرة.  
وكان في أثناء الطلب قد اشتهر

بين الطلاب والكتاب بقوته في الكتابة وقدرته على الخطابة ، فنشر كثيراً من  
المقالات السياسية في صحيفتي الأهرام وثاويد ، وأصدر مجلة أدبية شهرية سماها  
( مجلة للدراسة ) أشرقت فيها نفسه الكريمة إنشراق النفس الزعيمة ، فهاجت  
على ضوئه طلاب المدارس العليا يؤيدون دعوته ويرددون كلمته ويترنمون خطاه .  
ولما نال شهادة الحقوق لم يتجه إلى العمل في القضاء ولا في المحاماة ، وإنما توجه إلى  
خدمة وطنه من طريق السياحة والصحافة ، فسافر إلى أوروبا سراً يدعو إلى مصر  
بالكتابة في صحفها والخطابة في محافلها . وداخل رجال السياسة في فرنسا وإنجلترا  
يستمد منهم التوجيه والعون ، ومن هؤلاء أمه الروحية السيدة جوليت آدم الفرنسية  
التي يقول لها في بعض رسائله : « إني لا أزال صغيراً ، ولكنني أملا كبيراً .  
أريد أن أوقف في مصر الشبيبة مصر الفتاة . هم يقولون إن وطني لا وجود له ، وأنا

أقول إنه موجود بدليل ما أشعر له في نفسي من الحب الشديد الذي  
سيغلب على كل حب سواه .

ثم أنشأ (اللواء) في ثلاث نسخ : بالعربية والإنجليزية والفرنسية ، فدافع بها  
عن بلاده ، وجاهد في سبيل حريتها حق جهاده ، حتى أدرك ، هو في طرأة  
الشباب زعامة الأمة وثمة العرش ورضا الخلافة وخصومة المحتل . وكان في مقدوره  
إذا شاء أن يستغل هذه القوى العظيمة في سبيل الثراء والحكم ، ولكنه زهد  
في ذلك كله زهادة الحكيم ، فمأث للمبدأ والفكرة ، ومات للتقوية والعبرة . ولما  
بلغ هذا الجهاد المتصل وهذا الجهد للرهن من جسده الفاحل ألف (الحزب الوطني)  
ليحمل عنه الأمانة ويبلغ بعده الرسالة ؛ وإن كان للنية لم تهملة بعد ذلك إلا إماماً  
فاخترته رضى الله عنه وهو دون السابعة والثلاثين من عمره .

### مصطفى كامل الخطيب

كان مصطفى كامل خطيباً طلق البديهة ، رائق المنطق . ندى الصوت ،  
عذب النبرة ، أنيق اللهجة ، لا يتلصك ولا يلحن ولا يتلثم . وكان كاتياً حلو  
اللفظ رقيق الأسلوب ، قوى الروح ، صادق الفكرة ، نبيل الغرض ، وبهذه  
الزوايا الموهوبة والمكسوبة ، استطاع أن يحيى الموات ، ويجمع الشتات ، وينعش  
خمود الشعب بالأمال الطامعة ، ويقارع طغيان المحتل بالحجج الملزمة .

### نموذج من خطبه

قال من خطبة له ألقاها بالإسكندرية في ٢٢ أكتوبر من سنة ١٩٠١ :

بلادى ! بلادى ! لك حبي وفؤادى ، لك حياتى ووجودى ، لك دمي ونفسي !  
لك عقلى واسانى ، لك لبي وجنانى ، فأنت أمت الحياة ، ولا حياة إلا بك يا مصر !  
يقول الجهلاء والفقراء في الإدراك إنى متهور في حبها ! وهل يستطيع مصرى  
ألا يتهور في حب مصر ؟ إنه مهما أحبها ، فلا يبلغ الدرجة التي يدعو إليها  
جمالها وجلالها وتاريخها والعظمة اللائمة بها .

ألا أيها اللاعنون ! انظروها وتأملوها ، وطوفوها ، واقرأوا صحف ماضيها ،  
واسألوا الزائرين لها من أطراف الأرض : هل خلق الله وطناً أعلى مقاماً ،  
وأسمى شأنًا ، وأجمل طبيعة ، وأجل آثاراً ، وأغنى تربة ، وأصفى سماء ،  
وأعذب ماء ، وأدعى للعب والشغف من هذا الوطن العزيز ؟

اسألوا العالم كله بيجكم بصوت واحد : إن مصر جنة الدنيا ، وإن شعبها  
الذي يسكنها ويتوارثها لأكرم الشعوب إذا أعزها ، وأكبرها جنازة عليها وعلى  
نفسه إذا تسامع في حقها ، وسلم أزمته للأجنبي :

إني لو لم أولد مصرياً لوددت أن أكون مصرياً !

سعد زغلول

المتوفى سنة ١٩٢٧ م

نشأته ومبائه



ولد سعد زغلول في ( إبيانة ) من  
أعمال مديرية الغربية وتلقى في كتاب  
القرية مبادئ الثقافة العامة وأوله ما  
حفظ القرآن الكريم ثم أرسله أبوه  
إلى الأزهر فدرس علوم الدين واللغة  
والخط ثم صار له في الجليل والمناظرة  
شهرة . واتصل بالسيد جمال الدين  
الأفغاني حين هبط مصر فلزمه وأخذ  
عنه وتأثر به وكان سعدية طرته محبوباً  
على مناصرة الحق ومجاهدة الباطل  
ومحاربة النقص . عين بعد أن ترك

الأزهر محرراً في الوقائع المصرية مع أستاذه الإمام فكان يكتب في الاستبداد

والشورى والأخلاق ، وينتقد الأحكام التي كانت تصدرها يومئذ (المجالس المملوكة) ثم عين ناظراً لقلم قضايا الجيرة ، وكان حكمه حكم القاضى الجزئى فنزل الحق من عدله وعقله فى حى أمين . ثم أصنى لقضية الحق فى الثورة العرابية ففصل من وظيفته وسجن فى ( الضبطية ) سبعة أشهر . ولما أطلق من سجنه زاول المحاماة ، ولم يكن يشترط فى مزاولتها حينئذ إلا أداء امتحان فى المحكمة فكان أول محام أقرته المحاكم الأهلية فى مصر .

ثم اختير نائب قاض فى محكمة الاستئناف . ويومئذ درس الفرنسية ونال إجازة الحقوق ، فبرع القضاء الأوربيين بالدهن الفواص والدرس المحيط والاستنباط الدقيق والحكم الموفق . وفى سنة ١٩٠٦ م عين ناظراً للمعارف العمومية وكانت العلوم كلها تدرس فى اللغة الإنجليزية فجعلها تدرس فى اللغة العربية ، وكان من ذلك أن ترجمت العلوم وألفت الكتب واتعمشت الثقافة . ثم عين ناظراً (للحقانية) فجد فى إصلاح نظم القضاء وتنقيح مواد القوانين لتلائم العصر وتسد الحاجة . ثم أقيل من الوزارة فانتخبته الأمة نائباً عنها فى ( الجمعية التشريعية ) فكان بحسبه المألوفة وأجوبته للفحمة رهبة الوزراء ودهشة النواب ومتجبه الأئمة .

ولما أعلنت الهدنة فى الحرب العالمية الأولى ووضعت قضية العالم كله على مكاتب النالين فى ( فرساي ) تحركت مصر للمطالبة بحقها فى تقرير مصيرها وولدت عنها وفداً يقدم مطالبها ويحقق رغائبها برئاسة سعد باشا زغلول ، فنفته السلطة العسكرية الإنجليزية فى نفر من صحبه إلى جزيرة مالطة ، فثار الشعب المصرى ثورته المعروفة سنة ١٩١٩ . وكان من آثارها أن أطلق المعتقلون وخلق بينهم وبين مؤتمر الصلح فى باريس .

وفى سنة ١٩٢٠ م دعت الحكومة البريطانية إلى لندن لتفاوضه الرأى فى المطالب المصرية فشخص إليها مع بعض أعضاء الوفد . ولكن للتفاوض لم تسفر عن تحقيق الأمانى القومية فقطعها وعاد إلى مصر فقابلته الأمة بمقابلة الفاتح الظافر . واستأنف

الجهاد على الخطة التي رسمها فأقضى مضاجع الانجليز فخفوه مرة أخرى إلى جزيرة سيشل مع نفر من أصحابه فلبثوا فيها مدة ، ثم قتل هو إلى جبل طارق . وأطلق سراحهم جميعاً بعد ذلك ، فشخص سعد باشا إلى فرنسا من فوره فظل فيها حيناً ثم ارتد إلى مصر . وكانت الحكومة البريطانية قد أعلنت من جانبها نصريح ٢٨ فبراير من سنة ١٩٢٢ بتحتفظاته الأربعة ، فأعلن لللك فؤاد الأول استقلال البلاد وأصدر الدستور في سنة ١٩٢٣ . وأسفر الانتخاب عن فوز الوفد بالكثرة فتولى سعد رئاسة الوزارة في أوائل سنة ١٩٢٤ م ، ثم اعتزلها في السنة نفسها وتولى رئاسة مجلس النواب وظل فيها حتى اختار الله له ما عنده .

#### سُرته في الخطابة

لم ير التاريخ للمصري ، بل الشرق ، قبل سعد خطيباً ، بلبل اللسان ، رفيع الصوت ، حافل البديهة ، دامغ الحجة ، أنيق اللهجة رافع البيان ، حسن السميت ، يزاوج بين المنطق والشعر ، ويعاقب بين الاقتناع والامتناع ، ويراوح بين الجد والمزحل ، ويتصرف في فنون القول تصرف الشاعر برقة الأسلوب ، والفيلسوف بدقة الفكر ، والموسيقى بجمال الإيقاع .

ذلك لأن سعداً كان رجل جلاد وجدل . تمرس منذ الحداثة بشدائد الحياة ومكاره العمل ، وراض نفسه منذ الدراسة على أدب اللسان والقلم ، وتنفس به العمر في ميادين الحق . فتكملت عبقريته اللوهوبة بالمعرفة ، وثققت بالتجربة ، وتقوت بالمرانة ، حتى كان منه ذلك الخطيب المرتجل الذي يهضب<sup>(١)</sup> بالكلام أربع ساعات متواليات ، لا يتلکأ ، ولا يتلجلج ، ولا يتكثر بالانغو ، ولا يستعين بالتكرار ، ولا يطرد نشاط السامع . وكان مع ذلك يخاطب كما يكتب ، ويكتب كما يخاطب ، متوحياً في الأمرين براعة التفكير ، وبلاغة الأداء ، وجمال الأخيلة وابتكار التعابير ، وحمية الأقيسة ، وقوة الأدلة .

(١) فلان يهضب بالفر أو بالمطب : يسج بها سحاً .

## نُفُوجٌ مِنْ شَرِهِ

وجه رَحِمَهُ اللهُ هذا العُدَاءُ إِلَى الأُمَّةِ المِصْرِيَّةِ عَقِبَ عَوْدَتِهِ إِلَى مِصْرٍ فِي صَدْرِ  
سَنَةِ ١٩٢١ م :

رَحِبَتِ الأُمَّةُ بِعَوْدَةِ نَوَابِهَا تَرْحِيبًا فَاقَ كُلَّ تَرْحِيْبٍ ، وَأَعْجَزَ وَصْفَ كُلِّ  
كَاتِبٍ وَخَطِيْبٍ ، فَقَدَ آتَى أَفْرَادَهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِدَافِعٍ مِنْ خِثَامِ الثِّمَرِ النَّدِيدِ ،  
وَبَاعَثَ مِنْ شَعُورِهِمُ الْحَيِّ ، تَرْتَمَشُ أَعْصَابُهُمْ حَمَاسَةً ، وَتَحْقُقُ قُلُوبُهُمْ بِالْوَطَنِيَّةِ  
الصَّادِقَةِ ، اللَّائِقَةِ حَوْلَ مَرْبِ انْتِخَاذِهِمْ رِمَازَ أَمَانِيَّتِهِمْ ، وَعَنْوَانَ مَبَادِئِهِمْ .  
وَأَقْدَرَايَتِ آيَاتِ الْحِكْمَةِ وَالْكَرَامَةِ وَالثَّبَاتِ تَتَجَلَّى فِيهَا اسْتِقْبَالُنَا بِهِ مِنْ مَظَاهِرِ  
الْفَرَحِ الْبَاهِرِ — تِلْكَ الصِّفَاتُ الَّتِي تَضُمِّنُ لِلشُّعُوبِ تَقْلِيمَهَا وَلِلْأُمَمِ سَعَادَتَهَا .  
وَشَعَرَتْ مِنْ قِبَلَاتِ التَّرحِيبِ الَّتِي غَمَرُونَا بِهَا بِحَرَارَةِ قَلْبٍ يَحْقُقُ فِي جِسْمِ  
شَعْبٍ عَظِيمٍ . وَقَدْ اشْتَرَكِ الْأُمَمَاتُ وَالْأَحْيَاءُ فِي أَنْ يَمْلَأُوا عَلَى الْمَجْمُوعِ وَكُلِّ فَرْدٍ  
وَاجِبُهُ نَحْوُ الْوَطَنِ الْعَزِيزِ ، وَأَجْمَعَ الْكُلَّ عَلَى مَطَالِبَتِنَا بِمَوَاصِلَةِ السَّيْرِ فِي الطَّرِيقِ  
الَّذِي سَنَّهُ الْحَقُّ الْقَوِيمُ . وَإِنْ الشَّرَفَ وَالْكَرَامَةَ وَالْإِخْلَاصَ لَوْطَنِنَا الْمُقَدَّسِ لِمَا  
يُوجِبُ عَلَيْنَا طَاعَةَ هَذَا الْأَمْرِ الْكَرِيمِ ، وَالتَّزَامَ هَذَا الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ .

إِنَّا نَشْكُرُ الْبِلَادَ جَمِيعَهَا ، قَرِيبَهَا وَبَعِيدَهَا ، عَلَى حِلَّةِ الثِّقَةِ الَّتِي زَيْنَتْهَا بِهَا ،  
وَنَقَسَمُ بِالْوَطَنِ وَشَعَائِرِهِ الْمُقَدَّسَةِ — وَيُشَارِكُنَا فِي هَذَا الْقَسَمِ الْعَظِيمِ أَصْحَابُنَا  
الْمُخْلِصُونَ فِي جِهَادِهِمْ — إِنَّا لَا تَدْخُرُ شَيْئًا مِنْ وَسْعِنَا لِمُتَحَقِّقِ هَذِهِ الثِّقَةِ الْعَالِيَةِ ،  
وَلَا تَتَحَوَّلُ لِحِظَةٍ وَاحِدَةٍ عَنِ الْغَرَضِ الَّتِي وَضَعْنَاهَا نَصَبَ عِيُونِنَا حَتَّى نَصِلَ إِلَيْهِ .

إِنَّا لَمْ نَعُدْ إِلَّا لِنَقْوَى بِعِزَّتِهِمْ مُوَاطِنَتِنَا الْكَرَامَ عِزَّتِنَا ، وَنَشْدَأُ زُرْنَا بِاتِّحَادِهِمْ  
الْمَتِينِ ، وَنَتَمَتَّعُ بِمِرْآةٍ بَعْدَ طَوَّلِ هَذَا الْغَيْبَةِ ، وَتَأْ كَلِمَةٍ أَنْ الْإِشْتِرَاقَ فِي الْمَفَاوِضَاتِ  
الرَّسْمِيَّةِ الَّتِي دَعَتُنَا الْوِزَارَةُ الْجَدِيدَةُ لَهُ مُتَّفَقٍ مَعَ الْمَبَادِيءِ الَّتِي وَضَعَتْهَا الأُمَّةُ ،



وعاهدناها على احترامها ، ومع الخطوة التي رسمتها وتعهدها بمتابعتها .  
ولا شيء أحب إلى قلوبنا من أن نخدم بلادنا بالاتفاق مع كل هيئة مستعدة لأن  
تسترشد بإرادة الأمة ، وعامة على تحقيق غايتها السامية .

لم يبق علينا إلا أن يسود كل منا إلى عمله ، وقبل على شأنه ، فالتلميذ إلى  
مدرسته ، والفلاح إلى مزرعته ، والصانع إلى مصنعه . والتاجر إلى متجره ،  
والكاتب إلى مكتبه ، والمرأة إلى إدارتها بيتها . وعلى السكل من غنى وفقير  
أن يباشر عمله ، مراقباً أعمالنا ، واضعاً نصب عينيه المقصد الأسمى ، وأن يعتقد  
أنه يزيد بما يعمل في كنوز الوطن كنزاً ، ويضم إلى قواه قوة .

إلى العمل جميعاً ، لترفع منار الوطن ، ونعلی كلمته ، ولتحي مصر !

## الفصل الخامس الشعر

لم ينل الأدب من عناية الأمراء العلويين مانال العلم . فظل الشعر — على قدرته — كما كان في العصر للماضي أسير التقاليد والصنعة . ثم أدركته نفحة من الهبة العامة في عهد الخديو اسماعيل ، فتردد ذكره على ألسنة شعرائه وندمائه ، كالسيد علي أبي النصر<sup>(١)</sup> والشيخ علي البني<sup>(٢)</sup> . وأخذت هذه الحركة تطرد بالإقبال على أمهات كتب الأدب الباقية ، والرجوع إلى منابع الشعر الصافية . وكان البارودي أول من أقام عمود الشعر وجدد دارس القريض ، فترسم خطى الفحول من شعراء العباسيين ، وحاكاه الناشئون من شعراء العصر ، وابتغوا الوسيلة إلى ذلك بحفظ المختار من أشعار الجاهليين والإسلاميين ، فأخصبت القرائح ، وأدركت السلائق ، وصحت الأذواق ، وجرى الشعر جزل اللفظ ، بحكم النسيج ، متين القافية ، مشرق المعاني ، متخففاً من أثقال البديع وأوزار الصنعة . ثم نزع الشعراء إلى الاستقلال والحربة والتجديد بتأثير الحضارة الأوربية ، وتعلم اللغات الأجنبية ، ونشاط الحركة العلمية . وقصدوا إلى اكتناء النفوس وتحليل الأشخاص ، وتعليل الأشياء ، ومناجاة الطبيعة وحادوا أكثرهم عن الأساليب العتيقة كالاستهلال

---

(١) وفد السيد علي أبو النصر في منفوط ، ونبع في عهد اسماعيل ، ونال الخطوة ليريه وعاش على جوائزه ، ورافقه في أسفاره . ثم كانت وفاته سنة ١٨٨٠ م وله ديوان شعر مطبوع بمصر .

(٢) كان الشيخ علي البني لطيف للمعاصرة فسهل المعاصرة ، خفيف الروح ، فقربه الخديو اسماعيل ، وجعله شاعره ومسامره ومسايره . توفي سنة ١٨٩٦ م دون أن يدون شعره في كتاب .

بمقدمة خارجة عن الموضوع في الغزل أو غيره تحتاج إلى تخلص ؛ ونظروا إلى القصيدة كلها كأنها كائن حي تتساعد أجزاؤه على غرض معين ؛ ونقروا من الأغراض القديمة كالمديح والفخر والهجاء والمجون ، لتغير البيئة واختلاف التربة . وجرت ألسنتهم بالمعاني العامة ، كرتاء مجد مقود ، وانتقاد عيب موجود ، وطلب استقلال منشود . ولكن تقدم الشعر في الجملة كان أبطأ من تقدم النثر ، لأن الثقافة العلمية في مصر أسبق من الثقافة الأدبية ، ولأن الشعر لا يزال من ضروب الكمال التي لاتعد في وسائل الكسب ولا تدخل في صميم الحياة .

ومما يملأ النفس أسفاً ودهشة أن شعراء اليوم منوا بالجمود والأذهان ثائرة ، وأصيبوا بالإصغاء وأسباب القول وافرة ؛ فالشعب مضطرم الشعور تأثر الفكر يجاهد في سبيل وجوده وحرية بدنه وماله ، وهم قاعدون تحت الجدر يتشاءمون ويتمطون على دفء الشمس تاركين الجيش من غير موسيقى ! اللهم إلا صدحات من أمير الشعراء شوقي وشاعر النيل حافظ ، يرسلانها الحين بعد الحين فتجلو صدأ الخواطر ، وتحيي موات القلوب . فلما توفي الله في سنة ١٩٣٢ حافظاً وشوقي ، وكان أسماهما علمين على الشعر في العهد الأخير ، تسابقت القرائح الشابة إلى ملء مكانيهما ، فنشط في مصر القريض ، وتجاوبت الأفراخ النواهل بالأغاريد ، وشرقت الصحف والمجلات بفيض هذه القرائح ، ولكن أصواتها الناعمة الرخوة لم تملأ الأسماع ولم تطرد الوحشة . ولاحت في لبنان للمهاجرة مواهب النبوغ ودلائل القيادة ؛ ولكن البعد يبدد الصوت القوي ، والاعتراب يوهن الجهد الجميد . والزمن الذي يمحض الأشياء فينبئ بالهرج الزائف ، ويثبت الحق الصريح ، هو الذي يعرف مكان هذه الجهود ، من عالم النساء أو من عالم الخلود .

## الشعراء

### محمود سامي البارودي

المتوفى — ١٩٠٤ م

#### نشأته ومبانيه

هو ابن حسن بك حسني مدير دقنة وبربر علي عهد محمد علي باشا . ولد بالقاهرة وشيّل في نعمة أبيه . ولم يكد يجهو السابعة حتى فجعه الموت فيه بدقنة فعني بتأديبه بعض أهله : وأدخلوه للدرسة الحربية فتعلم الفنون العسكرية وخرج منها ضابطاً . وكان وهو غرض الحداثة مولماً بحفظ الشعر وإنشاده ، ولا نعلم مصدر هذا الليل فيه . فأخذ نفسه بدرس دواوين الفحول من شعراء العرب حتى شب فصيح اللسان ، مطبوعاً على الإعراب دون علم بالنحو . ثم فاض ما حفظ على لسانه فانطلق برائق الشعر في الأغراض المختلفة . وسافر إلى الأستانة فدرس اللغتين التركية والفارسية ، وتضلع من آدابهما حتى عدّ من شعرائهما . واتصل هناك بالخديو إسماعيل عام ١٢٧٩ هـ ، فألحقه بمحاشيته وعاد به إلى مصر ، فتدرّج في الرتب الحربية حتى مما سنة ١٢٩٤ هـ إلى ( لواء ) . ورحل في أثناء ذلك إلى فرنسا وإنجلترا ، فزاد قوته في أدبه ، وخبرة في فنّه . وكان أحد ضباط الحملة المصرية التي ساعدت الدولة العلية أثناء ثورة البلقان وإقربطش ، فأبلى فيها بلاءً حسناً . فلما عاد إلى مصر نقل إلى المناصب الإدارية فوّلّى مديراً للشرقية ثم رئيساً للضبطية . وفي عهد توفيق تقلد نظارة الأوقاف ووصل إلى رتبة ( فريق ) وتولى نظارة الجهادية قبيل الثورة العراقية . ورأس النظارة بعد شريف باشا ، فما لبث غير قليل حتى تارّقع الثورة واحتطار شرر الفتنة . وأكثر الناس على أن البارودي أول من فتح بابها وتدرّع جلابيها ، ولكن شعره يبرئه من ذلك كما سيحيى .

وسكنت الثورة باحتلال الإنجليز وادى النيل وقُبضَ على مثوى الفضة  
وَحُكِمَ عليهم بالعقوبة إلى جريرة سرنديب (سيلان) وفيهم الشاعر . قلبت في منقاه  
سبعة عشر عاماً وبعض عام تعلم في أمثاتها اللغة الإنجليزية ، ونظم بدائع  
شعره في العربية . ثم وسعته رحمة الخديو عباس الثاني فعفا عنه سنة ١٣٢٧ هـ  
ومنحه التمتع بالحقوق المدنية فلم يمش بعدها إلا خمس سنين قضاها في سكون  
الشيخوخة وادعاً قائماً بين مطالعة الكتب ، ومحادثة الصعب ، ومعالجة  
القريض . وقد كف بصره قبيل موته .

### شعره

إن كان لا يرى القيس فضل في تمهيد الشعر وتقصيده ، ولشار في ترفيقه  
وتجويده ، فللبارودي كل الفضل في إحيائه وتجديده . كان الشعر في عهده  
صورة مشوهة من آثار القرون الأخيرة المظلمة ؛ نظم مرتبك ، ونكلف باد ،  
وصناعة فاشية ، ومعنى سقيم . فجاءه في خاطره وصقله على لسانه ، فجاء منضد  
اللفظ نقي المستشف . تقصص البارودي شعر ابن المعتز وأبي فراس والرضي  
والطبراني وأمثالهم من الفحول ، فارتسم شعرهم على لوح قلبه ، وانتقش في صفحة  
ذهنه ؛ وصادف ذلك منه شعوراً فياضاً وذوقاً سليماً ، فاستخرج من مجموع تلك  
الأساليب أسلوبه الرائق النغم . لذلك نحس وأنت تقرأ قصيدة من نظمة أن  
أرواح أولئك الفحول تحوم حول روحه ، وتحلق فوق أبياته<sup>(١)</sup> .

ما كان البارودي مبتسكراً معان ولا مبتدعاً أساليب ، ولكنه كان رائض  
فواف وصائب قريض . قد كلف بالنعمة ؛ وانصرف إلى الصنعة ، فأثر المعنى  
الضئيل في اللفظ الجزل ، على المعنى البليغ في اللفظ الفث ، وقد أجاد وأبدع  
في الفخر والحاسة والوصف .

(١) إشارة إلى أن البارودي كثيراً ما يقرط على معنى هؤلاء الشعراء . والناظم دون أن  
يعبر لكثرة محفظة .

### مؤلفاته

له كتاب ( مختارات البارودي ) في أربعة أجزاء وهو مجموع ما اختاره  
الثلاثين شاعراً من شعراء العصر العباسي في أغراض مختلفة . وقد نهج في اختياره  
طريقته في نظمه ، فأثر حسن اللفظ والمعنى ، وحسن اللفظ ، على حسن المعنى  
وقبح المعنى . وله ( ديوان شعر ) في جزأين قد طبع في مصر .

### نموذج من شعره

قال في الحماسة والفخر :

ولا معقلٌ إلا للناصلِ والجُردُ	ونقع كلَّج البحر خضت غماره
وينقل طوراً في العجاج فيسودُ	صبرت له والموت يحمر تارَةً
وما كنت إلا السيف فارقهُ الغمد	فما كنت إلا الليث أنهضه العلوى
ضروب وقلبُ القرن في صدره يعدو	صؤول وللأبطال خمسُ من الونى
ولا لبةٌ إلا وسينى لها عقد	فما مهبجة إلا ورعى ضميرُها

وقال يرثى زوجته :

تقوى على ردِّ الحبيب الغادى	لا لومنى تدحُ الفؤاد ولا يدي
كانت خلاصة عدنى وعتادى ؟	يادهرُ فيمَ لجفتى بحليسة
أفلا رحمت من الأمى أولادى ؟	إن كنت لم ترحم ضناى لبمدا
رغى التجلُّد وهو غيرُ جاد	ومن البلية أن يسامَ أخو الأمى
أسفاً لبمداك أو يلين مهادى	هيهات بمداك أن تقر جوانحى
والدمع فيك مُلازم لوسادى	ولمى عليك مُصاحب لمسيرتى
وإذا أويتُ فانتِ آخرُ زادى	فإذا انتبعتِ فانتِ أولُ ذِكرتى

وقال من قصيدة أخرى يتشوق :

ردوا على الصبي من عصرى الخالى

هل يعود سوادُ اللمة البالى !

من يدري من بات مسروراً بلفظه  
يا غاضبين علينا هل إلى عِدَّة  
غبتم فأظلم يومى بعد فُرقتكم  
فاليوم لا رَسفى طوعُ القياد ولا  
أبيتُ منفرداً في رأس شاهقة  
أتى بنار الأسي من هجره صالى  
بالوصل يوم أناغى فيه أقبالى ؟  
وساء صنعُ الليالى بعد إجمالى  
قلبي إلى زهرة الدنيا بميالى  
مثل القطنى فوق للرِّبأ العالى

وقال يخاطب موجبى الثورة العرابية :

نصحت قومي: قلت الحرب مفاجئة  
نخالفوني وشبسوها مكابرة  
تأتى الأمور على مالميس في خلد  
حتى إذا لم يعد في الأمر منزعة  
أجبت إذ هضوا باسمي ومن شيمى  
وربما تاج أمر غير مظلوت  
وكان أولى بقومي لو أطاعوني  
ويخطئ الظن في بعض الأحايين  
وأصبح الشر أمراً غير مكنون  
صدق الولاء وتحقيق الأثانين

وقال من قصيدة بعد عودته من المنفى ، و سروره بقصر الجزيرة فتذكر

عهد إسماعيل :

هل بالحى عن سرير الملك من يزع  
هذى الجزيرة فانظر هل ترى أحداً  
أضحت خلاء وكانت قبل منزلة  
فلا عجيب يرد القول عن نبأ  
هبات قد ذهب للقبوع والتبع  
يتأى به الخوف أو يدنوبه الطمع  
للملك منها لو فد العز مرتبع  
ولا سميع إذا ناديت يستمع

ومنها :

زالوا فما بكى الدنيا لفرقتهم  
والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر  
لو كان للمرء فكر في هواقبه  
ولا تعطلت الأعياد والجمع  
ولأنما صفوه بين الوردى لمع  
ما شاب أخلاقه حرص ولا طمع

## إسماعيل صبرى

١٨٥٤ — ١٩٢٣ هـ

### نشأته وعمله

وُلد هذا الشاعر الفنان ودرّج على ضفاف النيل ، وشب في عهد إسماعيل  
عهد الحضارة والعمارة والآداب ، فدخل المدارس النظامية الحديثة ، وتنقل في مدارجها  
من ( للبتدان ) إلى ( التجهيزية ) إلى ( مدرسة الإدارة ) حتى شارق الثامنة  
عشرة من عمره . وكانت بواكير النهضة الأدبية قد بدأت في ( روضة المدارس )  
وهي مجلة لطلاب ينشئها صفوة الكتاب في ذلك العهد كرفاعة بك ، والشيخ  
حسين المرصفي أستاذ البارودي ، وعبد الله فكرى ، وصالح مجدى ؛ وكانت  
تصدر مرتين في الشهر حافلة بمختلف الموضوعات والمنتخبات من نثر ونظم ،  
فكان صبرى يديم النظر فيها ، ويحاول الاقتباس منها والاقتداء بها ، وله من ذات  
نفسه ملكة قوية تدفعه ، وقرينة سخية ترفده ، وذوق سليم يرشده ، فنظم  
بعض القصائد تهنئة للتخديو نشرها في هذه المجلة وعمره إذ ذاك ستة عشر عاماً .  
ثم رحل إلى فرنسا مع البعثة المصرية يستكمل حفظه من العلوم في جامعة « إكس »  
فنال منها إجازة الحقوق سنة ١٨٧٨ م ، لا بس أثناء ذلك الحضارة الأوربية ،  
وتذوق الآداب الفرنسية ، وصادفت مواهبه الفريزية هناك رباً من الجمال والعلم والفن  
فازدادت نمواً وخصباً . فلما رجع إلى مصر انسلق في طريق القضاء فقطع مراحل  
واحدة فواحدة حتى أشرف منه على الغاية . فخرج إلى الإدارة فتولى محافظة  
الاسكندرية ثم نقل منها إلى وكالة الحفانية فشغلها حيناً من الدهر ، ثم نهض يده  
جملة من خدمة الحكومة سنة ١٩٠٧ م لبلوغه سن التقاعد . ولزم داره يدارس  
أصحابه الأدب ويساجلهم القريض ، ويرسل عواطف قلبه وخواطر فكره  
أنثاماً موقعة على قيثارة شعره . وكانت داره منتدى للشعراء ومثابة للأدباء ،



يفدون إليها لئلا ينشدونه أشعارهم فينقلدها هذا الصيرف، ويهذبهم هذيب المعلم، حتى نعتوه بالأستاذية، وأقروا له بالأولية. وظل على هذه الحال إلى أن مضى بداء القلب، فغالبه بضع سنين ثم صرعه سنة ١٩٢٣ وهو في التاسعة والستين من عمره.

### شعره

عهدنا بالشعراء الوجدانيين ينبغون في زهرة الشباب وريبع العمر حين تكون المواقف مشبوبة، والشاعر مضطربة، والآمال موفورة، والحياة منضورة؛ ولكن صبرى وهو شاعر وجداني محض لم ينبغ إلا وهو آخذ بمحقق الأربعين. فلم تتدفق قريحته في صباه كالبارودي، وإنما حفلت على مرور الزمان وطول المراتة وإدمان النظر. لم يكن شعره في الشباب إلا تقليداً لم يحكم، وتفكيراً لم ينضج، ومحاولة لم تتم. ولكن الله قد رزقه أذناً موسيقية وذوقاً سليماً<sup>(١)</sup> وطبيعة ناقدة، فصاغه من الألفاظ المتخيرة. والمعاني المبشكرة، وسار وراء البعثرى ينشد الحب والموت والجمال والصدافة، ويهزج بتلك المقطوعات الغنائية التي شفت عن روحه، وكشفت عن طبعه، وأحلت من أنداده محل الزعيم. كان صبرى كما قال مطران أكثر ما ينظم لحظة تخطر على باله من مثل حادثة يشهدها، أو خبر ذي بال يسمعه، أو كتاب يطالعه. وكان شديد النقد لشعره، كثير التبديل والتحويل فيه، حتى إذا استقام على ما يريد ذوقه السليم من رقة اللفظ وفصاحة الأسلوب أهمله ثم نسيه. وكان ينظم المعنى الذي يعرض له في بيتين عادة إلى أربعة إلى ستة. وقلما يزيد على هذا القدر إلا حيث يقصد قصيدته وهو نادر.

(١) قال الأستاذ الراجحي في مجلة اللغات: لم يكن في مصر من يحسن ذوق البيان ويميز أقدار الألفاظ بعضها من بعض وألوان دلالتها كالبارودي وصبرى وإبراهيم اللولبى والشيخ محمد عبد رحيم الله جيداً، فالبارودي يذوق بالسليقة، وصبرى بالمطقة واللؤلؤى بالظرف والهيبة بالبصرة النفاذة. وذلك شيء ركب الله في طبيعة صبرى ولم يحصله بالدرس أكثر مما حصله بالحس، ومن أجله كان يفضل البعثرى على غيره.

### غزوة مدهش

قال في الغزل ويقال إنه في الآتية (م).

يا لواء الحسن ، أحزاب الهوى      أبقتوا الفتنة في ظل اللواء  
فرقتهم في الهوى ثاراتهم      فاجسى الأمر وصوتى الأبرياء  
إن هذا الحسن كالماء القى      فيه للأنفاس رى وشفاء  
لا تنودي بعضنا عن ورده      دون بعض ، واعدلى بين الظماء  
أنت يم الحسن فيه ازدهت      سفن الآمال يزجيها الرجاء  
يقذف الشوق بها في مأج      بين بلين : عناء وشقاء  
شدة تمضى وتأتى شدة      تقتضيها شدة ، هل من رجاء  
ساعى آمال أنضياء الهوى      بقبول من سجاياك رخاء  
وتجمل واجمل قوم الهوى      تحت عرش الشمس بالحكم سواء  
أقبل نسـتقبل الدنيا وما      ضمنت من معدات الهناء  
واسفري ، تلك حلى ما خلقت      لتواري بلثام أو خباء  
واخطري بين الندامى يحلفوا      أن روضاً راح في النادى وجاء  
وانطقى ، ينثر إذا حدثنا      نثر الدر على ما نشاء  
وابسى ، من كان هذا نثره      يملأ الدنيا ابتسامة وازدهاء  
لا تخافى شططا من انفس      تشر العصبوة فيها بالحياء  
راحت النخوة من أخلاقنا      وارتضى آدابنا صدق الولاء  
فلو امتسدت أمانينا إلى      ملك ما كدرت ذاك العفاء  
أنت روحانية ، لا تدعى      أن هذا الشكل من طين وماء  
وازعى عن جسمك الثوب بين      للملا نكوين سكان السماء  
وأرى الدنيا جناحى ملك      خلف تمثال مصوغ من ضياء  
وقال في ساعة الوداع :

أترى أنت خاذل ساعة التو      دمع ياتلب في غد أم نصيري  
ويك ! قل لي متى أراك بجدي      راضياً عن مكانك المهجور  
ساعة البين قطعة أنت قدّدت      للحبين من عذاب السعير  
لأتميني ، دوحى الفداء لما حيّك غداً من صحيفة المقدور  
وقال :

أقصر فؤادي فا الذكرى بنافعة      ولا بشافعة في رد ما كانا  
سلا الفؤاد الذي شاعلته زمناً      حل الصباة فأنفق وحدك الآننا  
وقال :

تمسى تذكرنا الشباب وعهده      هيفاء مرهقة القوام فتذكر  
تثب القلوب إلى الرموس إذا بدت      وتطل من حلق الدهون وتنظر  
وقال في الصداقة :

إذا خالني خيل قديم وعفى      وفوقت يوماً في مقاتله سهمي  
تعرض طيف الود بيني وبينه      فكسر سهمي فاشتيت ولم أرم  
وقال :

ياموت خذ ما أبتت الـ      أيام والساعات مني  
بينى وبينك خطوة      إن تخطها فرجت عني  
وقال بتأجي الله :

يارب أين ترى تقام جهنم      للظالمين فسداً وللأشرار  
لم يبق عفوك في السموات العلى      والأرض شبراً خالياً للنار  
يارب أهلى لفضلك واكفى      شطط العقول وفتنة الأفكار  
ومر الوجود يشف عنك لكي أرى      غضب اللطيف ورحمة الجبار  
يا عالم الأسرار حسبي محنة      على بأنك عالم الأسرار  
أخلق برحمتك التي تسع الوردى      ألا تضيق بأعظم الأوزار

## أحمد شوقي

للتوفى سنة ١٩٣٢ م

تأثر ومبانيه



ولد أحمد شوقي بن أحمد شوقي  
بالقاهرة ونشأ بها . أما أصله فقد  
سمع أباه « يرده إلى الأكراد بالعرب  
ويقول إن والده قدم هذه الديار يافعا  
يحمل وصاة من أحمد باشا الجزائر إلى  
والى مصر محمد على باشا فأدخله في  
معيته ، وظل يتقلب في المناصب السامية  
حتى أقامه سيد باشا أميناً للجمارك  
المصرية<sup>(١)</sup> .

ولقد كان أبوه متلافاً فأهلك  
ماورث عن أبيه فكفله في اللهد

جده لأمه وكانت إحدى وصائف القصر في عهد إسماعيل . ولما بلغ الرابعة  
من عمره ، أدخل في مكتب الشيخ صالح في حي الخنفى . ثم تلقى بعد ذلك  
دروسه الابتدائية والثانوية وتقدم إلى مدرسة الحقوق في سن باكورة فقضى  
بها عامين . ثم عدل إلى قسم الترجمة الذى أنشئ فيها فقضى به عامين آخرين  
نال بعدها شهادتها النهائية . ثم ضمه الخديو توفيق إلى معيته وأشخصه إلى فرنسا  
على نفقته ليدرس الحقوق والآداب فدرس عامين في (مبيليه) وعامين في باريس .  
ثم عاد إلى منصبه في المعية الخديوية . وظل يتدرج في المناصب حتى تولى رئاسة

(١) مقبرة الطبعة الأولى لبيروت (الطبعات) .

القلم الأفرنجي في عهد الخديو عباس الثاني . وفق لدى هذا الأمير حتى كانت شفاعته عند ذوى الحكم لآرد وإشارته لآتخالف . ولما شبت الحرب العالمية الأولى خلعت انجلترا بقوة الاحتلال الخديو عن عرش مصر . ورأى أولو الأمر يومئذ أن ينادر شوقى البلاد ، فاختار برشلونة من أعمال أسبانيا مقراً له ولأسرته ولم يعد إلى مصر إلا بعد أن عاد السلام إلى العالم . ولكن صلته الوثيقة بالنظام القديم ، ومدائمه المروية في الخديو المنفى ، مازالت توهى بينه وبين القصر أسباب الثقة والتقريب . فانصرف الشاعر بإلهامه وأنغامه إلى الشعب ، بذود عن حوضه ، ويهتف بمجده ، ويمرب عن شعوره ، وينقل عن طبعه ، ويتغنى بمجاده ، حتى حدث له مصر والعرب هذه اليد ، فأقاموا له في دار الأبرار الملكية مهرجاناً عاماً تكريمه اشترك فيه رجالات مصر وأقطاب الدول العربية برعاية صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول . ولم يزل شوقى مهبط الوحي والإلهام ، وموضع الإكبار والإكرام ، حتى انتقل إلى جوار الله في سنة ١٩٣٤ ، فأقامت له وزارة المعارف وطائفة من أعيان الفضل والأدب ، حفلة تأبين بدار الأبرار الملكية دعت إليها أقطاب العلم والأدب في الأقطار العربية ورعاها الملك بنائب عنه .

### شوقى الشاعر

يكاد النقاد يجمعون على أن شوقى كان تمويضاً عادلاً عن عشرة قرون نخلت من تاريخ العرب بعد اللتنى لم يظهر فيها شاعر موهوب يصل ما انقطع من وحي الشعر ، ويجدد ما اندرس من نهج الأدب . كان شوقى ينقل شعره عن طبع دقيق ، وحس صادق ، وذوق سليم ، وروح قوى ، فيأتى به مطرد السلك بحكم السبك لا يشوبه ضعف ولا لغو ولا تجوز ولا قلق . وهو كاللتنى في أنه تصرف بين الناس فلا بس أوليائهم ، وخالط دماءهم ، حتى عرف كيف يصف طبائعهم ، ويصور منازعهم . وهو مثله في إرسال البيت النادر ، والمثل السائر ، والحكمة العالية ، مستخلصاً ذلك مما

يسوق من معاني للدح أو الوصف أو الرثاء ، دون أن يتوخاه أو يقصد إليه — وهو كذلك مثله في أن يته بفيض بالمعنى البعيد للبكر فيضاً ينفرد فيه الدهن أحياناً ، فلا يصل إلى قاع ، ولا يرسى إلى ساحل . أما معانيه فكثيرها مخلوق وقليلها مطروق . وأما ألقاظه فأعماط من القول تختلف مادة وصنعاً باختلاف المواقف ، وأكثرها عليه روتق طبعه ، وسمه ظرفه ، وعذوبة روحه . وقد يهني طبعه أحياناً فيرسل شعره كما يحى فيأتى بما لا يتفق مع فضله .

وشوقى محافظ في دينه ولفته وفنه ، يكثر التردد لأسماء الأنبياء والخلقاء والكتب المنزلة ، والأماكن المقدسة ، ويؤثر التسج على متوال الفحول من شعراء بني العباس ، والنظم في البحور الطويلة . وقلماً ينظم في الأوزان المستحدثة أو يتوع القافية في القصيدة . على أن هذه المحافظة لم تمنعه من تشكيل قصص الشعر العربي ، فقد ظل شعرنا إلى عهد غنائياً ( lyrique ) يستمدده الشاعر من طبعه ، وينقله عن قلبه ، حتى جاء هو فنظم ما يشبه الشعر القصصى ( Epique ) في طول النفس ووطنية الموضوع وعمومية الحادث ، كأرجوزته ( دول العرب ) وقصيدته في ( وادى النيل ) .

ثم طالع الشعر التمثيلى ، فنظم رواياته المعروفة : مصرع كليوبطرة ، ومجنون أيلى ، وقهيز ، وهلى الكبير ، وعنترة ، والست هدى ، فكان بهذا التجديد الشاعر العربى الكامل . وقد جمع شعره في ديوان يقع في أربعة أجزاء . وله غيره في الشعر كتاب ( عطاء الإسلام ) وجملة من القصائد للأطفال والأغاني . ولشوقى نثر مسجوع لا يختلف عن الشعر إلا في الوزن ، جمع طائفة كبيرة منه في كتاب سماه ( أسواق الذهب ) . وله من النثر الرسائل قصص منها . لاياس ، وورقة الآس ، ومذكرات بقاءور ، وأميرة الأندلس :

### نموذج من شعره

قال من قصيدة يصف فيها دمشق :

آمنت بالله واستنيت جتته      دمشق روح وجنات وريحان

قال الرقاق وقد هبت خمائلها  
جري وصفق يلقانا بها (بردى)  
دخلتها وحواشيها زمردة  
والخور في (دمر) أوحول (هائتها)  
و (ريوة) الواد في جلباب راقصة  
والطير تصدح من خلف العيون بها  
وأقبلت بالنبات الأرض مختلفاً  
وقد صنى (بردى) للريح قابضت  
ثم انثقت لم يزل عنها الهلال ولا

الأرض دار ، لها (الفيحاء) بستان  
كما تلقاك دون الخلد رضوان  
والشمس فوق لجين الماء عقيان  
حور كواشف عن ساق وولدان  
الساق كاسية والنحر عريان  
والعيون كما للطير الحان  
أفواه فهو أصباغ وألوان  
لنى ستور حواشيهن أفنان  
جفت من الماء أذبال وأردان

وقال يصف رحلته إلى الأندلس من قصيدة طويلة :

اختلاف النهار والليل ينسى  
وصفا لي ملاوة من شباب  
عصفت كالصبا اللعوب وصرت  
وسلامصر : هل سلا القلب عنها  
كلما صرت الليالى عليه  
مستطار إذا البواخر رنت  
أحرام على بلانه الله  
ومنها :

اذكرا لي الصبا وأيام أنسى  
صورت من تصورات ومس  
سنة حلاوة ولنة خاس  
أو أما جرحه الزمان لاؤسى  
رق والهد في الليالى تنسى  
أول الليل أو عوت بعد جرس  
ح حلال للطير من كل جنس

كل دار أحق بالأهل إلا  
في خبيث من المذاهب رجس  
ومنها :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه  
شهد الله لم يغب عن جفونى  
تازعتنى إليه في الخلد نفسى  
شخصه ساعة ولم يحل حسى

## محمد حافظ إبراهيم

١٨٧٠ — ١٩٣٢ م

### شأته وميانه

ولد محمد حافظ إبراهيم في ديروط من أعمال مديرية أسيوط حوالى سنة ١٨٧٠ إذ كان أبوه إبراهيم فحشى من المهندسين المشرفين على بناء قناطرها. ولما كان عمره سنتين توفي أبوه فقيراً في ديروط فانتقلت به أمه إلى القاهرة فكفله خاله وأدخله ( المدرسة الخيرية ) فمدرسة المبتدئان فالمدرسة الخديوية . ثم انتقل خاله إلى طنطا فنقله معه ؛ فقفى فيها بضع سنين متبطلا يزجى فراغه بالقراءة ، ويدفع ملاله بالقرىض .

ولم يستطع خاله لسبب ما أن يخلو عنه غمة اليأس وذلة اليتيم ، فكان لا يفتأ متبرماً بالعيش ، متأنفاً بالناس ، متجنباً على القدر ، لا ينشئ الشعر إلا في ذاك . ثم دفعته الحاجة إلى مكاتب المحامين فتبلغ بالعمل فيها حيناً ، حتى أسففته القرص فدخل المدرسة الحربية ، وخرج منها ضابطاً بالجيش . ثم نقل إلى الشرطة ، ثم أعيد إلى الجيش ، وأشخص إلى السودان في الحملة المصرية بقيادة كتشنرفى هناك زمناً كان لا يفتك فيه متبرماً متمرداً ، طلع في العودة إلى مصر . فلما أخفق مسماه ثار مع فئة من الضباط سنة ١٨٩٩ ، فحوكم وأحيل إلى الاستيداع ، ومنه إلى المعاش .

عاد حافظ كما كان يضطرب فى الحياة المبهمه ، لا يستريح لعمل ، ولا يستقر على أمر ، ولا يتشوف إلى غاية ، وإنما يضطرب نهاره من قهوة إلى قهوة ، ويتقلب ليله من مجلس إلى مجلس ، وينفى إلى ظل الإمام محمد عبده فينتفع بجماعه ويمش على رقبته ، وينشئ مع ذلك أبهاء النعمة ، يأسر أهلها بعذب حديثه ، وينادهم برقيق شعره . وفى سنة ١٩١١ عينه أحمد حشمت باشا وزير المعارف



يومئذ رئيساً للقسم الأدبي بدار الكتب المصرية ، ثم وكيلالدار ، وظل في هذا المنصب حتى خرج إلى التقاعد في صدر سنة ١٩٣٢ وتوفي صيف السنة نفسها .

### حافظ المؤرخ

عاش حافظ بحكم طقوله الشاردة للهمة عيش الكسل والتبطل ، لا يميل إلى علم ، ولا ينشط إلى عمل ، كدأب الناس قديماً من أضراب مسلم بن الوليد ، وأبي نواس ، ممن عاشوا صنائع الملوك ، وحائل على الجوائز ، ووسائل للهو . كان مهدها الأدبي مبدأ اليوم ، كما كانت حياته للادية حياة الساعة . رأى الآمال تنهافت حيناً من الدهر على أريكة الخديوية في مصر وعرش الخلافة في الآستانة ، فخرى لسانه بالشمر للطبوع ، في مدح عباس ، وتمجيد عبدالحميد . ثم اتصل بالإمام محمد عبده وشيعته من سراة البلاد ، وشيوخ الأمة ، ولهم يومئذ في الإنجليز رجاء موصول وظن حسن ، فصدرت عنه في هذه الفترة قصائد في رثاء للاسكة فكتوريا ، وتنويع الملك إدوارد السابع ، ووداع اللورد كرومر ، عبر بها عن الرأي الأرستقراطي في ذلك الحين . ثم خلص للشعب . فلابس دهماء ، وخالط زعماءه ، واندفع بقوة الوطنية الدافقة الشاب إلى لواء مصطفى كامل فزج شكواه بشكوى البلاد ، وضرب على أوتار القلوب أناشيد الجهاد ، ونظم أماني الشباب من حبات قلبه ، وترجم أحاديث النفوس ببيان شعره .

عكف منذ شب على دواوين الشعر ، وأجزاء ( الأغاني ) ينتحلها ويمثلها ويمارود النظر فيها ، حتى بلغ من مختار الرواية ومصطفى الكلام ما لا غاية بعده . ثم قنع من فروع الثقافة الأخرى بنصف من المسائل الأولية ينقلها عن السماع وبأخذها من الصحف إذا ظن أنها تدخل بوجه من الوجوه فيما يعنيه من ابتكار الأسرار وصوغ القريض .

### حافظ الشاعر

صياغة حافظ هي موهبته الأولى ومزيته الظاهرة . وهو في ذلك ثاني الخمسة<sup>(١)</sup> الذين تيقظت على دعوتهم نهضة الشعر ، وتجددت على صنعتهم بلاغة القصيد . ولعله انفرّد عن هؤلاء جميعاً بالصدق في تعبيره عن هموم قلبه ، وتفسيره لأمانى شعبه ، وتصويره لمساوى عصره . أما الروح والموضوع فأصداء منبعثة من الماضي في فردياته ، وآراء مقتبسة من الحاضر في اجتماعياته . كان إذا تهيئ للشعر عهد إلى الآراء التي تختلج حينئذ في النفوس ، وتستفيض في الجماع ، وتتردد في الصحف ، فيجسمها في بابه ، ويديرها في خاطره ، ثم يكون همه بعد ذلك أن يصوغها فيحسن الصوغ ، ويسبكها فيجيد السبك ، وتقرأ بعد ذلك أو تسمع فإذا نطق مطرد وأسلوب سائغ ، وشيء كأنك سمعته من قبل ولكن عليه طابع حافظ ووصفه<sup>(٢)</sup>

### نموذج منه شعره

قال على لسان اللغة العربية تنمى حظها بين أهلها .

رجعت لنفسي فأنهت حصاني	وناديت قومي فاحسبت حياتي
رموني بقم في الشباب ولينني	حققت فلم أجزع لقول عدائي
ولدت ولما لم أجعد لمرائسي	رجالاً وأكفاه وأدت بنيائي
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية	وما ضقت عن آي به وعظماي
فكيف أضيق اليوم عن وصف آفة	وتنسيق أسماء لاختراعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن	فهل ساءلوا القواص عن صدقائي
فيا وبحكم أبل وتبلى محاسني	ومنكم وإن عز السواء أسائي

(١) البارودي ومبري وشوق وحافظ ومطران .

(٢) راجع ما كتبه عنه في الرسالة الجزء الأول وفي أصول الأدب ( شوق وحافظ )

فلا تكافوني قزمان فإنني      أخاف عليكم أن تحين وفائي  
أرى لرجال الغرب عزاً ومنعةً      وكم عزّ أقوام بزّ لغات  
أتوا أهلهم بالمعجزات تقناً      فياليتكم تأتون بالكلمات  
ومن خرياته :

أوشك الديك أن يصيح ونفسى      بين هم وبين ظن وحس  
يا غلام ! المدام والكاس والطا      س وهيء لنا مكاناً كأس  
أطلق الشمس من غياهب هذا الـ      لمن وأملأ من ذلك النور كأسى  
وأذن الصبح أن يلوح لمعى      من سناها ، فذاك وقت التحسى  
وادم قدمان خلوتى وأثناسى      وتمجل واسبل ستور الدمقس  
واسقنا يا غلام حتى ترانا      لا نطق الكلام إلا همس  
خمره قيل إنهم عصروها      من خلود الملاح في يوم عرس  
وقال من قصيدة ( غادة اليابان ) :

لا تلم كفى إذا السيف نيا      صح منى العزم والدمر أبى  
رب سام مبصر في سعيه      أخطأ التوفيق فيما طلبها  
مرحباً بالخطب يبلونى إذا      كانت العلياء فيه السبا  
عقنى الدهر ولولا أنى      أوتر الحسى عقت الأدبا  
إيه يا دنيا اعبسى أو فابسى      لا أرى بركك إلا خلب  
أنا لولا أن لى من أبقى      خاذلاً ما بت أشكو التوبا  
أمة قد فت في سامدها      بنفضها الأهل وحب الغربا  
تسحق الألقاب في غير المسا      وتفدى بالنفوس الرتبـ  
وهى والأحداث تستهدفها      تسحق اللهو وتهوى الطربا  
لا تبالى لمب القوم بها      أم بها صرف الليالى لبـ

## جميل صدق الزهاوى

١٨٦٣ — ١٩٣٦ م

### نشأته وحياته

ولد جميل صدق الزهاوى فى يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر يونيو سنة ١٨٦٣ م ببغداد لأبوين كرديين كريمين ، ثم نشأ فى أسرة تميزت بالدين والفقه والأدب . فقد كان أبوه محمد فيضى الزهاوى مفتياً لدار السلام وأخوه فقيهاً من فقهاءها . وكان أخوه - كما حدثنى جميل - لا يتذوق الأدب ، فكان يذوده عن رواية الشعر ، ويصد عنه دراسة اللغة ، ويبنى عناده هو ، وتسامح أبيه ، إلا أن يدينم النظر فى الأدب ، ويروض القرينة على القريض . كان هم أخيه وأمل أبيه أن يستقيم على عمود أسرته فيكون صاحب قضاء وفقه ، ولكنه استقام على محتوم طريقته فكان صاحب شعر وفلسفة . وكان العراق أيام الزهاوى تركى السلطان سنى الحكومة ، فالتعليم الذى فيه كان تابعاً فى لغته وطريقته وغايته لسياسة الأجنبي وهواه ؛ فلم يخرج إلا رجال جيش أو رجال إدارة . أما التعليم الدينى فظل فى صحون الجوامع ، عربى اللسان ، حر النزعة ، طليق الفكر ، فتتقف الزهاوى بهذه الثقافة . تنفست على أعصابه الشاعرة أمواج العروبة ترسلها على بغداد البوادي الملهمة . ثم نزع عرق المم والخال من الكردية لجاهد وجمال وغامر . ثم ابتلى وهو فى الخامسة والمشرين من عمره بداء فى النخاع الشوكى لازمه بقية حياته . ورمى بذلك بالشلل فى رجله فبرم واكتأب وتشام . ثم منى فى عصره بفساد السلطان ، واستعلاء الجهل ، وانحلال الخلق ، فدفعته هذه العوامل كلها إلى مواقف المصلحين من الإنذار والنصيحة .

لم يخلد الزهاوى إلى التباطل كأكثر أهل الشعر ، وإنما غامر فى خطير الأمور ، فعين فى بغداد عضواً فى مجلس المعارف ، ثم مديراً لمطبعة الحكومة ، ثم محرراً بالجريدة

الرسمية ، ثم انتخب عضواً في محكمة الاستئناف . ودعا الخليفة حين نبه ذكره إلى الاستانة فترك فيها لسان النقد وأقصر بها ضاجع التجسس ، فانتفض أمره وساء مقامه . ولما أعلن الدستور العثماني عين رئيساً لقسم الفلسفة الإسلامية في ( المكتب لللكي ) ثم مدرساً للآداب العربية في ( دار الفنون ) ، ثم عاد إلى بغداد فعين أستاذاً للشريعة في مدرسة الحقوق . ثم انتخب نائباً عن العراق في ( مجلس المبعوثان ) ، وهو في خلال ذلك كله لا يفتر ليله عن الشعر والقراءة ، ولا بكل نهاره عن الحديث والكتابة . - حتى غاب الترك في الحرب العالمية الأولى وقام عرش فيصل في العراق فكان الشأن لأصحاب الجيش وأقطاب السياسة أما الزهاوي وأمثاله من رجال الفكر والشعر فأتخذوا طريقهم على الهامش ، اللهم إلا زمناً يسيراً عيى فيه لذلك فيصل الأول عضواً بمجلس الأعيان العراقي ، ثم تخلى عنه لجرأة شعره وصراحة رأيه ، فكان لا يفتك شاكياً ذلك الحرمان متعاملاً على نفسه مع انسراق القوى واستحكام المال ، حتى توفاه الله ببغداد في أوائل فبراير من عام ١٩٣٦ .

### الزهاوي العالم

كان الزهاوي في صدر شبابه ينظر في العلوم الطبيعية والفلسفة ، ووسيلته إلى ذلك ما ترجم من المقالات في الكتب والمجلات ، لأنه لم يعرف من اللغات إلا العربية والفارسية والتركية والكردية ، وكأها لا تصل فكر الإنسان بالثقافة الحديثة . ومع ذلك استبطن دخائل هذه العلوم بمقله النافذ حتى ألف كتاب ( الكائنات ) في الفلسفة ، وكتاب ( الجاذبية وتعليلها ) في الطبيعة ذهب فيهما مذهباً خاصاً خالف به أقطاب العلم وجها ذة النظر كقوله : إن علة الجاذبية ليست جذب للماد للمادة ، وإنما هي دفعها لإياها بسبب ما تشعه من الالكترونات وسواء أنهض دليلاً أم دحض فإنه يدل على النظر الثاقب والفكر المستقل .

### الزهاوى الشاعر

الزهاوى شاعر من شعراء الفكرة ، له البصيرة النافذة ، والفطنة النافذة ، وليس له الأذن التى تموسق ، ولا القرعجة التى تصنع . فاللفظ قد لا يختار ، والوزن قد لا يتسق ، والأسلوب قد لا ينسجم ، ولكن الفكرة الحية الجريئة تخرج بين الأبيات المتخاذلة مخرج الأمواج المزبدة بين الشواطئ النهار : وكان الزهاوى كشوق حريصاً على متابعة المعروضات المتطورة . ومنشأ هذا الحرص فيها طبع مرن يطلب التجدد ، وحس مرهف يأنف التخلف . ويزيد الزهاوى أن الفخر بزهاء والته به يذهب به فيحب التناء ويغض النقد ، فهو لفرقة من صفة القدم يسبق الشباب إلى التجديد ، ولنفوره من معرة الجلود يذهب بالرأى إلى التعطف ، ولعلمه فى نباهة الذكر يجارى ميول الخاصة ويمارض هوى العامة . ومن ثم كان أكثر شعره تشبيهاً على الاستبداد بمهاجرة أهل الحكم ، ووزارة على الجلود بمحاربة أهل الدين ، وتحقيراً للتأخر بمصادمة مألوف الأمة .

### نموذج من شعره

قال من قصيدة بعنوان الجهل والعلم :

يريد أناس فرقة الشعب جهدم	فلا عطست باليمن تلك المعاطس
ونحن الألى ما فرق الدين بيننا	وإن كثرت بعض الألوان الدعائس
فمشنا وعاشت من عصور كثيرة	جوامعنا فى جبين الكنائس
ولا يعدم الإنسان طول حياته	صديقاً يواسى أو عدواً يعاكس
ولسكننا عشنا جميعين أعصرأ	كلانا أخو صديق كلانا مؤانس
وإنا منعيها والعمائم عندنا	لها حرمة مخودة والقلانس
سنعيها نعم فى وحلة عريسة	لها العلم نظام لها العدل سانس
وتفريس فى قلب الشيبية جزاة	على الصديق حباً أن تطيب الفرائس

نساعدنا فيما نحاول دولة  
قول لشعري أيها الشعر صل وجل  
أغظك أن الجهل في الناس جاهر  
يمارس شعري اليوم لإصلاح أمة  
ستحييكم يا شعري فأنت حكومة  
حكومة عدل مهد الأرض حكمها  
وليس لها في المغربين معارض  
ومن خطراته :

إن الصراحة تفنى  
أخوالها قبل أن يم  
وعند من هو غر  
كم جامع لـ  
وقد تموت فداء  
لا تبين فليس الـ  
إنا نعيش بعصر



قد مشيت بليل  
فما بعدت كثيراً  
من لي بمساء براد  
طلبت شيئاً قليلاً  
وكم سحبت خيلاً  
كل الأحبة أعدا  
لا خير لي من بلادي

داج بنير دليل  
حتى ضللت سبيل  
به أبل غليلى  
فلم أفر بالقليل  
فكان غير خليل  
ثى عند خطب جليل  
وأسرني وقبيـلى

# خاتمة

## في الاستشراق والمستشرقين

يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأدبه وآدابه وعلمه وعاداته ومعتقداته وأساطيره ؛ ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين ، ودراسة العربية لملاقحتها بالعلم ؛ إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغشوراً بما تشبه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدينة والعلم ؛ كان الغرب من بحره إلى محيطه يعمه في غياهب من الجهل الكثيف والبربرية الجوح ، وكان حظه من الثقافة يومئذ ما تضمنه حصون الأمراء المتوحشين من الكتب ، وما يعلمه بعض الرهبان للساكنين من قشور العلم . وانقضى القرنان التاسع والعاشر للميلاد وأولئك الأمراء في قصورهم يتبعجون بالأمية ويرتعون في الدماء ، وهؤلاء الرهبان في دورهم يجمعون الكتابة من روائع الكتب لينسخوا على صفحاتها المعوجة كتب الدين . حتى أزال الله الفسادة عن بعض العيون ، فأروا من وراء هذا الظلام الداجي بقعة من المغرب تسطع فيها شمس المشرق . فلما تبينوا أن البقعة هي جزء من أسبانيا ، وأن النور قبس من نور بغداد ، استيقظ في نفوسهم طموح الكمال الإنساني ، فطلبوا العلم فلم يجدوه إلا عند العرب .

في سنة ١٢٣٠م أنشئت في طليطلة مدرسة للترجمة تولاها الأسقف ريموند ، أخذت تنقل جلائل الأسفار العربية إلى اللاتينية ، وأعانهم على ذلك اليهود ، فبشرت هذه الترجمة في أوروبا انخامسة شعوراً لطيفاً ، وروحاً طيبة . وتضافرت على هذا الجهد النبيل قواعد أخرى للترجمة طوال القرون الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر ، حتى بلغ ما ترجم من العربية يومئذ ثلاثمائة كتاب كما أحصاها الدكتور (سكلارك) في كتابه تاريخ الطب العربي ، وأحصاها غيره أربعائة . وكان أكثر ما ترجم



في هذه العهود كتب الرازي وأبو القاسم الزهراوى وابن رشد وابن سينا ، وما نقل إلى العربية من اليونانية لجالينوس وأبقراط وأفلاطون وأرسطو وأقليدس الخ .. وظلت هذه الكتب للشعولة منهاجاً للتعليم في جامعات أوروبا خمسة قرون أو ستة ، واحتفظ بعضها بموتها وقيمتها حتى القرن التاسع عشر .

قال المؤرخ الإنجليزي ملر في كتابه فلسفة التاريخ : « إن مدارس العرب في أسبانيا كانت هي مصادر العلوم ، وكان الطلاب الأوربيون يهرعون إليها من كل قطر يتلقون فيها العلوم الطبيعية والرياضية وما وراء الطبيعة . وكذلك أصبح جنوبي إيطاليا منذ احتله العرب ، واسطة لنقل الثقافة إلى أوروبا . ومن ردد تلك المناهل الراهب ( جريوت الفرنسي ) ، فإنه بعد أن توقف علوم اللاهوت في ( أوربا ) سقط رأسه جاب عقاب البرانس والوادي الكبير حتى ورد أشيلية ، فدرس فيها وفي قرطبة الرياضيات والفلك ثلاث سنين . ثم ارتد إلى قومه بنشر فيهم نور الشرق وثقافة العرب فرموا بالسحر والكفر ، ولكنه ارتقى إلى سدة البابوية سنة ٩٩٩م باسم سلفستر الثاني . كذلك تخرج على علماء قرطبة ( شاذلي ) ملك ليون وأستوريا ، وأولع بعض علماء إيطاليا بالعربية ، وعدوها لغة الأدب العالي ، وأوصى قومه الراهب روجر بيكون الإنجليزي بتعلم اللغة العربية وقال : « إن الله يؤتي الحكمة من يشاء ولم يشأ أن يؤتيها اللاتين ، وإنما آتاها اليهود والإغريق والعرب » .

على أن الاستشراق لم يبق محصوراً في دائرة الانتفاع بعلوم العرب ومدنية الشرق . وإنما خرج عنها إلى أغراض تجارية أو استعمارية أو دينية ، فأقبلت الأمم الأوربية القوية بحكم هذه الدوافع تتنافس في تعرف الشرق وارتداد أقطاره ، وكشف آثاره ، وفتح كنوزه ، وإحياء أدبه ، وطبع كتبه ، وإبراز فننه ، ثم صار الاستشراق فناً قائماً بنفسه ، يطلب به الوقوف على لغات الشرق وميثاقها ، والاطلاع المباشر على آدابها وفنونها . وفي سبيل ذلك أسسوا المطابع<sup>(١)</sup>

(١) من أول ما طبع في العربية ( المجموع المبارك ) والتاريخ لابن السعيد المعروف « المسكين » ، وكتاب ( تاريخ الدول ) لابن العبري و ( نظم الجواهر ) لسيد بن البطريق ، ثم تاريخ أبي الفداء ومقامات الحريري .

وأنشأوا للكتبات<sup>(١)</sup> وأغفوا الجمعيات<sup>(٢)</sup> وأقاموا للؤتمرات<sup>(٣)</sup> وأصدروا  
المجلات ، وجمعوا المخطوطات ، ونشروا نقائس الكتب ، وعاقوا عليها الحواشي  
وذيّلوها بالفهارس المختلفة للأسماء وال موضوعات والأمكنة ، ثم كتبوا البحوث  
القيمة في تحقيق الألفاظ ، وتحرير الأصول ، وتصحيح الأخطاء ، وكشف الجمهور  
على الأسلوب العلمي الصحيح ، والنهاج للنطق الحديث ، فكانوا في ذلك قدوة  
لعلمى اللغة ومؤرخى الأدب من العرب ، في تحضير المادة ، وتنظيم البحث ،  
وتوخى الدقة ، وتحرى الصواب ، وتقصى الفروع .

### أشهر المستشرقين

اشتهر من المستشرقين الفرنسيين فتيبة Votet المتوفى ١٦٦٧ ، وهو طبيب  
الدوق دورايان ، نقل إلى الفرنسية تاريخ ابن السكّين ، وتيمورلنك لابن عربشاه ،  
وعلم المنطق ، والأمراض العقلية لابن سينا ، واللامية للطخاراني وهربلوت Herblot

(١) كان في مكتبات أوروبا ، مطلع القرن التاسع عشر ، مائتان وخمسون ألف مجلد ،  
موزعة في خزائن: لانسراد وباريس وبرلين ولندن ولينزج ومونيخ وينا ولبدن واكسفورد  
وأدينبورج ودبلن وكورنيج والاسكراي ، وميلانو ورومة ، وبرستون الخ .  
(٢) من الجمعيات الآسيوية وأقدمها الجمعية الآسيوية التي أنشئت في تافيا عاصمة حارة  
سنة ١٧٨١ ثم الجمعية الآسيوية البنغالية التي أسسها تيمور وليم جونز في كلكتا عام ١٧٨٤  
ونشرت بموئنا من عدد من مجلدات ظهرت فيما بين سنة ١٧٨٨ ، وسنة ١٨٣٦ ، ولها ( مجلة  
الجمعية الآسيوية لندنا ) صدر بعدها الأول سنة ١٨٣٧ ولاتزال تصدر .  
و من ١٥ من مارس أنشئت في لندن جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية يرعاها ملكة إنجلترا .  
ومن أعضائها النابيين مرجليوث ، ويراون ، وولس روس ، ونيكلسون ، وجب ، وليرمر .  
ول سنة ١٨٢٠ أنشأ المستشرقون الفرنسيون الجمعية الآسيوية تحت رعاية الدوق دورايان  
وسلفستر دساي وانضموا لها مجلة عنوانها ( المراجعة الآسيوية ) Le Journal Asiatique  
نشرت فصلا قيمة في العرب والعربية . وكذلك حذت أمريكا وروسيا والنمسا وإيطاليا  
وبلجيكا وهولندا والدنمارك حذوا إنجلترا وفرنسا فأنشأوا الجمعيات وأصدروا المجلات ، وتكاتفوا  
جميعاً على إظهار فضائل الإسلام وإعلان مفاخر العربية راجع كتاب ( المستشرقون ) الأستاذ  
مهيوب المتيق .

(٣) أقام المستشرقون تسعة عشر مؤتمرا في أمهات مدن الغرب أولها أقيم في باريس  
سنة ١٨٢٣ ، وآخرها أقيم في باريس سنة ١٩٠٨ ، وكانوا يدعون إلى كل مؤتمر أقطاب  
الآداب الشرقية في أقطار العالم يثلون فيها بما أعدوا من البحوث الأدبية والتاريخية والأثرية  
غيرها ، وكان لهم حظ موفور من شهود هذه المؤتمرات وجهودها .

الخوف سنة ١٦٩٦ كان أميناً لسر نوبس الرابع عشر وأستاذاً للعربية في معهد فرنسا ، ألف ( المكتبة الشرقية ) وهو معجم جامع لما في الشرق من فلسفة وأدب واجتماع . وسدillot . للتوفى ١٨٣٢ كان متخصصاً في علم الفلك عند العرب وقد نشر نبذة في الهندسة لابن الهيثم ١٨٣٤ و ( علم الرياضيات وجامع المساويء والغايات ) في الآداب الفلكية لأنى الحسن على . وكوسين دي برسنال I de parcéval المتوفى ١٨٣٥ نقل تاريخ صقلية تحت حكم المسلمين ، ونشر العلاقات السبع وأمثال لقمان . وطبع الجداول الفلكية من الزيج الحاكى ، ومقامات الحريرى ، وترجم الجزء الناقص من ترجمة جلان لألف ليلة وليلة . وسافى دى ساسى المتوفى سنة ١٨٣٨ ، برع في اللغتين العربية والعربية ونخرج عليه فيها طائفة من أعلام الاستشراق في الغرب . ألف في العربية كتاباً سماه ( الأندلس المفيد للطلاب المستفيد ) اختار فيه صفوة من المنظوم والمثور ، وكتب شرحاً وجيزاً على مقامات الحريرى ، ونشر كتيبة ودمنة وألفية ابن مالك ورحلة عبد القطيف البغدادي . ثم ألف ثلاث مذكرات قدمها إلى الجامع عن مصر الإسلامية إلى الاحتلال الفرنسى . ومارسل : الخوف سنة ١٨٥٤ كان مترجم الحملة الفرنسية في مصر ، ألف كتاباً في وصف مصر واختار طائفة من الشعر العربى ، وله مقالات قيمة عن ابن ميمون ، وابن سينا ، والضامرى ، والقزوينى . نشرها في المجلة الآسيوية ، وكترسبر المتوفى سنة ١٨٥٧ أخذ العربية عن دساسى ، وانتخب عضواً في الجمع اللغوى الفرنسى ثم محرراً في المجلة الآسيوية . نقل إلى الفرنسية بعض كتاب السلوك للمقرئى ، ونشر مقدمة ابن خلدون في ستة أقسام فرنسية عربية . ومنتخبات من أمثال الميدانى ، وكتاب الروضتين لابن شامة . وله أبحاث في المجلة الآسيوية عن النبطيين والعباسيين والفاطميين . وكتاب الأغاني ، وذوق الشرقيين في الكتب ، وحياة المسعودى وآثاره . ومن أشهر المستشرقين الألمانين فريتاغ المتوفى سنة ١٨٦١ ، تلقى العربية عن دساسى ، وعين أستاذاً لها في كلية بونه . نقل ديوان الحماسة لأبى تمام بشرح التبريزى ، وزبدة الطلب في تاريخ حلب لابن النديم ، وقاكة الخلفاء لابن

عربشاه . وقد وضع معجماً عربياً لاتينياً في أربعة أجزاء . وهو ستاف فلوجل.  
المتوفى سنة ١٨٧٠ نشر كشف الظنون ، والقهرست لابن النديم ، ومؤنس الوحيد  
للشعالي ، وطبقات الحنفية لقطرنا ، والقرآن . وفلبشر والمتوفى ١٨٨٨ ، ألف  
في الآداب الشرقية كتباً كثيرة ، ونشر تفسير البيضاوي والمفصل للزنجشري .  
وفردناند وستفيلر المتوفى سنة ١٨٩٠ ، نشر طبقات الحفاظ للذهبي ، وسيرة ابن  
هشام ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، ومعجم البلدان لياقوت . وملك المتوفى  
سنة ١٩٣١ ألف في الألمانية تاريخ القرآن ، وتاريخ عروة بن الورد ، وبحثاً  
في الشعر الجاهلي ، وبحثاً في المملكات السبع وغير ذلك .

ومن أشهر من الإنجليز أدوردين المتوفى سنة ١٨٧٤ عاش بمصر صدر  
شبابه ثم وضع كتاباً في وصف مصر ، وكتاباً آخر في عادات المصريين وشمائلهم  
ترجم أكثره في مجلة الرسالة وطبع مجموعاً في مطبعتها سنة ١٩٢٩ ، ومعجماً عربياً  
إنجليزياً ، ثم ترجم ألف ليلة وليلة إلى الإنجليزية . ووليم موير المتوفى سنة ١٩٠٥  
ومن مؤلفاته حياة النبي ، والتاريخ الإسلامي ، وتاريخ الخلافة ؛ وهي من المراجع  
المعمدة في الجامعات الإنجليزية والهندية .

ومن أشهر من الإيطاليين دافيد ستانلونا المتوفى سنة ١٩٣١ ولد في تونس  
ودرس في رومة ، وكان له بالذهب المالكي والشافعي سلم واسع . عين في  
سنة ١٩١٠ أستاذاً للفلسفة بالجامعة المصرية ، فألقى بها محاضرات قيمة . وتلبنو  
المتوفى سنة ١٩٣٨ ، وقد دعي في سنة ١٩٠٩ لإلقاء محاضرات في تاريخ أدب  
اللغة العربية فأفاد بخبرته وطريقته كثيراً من الناس . وقد عني بالمسائل الجغرافية  
والفلكية عند العرب . وأغناطيوس جويري المتوفى سنة ١٩٢٥ وقد اتدبته  
الجامعة المصرية كذلك سنة ١٩٠٨ لتدريس فيها فألقى دروسه باللغة الفصحى .  
وإذا أردت استقصاء هذا الموضوع فاقراً كتاب ( المستشرقين ) للأستاذ  
نجيب المصطفى فقد ألم بتاريخ الاستشراق إلماًما يقع الغلة ويفنى عن المزيد .

# ذيل

في تفسير ماورد في الكتاب من الألفاظ الغريبة والتراكيب الغامضة

صفحة	صفحة
١٩	٣
٢٠	٧
	٩
	١١
	١٢
	١٤
	١٥
	١٦
	١٨

انفقا في الدكاء والدماء فحرب بهما  
المثل . لأمر ما جدد نصير أظه :  
يضر بـ إن يظهر شيئا ويضر خلاله :  
يداك أو كذا وفرك ففخ . أو كذا السقاء :  
ربطه . وأصله أن رجلا ففخ سقاء  
وربطه ليحبر عليه النهر ساقها ، فلما  
توسطه أحمل السقاء وأودعك الرجل  
على الفرق ، فاستغاث برجل على  
الشامل . فقال له هذا المثل ، يضر  
لن يحى على نفسه بإعماله .  
الجدد : الأرض الفليضة المستوية  
المر : العجز عن السلام :

١٩ القصة : ما نصح حرضا ، والسدى :  
ممد من خيوط الثوب طولا : القدح  
الملى : أكبر الأنصبة في الميسر .  
التملح : ما يلزمك حاتم والدفاع منه .  
ذات العين : المداوة والبنشاء على  
رأى والنسب والمداولة على رأى آخر .  
الآيال : جمع قيل وهو الملك الصغير .  
بعد أزرها : يقويها ويؤيدها والأزر  
الظفر . الخناصر : الحصى . والصناح :  
السيوف . النثر : المرتفع من الأرض .  
حسن الشارة . جيل الهيئة .

٢٠ سدف عن الدنيا : زهد فيها

٣ كنف الله : حرزه ورحته . مرك  
الخطوب : شدتها وأذاها . النحلة :  
الذهب والريانة .  
السن : الفصاحة  
٧ القرب بالسكون : الجماعة يتقدمون في الأمر  
٩ القطر : المطر . يسمونها : يرمونها .  
أخالف السماء : أطمت في الغيث ولم  
تطر . القرابة الواضحة : المشيكة .  
الظينة : الزوجة . البناء بالمرأة :  
التزوج منها .

١١ الاستقراء : تقيم الحوادث بالملاحظة  
لتكون منها حكما . الأنواء : حمى  
وهو سقوط نجم في الغرب وطلوع  
نجم بحمله من ساعته في الشرق كل  
ثلاثة عشر يوما ، وكانوا يضيفون  
أفاعيل الطبيعة من المطر والرياح إلى  
السائل منها فيقولون مطرنا بنوء كذا  
١٢ الحرم : السدود تبني في الوادي لحبس  
الماء خلفها وهي الخزانات . وسيل  
الحرم سيل عظيم حدم حرما كان أهل  
سأ في اليمن قد بنوه أغرقهم ومزقهم  
في البلاد .

١٤ المفاة : المحاكاة في الحسب والنسب

١٨ شن : اسم رجل ، وطبقة : اسم امرأة

- ٢١ داج : مظلم . وساج : ساكن والأبراج  
أنا منبر يربحها تقابلها الشمس في طريقها  
طوال السنة ، للمحاكاة للحسوسة على  
خلاف القياس وهي للبسولة  
البصائر : جمع بصيرة وهي العلم والخبرة  
ورده الماء : أناه ليشرب ، وصدره :  
رجع ، ومعناه هنا الموت وعدم الرجوع  
منه ، الغابر : للقيم . السنة . القتر .  
أجدك منسوب على نزع الباء ، ومعناه  
أجد منك هذا ؟ أو منسوب على  
للصدر ومعناه مالكا ؟ أجد منك  
مكنا ؟ الكرى : النوم . والمدي :  
الصوت والفار . الحر . المولة : البكاء  
٢٢ الأشلاء : الأصماء بعد التلى والتفرق :  
والصماء : الحر . واستمر في القو :  
أمن فيه واسترسل . النجمة : طلب  
الكلاء في موضعه . الارتباد : البحث  
من السكان المناسب للاحتجاج . وعفو  
الرأي : عاجله . واكتظمت بأفرتنا  
الحر زلتنا ، والبادرة ما يبدو منك  
عند الغضب . الرقص : الكسر .  
والصفة : الحبر ، والضم : كسر  
الشيء بأطراف الأسنان . والمضم :  
الظلم . القلم : الفرس للشرف الطويل  
القوام . والماتى الكامل . والنجاد :  
حالة السيف .  
٢٣ السابغة : الفرع . وعداء عتدى :  
فرس طويل شديد . والهد : الفرس  
الجميل الجسم للعزف . والشطب :  
جمع شطبة : وهي طريقة السيف في مته .  
الجلة : جمع جليل وهي النظام من الأيل .  
والنيب : جسم قاب وهي الناقة للسنة  
تجها : تكلف الجفاء وهو إخراج  
صوت مع ربح من فم عند العبح
- صفحة  
٢٥ سدة بيته : خزائنه والقائون عليه .  
المرس : الدهر . والغور : الصنف .  
التواكل : أن يشكل كل على الآخر .  
أحدث الدهر : نوائبه . الفرض :  
الهدف . معاورة . تتداوله .  
٣٠ يزدهمهم : يستغفهم . وهو البديهة وابيض  
الضاطر : ارتحالاً من غير روية للمأد :  
الزوج . أصاحي . أحاجي وأخايل .  
٣٧ وعوة الصعراء : صويتها وأوعرها :  
السعة . العلامة .  
٣٨ الحلبة : ميدان السباق . القباطي هي  
الستور والأنواب والطنائس التي  
اعتبرت مصر بصنعها قبل الإسلام  
وبعد ، مفردتها قبطية وقد وردت  
بهذا اللفظ في قول زهير بن أبي سلمى  
لبأنبيك من منطلق فدم .  
باق كما دلت القصة الودك .  
٣٩ القيث هنا : البقل والمرعى والوسمى :  
أول من الربيع . والرائد : من يبعثه  
أمله في طلب المرعى : الأسعهم هنا :  
السحاب الأسود اللون . العجزة :  
الفرس الشديد الضل . أترز الجرى  
لحمها : أيبسه وأضمره . الأكرح : جمع  
كرح : أطراف القوائم . الحال الثوب  
الناهم من ثياب اليمن .  
٣٥ السوار : القطير من بقر الوحش .  
الجزى : نوع من الدو . الاجلال :  
جمع جل : وهو ما يوضع فوق ظهر  
الفرس سائراً له . القرمب : الطويل

صفحة

الضخم من الثيران . القرا : الظهر  
الروق : القرن . الأختى : منخفض  
قصبة الأقب . الديال : طويل القيل .  
فعايت منه ، عادي بين الصيدين تابه  
المدو في سلق واحد . فتخاء الجناحين :  
ابتدأ في طول . لا قوة . السريعة التي  
تخطى كل شيء . طأطأ فرسه :  
وخزه وحركه للمدو . الشمال : السريعة  
الخفيفة . الأنيم وأورال : موصمان .  
الخران : جم خزن بالضم والفتح :  
ذكر الأراب . حجرت : اختفت في  
أحجارها . أبيت الهمس : كلمة يدهى  
بها للملوك ، أى حفلات مما تلمن به .  
نستك : تضيق ، الأفرح : بنو لريم  
ابن موب وكانوا قد وشوا به إلى  
السمان ، تهادم . تهادم : الحوامم حامة ،  
وهي الفل في اليد الأمة الدين  
والاستقامة . لصاب وثيرة : ماء ان على  
طريق مكة ؟ والألال : جبل . السام :  
طائر أكبر من الخفاف سريم الطيران .  
خوساً ميونها : ضبقات . رذايا :  
جم رذية ، وهي للطيور المذكور من  
الإبل المالك في أثناء الطريق .

٣٦ الحني : جم حنية ، وهي القوس . المر :  
داء جلدى يصيب الإبل في مشافرها  
وقوائمها .

الضالم : الحائر للذهب . السيب :  
المطاء . التصريد : الشرب دون الرى  
كنع المسك بالعمى : تراكم ولوق .  
رث الجبل : بلى ، والمراد العبد  
متم الضحى : بلغ آخر غايته . الصبة  
بتح فسكون : الشجرة تعلق في شيء  
عال فتكون كالخيمة عليه ، وهو الشجر  
المتعلق كالآباب مثلاً . منود . اسم  
جبل . الأتاب : حجرة العم : العظيم .

صفحة

المحرم : المنوع قلم صوفه .  
كابه : موضع . لم تخبط : لم  
تصب قروعه وتضرب بالصبي فتكسر .  
لم يمتد . لم يتجاع . عارض : اسم أخ  
للشاعر . رط نبي السوداء اصحاب  
أخه عداقه .

٣٧ الأحاليق : المتعاقبون على نصرته بعضهم  
لبعض . قبلا : عاباً ومقابله . غزية :  
حي من بني حهم .

التمدد : الجبان يمد من نصر قومه .  
الصيامي جم صماعة . حركة يسوى  
بها الحائك نسجه . الو : ولد الناقة  
أو البقرة بمعنى جلده تبدأ فتجد رائحته  
فيه فتدبر اللبن له . البرم . من لا يدخل  
مع القوم في الميسر خنا بالجزورء وكانوا  
يطعمون لحومها لا فقراء . تناوحت الريح :  
هت من كل ناحية ، وذلك بمن الشتاء .  
الضاة : الشجر العائك . الضريع :  
نبات خبيث لا يقرب الدواب . المعصد :  
القطم . كيش الأزارء قصيره ، وذلك  
كناية عن العفة والتجدة . طلاع أنجد :  
كناية عن انتقام الصواب . السيد  
المرد : القتب العرس في صلاته ،  
يريد به فرسه . النطى : انظم اللازق  
بالمساعد أو الساق . السبل : الضخم  
الشوى : الأطراف النساء . مصيب يجرى  
في انخذ والساق . والفنى : المقبض ،  
المقبض . الملك : المنق .

٣٨ المصدر : الأسد . الجليل شهيد .  
موضمان . مطابه قلبه . ذهب به كل  
منهيب . شط وليها : بعد وصالحها المنير  
من الرجال : الحق الذي يستجبه الناس .  
ما أنت أم ما ذكرها ؟ ما استفهامة  
للتعجب ، وأم للاضراب بمعنى بل أي  
ما شأنك ، بل ما الداعي لذكرها إليك

صفحة

وهي من ربيعة وأنت من نعيم  
القليب . البثرة : الجسرة : الناقة القوية :  
الرداف : كل شيء يكون خلف  
الراكب . الخيب : السير السريع  
الوجيب : خفطان القلب .

٣٩ التهدة : افرس الحسن الجسم . البواء  
السواء والسكفة . شمعها : ضربها  
ونفسها . المادية : القوم يمدون وكذلك  
الحيل . سوم الجراد انقضاره في طلب  
المرعى . وزعتها : كنفقتها ومنحتها سباً  
الجر : اشتراها . الايسار : الذين  
يضربون القناص في القنطرة .

أقلبه : أبغضه . خالت ناعمتنا : تفرقتنا  
واختلفنا : الهامة : فيا يزعم العرب طائر  
كالبوم يخرج من قبر القنبل إذا لم  
حذ بئاره فلا يزال يصيح ويقول  
أسفوني حتى يثأره .

٤٠ لاه ابن عمك : أسله : ابن عمك  
فعدلت اللام النافضة في لحن الكلام .  
الدبان القائم بالأمر : السفة : الجماعة  
الغزاة الضيق والشد .  
زيد على مائة : زيادة عليها .

٤١ سفوان : اسم مكان . والكفاة الفرسان  
جمع كسى . الحدائق : الحوادث .  
المقاديم : جمع مقدم . والمراد بالروح  
هنا الحرب . وأبيض نياس : نقي من  
المحبوب كريم والمتفون طالسو المروغ .  
ما تنب فواضله : ما تنقطع عطايها .  
المقامات : جمع مقامة وهي الجماعة في  
محاسن واحد . والانتباب : قصد إلى  
الموضع . المكثرون . الأغنياء . ومن  
يترجمهم : يقصد من الفقراء . لم يليموا :  
لم يقيموا في اليوم . ولم يألوا لم يقصروا  
الخطى : الرمع نسبة إلى الخط وهي  
جزيرة في البحرين شهرت بعمل الرياح

صفحة

والوشيع : شجر الرماح . ومعنى المثل لا يلد  
السكرم إلا الكرم . . لاح الشيء :  
لحمه وأبصره . والبفاع : التلال .  
والقرر : من أصابه البرد . يصطليانها  
يستدفئان بها .

٤٢ والأسعم الهاجي : الليل الشديد السواد .  
وكف ميدة : متلفة . الهجات :  
اليمن الكرام من الأبل . يستوى فيه  
الذكر والمؤنث والجسم . الأوارك .  
جمع أركبة . وهي التي رعت الأراك .  
المومة : المفازة . جحيفا : فريداً .  
والنخرق : السريح . العد : العد .  
حاس عفيفه الكرى : خاطبها على  
الاستمارة . الفيجان : الذبور على حرمة .  
الريثة : الطليعة . ناج : اسم مكان  
وما ترو وما تحلى : أي لا تنغم ولا تضر  
وأحساب نهم من البقل : أحساب غير  
أئيلة أحدثها الفنى .

٤٣ والواصل : الطالب الراهب من الله .  
تصغر منها الأنازل : كناية عن الموت .  
الحصائل جمع حصيلة : وهي ما كسبه  
المرء من حنثات وسيئات . قسم  
أمره : يديره . مبلته أمه : نسلته  
وقدته . والوائل : الناجي . والموائل  
المجى . تزعك الموازل : تمككك  
الحوادث . التناوير نهر بين رأس عين  
والقنات . والكاس ما يبي به من  
التوردة وأحلالها : الخورق والسفرة  
نصران هريان جاهليان : والمبا :  
الريح العرقية . الذبور : الريح الغربية .  
وألوت به : ذهبت به

الكلكل : الصدر . أنجل : انكشف  
الإصباح : الصبح . وأمثل : أفضل . مفار  
القتل : محكمه . ويذبل جبل في نجد



صفحة	صفحة
٤٦	٤٤
شام البرق : قطر .	الوكبات . الأعشاش . والمنجرد :
والقال : الببال والجلل هنا : المنفس	القصر الشعر . والأوابد : الوحوش
٤٧ فصل بالجنود : رحل بها . نهراً لحه :	ومعنى قيد الأوابد أنه يلحقها فيمنعها من
تقطع وسقط . وجفتة شطيرة : لصة	القرار فكأنه قيسا .
ملأى . وطعنة مسخرة : سرية .	والهيسكل : الضخم . والمكر : كثير
٤٨ مساجلة الفراء : أن يتناشد الشاعران	الكر . والمقر : شديد القر . الاطلاق :
بيتاً فيجأ أو عطرأ فطرأ يبدأ الأول	الماعز تاق . والارخاء : البرى .
وبكل الثاني .	والمرحان : القتب . والتغريب : العدو
المها : بحر الوحش . سقط الموى :	والنتفل : الشطب
منقطع الرمل : والمخول وحول :	الحدوج : جم حدج وهو مركب النعام
موضمان في بلاد العرب .	كالخنة . والحلايا : السفن النظام .
أزمت : نوبت أجلى : ترقى . أعطار	والتواصب : مسايل المساء ومجاربه في
القلب . أجزاء مقسمة إلى عشرة .	العيال . وود : اسم مكان .
الغلبة : الطبع . وسلى ثيابك الخ	عدولية : نسبة إلى عدول : رجل كان
كناية عن المفارقة .	مشهوراً بصنع القمان . وابن يامن :
٤٩ كذلك جدى : حلى .	رجل ملاح كان يمتد السفن الكبار
جمل وأطر : موضعان بالشام .	الحباب : الموج . والميزوم : الصدر
وحوران : كورة من أعمال دمشق .	والمقال : لاعب القيال وهي لبة كان
والأل : السراب . والبيانات : الحاجات	يلعبها صبيان الأعراب ، يحبثون الشيء
المنوية . وحاة وشيزر : بلدان بالشام .	في الأراب ثم يقسمونه بأيديهم ويقولون :
والدرب : باب السكة الواسع وكل منخل	آين هو ؟
إلى بلاد الروم . درب الماء الناح القى	التفافة : المساء الذي لا كدورة فيه
لا ينقطع . السراة وذوو المثالة . أشرف	والمزن السحاب . والجودي : اسم
القوم وكبارهم خاطأ من إشراقه : خفس	جبل . وحامس : مظلم
تماليه . طلال الخفس : السعة والنعيم .	المصاب جم لصب . وهي شقوق في
هرج بالثمة بينهما : سعى بها .	الجبل ، والفارس . البارد . الكواكب
٥١ كطين : دقيق . وم ناصب : متعب .	ما طال من النبات ، والنبات العميم :
وطء الكواكب : كناية عن طول الليل	المكتمل التام . والأصل جمع أصيل
أراح : رد . وعازب : جيد . الأعشاب :	آخر النهار .
الأخلاق من الناس .	سمر خده : ناه ونكبر . والرائين :
البيش : السيوف . القلول : التلوم :	الألوف . الميسم : أثر الوسم وهو
القراع : المحاكمة . الأحلام : العقول	الكي . استقاد : اتصص العجاج : الحية
غير موازب . غير ذائلة ولا هائلة .	نسم : عض وثيب
رفاق التمال : كناية عن الترف	٤٥ ينضفون عنهم : يذاقون . عهد الثقافة :
والحيزات جم حجرة : وهي سطل الأزاز	عهد التلمذة والتخرج .

صفحة

طبيب الحجرة . كناية من العفة ، ويوم  
السباسب عيد الثمانيين ، وكان من عادة  
العسائين أن يجيوا بلوكيم ليه يرسم  
أطمانه الريمان . ضربة لازب . أى  
شئ ثابت لازم

٥٧ الجلبة : لائمى ، ورحب الأناة : حليم  
وراجع الحصة : وافر العقل .  
اللفظ الموشى : ما يتعاهاه الكاتب  
لفرايته أو ثقته . وعبر الحديث فاحفه  
وتعمل الشعر تكافه .

٥٨ السجيل . المتقول فتلا واحداً : والمبرم  
المتقول على قوتين ، وما مستعارات  
للضعيف والقوى . منقم اسم امرأة  
مطارة اشترى منها قوم مطراً وتمالفتوا  
على قتال عدوهم : وجعلوا آية الخلف  
شمس الأبدى في ذلك الطر وعانوا حتى  
قتلوا . فضررب الخلل في القوم بضر  
منقم . الغلاء : المال الموروث . والأفل  
والمزئم المصروط الأذن

٥٩ خيط صفواه : تسير على غير هدى  
كالناقة التي لا تبصر أمامها . يره :  
يحفظه .

٦٠ نقب الدهر : تطسه وأغفنه . ابيضت  
حيناه : كناية عن العمى .

٦١ الفرق : الضوف . المألوك : الرسالة .  
وتأتمكل : تخترق من التصيب الأنة :  
واحدة الأئل ، عجز عظيم سلب  
وتحت الأنة : كناية عن التخذف  
والنية . وأطت الإبل : أتت وحتت .  
الوعل : ليس الجبل . قتل جمع قتل :  
وهو الكثير القتل .

الآرمه : من به رمد في عينه والسليم :  
المدوخ ، سمى بذلك تفاؤلاً بمرثته .

صفحة

والمسهد ، الساهر . الخلة : الصداقة  
ومهدد : اسم امرأة  
تردد الدهر : تخير وتقلب :

٦٢ الكلالة : التعب : والضفير في لها يعود  
على نالته . والوجى : وجع الخف  
ورقته من كثرة السير  
تراهى : تستريحين . والفواضل :  
الطايا . مانف ما تنقطع . أغربة العرب :  
سودانها . سمر حرب : مضرها  
ومشعلها . الصرة : شد خرم الناقة حتى  
لا يرضعها ابنها :

٦٣ ترين على القلوب : تنفيها . يتذاكرون :  
يبحث بعضهم بعضاً على القتال .

٦٤ الأبطال : الحمال التي يرلم بها النساء  
من البئر . والبان : المصمر . والأدم  
الفرس الأسود . بشرة نحره : أملاه .  
أزور : مال . التصمم : حنى الفرس  
ليرق له صاحبه . وبك : اسم فصل  
مضارع بمعنى أنجب والكاف للخطاب  
الشيظمة : الفرس الطويل والأجرد  
قصير الشعر . الخنف : للموت التي  
حياءك : أرميه .

٦٥ لا أبالك : جملة يراد بها التنبيه لا  
التعنيف . تلاحظوا : انظر بعضهم بعضاً  
يعوذ خرمينه من شدة الهول . معم هول :  
كرم الأعمام والأخوال . سامية الوجود  
طاسة : والطوى : والجوع

٦٦ الحياء . الطلاء . أخذ وجهه : صار في  
طريقه . حاد البادرة : سرع النصب . خولة :  
اسم امرأة

٦٧ هوجاء مرقال : ناقة شديدة السرعة .  
الحاق : الجوارح من الطير والنجائب  
من الخيل . الوظيف : مستند القراع  
والسلق من الخيل والإبل وغيرها .

صفحة

المورد العبد : الطريق للوطوء المحتوى .  
العشرون : ممرات طوال عند مذبج  
البحر . وصباية : نسبة إلى صباب  
وهو عمل مقهور . موجبة القرا :  
قوية الظهور . الوخذ : سمة الخطو .  
موازة البد : سهلة السير سريره . الأثم :  
العتق النول . التلاح : عمارى للياه  
من رءوس الجبال إلى الأودية . استغفد :  
طالب الرعد وهو المونة . الخالوت :  
حانة الخار . الطريف : المال المكسوب  
وللتفد : المال للوروث . البير المبد :  
المطلى بالاطران . بنو فراء : كناية عن  
الافراء . الطراف : القبة من الجبل .

٦٣ الدجن : لباس التيم الأرس وأطوار  
السماء . البهكنة : للرأة النضة .  
المنب من الخيل : للضلف العظيم .  
وذلك مسدحة : سيد النضى : القنب  
يعتاق الكرام : مصطفهم ، والقبلة :  
كرام المال . الطول : الجبل الذى يطول  
لداية قترعى فيه ، والثلثان : طرفه .  
الموت أعداد النفوس : أى بعدد ما  
المسكل نفس موته ، طريقة قومه :  
كبرهم ورئيسهم .

٦٥ غمر البديهة : فياض الفريضة  
أطراف : أمهنا . الخاريق : جمع خراق  
وهو سيف من خشب يلعب به الصبيان  
والجمل : معناه الشدة والسفة . لين  
القاة : كناية عن القل ، النصف :  
الظلم والموان

٦٦ ارتجلمها عفر الساعة : أئدهما ارتجلا .  
ينضح من قومه : يطلع منهم .

صفحة

٦٧ ليقيد منها : ليقص منها . لستل من  
قلب السقيمة أخرج الضغن منه . الأراقم :  
بطون من تقلب . ويظنون : يباثنون .  
وإحفاء : إلحاح .

٦٨ دفن الكلام : زروه وزخره .  
لا تغلنا على عرائك : أى لا نطن أنا  
تخلف بالمراتك ، ملك مقسط : عادل .  
الخطا : الامر . والأملأ : الجماعات  
والفرد ملاء . الطبع : التكبر  
والتماشى : التمام : الخلف : المخالفة .  
والكفلاء : جم كافل وهو الضامن .  
الجنام : القنب . وكندة : قبيلة .  
الرفاء : صوت البعير . والنباء :  
الإسراع فى السير . واللوائل : الحارب  
الفرع . والحرة : الأرض ذات الحجارة  
السود : والرجلاء الفلبظة الضديدة .  
والطود : الجبل . المعترين : انقراء .

٦٩ مشيع القلب : شجاع . أزاز : من  
يأزم الشيء ويتمد عليه فيه والجنام :  
المسكلف للأمور ، والمفئذ : القنوب  
فى هم . لا يطعمون : فلان يطعم إذا لم  
يكن له نفاذ فى مكارم الأمور .  
والبوار : الفساد .

٧٠ أنظمت الشيرة : أصيبت بأمر فظلم .

٧١ لا تلقى مما علقه هيثاً : لا تبنى .  
آليت : حلفت

٧٢ احضروه : طلبوا منه القرى وهو طعام  
الضيء ، صرف الحديث : الخلق  
للزور . السنة : الجماعة . الشمرت  
الأرض : تقبضت من عدم للعار .

صفحة	مرسلة
٧٤	حداير : لاقة حدباء : وحديار : يدت حرائقها من الخزال . ليلة منير : باردة . تهورت النجوم : أى ولى أكثر الليل . كسرت البيت : جاقه وجالينه : نحو عنقه
٧٥	٧٤ ينهيه الإجر : يكفه . المصدى : الجسد من الإنسان بعد موته
٧٦	٧٥ ترق . نموذ . الآن : الحلم . الموراء : السكدة أو النملة القبيحة ، الأود : الأهوجاج . المسوح : ثياب الرحبات . سقط في يده : لدم
٧٧	٧٦ أوماق للنية : حبالحا . قاب القافية : قلها .
٧٨	٧٧ الياسم : الغلام إذا ترمح وشارف البوغ . وتل : تسق للرة بعد المرة . وتهمل : تقرب أول القرب . المطروق : المصاب
٨٠	٨٠ الحميم للسكطوم : الماء الحار المحبوس . الأيلاب : رحلتان تجاريتان لغريش في الفتاء ليمين وفي الصيف لموران
٨١	٨١ يزارون النار : يعملونها
٨٧	٨٧ البزع بالفتح : الخرز اليماني والصيني فيه بياض وسواد . منجيا : مغرما جزءا على حسب المواد
٨٩	٨٩ المصادع جمع مصدع : وهو البليغ القوى . السكات والحصر : السى والمجز
٩٠	٩٠ أحلاما طانية : قولاً طائفة
٩٢	٩٢ المسبب جمع مسبب . وهو جريفة النخل قد قرع خوصها : والاضاف : حجارة بيض رفاق
٩٨	٩٨ التهت : المتطلع عن أصحابه في السفر : الظهور : العاية . الجبل لأقف : الخزوم : تشقق الرجل : لوى صدقه لتفصح . تفريق في كلامه : توسم وتعلم . القرس الشموس : الذى لا يمكن أحدا من ظهوره ، وخذ النول
٩٩	٩٩ الصفق في الأسواق : البيع والمفراء
١٠٢	١٠٢ أنقض رأسه إليه . حركة تمجبا واستهزاء
١١٠	١١٠ الفرزعة : أول عهد الفاجر بمنهم الفجر أخر على الخطر : أشرف عليه
١١٤	١١٤ المزاء ( بالضم ) : اسم الخمر الذليلة الطعم . السكر ( بفتح السين والكاف ) : نبيذ يتخذ من التمر والتوت
١١٥	١١٥ القطبين جمع القاطن . وهم أهل الدوا
١٦	١٦ الفوارب : جمع غارب ، وهو السكامل . المطار : الخمرة الصارعة لشاربها . الفتاة الخفرة : الحية
١١٧	١١٧ الآن : جمع أغان . ألقى الحمار . الأصار : جمع صيد ، وهو الحمار .
١١٩	١١٩ رجل ترعية : يجيد رماية الإبل المراش : الغمام والقتال ، وهو مستعار من مراش السكالب . القلق : عدم الاختتان
١٢١	١٢١ القرم : شير ضعيف لا شوك له وينفضخ إذا وطئ . الفياش : فخر الرجل بما ليس عنده . صفى البيت : مال وخضع . اللامة : الدرع
١٢٣	١٢٣ ابن اليون : ولد الناقة إذا استكمل العام الثاني . لوى قرن : شد في حبل البزل : جمع يزل وهو البير انفق ناي

صفحة	صفحة
١٤٩	يدخله في السنة التاسعة . القناعيس
١٥٠	جمع قناعس : وهو العظيم من الإبل
أشرفهم	١٢٥ كسمة : ضرب دبره بصدركه
١٥١	ومرده . النفل ( بالفتح ) : التنية
١٥٢	كأس القيقان : السم
١٥٣	١٢٧ طارت نفسه طعما : تبددت من
١٥٤	الخوف أو نحوه . لن تراعى : لن
١٥٥	افزعى . والغنغ : القل . والبراع :
١٥٦	البيان . يمتبط . يموت من غير علة
١٥٧	سقط المتاع : رديته
١٥٨	١٣٨ الفليل : الفرع . أجبر المروف :
١٥٩	كرمه . والصورا : السكينة القبيحة
١٦٠	وكره : تنابه . لندى والسدى :
١٦١	رطوبة الجوى والمراد بهما للمروف .
١٦٢	والخود : المراه النائمة . وعلة القدرة :
١٦٣	ما بقي فيها من الرق وذلك كناية عن
١٦٤	الجذب . الفتن : النصن . والورقاء :
١٦٥	الجمامة .
١٦٦	١٣٩ تخرموا : حاكوا . لاروة : الحجر
١٦٧	١٤٠ يلفضى : يمد خياهم . فعاول
١٦٨	يقبس : خافهم وملس
١٦٩	١٤٣ عبة الحب : أوله وأصله . والنها :
١٧٠	الدة . التادح : للفاوز
١٧١	١٤٥ لا طباخ لهم : لا قيمة ولا ليرة . والذمن :
١٧٢	أصل الصليان وهو من البقول .
١٧٣	البوادير : العدة
١٧٤	١٤٦ منوا بهاء السياسة : أسيوا به ،
١٧٥	١٤٧ كأسا روية : ملاهى . ويب خيرة ،
١٧٦	الويب كالويل وزناً ومعنى لما لك :
١٧٧	دعاء العائر لينهض
١٧٨	١٤٨ فوز : مات . الآلة الحدياء : النعش
١٧٩	تنهت قموها : تكفكفها
١٨٠	الجرس هنا بمعنى النعم . أمثل قومه :
١٨١	أشرفهم
١٨٢	١٥١ لمرافى الدهر : من قولهم تحرق الدهن
١٨٣	نخذ ما عليه من اللحم ثم نأكله بأسنانه
١٨٤	النز : الحرير . والبز : الكتان
١٨٥	١٥٣ مقلعة : رسالة . عبد الدار : قبيلة .
١٨٦	١٥٤ لا يطعون : لا يفسدون . جلق :
١٨٧	اسم صفت . وشم الأنوف : كناية
١٨٨	عن الشهامة .
١٨٩	١٥٦ الجنب : القريب . ومعنى وامراس
١٩٠	للنخ : إخراج الماء من البئر . وأمرس
١٩١	البكرة : أعاد حبليها إلى مجراه .
١٩٢	الأسى الطيب . الأرماس : اللبوس . حرته
١٩٣	السكاب : لبعته . المرف : المروف
١٩٤	١٥٧ المنيظة : القضب . خلا ذرعه :
١٩٥	فرغ باله
١٩٦	١٥٨ الموائى : الأرائس . نومة : تملق
١٩٧	١٥٩ تبع نساء : يزور النساء ويتبعهن .
١٩٨	يحصر : يبرد
١٩٩	١٦٠ نوات : طلعت النجاة . أريتك :
٢٠٠	بمعنى خبرنى . تقور النجم : أفل .
٢٠١	الكاسب : الفتاة الناعمة . والمعصر
٢٠٢	من بنت شباها . المشاش : رؤوس
٢٠٣	النظام
٢٠٤	١٦١ سبط اللسان : بذية
٢٠٥	١٦٢ البارم : الشبر . والذكره : الصديد
٢٠٦	القتال . حشد على الحق : مراعى الإجابة
٢٠٧	هند النداء . عيانوا الخنا : كارهون
٢٠٨	القمص . أتب : أباة الضيم . خمس

صفحة	صفحة
الغرة : روتق الشباب • والبياس :	العداوة : ألداء الخصام • علة :
الشيب	عامة • الساعي : الثؤوس
١٧٥ تنوم : تتحرك • سيدى الضحى :	١٦٥ مئذع : مفعص • لسكباء حرجف :
الصياح الرقيم الصوت الأباس : لقيدة	ريح باردة شديدة الهبوب • الصقيع :
السهنة : الجريئة من كل شىء وغرضه	التاج • سروات النهب : ظهور الجبال :
الناقة • أمارت : أسالت • الكراس	١٦٦ وطف الرجل : أمهم بربية • والميط
بالسكر : الفحل • اللوداء : طويلة	الحم • النساء : الغزة • للصير :
الظهور والعتق • انفجت بالبناء للجهول :	واحد الصران : الأماء • والألق :
رفضت • الزحاليب : جمع زحولة	الجنون أو عيبه • يحمراء الفروع :
وهى المكان المنحدر المجلس •	نار الأرى • ينجاب : ينكشف •
المنصب : المستوى من الأرض •	والقم : القبار
الذخاير جمع دخن وهو المزلق •	١٦٧ سرخده : أماله من الناس كبراً •
الأخفاء : جمع خفى وهو السير	الأخادع • جمع أخدع وهو شعبة فى
الضعيف : استعاره هنا للجهل • التأي :	العتق من الوريد
الصدع • ورأيه : أصله	١٦٨ يراى قرله من كذب : ينازل خصمه
١٧٦ الدين الماء الجارى • لوث : العانة : أمها	من قرب
وتسكويرها	١٦٨ اللقعة : الناعة • والرءاء : جمع راع •
١٧٧ ظم • حياته • من يوم ولادته إلى يوم	أرث النار أو الحرب : أضر بها •
وفاته يحبوا لاسمها : يقاربها •	١٦٩ للقرى : النذل ومن أبوه غير عربى •
١٧٨ أحل درعه : أمرغ باله • السكل :	والوزار : كثير الأمم
اللب	١٧٠ كبش الجعطل : قائد الجيش • قفص
١٧٩ المربوع والريشة : الرجل بين الطول	مرة : ومن قوة • التطين : الخدم
والقصر • المذهب : العديد الطول فى	والحقم والآباج • الست : هيئة
نحافه لغير الرجل : الذى كأنه مغط	أهل الخير
فسكر قليلا ليس بسيط ولا جسد •	١٧٧ الضراعة : الذل
القيقة : شعر الرأس والمراد إن	١٧٣ السكرابيس : جمع كراس وهو الثوب
الفرقت من ذات نفسها لفرقتها وإلا	الغفن الغليظ من القطن • رقيب
تركها مقبوضة • الحاجب الأزج :	العين : طماع
المقوس الطويل الوافر الشعر • القرن :	١٧٤ العنجهية : البضوة والفضوة •
اتصال شعر الحاجبين وضده البلج •	الاعتزاز : سموية لكراس • ريق
ألى المرابى : سائل الأتف مرتقم	
الوسط • الأدهج : العديد سواد	

صفحة	صفحة
١٨٣	الحديقة • كث النخلة : كثيفها • ضليم النجم : واسمه • الأغصان ذو المشعب وهو روثق الأسنان وماؤها • والفلق : فرق بين الثنايا • المسربة : خيط الشعر الذي بين الصدر والبرة • الدمية : المنصورة من الحاج • البادن • دو الأحم : المياضك التي عاك بصه بعضا • السكراديس رءوس النظام • شئ السكفد • القدمين : فليظهما ولجمهما • صائل الأمارات : طول الأصابع • خصان الأحمين : متجان أخص القدم • والأخص هو الموضع الذي لا تتأله الأرض من وسط القدم • مسح القدمين : أمسهما • التقلع : رفع الرجل بقوة • التيكفؤ : الميل إلى سنن المني وقصده • الهون : الرفق والوقار • ذريع المني • واسع الخطو من صوب : من هلو يخته بأشداله • يستعمل جميع فقه التسلط لا يصر على تصريك الشفتين
١٨٤	١٨٥
١٨٥	١٨٦
١٨٦	١٨٧
١٨٧	١٨٨
١٨٨	١٨٩
١٨٩	١٩٠
١٩٠	١٩١
١٩١	١٩٢
١٩٢	١٩٣
١٩٣	١٩٤
١٩٤	١٩٥
١٩٥	١٩٦
١٩٦	١٩٧
١٩٧	١٩٨
١٩٨	١٩٩
١٩٩	٢٠٠
٢٠٠	٢٠١
٢٠١	٢٠٢
٢٠٢	٢٠٣
٢٠٣	٢٠٤
٢٠٤	٢٠٥
٢٠٥	٢٠٦
٢٠٦	٢٠٧
٢٠٧	٢٠٨
٢٠٨	٢٠٩
٢٠٩	٢١٠
٢١٠	٢١١
٢١١	٢١٢
٢١٢	٢١٣
٢١٣	٢١٤
٢١٤	٢١٥
٢١٥	٢١٦
٢١٦	٢١٧
٢١٧	٢١٨
٢١٨	٢١٩
٢١٩	٢٢٠
٢٢٠	٢٢١
٢٢١	٢٢٢
٢٢٢	٢٢٣
٢٢٣	٢٢٤
٢٢٤	٢٢٥
٢٢٥	٢٢٦
٢٢٦	٢٢٧
٢٢٧	٢٢٨
٢٢٨	٢٢٩
٢٢٩	٢٣٠
٢٣٠	٢٣١
٢٣١	٢٣٢
٢٣٢	٢٣٣
٢٣٣	٢٣٤
٢٣٤	٢٣٥
٢٣٥	٢٣٦
٢٣٦	٢٣٧
٢٣٧	٢٣٨
٢٣٨	٢٣٩
٢٣٩	٢٤٠
٢٤٠	٢٤١
٢٤١	٢٤٢
٢٤٢	٢٤٣
٢٤٣	٢٤٤
٢٤٤	٢٤٥
٢٤٥	٢٤٦
٢٤٦	٢٤٧
٢٤٧	٢٤٨
٢٤٨	٢٤٩
٢٤٩	٢٥٠
٢٥٠	٢٥١
٢٥١	٢٥٢
٢٥٢	٢٥٣
٢٥٣	٢٥٤
٢٥٤	٢٥٥
٢٥٥	٢٥٦
٢٥٦	٢٥٧
٢٥٧	٢٥٨
٢٥٨	٢٥٩
٢٥٩	٢٦٠
٢٦٠	٢٦١
٢٦١	٢٦٢
٢٦٢	٢٦٣
٢٦٣	٢٦٤
٢٦٤	٢٦٥
٢٦٥	٢٦٦
٢٦٦	٢٦٧
٢٦٧	٢٦٨
٢٦٨	٢٦٩
٢٦٩	٢٧٠
٢٧٠	٢٧١
٢٧١	٢٧٢
٢٧٢	٢٧٣
٢٧٣	٢٧٤
٢٧٤	٢٧٥
٢٧٥	٢٧٦
٢٧٦	٢٧٧
٢٧٧	٢٧٨
٢٧٨	٢٧٩
٢٧٩	٢٨٠
٢٨٠	٢٨١
٢٨١	٢٨٢
٢٨٢	٢٨٣
٢٨٣	٢٨٤
٢٨٤	٢٨٥
٢٨٥	٢٨٦
٢٨٦	٢٨٧
٢٨٧	٢٨٨
٢٨٨	٢٨٩
٢٨٩	٢٩٠
٢٩٠	٢٩١
٢٩١	٢٩٢
٢٩٢	٢٩٣
٢٩٣	٢٩٤
٢٩٤	٢٩٥
٢٩٥	٢٩٦
٢٩٦	٢٩٧
٢٩٧	٢٩٨
٢٩٨	٢٩٩
٢٩٩	٣٠٠
٣٠٠	٣٠١
٣٠١	٣٠٢
٣٠٢	٣٠٣
٣٠٣	٣٠٤
٣٠٤	٣٠٥
٣٠٥	٣٠٦
٣٠٦	٣٠٧
٣٠٧	٣٠٨
٣٠٨	٣٠٩
٣٠٩	٣١٠
٣١٠	٣١١
٣١١	٣١٢
٣١٢	٣١٣
٣١٣	٣١٤
٣١٤	٣١٥
٣١٥	٣١٦
٣١٦	٣١٧
٣١٧	٣١٨
٣١٨	٣١٩
٣١٩	٣٢٠
٣٢٠	٣٢١
٣٢١	٣٢٢
٣٢٢	٣٢٣
٣٢٣	٣٢٤
٣٢٤	٣٢٥
٣٢٥	٣٢٦
٣٢٦	٣٢٧
٣٢٧	٣٢٨
٣٢٨	٣٢٩
٣٢٩	٣٣٠
٣٣٠	٣٣١
٣٣١	٣٣٢
٣٣٢	٣٣٣
٣٣٣	٣٣٤
٣٣٤	٣٣٥
٣٣٥	٣٣٦
٣٣٦	٣٣٧
٣٣٧	٣٣٨
٣٣٨	٣٣٩
٣٣٩	٣٤٠
٣٤٠	٣٤١
٣٤١	٣٤٢
٣٤٢	٣٤٣
٣٤٣	٣٤٤
٣٤٤	٣٤٥
٣٤٥	٣٤٦
٣٤٦	٣٤٧
٣٤٧	٣٤٨
٣٤٨	٣٤٩
٣٤٩	٣٥٠
٣٥٠	٣٥١
٣٥١	٣٥٢
٣٥٢	٣٥٣
٣٥٣	٣٥٤
٣٥٤	٣٥٥
٣٥٥	٣٥٦
٣٥٦	٣٥٧
٣٥٧	٣٥٨
٣٥٨	٣٥٩
٣٥٩	٣٦٠
٣٦٠	٣٦١
٣٦١	٣٦٢
٣٦٢	٣٦٣
٣٦٣	٣٦٤
٣٦٤	٣٦٥
٣٦٥	٣٦٦
٣٦٦	٣٦٧
٣٦٧	٣٦٨
٣٦٨	٣٦٩
٣٦٩	٣٧٠
٣٧٠	٣٧١
٣٧١	٣٧٢
٣٧٢	٣٧٣
٣٧٣	٣٧٤
٣٧٤	٣٧٥
٣٧٥	٣٧٦
٣٧٦	٣٧٧
٣٧٧	٣٧٨
٣٧٨	٣٧٩
٣٧٩	٣٨٠
٣٨٠	٣٨١
٣٨١	٣٨٢
٣٨٢	٣٨٣
٣٨٣	٣٨٤
٣٨٤	٣٨٥
٣٨٥	٣٨٦
٣٨٦	٣٨٧
٣٨٧	٣٨٨
٣٨٨	٣٨٩
٣٨٩	٣٩٠
٣٩٠	٣٩١
٣٩١	٣٩٢
٣٩٢	٣٩٣
٣٩٣	٣٩٤
٣٩٤	٣٩٥
٣٩٥	٣٩٦
٣٩٦	٣٩٧
٣٩٧	٣٩٨
٣٩٨	٣٩٩
٣٩٩	٤٠٠
٤٠٠	٤٠١
٤٠١	٤٠٢
٤٠٢	٤٠٣
٤٠٣	٤٠٤
٤٠٤	٤٠٥
٤٠٥	٤٠٦
٤٠٦	٤٠٧
٤٠٧	٤٠٨
٤٠٨	٤٠٩
٤٠٩	٤١٠
٤١٠	٤١١
٤١١	٤١٢
٤١٢	٤١٣
٤١٣	٤١٤
٤١٤	٤١٥
٤١٥	٤١٦
٤١٦	٤١٧
٤١٧	٤١٨
٤١٨	٤١٩
٤١٩	٤٢٠
٤٢٠	٤٢١
٤٢١	٤٢٢
٤٢٢	٤٢٣
٤٢٣	٤٢٤
٤٢٤	٤٢٥
٤٢٥	٤٢٦
٤٢٦	٤٢٧
٤٢٧	٤٢٨
٤٢٨	٤٢٩
٤٢٩	٤٣٠
٤٣٠	٤٣١
٤٣١	٤٣٢
٤٣٢	٤٣٣
٤٣٣	٤٣٤
٤٣٤	٤٣٥
٤٣٥	٤٣٦
٤٣٦	٤٣٧
٤٣٧	٤٣٨
٤٣٨	٤٣٩
٤٣٩	٤٤٠
٤٤٠	٤٤١
٤٤١	٤٤٢
٤٤٢	٤٤٣
٤٤٣	٤٤٤
٤٤٤	٤٤٥
٤٤٥	٤٤٦
٤٤٦	٤٤٧
٤٤٧	٤٤٨
٤٤٨	٤٤٩
٤٤٩	٤٥٠
٤٥٠	٤٥١
٤٥١	٤٥٢
٤٥٢	٤٥٣
٤٥٣	٤٥٤
٤٥٤	٤٥٥
٤٥٥	٤٥٦
٤٥٦	٤٥٧
٤٥٧	٤٥٨
٤٥٨	٤٥٩
٤٥٩	٤٦٠
٤٦٠	٤٦١
٤٦١	٤٦٢
٤٦٢	٤٦٣
٤٦٣	٤٦٤
٤٦٤	٤٦٥
٤٦٥	٤٦٦
٤٦٦	٤٦٧
٤٦٧	٤٦٨
٤٦٨	٤٦٩
٤٦٩	٤٧٠
٤٧٠	٤٧١
٤٧١	٤٧٢
٤٧٢	٤٧٣
٤٧٣	٤٧٤
٤٧٤	٤٧٥
٤٧٥	٤٧٦
٤٧٦	٤٧٧
٤٧٧	٤٧٨
٤٧٨	٤٧٩
٤٧٩	٤٨٠
٤٨٠	٤٨١
٤٨١	٤٨٢
٤٨٢	٤٨٣
٤٨٣	٤٨٤
٤٨٤	٤٨٥
٤٨٥	٤٨٦
٤٨٦	٤٨٧
٤٨٧	٤٨٨
٤٨٨	٤٨٩
٤٨٩	٤٩٠
٤٩٠	٤٩١
٤٩١	٤٩٢
٤٩٢	٤٩٣
٤٩٣	٤٩٤
٤٩٤	٤٩٥
٤٩٥	٤٩٦
٤٩٦	٤٩٧
٤٩٧	٤٩٨
٤٩٨	٤٩٩
٤٩٩	٥٠٠
٥٠٠	٥٠١
٥٠١	٥٠٢
٥٠٢	٥٠٣
٥٠٣	٥٠٤
٥٠٤	٥٠٥
٥٠٥	٥٠٦
٥٠٦	٥٠٧
٥٠٧	٥٠٨
٥٠٨	٥٠٩
٥٠٩	٥١٠
٥١٠	٥١١
٥١١	٥١٢
٥١٢	٥١٣
٥١٣	٥١٤
٥١٤	٥١٥
٥١٥	٥١٦
٥١٦	٥١٧
٥١٧	٥١٨
٥١٨	٥١٩
٥١٩	٥٢٠
٥٢٠	٥٢١
٥٢١	٥٢٢
٥٢٢	٥٢٣
٥٢٣	٥٢٤
٥٢٤	٥٢٥
٥٢٥	٥٢٦
٥٢٦	٥٢٧
٥٢٧	٥٢٨
٥٢٨	٥٢٩
٥٢٩	٥٣٠
٥٣٠	٥٣١
٥٣١	٥٣٢
٥٣٢	٥٣٣
٥٣٣	٥٣٤
٥٣٤	٥٣٥
٥٣٥	٥٣٦
٥٣٦	٥٣٧
٥٣٧	٥٣٨
٥٣٨	٥٣٩
٥٣٩	٥٤٠
٥٤٠	٥٤١
٥٤١	٥٤٢
٥٤٢	٥٤٣
٥٤٣	٥٤٤
٥٤٤	٥٤٥
٥٤٥	٥٤٦
٥٤٦	٥٤٧
٥٤٧	٥٤٨
٥٤٨	٥٤٩
٥٤٩	٥٥٠
٥٥٠	٥٥١
٥٥١	٥٥٢
٥٥٢	٥٥٣
٥٥٣	٥٥٤
٥٥٤	٥٥٥
٥٥٥	٥٥٦
٥٥٦	٥٥٧
٥٥٧	٥٥٨
٥٥٨	٥٥٩
٥٥٩	٥٦٠
٥٦٠	٥٦١
٥٦١	٥٦٢
٥٦٢	٥٦٣
٥٦٣	٥٦٤
٥٦٤	٥٦٥
٥٦٥	٥٦٦
٥٦٦	٥٦٧
٥٦٧	٥٦٨
٥٦٨	٥٦٩
٥٦٩	٥٧٠
٥٧٠	٥٧١
٥٧١	٥٧٢
٥٧٢	٥٧٣
٥٧٣	٥٧٤
٥٧٤	٥٧٥
٥٧٥	٥٧٦
٥٧٦	٥٧٧
٥٧٧	٥٧٨
٥٧٨	٥٧٩
٥٧٩	٥٨٠
٥٨٠	٥٨١
٥٨١	٥٨٢
٥٨٢	٥٨٣
٥٨٣	٥٨٤
٥٨٤	٥٨٥
٥٨٥	٥٨٦
٥٨٦	٥٨٧
٥٨٧	٥٨٨
٥٨٨	٥٨٩
٥٨٩	٥٩٠
٥٩٠	٥٩١
٥٩١	٥٩٢
٥٩٢	٥٩٣
٥٩٣	٥٩٤
٥٩٤	٥٩٥
٥٩٥	٥٩٦
٥٩٦	٥٩٧
٥٩٧	٥٩٨
٥٩٨	٥٩٩
٥٩٩	٦٠٠
٦٠٠	٦٠١
٦٠١	٦٠٢
٦٠٢	٦٠٣
٦٠٣	٦٠٤
٦٠٤	٦٠٥
٦٠٥	٦٠٦
٦٠٦	٦٠٧
٦٠٧	٦٠٨
٦٠٨	٦٠٩
٦٠٩	٦١٠
٦١٠	٦١١
٦١١	٦١٢

صفحة	صفحة
لا تلتصموا : قص عليه خيرا : حسده عليه ولم يره له أهلا . تسفلون لواذآ : تهربون خفية .	جعلت ذلك دبر أذني : لم أصغ إليه ولم أخرج عليه .
٢٠٢ الظليم : ذكر النعام . أحرها وأسودها : عجمها وعربها . تقنو : تنضع . وتجب القلوب : تخفق . خاخرين له : أذلاء .	١٩٤ تنكب قوسه : حلتها على منكبه . ذيم : اسم فرس أو ناقة . لها . جمها . حطم : مسرع . الوضم : خفية يقطع عليها اللحم . الصلى : الغديد الأروع : الذكي . القوى : الصعراء . والمخرج منها كناية عن الخبرة والمصير والجلادة : كقولهم : طلاع الثنايا . الرد : للشديد . البكر : الفتي من الإبل . الضناج : جمع ضن وهو الجهد اليأس يطلق في الحياء فإذا دنت الإبل منه حرك ففرت من صوته ( أي لا يخاف مما لا يخيف ) ففرت : أي اختبرت فوجدت ذكياً : الكناية : جبهة السهام . عجم عيناها : عضها لينظر أيها أصلب . أمرها : أقواها
٢٠٤ الجريرة : القلب : فسودوا كباركم : اجعلوهم سادة لكم . للسألة : سؤال الناس استجداء .	١٩٥ الإيضاح : نوع من السير : السلة : شجرة الفرط تعصب ثم تضبط بالأرض أو بالصي ليلقط ثمرها . ومعنى الجملة أنهم كنهه العجيرة لا يلتفت منها إلا بالعدة . خرائب الإبل تضرب أشد الضرب عند الحرب . وعند الغلاط لا أخلق : لا أقدر ولا أقفل . فريت : قطعت
٢٠٥ ضم لغرم : جم مفرقهم :	١٩٦ الألوية السود : أعلام الباسيين
٢١٠ يثون : ينتسبون . ولسرا : فصياً وقهراً . تل : عدم	١٩٨ تهور : ترجم
٢١١ آرية نسبة إلى الآرين وهم قدماء الجلس الهندى الأوديين	١٩٩ الألوبيق : جم فيقة وهي اللبن . وعنتا : رفضتنا الطير . بارحة : كناية عن سوء الحال . الأسار : القيد .
٢١٣ القلاج : النصر الكبت : الإذلال .	٢٠١ أوسطهم طاراً : كناية عن السؤدد والصرف :
٢١٤ الجنة : طائفة من الجن	
٢١٦ فع : فخر ودل . تلكأ : أبطأ وتوالت .	
٢١٧ للزوجة : اتفاق الكلمات وزناً لأروا . الملح جم ملحعة وهي ما حسن من الأحاديث .	
٢٢٠ الظائم : العبدائد . والسخائم : الضغائن . اشكيناك : أزلنا شكايك وأعتبتك : قبلنا عتابك .	
٢٢١ الحفيظة : النضيب واللوجة . هروء هذا القيس : يريد الغلالة . خيء التند : السيف .	



صفحة	صفحة
يبادل . ونازم . ويند : غلب . وعاديا : وائيا . ويدل : يحضر ويحتج	العرفج : شجر سهل وهو القناد . المهلك المرأة التي لا تملك نفسها من زوجها .
٢٣٠ أنيرا : مقربا . الفالج : داء يحدث في أحشى البدن فيبطل إحساسه .	٢٢٧ الآن تطرب متعلق بأمن أي الآن أمن الأحمر والأسود .
٢٣٠ تبالفت به العلة : اشتدت عانة : مزاج وهرل :	٢٢٤ باب الأبواب : تفر من قنور بحر أزوين وكانت مدينة شهيرة تعرف الآن بدربند . الفارب : اللوح .
٢٣١ قل : تلم وشاة : حد . على يرسل برفق وثودة .	تعود : تسوق . وملحكتنا البحر : توسطناه . البحرين : البحر والحر
٢٣٢ لاجتلك . باربعك وعارضتك . الصارمة : اللطمة . يدل : أدال الله فلا تأمن فإني جعل لك السكره عليه القل : البض .	٢٢٥ التمال : من يمول عليه . وسروان : جمع الجمع لاسرى وهو السخى ذو المروءة . وسريات جمع سرية وهي الرقعة القدر . القلب .
٢٣٢ الجادة : وسط الطريق . البليات . الطرق المخار تشعب من الجادة . الجهارة : حسن القد والمنظر . يتليل :	السكر . والطير : القابة . واليد : النعمة . والأعضاء : الأعوان . والجوارح : الأعضاء . والحاجب :
يتشبه بالنبله .	الحادم . والعين : القعب . والراحة ضد القعب . سدا للند : كناية عن
٢٣٤ للنارج : الطرق . جوال : يتصعد اضطلم بكنا : أحمله ونهش به عشارها : جمع المشراء فنانة من مضى على حملها عشرة أشهر . القوانج :	الخفية . اليمن : القوة : واليسار : القي . المرافق ما يرتفق به . الثاية القنية من النوق . والناجب :
مرض مؤلم من أمراض المعدة . الفرس داء يأخذ في أصبر الرجل . الحياجة هنا حسن الأسلوب . الوشى : نقش الثوب من كل لون . الترار : لكال القى تضرب عليه التصال لتصلح	النافقة المسنة . الميش الأخضر : كناية عن المعيشة الطيبة والمحبوب الاصفر : الذهب . فودي : جانب رأسى . والعدوا الأزق : الشديد العداوة . والموت الأحمر : القتل بالسيف .
٢٣٥ يم : متال فلان بكنا وصل إليه وتوصل . قاله : خيائه . استئمالك : أسطلامك . حلت خطريها : مريبك خبرها وشرها . ظل فوثلاث عصب : دخان جهنم على وجه التمهيه .	٢٢٦ احتجن المال . ضه إلى نفسه . تفتت : تقبضت . الحلة : الحاجة والنفس
٢٣٦ حل بصدرك : أعجبك : سرج : سجل	٢٢٩ إلا ساود جمع أسود : وهو العظيم من الحيات . الفادح : القيل . والياء القى لا يبرأ منه . يعارى :

صفحة	صفحة
الكلمة الخلفة يحتاج الناس بها .	الحفاشة والهاء : بنية الروح في
٢٤٧ التحويل : السقاء . الأختار : القصد	جسم المريض : البراء : هذه الأذى
والزيارة :	والعفة .
٢٤٨ السخبة : الجوع	أعضائهن : عقل المرأة : جهاض
٢٥٠ مؤاناة : مساعدة . الأخبية المطبقة :	الزواج .
الحيام للضروبة .	٢٣٩ الفراء : السرعة والهاب إلى القاية .
٢٥٧ يتقبلون : يتشبهون . تهمرم : لاغى .	من : أصيب .
عيت : عجزت . مهلبة النسخ :	٢٤٠ شام البرق : نظره . الإيماس : البريق
سخيته	٢٤١ هوارف : جمع عارفة وهي الصنيع
٢٥٤ أشرع الريح : شهره . البهرد :	والجليل
الأعلام	٢٤٢ ألن عصاء : كناية عن الإمامة بعد
٢٥٥ الكماء : الأبطال .	الظمن . عفو الساعة : بسرعة من
٢٥٦ حسيه : إختاراً عند الله . الأمطار :	غير كلفة . ابنه يمدتها : العالم بالقي .
التياب البالية .	الثلث له . والبجنة باطن الشيء .
٢٥٧ الآيق : المارب . النواطير : جمع	٢٤٣ الكدية : التسول . السباط : الشيء
فاطور وهو حافظ الكرم والنخل .	المصطف وما يوضع عليه الطعام .
بهمن : امتلأت بطونهن . الصيد :	الأشراف : العلامات .
جم أميد وهو العريف العزيز .	٢٤٤ الملة : الهبة . فحة الرجل تهم
جدا كل جيس : عطاء كل بحيل	وملعبه . النحلة : النوع أو المذهب .
دئ : بلم . جم بلفة وهي ما يتبلغ	الأزور : الظهر والقوة . الثولب :
به من العيش : صباية العيش : بقيته	الخزير : ألن حياءك : الزميه بخراً
وأخوته . ملقتها : تقصتها .	ويزاً : حريراً وكتافاً . مطارف :
٢٥٨ ارحل هنا : المنزل . وحضرت	جم مطرف وهو عطاء صبيح من الغز
المصوم رحل : طرقتي . للماتن :	في طريقه طمان . تزي : تنصب .
مدائن كسرى وهي إلى جنب بغداد	السالون . جم عاف وهو طالب
الأبيض : ايون كسرى . والنس .	الرزق
الثقة الصلبة . درس : لفر .	٢٤٥ خضرة الدمن : ماتت في المزبل من
حافضون في ظل عال : منهمون	المشب . الميدي : رجل من مد
في قصر مشيد . يحسر العيون	يضرب به المثل في حسن الصيت
ويغشى : يردحها حاسرة خاسرة	وليع المراءى .
لارتفاعه . خلاط ومكسي مكانان .	٢٤٦ اللائل : جمع غلاة وهي الثوب
	الريق . الأحابي : جمع أحبية وهي

صفحة	صفحة
٢٦٧ قد حلفى : تبحر . الطرق : لاء	حلل : جم حلة ، وهي مكان النزول
خوضته الإبل وبولت فيه . السكنة :	والقربة . الهابس : القفار . عفس
العجة والعي . الزق ( بالضم ) :	قبيلة من اليمن : والبحري طائي
الحمر	عنى . غدون أنضاء ليس : صرن
٢٦٨ التفع الخبار . الرجعة : الرجوع إلى	باليات . الفرس : راية الفرس
أفليا بعد الموت . فائقة : وأمة	إلهام جرس : سكوت . الشيخ :
٢٦٧ قسى : لرجى وخفى	البطل . يتلى ارتياي : يزاد .
٢٦٧ صرخته : أمته من الناس من كبر .	وتفرايم تفصهم ، أبو الفوت : ابن
السيلة : الطيعة . الأنون :	البحري . ولم يصرد : أى لم يبق
أخود الجبار والجصاص .	دون الرى : والسكران : مكان .
٢٦٩ الوظيفة : للرب من مال أو طعام .	اللفس : أخذ الفى : في نهزة وعانة
ولرة جنة : الوفرة ما مال على	أضوا الليل : أضاءه .
الأذين من الفرس ، والجددة	٢٥٩ الجروب : السكاون والمكان الولى
ما كان فيها التواء وتنبض	وأرضن جلس : جبل شاهق ، يتلقى
٢٧١ أيم : البحر . الآل : الشراب	الخ ... يظنه القادم عليه إنسانا
تحيب : تظلم	من عبا براقبه أو بتطبيق زوجه .
مخايل : دلائل على النجس	الدمقس : الحرير . ورضوى
٢٧٣ تقي عنده : حظى لده . دالة : جراءة	واقسى : جبلان البرس : القطن
٢٧٤ ضرب على وتره : جرى على طريقه .	النكس : الوضع . ووقوف :
الذن : وعاء الحمر الكبير . العاف	حم واللب . وخفس : مسترون .
( بالفتح ) : الرفق	الفيان : اللقيات . يرجعن :
لافتة : الحمر القديمة . المزاج :	يتنين وحو ولمس : جمع حواء
مزج الحمر بالماء .	ولماء لسوداء الشفة ، وكانت صفة
٢٧٥ الصبياء : الحمر . الأصطباح :	مستحسنة . غير لصى لأهلها عند
شرب الحمر صباحا	أهل : يشير إلى قصة سيف بن ذي
المها : جمع مهاة ، وهي البقرة	يزن وأستعاقته بكسرى في طرق
الوحشية . تنربها : تحتلها . القلاص :	أرباط ملك الحبشة من اليمن بعد
جمع للنسوة وهي من أظلية الرأس .	أن ملكها ، والبحري كما نعلم عنى .
كالقبة . نهز بالهلو : ضرب بها	السنخ : الأصل .
	٢٦٠ حالية المنارى ، لاية الحلى
	منهن . الجديدان : الليل والنهار .
	٢٦١ الصبلان : الناقة السريعة . لم أعتمد
	أى لم أتعمد .

صفحة	صفحة
٢٨٧	في الاء لتتلى . أسمت : أرعبت .
٢٨٧	السراج : للأنشبة السائمة
٢٨٧	٢٧٦ السراة : جمر سري وهو الشرف
٢٨٧	السقى . الطيرة : ما يقتسم به من
٢٨٧	الفأل الردى .
٢٨٧	٢٧٧ للمهرجان : عيد الفرس . القيان :
٢٨٧	جمع قينة وهي للفتية ، الذبكتة :
٢٨٧	الزقعة البيضاء في الأسود
٢٨٧	الضلعان : الثاليس من الأخدان
٢٨٧	يستوى فيه الواحد والجماعة
٢٨٧	يلعون : يلومون
٢٨٨	٢٧٩ الأذريون : زهر أصفر في وسطه
٢٨٨	خل أسود وهو عباد الشمس .
٢٨٨	الغالية : أخلاط من الطيب .
٢٨٨	الكن : جمع أدكن ، وهو المائل
٢٨٨	إلى السواد . الخود : المرأة
٢٨٨	الغاية . يدحو : يسط قوراء :
٢٨٨	متسمة . الرشاد : الحبل
٢٨٩	٢٨٠ ولنت ، مستمار من رفق الطائر
٢٨٩	إذا خفق بجناحيه ولم يطر الورس :
٢٨٩	نبات كالسمسم أسفر يزود باليمن
٢٨٩	ويصنع به . مزعزع : حرك :
٢٨٩	شول : قص . تشتم السر :
٢٨٩	تقضى إلا أله صور : جمر صوراء :
٢٨٩	وهي المائلة للفتة ، روان : نواظر .
٢٨٩	بين هنا : يعنى تيقن أى ظهر .
٢٨٩	ومنه المثل ( قد بين الصبح لدى
٢٨٩	عينين ) مشتمع : غطوط بعنه
٢٨٩	بعض . أذكى : عطر . ريسان
٢٨٩	ظه : ولرف ظله . ربي : نسبة
٢٨٩	إلى الربيع . حشمت : حرك .
٢٨٩	الصنج : سفينة مدورة من الصفر
٢٨٩	يضرب بها على أخرى للطرب .
٢٨٩	شدوات : توريد .
٢٨٧	٢٨٧ الفلاة : الثوب الرقيق
٢٨٧	٢٨٧ الخندس الظلام . المنجل : آلة الحصاد
٢٨٧	حطت : منعت .
٢٨٧	٢٨٧ أسرار الوجه : الخطوط التي في البهجة
٢٨٧	الجادى : الزعفران . نسبة إلى الجادية
٢٨٧	قرية بالشام . أعاط : جمع عطا وهو
٢٨٧	ضرب من البسط . الاستبرق :
٢٨٧	غليظ الديباج . النشرات الأمكنة
٢٨٧	للمرتفعة . الفصيل : السان مجازاً .
٢٨٧	أعنى : طويل شامخ .
٢٨٨	٢٨٨ ملأه عليه : ساعد . العطل :
٢٨٨	الخلو من الزينة . شرم : سواء .
٢٨٨	رأى الضحى أوله الطلل : قيل
٢٨٨	النروب . الرسم : نوع من سير
٢٨٨	الإبل . الأنيق : جمر ناقة
٢٨٩	٢٨٩ الخند الأصل . الخندى : طالب
٢٨٩	الطاء . اكبت : أذل . الغضاضة
٢٨٩	للنقصة . فكأن قد . كأنها قد
٢٨٩	زالت .
٢٩١	٢٩١ الأديم الأدراس : للنازل المفرة
٢٩١	للأفكة : السكرة غير النافذة .
٢٩٢	٢٩٢ الثبراس : المصباح
٢٩٢	٢٩٢ حصف عقله : قوى . السكاب :
٢٩٢	شئ : يملو الوجه كالسمسم . أجياد
٢٩٢	السكواهب : رطاب الحسان
٢٩٣	٢٩٣ القناد : شجر شائك . الوثر : المال
٢٩٣	الكثير . علق لبيبا جبه : مبل
٢٩٣	لصفحتي وجهه ، وذلك كناية عن
٢٩٣	الأثقال سرمد : دائم بفتح : يثقل .
٢٩٣	فجاج : جمر فجع وهو للطريق
٢٩٣	الواسع بين جبلين .

صفحة	صفحة
٢٩٥	يتأور : يعوج ويميل
٢٩٦	الث من السلام . النافه . الحبك
	الطرق : جمع حبة . الجواشن : الفروع .
	ريق القيث : أوله
٢٩٧	لبب : نولجب وهو الصوت .
	تدعى : تنسب . المنج : الفيار
٢٩٨	الحدود . الأحكام الشرعية
٢٩٩	عقود عمره : عقد المدد عشرة .
	يتجمع : يتكاف الصب . الرواض
	مذلول الخيل ومملوك ركوبها . أفعم
	وطاه : ملأ وعاءه . أخلاف :
	جمع خلف وهو حلة غمرع النافه
	أشلى عليه السكب : أهراه به .
	لم يقم له وزناً : لم يحفل به .
٣٠١	يطيش سهمه . يخيب . الإحالة :
	التكلم بالهال . الثقلان : الإناس
	والجن . تقيمه : تذله وتخضعه .
	كبيت الخمر : ما فيها سواد وحره
٣٠٢	يسبيه : يفتنه : قرن الشمس :
	قرسها
٣٠٣	لصطنه لنفسه : أخص به
	لواجم : جمع لا صم وهو الهوى
	المهرق
٣٠٤	المرار : آخر الشهر وهو الهاق
	الإسار : القيد . الإهاب : الجلد .
	المسو : القرب شيئاً بعد شيء .
	الطنبور : آلة للطرب ذات عنق
	طويل وستة أوتار من نحاس
	لا يزكو به : لا يليق به . يز
	مصون شعره : يحنله .
٣٠٥	المرأ : القضاء
٣٠٦	المباب : معظم الماء . معصر :
٣١١	مصبوغ بالصفر وهو ثبت أصفر
	يصبح به . عاج : حل
٣١١	البر حار الوحش . سلف : ثم .
	الخزاي : ثبت طيب الرائحة . العود
	المسن من الإبل
	أديم الأرس : سطحها . الرات :
	ما يلى من النظام
٣١١	الفرقان : كوكبان متلازمان .
	المدح : السائر آخر الليل . العرى
	مأسدة جانب الفرات . الصلال :
	حمر صل وهو الحية الضخمة
٣١٢	السودة : هم الباسيون لانقاذهم
	الدواد طناً وشطراً
٣١٦	القلق : الصباح . الأرق : السهاد
	والسهر . السلف : شدة الظلام .
	تغريها : تستدوما .
٣١٧	القيان : الغنيات .
	الاهوات : جمع لهاة وهي أقصى سلف
	القم . ذواتون : يونس عليه
	السلام . والذون الحوت . الجداء
	جمع جدى . السراجين : جمع سرحان
	وهو القتب .
٣١٨	مخوم النداء : لم ينصح عما يريد
	يأسو الجرح : يضمده
٣١٩	أخياف : مختلفون
	خاسوا : تسكوا وفسدوا . انتهاش
	نهش . انبيطس : انتجار . هم
	الدمع : سكب . الرم : الغزال
٣٢٣	الجمانة : حبة من فضة على شكل
	الؤلؤة . الرشأ : الغزال الأبيض
٣٢٤	الردني : رمع منصوب إلى مدينة ،

صفحة	صفحة
٣٤١ الشلب : بريق الأسنان . والعس :	ومى امرأة كانت تحف الرياح .
سمرة فى الشفة . الوعاء : رابية	الشمط : خطوط السيف
من رمل ليثة . الرضاب : الريق .	٣٢٨ الصواوى : العطاش . يلى :
الليل مضط الدواب : لاح فجره .	يستوى
الجوزاء : برج من أبراج السماء	٣٢٩ هوازيا : مرتفات . خزراً :
٣٤٢ أنكسرت الذهب : هوث : ونساعات	جمع أخزروهوضيق العين . حفرة
الارغد : جوهرة السيف ووشبهه .	آذانها : لطيفة صغيرة . قلب الأباطل
الريطة : الملاة	ضامرات البطلون والمصور . الألسر
٣٤٣ همى الفيت : سقط . الحيا : للعر	جمع نسر ومى لحمة فى باطن حافر
٣٤٤ الثوب الملم : الثنوش : كئن فيه :	الفرس من أعلاه الملقى : الطيب .
سفر . برما : ضجرا . الغفاء :	الشاو : بقية الجسم للأكل . القصور :
الملاك والبلى	الأسد
٣٤٥ الدبر : جماعة النحل . الضرب المبر	٣٣٠ ذات بينهما : الصلة والقربة
أن يتقطع منه العلم لشدته . السياق :	ضالية القيل ، طوبلته
الزح والاحضار	٣٣١ التأسى : التجدد . أنيت : القطع
٣٤٦ الاسنان : من اسنان الفرس	النسرين : ورد أبيض عطر قوى
وهو قصه وعدوه ونفاطه	الرائحة .
٣٥٢ الصبوح : الشراب صباحاً . الأياك :	٣٣٢ الزقوم : شجرة فى النار يطعم منها
الحجر للثوب الكثير . الخلق :	أهلها . والفيلق : ما يسبل من
المطر بالخلق الجأذر : جمع	جلود أهل النار . البناء : الرقة
جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية .	والسقى للنوء . القذال : مؤخر
الفلج ( بالفتح ) : الريق	الرأس . الملاوة : أعلى الرأس
٣٥٥ الفنا : الرائحة	أو المنق .
٣٥٦ الإثم : الحمر مجازاً	٣٣٥ يتاح فضله : أناه بطلبه . القنك :
٣٥٨ للرزاة : المصيبة	دابة يفتى جلدها أى يلبس فروا
٣٥٩ النفوة : النومة . الروح ( بالفتح )	٣٣٦ مسجور : ملائكة . سرجت أعضائها :
المساعدة . الإيوان : الصفة العظيمة .	امتدت وطالت
الأوار : الذهب	٣٣٨ تفرى : تكذب . الخضارم :
٣٦٠ موقرة : محلة تعجب لها : استعجبها	البحار
يوجه كربه يتقلص : يتزوى ويتراجع	٣٤٠ القى : الريق المجرة : نجوم كثيرة
٣٦١ السن : القصاحة ، خامره الداء ،	لا ترى بمجرد البصر ، وإنما يتنشر
	ضوؤها فبرى كأنه خط أبيض

صفحة	صفحة
الأوراق الرسمية. الماديات. الأحياء التدريج نسبة إلى جاد. أخفان الرواة : جم غفل لغير المجرب . المفريات : عنتقات الأحاديث. المرح والتعديل في الحديث : تنقش الراوى أو تركته ٣٨٠ كل عليها : صبه . الجلد العائر : الحظ السى .	خالط جوقه ، استكسرى القصاد : تعاظم وعظم . للمعارض : «وارد الشاربين .
٣٨٢ الرية : لا بالطويل ولا بالتقصير . برفضخ : يتزعج إلى السجم في الفاظ من الفاظهم	٣٦٣ أجم في كسريته : اتزوى واحبس براذين : جمع برذون وهو دابة دون الفرس وفوق الخمار
٣٨٣ أحفظ : أخضب. ما عثم : مالبث . البقيع : للوت	٣٦٤ حياء : عطاء . قبة : مداراة . حديا عليه : علقا عليه . سليط اللسان : طويله وحديده التتلس :
٣٨٤ حسن البزة : حسن الهيئة . أفسح درعه : طال بابه ، أفسح : أتى بالنادر	التألق في كل شىء .
٣٨٥ السميت : هيئة أهل الخير	٣٦٥ عى : كلف العناء . من عليه : عدد له ما أعطاه . راس : أغنى : الفشب :
٣٨٧ أنضوى إليه : انظم . سدع . جاهر أضى الكاتب في طلبها أطال السفر في البحث عنها . حفاة إلى كذا : دعاه إليه . العامية : الحائرة . ظهراء نصراء . إشراف : تعالى . بهكائم :	للسال
٣٨٨ الإجماء : جماعة الناس ، ولا بدع : لا غرابة	٣٦٦ السواد : ما بين البصرة والكوفة وما حولها من القرى . النبط : جبل من السجم يتزلون بالبطاخ من العراقيين وقيل أنهم حرب .
٣٩٠ نسكر منه : نسكر وجين . أبيضورى : شهوأتى نسبة إلى أبيضور أحد فلاسفة اليونان ، مشتهرة : لا يزال يمانع	٣٦٧ لاخدت عليه : أخذته . مراغ : منصب
٣٩١ خاتقاء : مكان الصوفية . توسط باحثها وشارف غايتها : كناية عن عن التطلع منها . شمس : ذهب	٣٦٨ أراد على كذا . حله عليه . التعجيبه : للقابلة للسكره
٣٩٢ التناسخ : انتقال النفس الناطقة من بدن إلى بدن آخر . تقصت : اختلت	٣٦٩ الخبز القفار : خير للأدوم . السارية : العمود
	٣٧٥ النضا : شجر عظيم من الأثل . غص : مارى . الجنى : الثمر . تتعنه العين : تزهديه : النسخ : سهل دخوله في الحلق . الأما : حم لهاة لا يجتمع أصل اللسان إلى أقصى الحلق
	٣٧٨ أخفاء : أسبه وأطاله
	٣٧٩ مهاواة للبلوك : مسابرة لهم . المسكرات : النقود . والسجلات :

صفحة	صفحة
٤١٢ انتالت على : تنابت وكثرت	أولست . الخولية : فرقة من
٤١٦ ارفض عنها الوهن : زال الضعف	التصوفة تقول إن الله حال في
٤١٨ ذكا : اشتعل . الغاء : البلى .	كل شيء متحد بكل جزء وتجاوز
خبا : خد ، الأريكة : سرير	أن يطلق على كل شيء أنه الله
منجد مزين ، خباوارها : ضيف	٤٠٩ انتسكت الله : انتفى أمره . الأرزاء :
شأتها	المصائب ، عن عمل الله : محاما
٤١٩ الضالمة : القلبية	٤٠٢ النمرة : الخيلاء والكبر ، الرد :
٤٢٠ النافق : الراج	العون ، الوزر : اللجأ
٤٢٧ تجلوسها أعقاب الله : تبرا من بقاياها	٤٠٣ وثقت عليه النية : رقرقت عليه
٤٢٨ دعستين : أخطب الناس في اليونان ولد	كالطائر ، واقعاء : بقية الروح
سنة ٣٨٤ وتوفي سنة ٣٧٢ قبل الميلاد	الأرضة : دوية تأكل الضف
عيسرون : أفصح خطباء الرومان ولد	والكتب وزحوا : هلكوا من الإعياء
سنة ١٠٦ وتوفي سنة ٤٣ قبل الميلاد	٤٠٤ أظلمت ، أظلمت ، دهاجر : جم
٤٣٩ الأصفاء ، أصفى الشاعر : ألقط شعره	ديجور وهو للظلام . شارق :
٤٤٠ عجل في لعمه أيه : ربه يحب	كوكب ، بارق : برق ، ما كان
الساجة : ينامزها	أروح : ما كان أسر
٤٤٤ أضرام : أجرام ، يبلغ الكتاب	٤٠٥ نفوتها : تنقصتها
أجله : يبلغ الحسك أمدده . اللد :	٤٠٦ بلة الفصاحة : قليل منها : الإحساس :
الخصومة القديمة	الانتقال من الجند إلى المزل
٤٥٢ رجال المايين . موظفو البلاط الماني	٤٠٩ السراوة الرواة والسفا .
أيام الخلافة .	٤١٠ أزال : جمع قيل وهو الملك من
	ملوك حير





رقم الإيداع : ١٥٩٢ - ٨١  
الرقم الدولي : ٢ - ٢٧ - ٧٢٧٩ - ٧ ISBN

مطبعة نخضة مصر  
١٨ شارع كامل صديق بالفيالة - القاهرة  
٩٠٢٢٩٥ - ٩٠٨٨٩٥



